

الدَّيْلُ الْوَصِيَّ

فِي الْكَشْفِ عَنْ أَسْرَارِ كَلَامِ الْوَصِيِّ
(شرح نهج البلاغة)

تأليف
الإمام الموقر بالله
أبي الحسين محمد بن جعفر بن علي الحسيني
(٧٢٩ - ٧٦٩ هـ)

تحقيق
سالم بن قاسم بن محمد التوكل

المطبعة
الاستاذ / عبد السلام بن عباس الوصية

المجلد الأول

مكتبة دار الفقه
بمكة المكرمة
الطبعة الأولى ١٤٢٩ هـ

...

...

الشيخ الوصي

الزيباج الوضي
في الكشف عن أسرار كلام الوصي
شرح نهج البلاغة

تأليف
الإمام الموقر بالله
إبي الحسين يحيى بن حمزة بن علي الحسيني
(٦٦٩ - ٧٤٩ هـ)

تحقيق
خالد بن قاسم بن محمد المتوكل

إشراف
الاستاذ / عبد السلام بن عباس الوجي

المجلد الأول



مكتبة الزيباج للدراسات والبحوث
٤٤٤٩
٢٠٥ / ١٢ / ١٤٤٩
١٤٤٩

حقوق الطبع محفوظة
الطبعة الأولى
٢٠٠٣/٥١٤٢٤ م

تم الطب والإخراج عن مركز الهادي للطباعة - صنعاء - الدائري الغربي حوار الجامعة الجديدة
(ت: ٧١١٦٠٧٣٤)

إخراج: جمال محمد عمر الريمي وعبد الحفيظ حسن الهادي

رقم الإيداع بدار الكتب الوطنية لعام ٢٠٠٣ م
(٢٢٤)



ص: ١٥١٣٤ (٢٠٥٧٧٧-٢٠٩٦٧١)

فاكس: (٢٠٥٧٧١-٢٠٩٦٧١) صنعاء - الجمهورية اليمنية

Website: www.izbaf.org ; email: info@izbaf.org

٤٨/٠٢
١٥٢
٢٩
٢٥

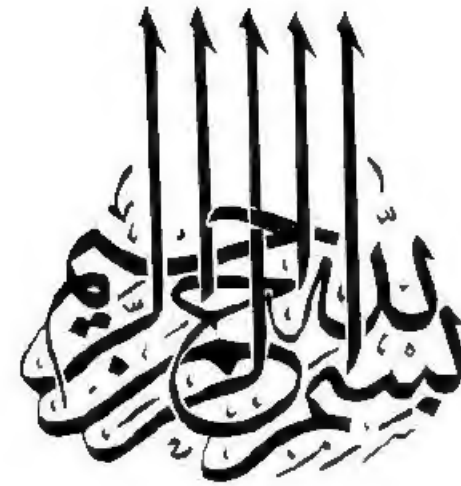
تصدير

لعل التساؤل الأول الذي يبرز إلى أذهان كثير ممن يطلع على "نهج البلاغة" هو سؤال الانتساب، هل هذا الكتاب حقاً يجمع بعضاً مما قاله وكتبه الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام؟ أم أن الشريف الرضي رحمه الله قام بتأليفه كله، أو أجزاء منه ثم قام بنسبته للإمام؟

تعدد الإجابات إزاء هذا التساؤل المشروع بين "سنية" و"شيعة" و"معتزلية" تسعى جميعاً، على اختلاف أساليبها، وتباين منطلقاتها، إلى إثبات أن مضمون "نهج البلاغة" هو لعلي بن أبي طالب

وبين التساؤل والإجابة تختفي قضية في غاية الأهمية

هذا السؤال يخفي واقعاً مؤلماً نعيشه، يتعلق بطبيعة تفكير المسلمين اليوم، ومنذ أمد بعيد. وهي النظر إلى العلوم أولاً من خلال النظر إلى مصدرها، وليس إلى مضمونها. فلا يهم ما يقال، بقدر من قال. والسبب يعود إلى عنصر آخر يتعلق بدور العقل المسلم في معرفة وتقييم القضايا الدينية على وجه الخصوص. فبقدر ما يغيب العقل عن هذه الساحة، بقدر ما يكون أي موضوع ذا صبغة دينية معتمداً على التائل، وليس



على القول. ولا شك في أن ما ينسب للإمام علي له صبغته الدينية المتفردة، إن مضموناً، لكثرة ما فيه من قضايا تعالج مفردات دينية متنوعة، أو انتساباً من حيث مقام الإمام علي الديني كصحابي جليل لدى بعض المسلمين، أو كوصي لدى بعض آخر.

هذه النظرة ستجعل الاستفادة من نهج البلاغة متوقفة بدرجة كبيرة على إثبات نسبة الكتاب إلى الإمام علي.

وواقع الحال، أن خطب وكلمات نهج البلاغة، لا يمكن أن تثبت كلها كلمة كلمة إلى الإمام علي باستعمال المناهج الصارمة للمحدثين باختلاف طوائفهم. وغاية ما يمكن أن عمله هو أن تثبت الانتساب الإجمالي للنهج إلى الإمام علي، بحيث نقول إن مجموع الكتاب له نسبة إلى الإمام، وأما بعض مفرداته فقد تصح عنه، وقد لا تصح. وعليه، فإن هذا النهج سيحرمانا كثيراً من الاستفادة من هذا السفر العظيم.

وأما إذا انطلقنا من حيث أن الكلام يستمد صحته وصوابيته من ذاته أولاً بذاته، من خلال العقل، وليس من خلال قائله، فإن نظرنا إلى نهج البلاغة واستفادتنا منه ستختلف حينها، سننظر إلى النهج من حيث مضامينه التي تفتح لنا آفاقاً للتأمل والتفكير. مضامين قد تختلف معها، كما قد نوافقها، ولكنها في نهاية الأمر تثير عقولنا لاستكشاف أبواب لم تكن على اطلاع عليها.

إن نهج البلاغة من حيث مضمونه بحر متلاطم من المعاني الروحية، والصراعات السياسية، والحكم التأملية، والنظرات الفلسفية، والملاحظات

العلمية، يخوضه المرء فيجد نفسه يتقل من موج إلى موج، كل ذلك من خلال أسلوب أدبي في غاية الرقي.

إن هذا السقر النفيس، يحسد شخصية الفيلسوف المتأمل لما وراء الطبيعة، من خلال الكلمات التي قيلت في الله تعالى، وفي أصل الكون. كما نجد فيه شخصية الفارس من خلال الخطب الحماسية التي تدفع أجبن الناس إلى خوض ساحات الوغى. وتلفت هناك فنجد فيه شخصية الحكيم الذي اختبر الحياة قروناً من الزمان، فجاءت منه الكلمات التي تدلنا على طريقة الحياة بشكل مناسب لا تكلف فيه، ويعمق لا نظير له. كما نجد فيه شخصية المنظر السياسي من خلال الكلمات التي أرشد بها عماله إلى طرائق الحكم. كما نجد العارف بالله الذي لا يرى لوجوده، بل ووجود كل ما حوله إلا تجلياً لعظمة الله ولقدرته. كما نجد الخاشع لله، الذي لا هم له إلا بأن يلتزم وجوده مع إرادة الله جل جلاله وعز سلطانه. ونجد أيضاً شخص المراتب الذي ينظر إلى ما حوله من الخلق، فيصفه. ونجد السياسي الذي يحاول أن يوازن بين مجموعة كبيرة من المتناقضات التي اتسم بها عصره، ولكن من خلال وسائل وطرائق لا تبعده عن أصل مراده، وأهم غاياته. ثم نجد أن كل تلك السمات تتداخل معاً بحيث تخرج بكثير منها من خلال خطبة واحدة أحياناً.

وفي كل ذلك نجد وحدة ووحدة لرجل لم يكن من حوله قادراً على استيعاب مراده، ولا على الوصول إلى مقامه. ولذلك نجد في خطابه من حوله، نفثة الحسرة، حسرة من يرى الأمان كلها، ولكن بعير أن يفكر

على أن ينقل الناس إليها. لقد كان يريد أن يسبح بهم في ملكوت الله، وأن يرتفع بهم إلى مقامات الكرامة والعزة، ولكن أرادوا الاستكانة، وطلبوا الدعة، فكانت عليهم الذلة في الدنيا والسخط في الآخرة.

لا شك، أن عظمة الكتاب، التي تكشف عن عظمة قائلها، تشير فينا الفضول نحو معرفة هذه الشخصية التي جمعت في آن واحد جملة من السمات المتضادة... ومن هذا المنطلق فحسب، قد نسعى لتحقيق نسبة الكتاب.. ولكن ليس من منطلق الاستفادة منه. هذه الشخصية التي يقف المرء أمامها حائراً، شخصية لا تنتمي إلى زمن من عرفناهم من البشر... شخصية من تلك التي تقف بين مليارات الخلق بمن مضى، ومن سيأتي...

وكأي عظيم، فإن نهج البلاغة بما فيه من معان وآفاق، كان بحاجة إلى دراسة، إلى تأمل، إلى قراءة لا تكون عابرة، وإنما قراءة مستلهمة، ومقارنة، ومتعمقة، بحيث لا تأخذ ما في النص أخذاً عاجلاً، وإنما تنظر فيه وتضعه في سياق الوقائع والمعاني....

وقد تحصل لهذا الكتاب من الشروح والتعليقات والخواشي ما جعله نصاً متفرداً استطاع استيعاب الكثير من المدارس والتيارات والفهوم التي أخذت تجول وتصول بحثاً عن دقائق معانيه وفرائد مبانيه.

ومن تلك المحاولات الرائعة هذا الكتاب الذي بين يديك.

ومؤلفه من تلك الشخصيات التي اتسمت بكثير من السمات التي كانت للإمام علي عليه السلام. فقد جمع بين الشجاعة والإقدام وأخلاق الفارس الذي لا يدهن الظلمة مع ورع شديد وعبادة ووله وخشوع

مع صدق نفس وديانة متينة فكانت قراءته للنهج قراءة من عاش جزءاً كبيراً من تجربة صاحب النهج بحيث سرت روحه في سلوكه وتجسدت صفاته في حياته حتى بات مثلاً يحتذى طيب الأصل وفرعاً يتدلى من سموق تلك الشجرة المباركة.

ولا شك أن خير من يقرأ تجربة ما هو من يعيش تلك التجربة بذاته ويجسدها بسلوكه العملي بين الناس.

فلنقرأ الشرح مع المؤلف بعقلية التأمل والمسائل والمحاور... ولنتأمل في النهج معاً نحن وإياه، بحيث نقرأه من خلال عقله وعقولنا، لشمر بذلك القراءة، وتعمق المطالعة...

لقد ترك النهج بصمات كبيرة على أجيال متتابعة... وكل أملنا أن تستمر آثاره، وأن تتوسع آفاقه الرحبة بحيث لا يكون للصراعات الضيقة دور في صرف الناس عنه، وفي حرمانهم من الاستفادة منه.

والشكر موصول للمحقق الذي لم يتوان جهداً في تحقيق النص وتببع موارده وتخرج نصوصه وشواهد ما أضفى حلة بهية على العمل فجزاه الله خيراً وبارك في وقته وعمله.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، وأشهد أن لا إله إلا الله الملك الحق العدل المبين، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ونبيه، صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله الأطهار الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً، وعلى أصحابه المنتجبين الأخيار،
وبعد ..

إن الحديث عن فضائل ومناقب وخصائص الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) يطول ويطول جداً، إذ أنها جمعة كثيرة وشهيرة، وليس في وسع الباحث أو الكاتب ضبط ذلك وإحصاؤه في مثل هذه العجالة، إذ أنه يحتاج في رقبته إلى مجلدات كبار، وتلك المناقب والفضائل قد اشتهرت بين الخاص والعام عند جميع المسلمين ومنذ العهد النبوي وبزوغ فجر الدعوة، على صاحبها وآله أفضل الصلوات والتسليم، فظهرت على الأنفاق، وطارت كل مطار، وطفحت بذكرها المئات من المؤلفات والمصنفات، وتداولها الناس جيلاً فجيل، وخلفاً عن سلف، بين أوساط جميع المذاهب الإسلامية، وحسبك معرفة أنك لا تجد مذهباً من مذاهب المسلمين، إلا وقد ظهر من بين أبنائه من ألف وصنف في ذلك الباب، فعمرت المكتبة الإسلامية بالمئات من المصنفات الحافلة.

قال ابن أبي الحديد في كتابه (شرح نهج البلاغة) ١٦/١-١٧، تحت عنوان: القول في نسب أمير المؤمنين علي (عليه السلام)، وذكر لمع يسيرة من فضائله ما لفظه: (فأما فضائله (عليه السلام)؛ فإنها قد بلغت من العظم والجلالة، والانتشار والاشتهار مبلغاً يسمح معه التعرض لذكرها، والتصدي لتفصيلها، فصارت كما قال أبو العيناء لعبد الله بن يحيى بن خاقان وزير المتوكل والمعتمد: رأيتني فيما أنعاطى من وصف فضلك، كالخبير عن ضوء النهار الباهر والقمر الزاهر، الذي لا يخفى على الناظر، فأيقنت أنني حيث انتهى بي القول منسوب إلى العجز، مقصر عن الغاية، فأنصرفت عن الثناء عليك إلى الدعاء لك، ووكلت الإخبار عنك إلى علم الناس بك.

قال: وما أقول في رجل أقر له أعداؤه وخصومه بالفضل، ولم يمكنهم جحد مناقبه، ولا كتمان فضائله، فقد علمت أنه استولى بنو أمية على سلطان الإسلام في شرق الأرض وغربها، واجتهدوا بكل حيلة في إطفاء نوره، والتحريض عليه، ووضع المعاييب والمثالب له، ولعنوه على جميع المنابر، وتوعدوا مادحيه بل حبسوهم وقتلوه، ومنعوا من رواية حديث يتضمن له فضيلة، أو يرفع له ذكراً، وحتى حظروا أن يسمى أحد باسمه، فما زاده ذلك إلا رفعة وسمواً، وكان كالمسك كلما ستر انتشر غرقه، وكلما كتم تضرع نشره، وكالشمس لا تستر بالراح، وكضوء النهار إن حجبته عنه عين واحدة، أدركته عيون كثيرة.

وما أقول في رجل تعزى إليه كل فضيلة وتنتهي إليه كل فرقة، وتتجاذبه كل طائفة، فهو رئيس الفضائل وينبوعها، وأبو عذرها، وسابق مضمارها، ومجلي حليتها، كل من بزغ فيها بعده قمته أخذ، وله اقتضى،

وعلى مثاله (احتذى). انتهى ما نقلته من ابن أبي الحديد رحمه الله.

وغاية ما يمكن أن أقوله هنا: إن قلبي ولساني لعاجزان ومقصران عن إيفاء الإمام علي (عليه السلام) حقه، ولو بضرب من الاختصار والإيجاز، لكنني اقتطف نبذة يسيرة من فضائله (عليه السلام) صاغها قلم العلامة المجتهد محمد بن إسماعيل الأمير رحمه الله في كتابه الروضة الندية في شرح التحفة العلوية ص ٣٩٢-٤١٠، حيث قال ما لفظه:

وكفاه كونه للمصطفى

ثانياً في كل ذكر وصفاً

قوله: (وكفاه): أي كفاه شرفاً وفخراً أنه يذكر ثانياً وتالياً لذكره (عليه السلام)، وأنه صفي ومختار لله تعالى ولرسوله (صلى الله عليه وآله وسلم) لما تقدم من إكرامه.

والبيت يشير إلى ما خص الله الوصي (عليه السلام) من إبقاء ذكره الشريف على ألسنة العالم من صبي ومكلف وحر وعبد ذكر وأنثى، فإنهم إذا ذكروا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ذكروه بذكره. وهذا من إكرام الله تعالى له فإنه ينشأ الصبي فيهتف: يا محمد، يا علي، والعالم العامي وغيرهما، وهذا من رفع الذكر الذي طلبه خليل الله، في قوله: ﴿وَلَقَدْ لَبِثَ لِسَانَ صِدِّيقِي فِي الْأَجْرَيْنِ﴾ [الشعر: ٨٤]، وهو الذي امتن الله به على رسوله (صلى الله عليه وآله وسلم) في قوله: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ [الشعر: ٤]، (وكفاه شرفاً) أنه أول السابقين إلى الإسلام، (وكفاه شرفاً) أنه أول من صلى، وأنه الذي رقى جنب أبي القاسم لكسر الأصنام، (وكفاه شرفاً) أنه الذي فداء بنفسه ليلة مكر الذين مكروا به، (وكفاه شرفاً) أنه الذي أدى عنه الأمانات إلى أهلها،

(وكفاه شرفاً) أنه من رسول الله ﷺ بمنزلة الرأس من البدن،
 (وكفاه شرفاً) أنه من رسول الله ﷺ ورسول الله ﷻ، (وكفاه شرفاً) أنه
 سَلَّمَت عليه الأملاك يوم بدر، (وكفاه شرفاً) أنه الذي قطّر أبطال
 المشركين في كل معركة، (وكفاه شرفاً) أنه قاتل عمرو بن ود، (وكفاه
 شرفاً) أنه فاتح خيبر، (وكفاه شرفاً) أنه مُبْلَغُ براءة إلى المشركين، (وكفاه
 شرفاً) أن الله تعالى زوّجه البتول عليها السلام، (وكفاه شرفاً) أن أولاده
 للرسول ﷺ أولاد، (وكفاه شرفاً) أنه خليفته يوم غزوة تبوك، وأنه منه
 بمنزلة هارون من موسى إلا في النبوة، (وكفاه شرفاً) أنه أحب الخلق إلى
 الله بعد رسول الله ﷺ، (وكفاه شرفاً) أنه أحب الخلق إلى
 رسول الله ﷺ، (وكفاه شرفاً) أن الله باهى به ملائكته، (وكفاه شرفاً) أنه
 نودي من السماء: «لا سيف إلا ذو الفقار، ولا فتى إلا علي»، (وكفاه
 شرفاً) أنه قسيم النار والجنة، (وكفاه شرفاً) أنه أخو رسول الله ﷺ،
 (وكفاه شرفاً) أن من آذاه فقد آذى رسول الله، (وكفاه شرفاً) أن النظر إلى
 وجهه عبادة، (وكفاه شرفاً) أنه لا يُغَضُّهُ إلا منافق وأنه لا يحبه إلا
 مؤمن، (وكفاه شرفاً) أن فيه مثلاً من عيسى بن مريم (عليه السلام)، (وكفاه
 شرفاً) أنه ولي كل مؤمن ومؤمنة، (وكفاه شرفاً) أنه سيد العرب، (وكفاه
 شرفاً) أنه سيد المسلمين، (وكفاه شرفاً) أنه يحشر ركباً، (وكفاه شرفاً) أنه
 يسقي من حوض رسول الله ﷺ المؤمنين ويدود المنافقين، (وكفاه شرفاً)
 أنه لا يجوز أحد الصراط إلا بجواز منه، (وكفاه شرفاً) أنه يكسى حلة
 خضراء من حلل الجنة، (وكفاه شرفاً) أنه يشادي مناد من تحت العرش:
 نعم الأخ أخوك علي، (وكفاه شرفاً) أنه مع رسول الله ﷺ في قصره

ومع ابنته سيدة نساء العالمين، (وكفاه شرفاً) أنه حامل لواء الحمد آدم ومَنْ
 ولده يحشون في ظله، (وكفاه شرفاً) أنه يقول أهل المحشر حين يرونه: ما
 هذا إلا ملك مقرب أو نبي مرسل، فينادي مناد: ليس هذا ملك مقرب،
 ولا نبي مرسل، ولكنه علي بن أبي طالب أخو رسول الله ﷺ، (وكفاه
 شرفاً) أنه مكتوب اسمه مع اسم رسول الله ﷺ، محمد رسول الله أيدته
 بعلي، (وكفاه شرفاً) أنه يقيض روحه كما يقبض روح رسول الله ﷺ،
 (وكفاه شرفاً) أنها تشتاق الجنة إليه كما في حديث أنس: «تشتاق الجنة إلى
 ثلاثة: علي، وعمار، وسلمان»، (وكفاه شرفاً) أنه باب مدينة
 علمه ﷺ، (وكفاه شرفاً) أنها سُدَّت الأبواب إلا بابه، (وكفاه شرفاً) أنه
 لم يرمد بعد الدعوة النبوية، ولا أصابه حرٌّ ولا برد، (وكفاه شرفاً) أنه
 أول من يقرع باب الجنة، (وكفاه شرفاً) أن قصره في الجنة بين قصري
 خليل الرحمن وسيد ولد آدم (عليه السلام)، (وكفاه شرفاً) نزول آية الولاية فيه،
 (وكفاه شرفاً) أن الله سماه مؤمناً في عشر آيات، (وكفاه شرفاً) أن
 رسول الله ﷺ انتجاه، (وكفاه شرفاً) أكله من الطائر مع رسول الله،
 (وكفاه شرفاً) بيعة الرضوان، (وكفاه شرفاً) أنه رأس أهل بدر، (وكفاه
 شرفاً) أنه وصي رسول الله، (وكفاه شرفاً) أنه وزيره، (وكفاه شرفاً) أنه
 أعلم أمته، (وكفاه شرفاً) أنه يقاتل على تأويل القرآن كما قاتل
 رسول الله ﷺ على تنزيله، (وكفاه شرفاً) أنه قاتل الناكثين والقاسطين
 والمارقين، (وكفاه شرفاً) أنه حامل لوائه ﷺ في كل معركة، (وكفاه
 شرفاً) أنه الذي غُسِّل رسول الله ﷺ وتولى دفنه، (وكفاه شرفاً) ما أعطاه
 الله تعالى من الزهادة والعبادة والبسالة، (وكفاه شرفاً) ما فاز به

من الشهادة والزلفى.

هذي المفاحر لا قعد من لبن

شباباء فعاداً بعد أبوالا

(وكفاه شرفاً) شهادة رسول الله ﷺ بأنه يحب الله ورسوله (وكفاه شرفاً) شهادة الرسول ﷺ بأنه كَرَّارٌ غير فرار (وكفاه شرفاً) تهدده ﷺ لقريش بأنه يعثه عليهم (وكفاه شرفاً) شهادة رسول الله ﷺ له بأن الله امتحن قلبه للتقوى، وكفاه شرفاً أنه من أهل الكساء (وكفاه شرفاً) أن الله سماه ورسوله ﷺ نفس رسول الله ﷺ (وكفاه شرفاً) أنه ثان لرسوله في كتابة اسمه في ساق العرش (وكفاه شرفاً) أنه ثان لرسول الله في سؤاله من الله كلما سأله لنفسه، واستعاذته له من كل ما استعاذ منه لنفسه، كما أخرجه الإمام المحاملي، عن عبيد الله بن الحارث، قال: قلت لعلي بن أبي طالب: أخبرني بأفضل منزلتك من رسول الله؟ قال: نعم، بين أنا نائم عنده وهو يصلي، فلما فرغ من صلاته، قال: «يا علي، ما سألت الله عز وجل شيئاً إلا سألت لك مثله، ولا استعذت بالله من شيء إلا استعذت لك مثله»، (وكفاه شرفاً) أن رسول الله ﷺ أدخله في ثوبه يوم توفي واحتضنه إلى أن قبض، (وكفاه شرفاً) أنه أعلم الناس بالسنة، (وكفاه شرفاً) أنه أكثر الأمة عدماً وأعظمهم حِلْماً، (وكفاه شرفاً) أن الصحابة أحلت السؤال - لا سئلوا - عليه، (وكفاه شرفاً) أنه لم يكن في الصحابة من يقول: سلوني قبل فقدني غيره، (وكفاه شرفاً) دعاء النبي ﷺ حين ولّاه القضاء بأن يثبت الله لسانه ويهدي قلبه، (وكفاه شرفاً) قول الرسول ﷺ أنه أفضى أمته، (وكفاه شرفاً) أن رسول الله ﷺ قرر قضاؤه وأعجب به، وقال: «الحمد لله الذي جعل قينا أهل البيت

الحكمة»، (وكفاه شرفاً) أنه من سادات أهل الجنة، كما أخرجه ابن السري عن أنس رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «يخى بنو عبد المطلب سادات أهل الجنة: أنا، وحمزة، وعلي، وجعفر، والحسن، والحسين، والمهدي».

(وكفاه شرفاً) لعنة النبي ﷺ من أبغضه، كما أخرجه أبو سعيد في شرف النوة، عن أنس بن مالك، قال: صعد النبي ﷺ المنبر، فذكر قولاً كثيراً، ثم قال: «أين علي بن أبي طالب؟ فوثب إليه، فقال: ها أنا ذا يا رسول الله، فضمته إلى صدره وقتله بين عينيه، وقال بأعلى صوته: معاشر المسلمين، هذا أخي وابن عمي، وختني، هذا لحمي ودمي وشعري، هذا أبو السبطين الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة، هذا مصرح الكرب عني، هذا أسد الله وسميه في أرضه على أعدائه، على مبغضه لعنة الله ولعنة اللاعنين، والله منه بريء وأنا منه بريء، فمن أحب أن يبرأ من الله ومسي فليسرأ من علي، ويبلغ لشاهد الغائب، ثم قال: اجلس يا علي، قد عرف الله لك ذلك».

(وكفاه شرفاً) اشتباق أهل السماوات والأنبياء في الجنة إلى علي (عليه السلام)، كما أخرجه الملا في سيرته عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: «ما مررت سماء إلا وأهلها مشتاقون إلى علي بن أبي طالب، وما في الجنة نبي إلا وهو مشتاق إلى علي بن أبي طالب». (وكفاه شرفاً) أن الله تعالى ناهى به حملة العرش، كما أخرجه أبو القاسم في فضائل العباس، عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: إن رسول الله ﷺ صف المهاجرين والأنصار، وقال: «هبط علي

جبريل (عليه السلام)، وقال: إن الله عز وجل يباهي بالمهاجرين والأنصار أهل السماوات العلأ، وباهي بي وبك يا علي وبك يا عباس حملة العرش، فهذه والله هي الرتب التي لا يبلغها أحد من العجم ولا العرب.

رتب ترحم الاماني حسرى

دوبها ما وراءهن وراء

(وكفاه شرفاً) أنه يخضع الناس بسبع، كما أخرجه أبو نعيم في الحلية، من حديث معاذ قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) لعلي (عليه السلام): «تخضع للناس سبع لا يحاكت أحد من فريش: أنت أولهم إيماناً بالله، وأوفاهم بعهد الله، وأقومهم بأمر الله، وأقسمهم بالسوية، وأعدلهم في الرعية، وأبصرهم بالقضية، وأعظمهم عند الله منزلة».

(وكفاه شرفاً) أنه ثاني رسول الله (صلى الله عليه وآله) في اشتقاق الأرض عنه، وفي وقوفه عند كفة الميزان، كما أخرجه السيوطي في جامعه، قال شاذان: (ثأ) أبو طالب عبد الله بن محمد بن عبد الله الكاتب بعكرا، (ثأ) أبو القاسم عبد الله بن محمد بن غياث الخراساني، أبو جعفر بن غياث الخراساني، (ثأ) أحمد بن عمار بن سميم الطائي (ثأ) علي بن موسى الرضا (عليه السلام)، حدثني أبي موسى، حدثني أبي جعفر، حدثني أبي محمد، حدثني أبي عسي، حدثني أبي الحسين، حدثني أبي علي بن أبي طالب (عليه السلام)، قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «يا علي، إني سألت ربي عز وجل فيك خمس خصال فأعطاني: أما الأولى: فأني سألت ربي أن تشق عني الأرض وأفضل التراب عن رأسي وأنت معي فأعطاني، وأم الثانية: فسألته أن يوقفني عند كفة لميران وأنت معي فأعطاني،

وأما الثالثة: فسألته أن يجعلك حامل لوائي وهو لواء الله الأكرم تحته المفلحون والفائزون بالجنة فأعطاني، وأما الرابعة: فسألته ربي أن تسقي أمتي من حوضي فأعطاني، وأما الخامسة: فسألته ربي أن يجعلك قائد أمتي إلى الجنة فأعطاني، فالحمد لله الذي منّ عليّ بذلك».

(وكفاه شرفاً) أنه ثانٍ لرسول الله (صلى الله عليه وآله) في أشرف الذكر وأعلاه وأطيه، وأدومه وأبقاه، وذلك في صلاته وملائكته والخلائق عليه صلى الله عليه وعلى آله وأمه المؤمنين (عليها السلام) رأس الآل، وقد علمهم (صلى الله عليه وآله) كيفية الصلاة، كما أخرج الإمام الحافظ أبو عبد الله الحاكم المعروف بآل البيع في كتابه علوم الحديث: عدهن في يدي أنوبكر بن أبي حازم بن دارم الحافظ بالكوفة، وقال: عدهن في يدي علي بن أحمد بن الحسين المحلي، قال: عدهن في يدي حرب بن الحسن الطحان، وقال لي: عدهن في يدي يحيى بن المساور الحنط، وقال لي: عدهن في يدي عمرو بن خالد، وقال: عدهن في يدي زيد بن علي بن الحسين، وقال: عدهن في يدي أبي الحسين بن علي، وقال: عدهن في يدي أبي طالب، وقال: عدهن في يدي رسول الله، وقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «عدهن في يدي جبريل، وقال جبريل: هكذا نزلت بهن من عند رب العزة:

اللهم، صلّ على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد، اللهم، بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد، اللهم وترحم

على محمد وعلى آل محمد كما ترحمت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم
 إنك حميد مجيد، اللهم ونحن على محمد وعلى آل محمد كما تحننت على
 إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد، اللهم وسم على محمد وعلى
 آل محمد كما سلمت على إبراهيم وعلى إبراهيم إنك حميد مجيد».

مع كلام الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام

من الخصائص التي تميز بها أمير المؤمنين علي (عليه السلام) لقدرة الفائقة على
 نظم خطبه ومواظفه وكتبه ورسائله وحكمه بأسلوب بلاغي وإنشائي
 جذاب ويلفظ فصيح وقوي سريع التأثير في النفوس لا يرقى إليه أحد،
 فتعلم الناس منه علوم البلاغة، قال ابن أبي لحديد رحمه الله في شرح
 نهج البلاغة ٢٤/١ في تعداد فضائل أمير المؤمنين علي (عليه السلام)، ما لفظه:
 (وأما المصاحبة فهو (عليه السلام) إمام الفصحاء وسيد البلغاء، وفي كلامه قبل:
 دون كلام الخالق، وفوق كلام المخلوق، ومنه تعلم الناس الخطابة، قال
 عبد الحميد بن يحيى: حفظت سبعين خطبة من خطب الأئمة ففاضت ثم
 فاضت.

وقال ابن نباتة: حفظت من الخطابة كنزاً لا يزيد الإنفاق إلا سعة
 وكثرة، حفظت مائة فصل من مواظ علي بن أبي طالب.

ولما قال محقق بن أبي محضن لمعاوية: جئتكم من عند أعيان الناس، قال
 له: ويحك! كيف يكون أعيان الناس! فوائده ما سر الفصاحة لقريش
 غيره). انتهى.

وقال الأستاذ عباس محمود العقاد في كتابه عبقرية الإمام علي
 ص ١٤٣-١٤٤: (وليس الإمام علي أول من كتب الرسائل

في كتابه (البيان والبيان): (ولو لم تقف من كتابنا هذا إلا على هذه الكلمة لوجدناها كافية شافية، ومجزية معنية، بل سوجدناها فاضلة على الكفاية، وغير مقصورة عن الغاية، وكأن الله عز وجل قد ألبسه من الجلالة، وغشاه من نور الحكمة على حسب لية صاحبه وتقوى قائله).

هذا بالإضافة إلى المكانة السامية التي تتوأها الإمام علي (عليه السلام) في حياة المسلمين وتأريخهم منذ بزوغ فجر الدعوة النبوية، وموقعه من نفس الرسول ﷺ، وإثارة له وإشادته بمواقفه وفضائله وإظهار خصائصه ومزاياه على حموع الملأ من الناس وفي مختلف المحافل، كل تلك العوامل مجتمعة وغيرها كانت دوافعاً قوية لالتفاف الناس حوله وإقبالهم على استماع كلامه ومواعظته والحرص الشديد على حفظها، ليشكل ذلك لهم منهجاً وسلوكاً يسبرون على ضوئه، ويحتذون على مثاله، فأمرير المؤمنين علي (عليه السلام) مع الحق وحق معه، كما فاه الرسول الأعظم ﷺ.

نحفظ الناس كلامه (عليه السلام) وتداولوه فيما بينهم، ونقله السلف للحلف رواية وتلقيناً، ودرساً وندرساً، وألفوا لجمعه وتدوينه الكتب، يقول الأستاذ محمد أبو الفضل إبراهيم في مقدمة تحقيقه لكتاب (شرح نهج البلاغة) لابن أبي الحديد ١/٥٠٦، بعد سيافه لسرد بعض خصائص الإمام علي (عليه السلام)، ما لمعه:

(كل هذه المزايا مجتمعة، وتلك الصفات متازرة متناصرة، وما صاحبها من نفع إلهي، وإلهام قدسي، مكّبت للإمام علي من وجوه البيان وملكت أمة الكلام، وألهمته أسمى لمعاني وأكرمها، وهيات له أشرف المواقف وأعزها، فجرت على لسانه الخطب الرائعة، والرسائل الجامعة،

وألقى العظات، وأطال الخطب على المنابر في الأمة الإسلامية، ولكنه لا ريب أول من عالج هذه الفنون معالجة أديب، وأول من أضفى عليها صفة الإنشاء الذي يقتدى به في الأساليب؛ لأن الذين سبقوه كانوا يصوغون كلامهم صياغة مبلعين لا صياغة منشئين، ويقصدون إلى أداء ما أرادوه، ولا يقصدون إلى فن الأداء وصناعة التعبير، ولكن الإمام علياً تعلم الكتابة صغيراً، ودرس الكلام البليغ من روايات الأئسن وتدوين الأوراق، وانظر بالبلاغة حتى خرجت من طور البهامة الأولى إلى طور التفنن والتحويد، فاستقام له أسلوب مطبوع مصنوع، هو فيما نرى أول أساليب الإنشاء الفني في اللغة لعربية، وأول أسلوب ظهرت فيه آثار دراسة القرآن والاستفادة من قدرته وسبقه، وتأتى له بسليقته الأدبية أن يأخذ من فحولة البداوة ومن تهذيب الحضارة، ومن أنماط التفكير الجديد اندي أندعه المعرفة الدينية والثقافة الإسلامية، فديوانه الذي سمي (نهج البلاغة) أحق ديواناً بهذه التسمية بين كتب العربية). انتهى

وهكذا نرى أن الإمام علياً (عليه السلام) استطاع بأسلوبه ذلك أن يصوغ الكلام صياغة بديعة في مختلف المباحي الدينية والفكرية، وفي شتى المادين العلمية والعملية، وهو في كل ذلك يحافظ على لجمال في التعبير، وسرعة تفعله في طوايا النفوس وتأثيره، وشمول مدلوله وتركيبه، وهاك على سسل المثل قوله: (قيمة كل امرئ ما يحسه)، فهذه الحكمة الجامعة تلقى من علماء البيان أشد الإعجاب وأصدقها، فها هو الجاحظ المعروف بأدبه وعلمه عند الخاص ولعام، ينقل عنه الشهيد مرتضى المطهري في كتابه (في رحاب نهج البلاغة) ص ٢٣، ينقل عنه ثناء على هذه الحكمة

والرصايا الباقعة، والكلمة يرسلها عفو مخاطر فتغدو حكمة، والحديث يلقى بلا تعمل ولا إعنات فيصح مثلاً: في أداء محكم، ومعنى واضح، ولفظ عذب سئغ، وإذا هذا الكلام يملأ السهل والجلل، وينتقل في البدو والحصر، يرويه على كثرة الرواة، ويحفظه العلماء والدارسون؛ قال المسعودي: والذي حفظ الناس عنه من خطبه في سائر مقاماته أربعمئة خطبة ونيف وثمانون خطبة، يوردها على أسديهة، تداول عنه الناس ذلك قولاً وعملاً.

ثم ظل هكذا محفوظاً في الصدور، مروياً على الألسنة، حتى كان عصر التدوين والتأليف؛ فانتشرت خطبه ورسائله في كتب التاريخ والسير والمازني والمحاضرات والأدب على الخصوص، كم انتخبت كلماته ومأثور حكمه قيم وضعوه من أبواب المواعظ والدعاء، وفي كتابي العريب لأبي عبيد القاسم بن سلام^(١)، وابن قتيبة^(٢) منه الشيء الكثير^(٣).

قال: (وإذا كان لكلام الإمام علي طابع خاص يميزه عن غيره من الخطباء، ونهج واضح يخالف غيره من البلغاء والمرسلين، فقد حاول كثير من العلماء والأدباء على مرّ لعصور أن يفردوا لكلامه كتباً خاصة ودواوين مستقلة، بقي بعضها وذهب الكثير منها على مرّ الأيام؛ منهم نصر بن مزاحم صاحب (صقيع)^(٤)، وأبو المنذر هشام بن محمد بن السائب

(١) أبو عبد القاسم بن سلام توفي سنة ٢٢٤هـ

(٢) اسمه عبد الله بن مسلم سنيوري، الموفى سنة ٢٧٦هـ

(٣) قلت: وكذا أورد ابن الأثير الكثير من كلام الإمام علي (عليه السلام) في كتابه (النهاية في غريب الحديث والأثر)

(٤) وهو كتاب صميم، لمؤلفه نصر بن مزاحم البصري الموفى سنة ٢١٢هـ، صمّن فيه مؤلفه رحمه الله خيار معركة صفين النضر، بين الإمام علي (عليه السلام) وأنصاره، وبين معاوية بن أبي سفيان وأنصاره، وهي معروفة مشهورة

الكلبي^(١)، وأبو مخنف لوط بن يحيى الأزدي^(٢)، ومحمد بن عمر الواقدي^(٣)، وأبو الحسن علي بن محمد المدائني^(٤)، وأبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ^(٥)، وأبو الحسن علي بن الحسين المسعودي^(٦)، وأبو عبد الله محمد بن سلامة القصاعي^(٧)، وعبد الواحد بن محمد بن عبد الواحد التميمي^(٨)، ورشيد الدين محمد بن محمد المعروف بالوطواط^(٩)، وعز الدين عبد الحميد بن أبي الحديد^(١٠)، وغيرهم كثيرون، إلا أن أعظم هذه المحاولات خطراً وأعلاها شأنًا، وأحسنها أنوياً، وأعدها صتاً وشأواً هو مجموع ما اختاره الشريف الرضي أبو الحسن محمد بن الحسين الموسوي^(١١) في كتابه (نهج البلاغة). انتهى.

وهذا يفسر لنا مدى الاهتمام الكبير الذي لقيه وحظي به كلام الإمام علي (عليه السلام) من قبل كوكبة من العلماء والمؤلفين والباحثين، ومنذ بداية عصر التدوين والتأليف، فجمعوا كلامه (عليه السلام) وأفردوا له كتباً خاصة به،

(١) الموفى سنة ٢٠٤هـ

(٢) الموفى سنة ١٥٧هـ

(٣) الموفى سنة ٢٠٧هـ

(٤) الموفى سنة ٢٢٥هـ

(٥) الموفى سنة ٢٥٥هـ

(٦) الموفى سنة ٣٤٦هـ

(٧) الموفى سنة ٤٥٤هـ

(٨) ويلقب الأمدى أيضاً، توفي سنة ٥٥٠هـ، ومؤلفه يسمى: (عبر الحكيم ودرر الكلم - غ-).

قال الزركلي في الأعلام ١٧٧/٤: في تسترني (٤٦: ٥)

(٩) الموفى سنة ٥٧٣هـ، وكتبه يسمى: (مطلوب كل طالب من كلام علي بن أبي طالب)، ذكر

الزركلي في الأعلام أنه مطبوع.

(١٠) الموفى سنة ٦٥٥هـ، وهو أشهر من بار على علم، وكتبه شرح بهج البلاغة من أهم

شرحه وأشتملها وأحسنها وهو مطبوع ومتداول، وقد طبع عدة طبعات.

(١١) الموفى سنة ٤٠٤هـ

أبي طالب من تاريخ دمشق) الكثير من ذلك، وهو في جميع ذلك يرويه مسنداً إلى الإمام علي (عليه السلام)، هذا ومتابعة هذا الموضوع يطول جداً والغرض الإشارة.

ولد طهر كتاب (نهج البلاغة) الذي جمعه الشريف الرضي رحمه الله، وأورد فيه ما اختاره من كلام أمير المؤمنين علي (عليه السلام)، أسبرى بعض من المتأخرين والمفرضين إلى التشكيك في صحة نسبته إلى أمير المؤمنين علي (عليه السلام)، وبنوا ذلك على أسس أوهى من خيط العكبوت، ومزاعم سحتها خيالاتهم وأوهامهم، لا تثبت بها أدنى حجة، ولا يقبلها عقل ولا لب، وهم في كل تلك التشكيكات والمزاعم لم يضيروا (نهج البلاغة) وصحة نسبة ما فيه إلى إمام علي (عليه السلام) بشيء، ولم يرجع ضرر تلك التخرصات والتقولات إلا على أصحابها، فكتاب (نهج البلاغة)، لم قبله تلك المزاعم ولم تؤثر فيه، فهو باقٍ وموحد بين أيدي العلماء والدارسين منذ جمعه، يتناقلونه ويتدارسونه ويرويه حلف عن سلف، وتزداد شروحه والدراسات والكتابات والبحوث حوله يوماً فيوماً، وفي مختلف العصور منذ أن جمعه الشريف الرضي وإلى عصرنا الحاضر، وفي كل ذلك تظهر محاسنه فيزداد جمالاً وبهاءً، ويتسع ظهوره وانتشاره، وصدق من قال:

وبضدها تنبئ الأشياء

وقول من قال:

والضد يظهر محاسنه الصد

ويوضح بدوره لأهمية العلمية الكبيرة المشتمل عليها كلامه (عليه السلام)، إذ أنه يشكل بدوره رافداً من روافد العطاء الديني والفكري والروحي والعلمي لدى جميع المسلمين، يشهد بصحة هذا قول النبي (ﷺ): «أنا مدينة العلم وعلي بابها، فمن أراد المدينة فليأتها من بابها»، وغير ذلك من الأحاديث النبوية الواردة في هذا الباب

وإذا كان من سبق ذكره من العلماء والمؤلفين ممن قد اهتموا بتدوين وجمع كلام الإمام علي (عليه السلام) في مؤلفات وكتب خاصة، فهناك أيضاً طائفة أخرى كثيراً منهم، قد رويوا وأوردوا كثيراً من كلامه (عليه السلام) في بعض من مؤلفاتهم منهم: الإمام أبو صابح يحيى بن الحسين الهاروني المتوفى سنة ٤٢٤هـ الملقب بالناطق بالحق، فقد أخرج لكثير منه في كتابه الإمالي المسمى (تيسير المطالب في أمالي أبي طالب)، وسواء كان مذكوراً في كتاب نهج البلاغة أم في غيره، وهو في جميع ذلك يرويه مسنداً إلى الإمام علي (عليه السلام)، ومنهم الإمام الموفق بالله الحسين بن إسماعيل الجرجاني المتوفى، سنة ٤٣٠هـ تقريباً، فقد أخرج وروى في كتابه (الاعتبار وسلوة العارفين) الكثير من كلام الإمام (عليه السلام)، وروى الأغلب والأكثر منه مسنداً، بل كان في بعض من ذلك يرويه مسنداً ومن عدة طرق، فيذكرها جميعاً، ومنهم الإمام المرشد بالله يحيى بن الحسين الشجري المتوفى سنة ٤٧٩هـ، فقد أخرج وروى في كتابه المسمى (الأمالي الخميسية) كثيراً من كلام الإمام علي بن (عليه السلام)، روه جميعه مسنداً إلى الإمام علي (عليه السلام)، ومنهم الحافظ ابن عساكر الدمشقي لشافعي المتوفى سنة ٥٧١هـ، فقد أخرج وروى في (ترجمة أمير المؤمنين الإمام علي بن

فكما زعموا من ذلك، أن الشريف الرضي أو أخاه الشريف المرتضى هما أو أحدهما قام بوضعه ونسبته إلى الإمام علي (عليه السلام)، وزعمهم هذا يكديه ويرده، أن من سبق الشريف الرضي وأخاه، وبأكثر من مائتي سنة أو أقل ممن سبق ذكرهم وغيرهم قد أوردوا أكثر مما في (نهج البلاغة) في مصنفاتهم، فهي كتاب (البيان والتبيين) للحافظ الذي توفي قبل ولادة الشريف الرضي وأخيه الشريف المرتضى بأكثر من مائة وخمسين عاماً قد ذكر وأورد في كسبه ذلك بعضاً مما ورد في كتاب نهج البلاغة، وذكر أن قائله هو الإمام علي (عليه السلام)، ومثله ذكره المسعودي في كتاب مروج الذهب، وهو أي المسعودي قد توفي قبل ولادة الشريف الرضي^(١)، ومن هذا القبيل ما ذكره ابن أبي الحديد رحمه الله في شرح نهج البلاغة ٢٠٥/١ في شرحه للخطبة الشقشقية قال: (قال مصدق^(٢)): كان ابن الخشاب صاحب دعاة وهول، قال: فقلت له: أقول إنها محولة - أي الخطبة الشقشقية - فقال: لا والله، وإنني لأعلم أنها من كلامه كما أعلم أنك مصدق، قال: فقلت له: إن كثيراً من الناس يقولون: إنها من كلام الرضي رحمه الله تعالى، فقال: أني للرضي ولغير الرضي هذا نفس وهذا الأسلوب، قد وقفنا على رسائل لرضي وعرفنا طريقته وفيه في الكلام المنثور، وما يقع مع هذا الكلام في خل ولا حمر، ثم قل: لقد وقفت على هذه الخطبة في كتب صنعت قبل أن يخلق الرضي بمائتي سنة، ولقد وجدت مسطورة بخطوط أعرفها وأعرف خطوط من هو من العنماء وأهل الأدب، قبل أن يخلق النقيب أبو أحمد والد الرضي.

(١) وحدث أن المسعودي توفي سنة ٣٤٦هـ كما سبق ذكره، الشريف الرضي سنة ٣٥٩هـ

(٢) مصدق بن شبيب الواسطي، أبو الخير، المتوفى سنة ٦٠٥هـ بعداء، قرأ على ابن الخشاب وغيره، وقرأ عليه ابن أبي الحديد شارح نهج البلاغة.

قال ابن أبي الحديد: وقد وجدت أنا كثيراً من هذه الخطبة في تصانيف شيخنا أبي القاسم البلخي، إمام البغداديين من المعتزلة، وكان في دولة المقتدر قبل أن يخلق الرضي بمدة طويلة، ووجدت أيضاً كثيراً منها في كتاب أبي جعفر بن قبة أحد متكلمي الإمامية، وهو الكتب المشهور المعروف بكتاب الإنصاف، وكان أبو جعفر هذا من تلامذة الشيخ أبي القاسم البلخي رحمه الله تعالى، ومات في ذلك العصر قبل أن يكون الرضي رحمه الله تعالى موجوداً. انتهى.

أكتفي هنا بمثل هذا إذ تفصيل ومتابعة ذلك بطول جداً، وقد ظهرت حديثاً الكثير من الدراسات والكتابات حول هذا الموضوع وردت على المشككين وذكرت مصادر كلام الإمام علي (عليه السلام) وأسانيده، ومن أراد التوسع فليتنظر كتاب (مصادر نهج البلاغة) لعبد الله بعمة، وكتاب (مصادر نهج البلاغة وأسانيده) لعبد الرهراء الحسيني، وكتاب (دراسة حول نهج البلاغة) لمحمد جواد الحسيني الجلال في جميع أولئك أعطوا جُلَّ اهتمامهم على البحث والمناقشة والنظر في مزاعم المشككين فردوا عليهم ذلك وفندوها، وأوضحوا بالبحث مصادر نهج البلاغة وأسانيده، فوثقوا كلام الإمام علي (عليه السلام) الوارد في كتاب النهج وعزوه إلى مصادره وتوسع البعض إلى ذكر أسانيده، وهؤلاء الباحثون المشار إليهم آفأ هم من صفوف الشيعة الإمامية اهتموا بجميع ذلك، ولا زالت دراساتهم وبحوثهم تتوالى حول هذا الموضوع، لكنهم للأسف الشديد يهملون الرجوع إلى المصادر الزيدية التي حفلت بالكثير من كلام الإمام علي (عليه السلام) مسنداً، وعلى وجه الخصوص أمالي الإمام أبي طالب، والاعتبار وسلوة العارفين للإمام الموفق بالله الحسين بن إسماعيل الشحري، والأمالي الحميسية

للإمام المرشد بالله وغيرها، وقد أعذرهم بعض الشيء إذ لم يكن بعض هذه المصادر مطبوعاً، أما اليوم فهي أو أغلبها والحمد لله مطبوعة منشورة.

هذا وقد تصدى للمشككين في صحة نسبة ما في كتاب (نهج البلاغة) إلى الإمام علي (عليه السلام) أبي الحديد رحمه الله تعالى في (شرح نهج البلاغة)، فقال ما لفظه: (كثير من أرباب الهوى يقولون: إن كثيراً من (نهج البلاغة) كلام محدث، صعه قوم من فصحاء الشيعة، وربما عزوا بعضه إلى الرضي أبي الحسن وغيره، وهؤلاء قوم أعمت العصية أعينهم، فضوا عن النهج الواضح، وركبوا بنيات الطريق، ضلالاً وقلة معرفة بأساليب الكلام، وأنا أوضح لك بكلام مختصر ما في هذا الخاطر من العلق، فأقول:

لا يخلو أن يكون كل (نهج البلاغة) مصنوعاً منحولاً أو بعضه، والأول باطل بالضرورة، لأننا نعلم بالتواتر صحة إسناد بعضه إلى أمير المؤمنين (عليه السلام)، وقد نقل المحدثون كلهم أو جلهم والمؤرخون كثيراً منه، وليسوا من الشيعة لينسبوا إلى غرض في ذلك.

والثاني يدل على ما قلناه؛ لأن من قد أتى بالكلام والخطابة، وشدا طرفاً من عم البيان، وصار له ذوق في هذا الباب، لا يد أن يفرق بين الكلام الركيك والفصيح، وبين الفصيح والأفصح، وبين الأصيل والمؤلف، وإذا وقف على كراس واحد يتضمن كلاماً لجماعة من الخطباء، أو لثنين منهم فقط، فلا بد أن يفرق بين الكلامين، ويميز بين الطريقتين.

ألا ترى أننا مع معرفتنا بالشعر ونقده، لو تصفحنا ديوان أبي تمام، فوجدناه قد كتب في أثنائه قصائد أو قصيدة واحدة لغيره، لعرفنا بالذوق مباينتها لشعر أبي تمام ونفسه، وطريقته ومذهبه في اقريض، ألا ترى أن

العلماء بهذا الشأن حذفوا من شعره قصائد كثيرة منحولة إليه، لمباينتها لمذهبه في الشعر، وكذلك حذفوا من شعر أبي نواس شيئاً كثيراً، لما ظهر لهم أنه ليس من ألفاظه، ولا من شعره، وكذلك غيرهما من الشعراء، ولم يعتمدوا في ذلك إلا على الذوق خاصة.

وأنت إذا تأملت (نهج البلاغة) وحدته كله ماءً واحداً، ونفساً واحداً، وأسلوباً واحداً، كالجسم البسيط الذي ليس بعض من أبعاضه مخالفاً لباقي الأبعاض في الماهية، وكالقرآن العزيز أوله كأوسطه وأوسطه كآخره، وكل سورة منه وكل آية مماثلة في المأخذ والمذهب والفن والطريق والنظم لساقى الآيات والسور.

ولو كان بعض (نهج البلاغة) منحولاً وبعضه صحيحاً، لم يكن ذلك كذلك، فقد ظهر لك بهذا الرهان الواضح ضلال من رعم أن هذا الكتاب أو بعضه منحول إلى أمير المؤمنين (عليه السلام).

وعلم أن قائل هذا القول يطرق على نفسه ما لا قيل له به، لأننا متى فتحنا هذا الباب وسلطنا الشكوك على أنفسنا في هذا النحو، لم نشق صحة كلام منقول عن رسول الله صلى الله عليه وآله أسداً، وساغ لطاعن أن يطعن ويقول: هذا الخبر منحول، وهذا الكلام مصنوع، وكذلك ما نقل عن أبي بكر وعمر من الكلام والخطب والمواعظ والأدب وغير ذلك، وكل أمر جعله هذا الطاعن مستدلاً به فيما يرويه عن النبي صلى الله عليه وآله والأئمة الراشدين، والصحابه والتابعين، والشعراء والمترسلين وخطباء، فلناصر أمير المؤمنين (عليه السلام) أن يستندوا إلى مثله فيما يروونه عنه من (نهج البلاغة) وغيره، وهذا واضح^(١).

(١) شرح نهج البلاغة ١٠/١٢٧-١٢٩

شروح نهج البلاغة

لكتاب نهج البلاغة شروح كثيرة، ذكر الأستاذ محمد أبو الفضل إبراهيم عن السيد هبة الله الشهرستاني في كتابه: ما هو نهج البلاغة، أنها تنوف على الخمسين شرحاً ما بين مسوط ومختصر^(١)، وذكر الأستاذ عبد الله نعمة أن شروح نهج البلاغة أريت على سبعين شرحاً منذ عصر الرصي إلى اليوم، ما بين عربي وفارسي وهندي ومسهب وموحز^(٢).

وأذكر هنا بعضاً من شروحه وأسماء مؤلفيها كما يلي:

(١) أعلام نهج البلاغة، لعلي بن ناصر الحسيني، من أعلام القرن الخامس لبحري، وهو أول من شرح النهج، إلا أنه شرح مختصر جداً، كان يقتطف من بعض خطب أو كتب أو حكم أمير المؤمنين علي (عليه السلام) بعض الكلمات أو العبارات فيشرحها شرحاً مختصراً، وبين يدي نسخة منه مصورة صورت على مخطوط بمكتبة العلامة عبد الرحمن شايم، انتهى من تسجها يوم السبت لثلاث خلون من شهر شعبان سنة ٦٣٥هـ بخط منصور بن مسعود بن عباس بن أبي عمرو. (وانظر أعلام المؤلفين الريدة ص ٥٧٣)

(٢) معارج نهج البلاغة، لعلي بن زيد بن محمد بن الحسين البيهقي، المعروف بـ ابن فندق المتوفى سنة ٥٦٥هـ (ذكره الزركلي في الأعلام ٢٩٠/٤، ومحمد حسين الجلاي في كتاب دراسة حول نهج البلاغة ص ١٣٢)

(١) شرح نهج البلاغة لـ ابن أبي الحديد (مقدمة التحقيق ١٠/١)

(٢) مصادر نهج البلاغة ص ٤٢، (ط) سنة ١٣٩٢/١٩٧٢م

(٣) شرح نهج البلاغة، لأحمد بن محمد الومري، المتوفى سنة ٥٦٥هـ. (ذكره الجلاي أيضاً ص ١٣٢).

(٤) منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، للقطب الراوندي سعيد بن هبة الله، المتوفى سنة ٥٧٣هـ (ذكره الزركلي في الأعلام ١٠٤/٣، وابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة ٥/١، والجلاي ص ١٣٣).

(٥) شرح نهج البلاغة، لفخر الدين الرزي محمد بن عمر بن الحسن، المتوفى سنة ٦٠٦هـ. (ذكره أبو الفضل إبراهيم في شرح نهج البلاغة (مقدمة التحقيق) ص ١٠، والجلاي ص ١٣٦).

(٦) شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد المعتزلي عبد الحميد بن هبة الله المدائني، المتوفى سنة ٦٥٥هـ، وهو شرح مشهور مطبوع ومتداول، وقد طبع عدة طبعات، وهو من أشهر شروح النهج وأفضلها وأكملها، قال العلامة المجتهد الكبير مجد الدين المؤيدي حفظه الله في لوامع الأسرار ٤٦٩/١ في الكلام على شروح نهج البلاغة، قال ما لفظه: وأشهر شروحه - أي النهج - وأبسطها وأجلها وأكملها وأبهرها شرح البحر المتدق، والخبز المحقق المدقق، العالم اسحري، والحافظ الكبير عز الدين أبي حامد عبد الحميد بن هبة الله بن محمد المدائني، الشهير بابن أبي الحديد المعتزلي. انتهى

(٧) الديباج الوصي في الكشف عن أسرار كلام الوصي، للإمام المؤيد بالله يحيى بن حمزة الحسيني الزيدي، المتوفى سنة ٧٤٩هـ. (وهو هذا الكتاب الذي بين يديك، ويعتبر واحداً من أهم الشروح، وأدقها وأغزرها).

٨) شرح نهج البلاغة، لميثم بن علي بن ميثم البحراني، المتوفى سنة ٦٧٩هـ، وله عليه ثلاثة شروح: كبير، ومتوسط، وصغير، وقد وقفت على أحدها وهو مطبوع. (وانظر دراسة حول نهج البلاغة للجلالي ص ١٤٠، ومصادر نهج البلاغة لعبد الله نعمة ص ٤٢، والأعلام للزركلي ٣٣٦/٧).

٩) شرح نهج البلاغة لعبد الرحمن بن محمد بن إبراهيم العنائقي الحلبي، فرع مه سنة ٧٨٠هـ. (ذكره الجلالي ص ١٤٤).

١٠) شرح التحفة العلية في شرح نهج البلاغة الحيدرية، لمحمد بن حبيب الله بن أحمد الحسيني، فرع منه سنة ٨٨١هـ. (ذكره الجلالي ص ١٤٧).

١١) شرح نهج البلاغة، لقوام الدين يوسف قاضي بغداد المارديني، المتوفى سنة ٩١٧هـ. (ذكره الجلالي أيضاً ص ١٤٨).

١٢) شرح نهج البلاغة باسم: أنوار الفصاحة وأسرار البلاغة، لنظام الدين الكيلاني، المتوفى سنة ١٠٣٦هـ. (ذكره الجلالي أيضاً ص ١٥٢)، وذكر الأستاذ عبد السلام الوجيه المجلد الثالث منه في كتابه: مصادر التراث في المكتبات الخاصة في اليمن ١/٥١٢ في مكتبة العلامة محمد بن عبد العظيم الهادي برقم (٣٩٨)، وهو بخط المؤلف واسمه: نظام الدين أحمد بن علي الجيلاني.

١٣) شرح نهج البلاغة، لحسين بن شهاب الدين محمد بن حسين الكركي العاملي الشامي، المتوفى سنة ١٠٧٦هـ. (ذكره الجلالي ص ١٥٦).

١٤) شرح نهج البلاغة، للحسن بن المطهر الجرموزي، المتوفى سنة ١١٠١هـ. (ذكره الوجيه في أعلام المؤلفين الزيدية ص ٣٥٢، والشوكان في الدر الطالع ٢١٠/١).

١٥) إرشاد المؤمنين إلى معرفة نهج البلاغة المبين، ليحيى بن إبراهيم بن يحيى بن الهدى جحاف المتوفى سنة ١١٠٢هـ. (ذكره الوجيه في المصدر السابق ص ١٠٨٧، والزركلي في الأعلام ١٣٤/٨، والجلالي ص ١٥٩)، وقد طبع بتحقيق محمد جواد الحسيني الجلالي، وصدر في ثلاثة مجلدات كبيرة، الطبعة الأولى، من منشورات دليل ما، مطبعة نكرش - إيران - قم، وبين يدي حال كتابة هذه الأسطر نسخة منه مطبوعة بمجلداته الثلاثة هي ملك الأستاذ عبد السلام الوجيه.

١٦) شرح نهج البلاغة، لصدر الدين بن محمد بن باقر الموسوي الدزفولي، المتوفى سنة ١٢٥٦هـ. (ذكره الجلالي ص ١٦٣).

١٧) شرح نهج البلاغة، للميرزا محمد تقي الكاشاني، المتوفى سنة ١٢٩٧هـ. (المصدر السابق ص ١٦٤).

١٨) شرح نهج البلاغة، للشيخ محمد عبده بن حسن خير الله، مفتي الدبار المصرية، المتوفى سنة ١٣٢٣هـ. (المصدر السابق ص ١٦٦) وقد طبع عدة طبعات مع نهج

١٩) منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، للميرزا حبيب الله الهاشمي الخوئي، المتوفى سنة ١٣٢٤هـ. (المصدر السابق ص ١٦٦، وذكر فيه أنه قد طبع سنة ١٣٨٦هـ في (٢١) مجلداً بتحقيق إبراهيم المياجي).

(٢٠) شرح نهج البلاغة، للمرصفي محمد بن حسن ناثل المصري، طبع مع الهج بمصر سنة ١٣٢٨هـ. (المصدر السابق ص ١٦٧، وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد مقدمة التحقيق ص ١٠).

هذا وأكتفي بما سبق إيراده من شروح كتاب نهج البلاغة إذ أن متابعة ذلك بطول، ومن أراد معرفة ذلك كاملاً فينظر كتاب دراسة حول نهج البلاغة لمحمد حسين الحسيني الحلال ص ١٢٦-١٧٥، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت - لبنان - ط (١) ١٤٢١هـ / ٢٠٠١م.

هذا الكتاب

وهذا الكتاب الذي بين يديك هو أحد تلك الشروح المشار إليها لكتاب نهج البلاغة ألفه الإمام المؤيد بالله يحيى بن حمزة الحسيني (رحمته الله) المتوفى سنة ٧٤٩هـ، وأسماه (الديباج الوصي في الكشف عن أسرار كلام الوصي) (ليكون - كما قال - اسمه موافقاً لسماءه، ولفظه مطابقاً لمعناه، حيث كنت العلوم درراً وهو تاجها، وحللاً وهو ديباجها).

ويعتبر واحداً من شروح النهج المهمة، والمسوطة الشرح لألفاظ وعبارات كل خطوة وكتاب وحكمة وردت فيه، والمشملة على انفراد الجمّة في شتى العلوم والمعارف، والكاشفة عن سعة أفق كتاب (نهج البلاغة) في شموليته واستيعابه لرواحي الحياة العلمية والعملية والفكرية لمترامية الأطراف والجواب.

انتهى المؤلف من تأليفه في شهر ربيع الآخر من شهر سنة ثمان عشرة وسبعمائة، وأوضح في مقدمة الكتاب دوافع التأليف وهي: (إيضاح ما وقع في كلام أمير المؤمنين من تفسير ألفاظه الغريبة، وإظهار معانيه اللطيفة الحسنية، وبيان أمثاله الدقيقة، ولطائف معانيه الرشيقة وغير ذلك مما يشمل عليه كلامه (رحمته الله)، إذ كان كلامه قد رقى إلى غايته الفصاحة في لفظه والبلاغة في معناه؛ إذ هو منشأ البلاغة ومولدها، ومشرع الفصاحة

وموردها، وعليه كان تعويل أربابها وضالة طلابها، فلا واد من أودية الفصاحة إلا وقد ضرب فيه بحظ وافر ونصيب، ولا أسلوب من أساليب البلاغة إلا وله فيه القدح المعلا والتؤم والرقيب) إلى أن قال: (وكان فيه غرضن:

أحدهما: الإبانة عن عظيم قدر أمير المؤمنين حيث كان سابقاً لمن تقدمه، وفائتاً لمن تأخر عنه، فعلى مثاله هذا كل خطيب مصقع، وعلى منواله نسح كل واعظ أروع.

وثانيهما: ما يكون في ذلك من مذخور الأجر من الانتفاع بالزواجر الوعظية، والحكم الأدبية، والضحك القاطعة، والبراهين النافعة، وخواهر اللغة العربية، وثواقب الكلم الدينية والدنيوية، بحيث لا يلقى مجتمعاً في كلام من جميع السلف الأولين، ولا متسقاً في نظام من الخلف الآخرين، خاصة في علوم التوحيد والحكمة وتزيه الله تعالى عن مشابهة الممكنات، وذكر المعاد الأحروي، بن إنما يؤثر عنهم القليل النادر، والشاذ الشارد، إذ كان كلامه (عليه السلام) عليه مسحة من الكلام المعجز السماوي، وفيه عبقة من رائحة الكلام النبوي).

حرص المؤلف في المقدمة على ذكر المهج الذي التزمه وسلوكه في كتابه هذا، فقال: (واعلم أي قد سلكت فيه أحد مسلكين.

المسلك الأول: أن أقتطع من كلامه (عليه السلام) قطعة، ثم أعقد عليها عقداً يكون محيطاً بأسرارها وغرثها، ويحتوي على جميع معانيها وعجائبها، وهذه هي طريقة جيدة، وفائدتها هو إيضاح معاني الكلام بالعقود

اللائقة، والترتيبات الفائقة، وهي طريقة يسلكها كثير من النظار فيريدونه من إبانة معاني الكلام، ولها آفة وهو الإسهاب في الكلام الذي يورث الملل وسامة الخواطر.

المسلك الثاني: أن أذكر اللفظة المركبة من كلام أمير المؤمنين ثم أكشف معانيها وأوضح مغزاها، من غير التزام عقد لها ولا إشارة إلى ضابط، وهذه طريقة يسلكها الأكثر من النظار، فهذان مسلكان يمسكون ذكر أحدهما، وكل واحد منهما لا غبار عليه في تحصيل المقصد وتقرير البغية، لكن أرى المسلك الثاني هو أعجب، وإلى الاختصار والتحقيق أقرب ما ذكرته من حصول التكرير في سلوك الطريقة الأولى، خاصة في مثل هذا الكتاب فإن شجونته كثيرة، ونكته غزيرة، فلا جرم كان التعويل عليها هو الأخلق).

ومن خلال هذا المنهج الذي التزمه المؤلف (عليه السلام) واستقرأ الكتاب من أوله إلى آخره على ضوئه، نجده قد أتى في شرحه لكلام أمير المؤمنين علي (عليه السلام) الوارد في كتاب نهج البلاغة، بصراز رائع وثنوذج جمين، وأداء تميز به عن غيره من شروح نهج البلاغة، فهو لا يقسم كلام أمير المؤمنين إلى فصول بحيث يشتمل كل فصل على قطعة كبيرة من الكلام المزمع شرحه ثم يردف كل فصل بشرحه، كما أنه أيضاً لم يقتصر على تفسير بعض الألفاظ ويترك بعضها، بل على العكس من ذلك يفسر ويشرح مفردات كل خطبة أو كتاب أو حكمة قصيرة من أولها إلى آخرها شرحاً دقيقاً، فهو أولاً يورد عنوان كل خطبة أو كتاب، ثم يورد على إثره النص وشرحه، مراعيّاً في طريقته لتقسيم نصوص كلام أمير المؤمنين

بمخلاف ما روي عنه من المحافظة. (انظر المرجع المذكور ٧٤/٢-٨٢).

أما من الناحية الثانية وهي الناحية النقدية فقد اعتمد المؤلف (عليه السلام) على ذلك كثيراً في كتابه هذا فنقل الكثير من مواد العلوم المختلفة في القرآن الكريم والحديث والفقه واللغة والنحو والصرف والبلاغة والسيرة والتاريخ والأحداث والوقائع والطب والفلك والمواعظ والحكايات وأقوال الرجال والملل والنحل وغير ذلك. فهو في تناوله لموضوعات نهج البلاغة قد اعتمد على كتب اللغة فمسر الألفاظ اللغوية موضحاً للغريب مهياً مستعيناً بإيراد الشواهد على ذلك من كلام العرب سواء كانت نثراً أم شعراً ميثاً لمعاني كل ذلك يسلك فيه طريقة اللغويين في الاستدلال والوضيح والاحتجاج بأقوالهم، وفي شرحه للشواهد الشعرية التي تشل بها أمير المؤمنين (عليه السلام)، يهتم بتوضيح المعنى والإعراب وموضع الشاهد منه كما يوضح ما عساه يشبه من الناحية الإعرابية أو التصريفية، ولا يفتونه في كثير من مواضع الكتاب أن يبرز ما اشتمل عليه كلام الإمام علي (عليه السلام) من الأساليب البلاغية في علمي البيان والمعاني، ولبيدع، كل ذلك بفعله بمقدرة فائقة تكشف عن غزارة علمه وتبحره في اللغة وعلومها المختلفة.

وأورد في شرحه كثيراً من آيات كتاب الله العزيز والأحاديث النبوية التي تعضد استدلالاً ما، وحكى كثيراً من المواعظ والأمثال والحكم والآيات الشعرية، وساق في طوايا شرحه عدداً حماً من الروايات في السيرة والتاريخ والأحداث والوقائع ومسائل كلامية وفلسفية، وهو بذلك يحتاج ويستدل أو ينقد ويقيم أو يوافق أو يناقض أو يناقش ويحاور إلى جانب ذلك كله بهتم بكشف معاني كلام أمير المؤمنين وإيضاح مقاصدها ومراميها، وتبيين أسرارها وحقائقها

علي (عليه السلام) إلى فقرات أو عبارات غالباً ما تكون قصيرة أو كلمات مفردة، فيردف كل جزء منها بالشرح، وذلك بشكل منتظم ومتتابع من أول النص إلى آخره، فيستدئ من أول النص بأن يورد منه قطعة أو لفظة مركبة - كما قل - فيشرحها حتى إذا انتهى من شرحها انتقل إلى التي تليها مباشرة فيوردها ثم يشرحها، وهكذا في جميع مراحل الكتاب من أوله إلى آخره، وكذا بنفس الطريقة في شرح الحكم القصار.

وهو في طريقته في اشرح بذكر ما عنده في ذلك، ملتزماً بمسلكه ومنهجه الذي أوضحه، واعتمد في شرحه على ناحيتين اثنتين هما: الأولى العقلية، والثانية النقلية، فمن الناحية الأولى نجد شأنه في ذلك شأن أئمة أهل البيت (عليهم السلام) وشيعتهم رضي الله عنهم في كون العقل مناط التكليف وبه يقع التمييز بين حقائق لأشياء وفهم أدلة الأحكام ومقاصدها، وهو العامل الرئيسي في سلامة البحث والنظر والتفكير والاجتهاد وغير ذلك، وتظهر الصعقة العقلية أكثر وضوحاً عند أهل البيت وشيعتهم وبشكل خاص من خلال الاصلاح على مؤلفاتهم الأصولية أو الكلامية أو المباحث النظرية والاحتجاجية والتي شاركهم في ذلك المعتزلة إلا في بعض المسائل خالف المعتزلة فيها، ولذا نجد أن تلك لرعة العقلية التي ورثها من طريقة أسلافه من أهل البيت قد اتخذت طابعاً خاصاً على كتابه هذا في كلامه على المباحث الكلامية والأصولية، إلا أنه يكاد يقترب في منهجه الاستدلالي في بحث ما أو قضية معينة من المعتزلة، فيسلك طريقتهم، والذي يبدو أن المؤلف قد تأثر بهم وعمد بهم في مسائل معينة فشايهم في ذلك، لكنه في الأصول المهمة كما حكاها العلامة الكبير مجد الدين المؤيدي في لوامع الأنوار ٧٤/٢ على منهاج أهل بيته، كما ذكر فيه أنه قد صرح

وقد أورد في أثناء شرحه وفي مواضع كثيرة من الكتاب عدداً من
السؤالات وإجاباتها في مختلف الأغراض، والتي تعطي المزيد من إيضاح
المعنى وتكشف بدورها عن إشكالية ما قد ترد حول المعنى، فاستخدم في
ذلك صيغة: سؤال، فيذكر السؤال ثم يردفه بقوله: وجوابه أو والجواب،
وهذه طريقة براها في كثير من المؤلفات.

وتعقب المؤلف (عليه السلام) سائداً وفي موضع عدة من الكتاب الشريف
علي بن ناصر الحسيني رحمه الله مؤلف (أعلام نهج البلاغة) وهو كتاب
شرح فيه مؤلفه كتاب (نهج البلاغة) شرحاً مختصراً جداً، ويعتبر أول
(شروح النهج)، فتعقب المؤلف بعض آرائه التي أوردها فيه وناقضه فيها
ورتب شرحه هذا، لكتاب (نهج البلاغة) على ترتيب الشريف الرضي
رحمه الله حيث رتبته على أقطاب ثلاثة، وهي:

(١) الخطب والأوامر.

(٢) الكتب والرسائل.

(٣) الحكم والمواعظ

فابتدأ باختيار محاسن خطب أمير المؤمنين علي (عليه السلام)، ثم محاسن
كتبه، ثم محاسن حكمه ومواعظه، وكذا رتب المؤلف شرحه هذا على
ذلك الترتيب المشار إليه، فابتدأ بشرح القطب الأول وهو الخطب
والدلائل، ثم بشرح القطب الثاني وهو الكتب والرسائل، ثم بشرح
القطب الثالث وهو الحكم والمواعظ القصيرة، وأضاف في نهاية الكتاب
زيادة لم ترد في كتاب (نهج البلاغة) وأشار (عليه السلام) إلى ذلك، وقد تضمنت

نقوش خواتيم أمير المؤمنين علي (عليه السلام) وما كتب فيها من الأذكار، وهي
أربعة خواتيم: الأول للصلاة، ومكتوب فيه: (لا إله إلا الله، عدة للقاء
الله)، والثاني: للحرب، ومكتوب فيه قول الله تعالى: ﴿يَهْتَرِ مِنَ اللَّهِ وَتَحْ
قَرِيبٌ﴾ [المدثر: ١٣]، والثالث: للقضاء، ومكتوب فيه: (الله الملك)،
والرابع: للختم، ومكتوب فيه: (لا إله إلا الله محمد رسول الله)، فذكر
تلك الخواتيم ومن أي معدن هي، والأذكار المكتوبة عليها موضحاً في
ذلك ما اشتملت عليه من الفوائد.

وكان أسلوبه في جميع مراحل الكتاب بليغاً، ارتفع عن الركة في التعبير
والخلل في اللفظ، فجاءت عباراته قوية وبلغت عربي فصيح وأصيل،
متوخياً فيه الخزانة والمتانة والدقة والفصاحة، مراعيّاً في ذلك التوضيح
والسهولة والسلاسة.

مصادر المؤلف

كما سبقت الإشارة إليه من أن المؤلف قد نقل إلى كتابه هذا من العلوم
التقليدية الشيء الكثير، وشكل ذلك أحد أهم موارد الكتاب، إلا أننا نجد
في الغالب لا يذكر اسم المصدر المستقى منه مادة شرحه، فقد يقتصر في
ذلك على قوله: ويحكى، أو حكى، أو يروي، أو روي، ونحو ذلك،
خصوصاً في سرده لروايات تاريخية أو وعظية أو حكمية أو نقل لأقوال في
موضوع ما، وفي مواضع نادرة يذكر اسم قائل كلام ما، أو قول أو ما
شابه ذلك بدون ذكر للكتاب المذكور فيه ذلك الكلام أو القول، فيقول
مثلاً: وحكى قاضي القضاة عبد الجبار بن أحمد، ويورد الحكاية

بدون ذكر الكتاب الذي وردت فيه، مما يشكل صعوبة في البحث عن ذلك، خاصة عن قاضي القضاة عبد الجبار بن أحمد صاحب المؤلفات الكثيرة، فلا يدري الباحث في أي من تلك المؤلفات ذكر ذلك، لكن تبين فيما بعد أن كتاب (المنني) لقاضي القضاة هو الذي اعتمد عليه المؤلف (رحمه الله) بشكل كبير وخصوصاً في مسائل الإمامة والأحداث الواقعة في أيام الخليفة عثمان بن عفان والتي انتهت بمقتله، وكذلك فيما يتعلق بطلحة والزبير وعائشة وأخبار الجمل، والخوارج، ومعاوية وأهل الشام وغيرهم.

ونقل أيضاً عن سيرة ابن هشام (عبد الملك بن هشام الحميري) وعن الشريف علي بن ناصر مؤلف أعلام نهج البلاغة، ويالسبة لمصادره النغوية نجده كما سبق يذكر أقوالاً لغوية منسوبة لقائلها بدون ذكر مصدرها، يقول: قال أبو عبيدة أو قال ابن السكيت، أو حكاه الزجاج، أو قال الفراء، أو الأخفش أو غيرهم، وذلك لا يتنافى مع مقدرة المؤلف الذهنية لفائقة وفهمه وتبحره في مختلف العلوم، وسعة وغزارة اطلاعه على الكثير من المصادر في جميع فنون العلم.

وعلى العموم فالمصادر المذكورة في كتابه هذا محدودة وبسيطة، منها: أعلام نهج البلاغة للشريف علي بن ناصر الحسيني، والشفاء في الطب لابن سينا، بالإضافة إلى المصادر التي ذكرها الشريف الرضي في كتاب نهج البلاغة، وكتاب الفضائل للبيهقي، والكشاف للزمخشري، ولعل من أهم مصادره اللغوية صحاح الجوهري كما تبين لي ذلك من خلال الرجوع إلى كتاب مختار الصحاح في مواضع كثيرة.

ترجمة المؤلف

١- اسمه وسببه

هو الإمام المؤيد بالله أبو إدريس يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم بن يوسف بن علي بن إبراهيم بن محمد بن أحمد بن إدريس بن جعفر الزكي بن علي التقي بن محمد الجواد بن الإمام علي الرضى بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن سيد العابدين علي بن الحسين السبط بن الإمام الوصي (عليه السلام) (١).

وأمه الشريفة الفاضلة الثريا بنت السراجي، أخت الإمام الناصر بنده الله يحيى بن محمد السراجي الحسني (٢).

٢- مولده

ولد (عليه السلام) لثلاث بقين من شهر صفر سنة تسع وستين وستمائة بمدينة صنعاء (٣).

(١) التحف شرح الرلف ٢٧٠

(٢) اللؤلؤ المصينة - خ -

(٣) مآثر الأبرار ٩٩١/٢، اللؤلؤ المصينة - خ -، أعلام المؤمنين الريدية ١١٢٤، الإمام يحيى بن

حمزة واراه الكلامة ٢٢

٢ دراسته ومشاخه

حفظ (عليه السلام) القرآن الكريم واشتغل بطلب العلم من صغره، ورحل إلى مدينة حوث، فقرأ فيها في أكثر العلوم كعلم الكلام وغيره، ثم أخذ في كتب الأئمة وشيعتهم وفي كتب غيرهم، ففاق أقرانه، وحقق وصّف، فمن مشائخه:

(١) الإمام المظهر بن يحيى، انتوفى سنة ٦٩٧هـ، أخذ عنه كتاب (أصول الأحكام) للإمام أحمد بن سليمان، ذكر ذلك الإمام يحيى بن حمزة في إجاره لأحمد بن محمد الشغدري^(١).

(٢) الإمام لوائح محمد بن مظهر بن يحيى، انتوفى سنة ٧٢٨هـ^(٢).

(٣) العلامة محمد بن خليفة بن سالم بن محمد بن يعقوب الهمداني، المتوفى سنة ٦٧٥هـ، قرأ عليه في أكثر العلوم كعلم الكلام وغيره بمدينة حوث^(٣).

(٤) العلامة علي بن سليمان البصير، أخذ عنه في كتب الأئمة وشيعتهم وذلك بمدينة حوث أيضاً^(٤).

(٥) العلامة محمد الأصهباني، ومن جملة ما سمع عليه (أمالي أبي طالب) و(مجموع الإمام زيد بن علي)^(٥).

(١) طفت سريدي الكبرى (القسم الثالث) ١٢٢٥/٣

(٢) المصدر السابق ١٢٢٦/٣

(٣) المصدر السابق ١٢٢٤/٣-١٢٢٥

(٤) المصدر السابق ١٢٢٥/٣

(٥) المصدر السابق ١٢٢٥/٣

(٦) القاضي العلامة عفيف الدين سليمان بن أحمد لألهاني، سمع عليه (سنن أبي داود) و(سيرة ابن هشام) و(أمالي السيد أبي طالب) و(نهج البلاغة)^(٦).

(٧) العلامة شهاب الدين أحمد بن محمد الشاوري، أخذ عنه كتاب (لفائق في الحديث)^(٧).

(٨) العلامة إبراهيم بن محمد بن إبراهيم الطبري الشافعي المتوفى سنة ٧٢٢هـ، أجازته في (كتاب الحاري)، و(كتاب الترمذي)، و(كتاب مسلم)، و(كتاب السنن للنسائي)، و(مسند أبي حاتم في الحديث)، و(كتاب النجم والكوكب في الحديث) لأحمد بن محمد بن عيسى الإقليسي النجبي المصنف، و(شرح السنة) للبغوي، و(الناسخ والمنسوخ) لمحمد بن موسى الحارثي، و(الوسيط في تفسير القرآن) للواحدي^(٨).

(٩) العلامة محمد بن محمد بن أحمد الطبري، المتوفى سنة ٧٣٠هـ، أجاز له الكتب الذي أجازها العلامة إبراهيم بن محمد الطبري^(٩).

(١٠) العلامة شهاب الدين أحمد بن عبدالله المعروف بابن الواطن، أجازته في كتاب (شمس العلوم) في اللغة لشوان الحميري، وكتاب (التهذيب في التفسير) للحاكم الجشمي^(١٠).

(١) المصدر السابق ٤٧٧/١، ١٢٢٥/٣

(٢) المصدر السابق ٢٠٥/١، ١٢٢٥/٣

(٣) المصدر السابق ١٢٢٥/٣-١٢٢٦، ١٣١٥

(٤) المصدر السابق ١٢٢٦/٣، ١٦٤١

(٥) المصدر السابق ١٢٢٦/٣

(١١) الفقيه حمزة بن علي، أجازته في كتاب (المهذب) في الفقه لأبي إسحاق الشيرازي^(١).

٣- سلامته

أخذ على الإمام يحيى بن حمزة (رحمه الله) علماء أعلام منهم:

(١) العلامة الفقيه الحسن بن محمد النحوي، المتوفى سنة ٥٧٩١هـ، قرأ على الإمام يحيى بن حمزة مؤلفه (الانتصار) جميعه، ولم يسمعه عليه غيره، وأجازته في جميع مسموعاته ومستجاراته وجميع مؤلفاته^(٢).

(٢) العلامة عبد الله بن يحيى بن حمزة (مجل الإمام) المتوفى سنة ٧٨٨هـ، أجازته مؤلفه (الانتصار)^(٣).

(٣) العلامة أحمد بن سليمان الأوزري، المتوفى سنة ٨١٠هـ، أجازته أيضاً مؤلفه (الانتصار)^(٤).

(٤) العلامة إسماعيل بن إبراهيم بن عطية الجرائي، المتوفى سنة ٧٩٤هـ، أجازته أيضاً مؤلفه (الانتصار)^(٥).

(٥) العلامة علي بن إبراهيم بن عطية التجرائي، المتوفى بعد سنة ٨٠١هـ، وهو من أجل تلامذة الإمام، وأخذ عنه في كتب الأئمة وشيعتهم كـ (مجموع الإمام زيد بن علي) و (أمالي أبي طالب) وغيرها،

(١) المصدر السابق ١٢٢٦/٣، ٤١٠/١

(٢) المصدر السابق ١٢٢٧/٣، ٣٣٦/١

(٣) المصدر السابق ١٢٢٧/٣، ٦٥٠/٢

(٤) المصدر السابق ١٣٥/١، ١٢٢٧/٣

(٥) المصدر السابق ١٢٢٧/٣، ٢٤٨/١

وأجازته الإمام يحيى بن حمزة في كتابه (الانتصار)^(١).

(٦) العلامة محمد بن المرتضى بن المفضل، المتوفى سنة ٧٣٢هـ، قل في الطبقات في ترجمته: (ثم قرأ على الإمام يحيى فأسمعه المعقولات، وقرأ عليه اسقولات والمعقولات)^(٢).

(٧) العلامة أحمد بن حميد بن سعيد الحارثي، المتوفى في عشر الخمسين وسبعمئة، سمع على الإمام كتابي لبخاري ومسلم^(٣).

(٨) العلامة أحمد بن محمد الشغدري، أجازته الإمام بإجازة ذكر فيها الكتب الحاصلة له سماعاً، وكذا الكتب الحاصلة له بطريق الإجازة، ذكر الإجازة بلفظها في طبقات الزيدية الكبرى القسم الثالث^(٤).

٤ قيامه ودعوته

قام ودعا إلى الله سبحانه في اليوم الثاني من شهر رجب من سنة تسع وعشرين وسبعمئة^(٥)، وكان ظهوره في بلاد صعدة والطاهر وبلاد الشرف، وقام مناصباً بالأعداء فنهض إلى صنعاء فقاتل لإسماعيلية، إلى أن مال الفريقان إلى الصلح، ولم تسعه الأيام إلى كل مرم، فسار إلى حصن هران المطل على ذمار، فاشتغل بالتأليف والتصنيف، وتقريب الشقة بين المسلمين^(٦).

(١) المصدر السابق ١٢٢٧/٣، ٦٩٢/٢

(٢) المصدر السابق ١٠٧١/٤

(٣) المصدر السابق ١٢٢٧/٣، ٢٤٨/١

(٤) المصدر السابق ١١٧/١، ١٢٢٥/٣، ١٢٢٦

(٥) مآثر الأبرار ٩٧٣/٢

(٦) انظر أعلام المؤلفين الزيدية ص ١١٢٤

كان الإمام يحيى بن حمزة (عليه السلام) عالماً كبيراً، مجتهداً فذاً، فقيهاً أصولياً، لغوياً، أدبياً بليغاً، محققاً في شتى العلوم، يشار إليه في ذلك بالبيان، وكان مؤلفاً موسوعياً في شتى فنون العلم، وقد خلف مكتبة ضخمة من مؤلفاته، تدل على غزارة علمه وتبحره في أصول العلم وفروعه وسعة اطلاعه، فقد قيل: إن عدد مصنّفاته بلغت مائة مجلد، وقيل: إن عدد كراريس تصانيفه بعدد أيامه.

وتطالعنا الكتب التي ترجمت له بقائمة طويلة من مؤلفاته ومصنفاته في شتى أنواع العلوم، ففي الفقه ألف اثني عشر كتاباً منها كتاب: (الانتصار الجامع لمذاهب علماء الأمصار) في ثمانية عشر مجلداً، لا زالت جمعها في عداد المخطوطات ما عدا المجلد الأول منه فقد طبع وجاء في (٩٨٦) صفحة، وصدر عن مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية - عمان - الأردن، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٢م، بتحقيق الأستاذين الفاضلين عبد الوهاب المؤيد، وعلي بن أحمد مفضل، وسعيمان جامدين في تحقيق نقية الكتاب كاملاً بمجلداته السبعة عشر المتبقية، وفقهما الله تعالى وكتب لهم أحر ذلك في ميزان حسناتهما.

هذا ومن الكتب التي ألفها الإمام يحيى بن حمزة (عليه السلام) في الفقه كتاب (العروة) ويقع في ستة مجلدات وغير ذلك، وفي أصول الفقه ثلاثة كتب منها كتاب: (الحاوي لحقائق الأدلة المفهية وتقرير القواعد القياسية) في ثلاثة مجلدات، وألف في أصول الدين إحدى عشر كتاباً منها كتاب (الشامل لحقائق الأدلة وأصول المسائل الدينية) في أربعة مجلدات،

وفي اللغة والنحو والبلاغة والأدب ثمانية كتب منها: كتاب (المحصل في كشف أسرار المفصل) في أربعة مجلدات، و(المنهاج الجلي في شرح جمل الزجاج) في مجلدين، و(الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز) طبع في ثلاثة مجلدات، ومنها هذا الكتاب الذي بين يديك، وهو (الديباج الوصي في الكشف عن أسرار كلام الوصي) في مجلدين، وفي الزهد كتاب (نصفية القلوب من درن الأوزار والذنوب) في مجلد، وفي الحديث: (الأنوار المضيئة شرح الأربعين الحديث السيلقية) في مجلدين وغير ذلك كثير سيأتي تفصيلها عند ذكر مؤلفاته في هذه الترجمة.

هذا وقد ذكر العلامة محمد بن علي بن يونس الزحيف الصعدي المعروف بابن فند، المتوفى بعد سنة ٩١٦هـ في سياق ترجمة الإمام يحيى بن حمزة، أنه لم يبلغ أحد من الأئمة مبلغه في كثرة التصانيف، فهو من مفاخر أهل البيت (عليهم السلام)، وكذا قاله العلامة أحمد بن محمد بن صلاح الشرفي المتوفى سنة ١٠٥٥هـ في اللآلئ المصيبة.

هذا وقد كانت له (عليه السلام) آراء خاصة حول بعض القضايا أوردتها في بعض مؤلفاته، فكانت مثار نظر ومناقشة، فعقب عليها بالبحث والمناقشة بعض أئمة الزيدية وعلمائهم، وعلى سبيل المثال قضية فدك، حيث يذهب الإمام يحيى بن حمزة إلى أن قضاء أبي بكر فيها صحيح، ويناقش الإمام القاسم بن محمد (عليه السلام) المتوفى سنة ١٠٢٩هـ ذلك الرأي في كتاب (الأساس في عقائد الأكياس) في حكم أبي بكر في فدك، فقال ما لفظه: (الإمام يحيى والإمام المهدي عليهما السلام: وحكم أبي بكر في فدك صحيح؛ لأنه حكم باجتهاده).

يعقب الإمام الفاسم على ذلك بقوله: (قلك: هو المنازع، وأيما منازع حكم لنفسه فحكمه باطل إجماعاً، ولو لم يخالف اجتهاده، قال الشاعر:

ومن يكن القاضي له من خصومه

أضرَّ به إفراجه وحجوده

وأيضاً فإن الإمام عندهم عليهما السلام علي (عليه السلام)، وهو لم يرض ولايته، فكيف يصح قصاره؟^١

وأيضاً كانت اليد لفاطمة عليها السلام، لأن في الرواية أنها عليها السلام أنه تطلب حقها بعد أن رفع عاملها، فأبجأ البينة عليها خلاف الإجماع، وأيضاً اعتمد على خبره وهو: «نحن معاشر الأنبياء لا نورث، ما خلفناه صدقة» مع احتمال أن يكون معناه: أن الصدقة لأي الزكاة التي لا نحل لسي هاشم غير موروثه بل تصرف في مصرفها، ولفاطمة عليها السلام أن تعتمد على خبرها وخبر علي والحسن والحسين (عليهم السلام)، صح لا ذلك من رواية إسهادي (عليه السلام)، وأم أيمن أنه (عليه السلام) أغلها، مع أنه نص صريح لا يحتمل التأويل.

ثم لا يكون الأولى بترجيح دعواه لأنها متزعة، كل يجر إلى نفسه، مع أن الخبرين لا يكذب أحدهما الآخر، لأن خبره متضمن عدم استحقاقها الإرث بزعمه، وخبرها متضمن لعقد عقده بها رسول الله (صلى الله عليه وآله) في حياته، وإذا ثبت الحكم من أبي بكر لنفسه بلا مرجح كما تقرر، فبالعقل واشرع يقضي بطلانه، ثم ساق الكلام في ذلك وأوضحه. (انظر الأساس ص ١٥٧-١٥٩).

وقال العلامة المجتهد الكبير محمد الدين بن محمد بن منصور المؤيدي حفظه الله تعالى في (لوامع الأنوار) في سياق ترجمة الإمام يحيى بن حمزة (عليه السلام)، قال ما لفظه: (هذا واعلم أنه كثر التسك من المائلين بما يجدون في بعض كتب الإمام يحيى (عليه السلام) من التلبيح لميل الإمام إلى المحاملة، ومحبه للملائمة، وقد صرح بخلاف ما روي عنه من المخالفة كما يتضح لك، وهو على مهاج أهل بيته في الأصول المهمة من الدين كمسائل التوحيد والعدل والنبوة، وإمامة الوصي بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله) وبعده الحسنين، وأهل البيت (عليهم السلام) بعدهم، ولزوم ولايتهم، وحجية إجماعهم، وأبواب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وحاشاء عن خلافهم كما هو معصوم، وإنما وقعت فلتات في أثناء بعض المؤلفات من وراء تلك المهمات، والمعتمد الدليل والله يقول الحق وهو يهدي السبيل)، ثم ساق حفظه الله تعالى الكلام في ذلك وأورد كلاماً للإمام محمد بن عبد الله الوزير (عليه السلام) في (فرائد اللآلئ) في مسألة الذين تقدموا على أمير المؤمنين علي (عليه السلام) في الخلافة، أوضح فيه رأي الإمام يحيى بن حمزة بعدم ثبوت إمامة أبي بكر وعمر وعثمان، وقال فيه: (لكننا نقول قولاً واضحاً: هم قد استبدوا بالخلافة، وقد قام إبرهون على صحة إمامته (عليه السلام)، والخلافة عندنا غير الإمامة، ولم تقم دلالة علي صحة إمامتهم، فهم خلفاء وهو الإمام، وهذا قول بالغ بكفي في الإنصاف). انتهى، ثم ساق الكلام في ذلك وأورد كلاماً للإمام يحيى بن حمزة في فذلك أوضح فيه أنه رجوع من الإمام يحيى من قول سابق له في قضية فذلك، ... ثم قال السيد محمد الدين: قال الإمام -أي الإمام محمد بن عبد الله الوزير- (وقد عرفت كلام الإمام يحيى (عليه السلام) في هذين المهمين، ورجوعه إلى مقالة أسلافه الذين لا يقا لهم إلا ما قاله يوسف الصديق (عليه السلام)). «وَأَتَتْهُ مَلَّةٌ أَبَاهُ إِبْرَاهِيمَ وَاسْتَحَقَّ

رَبُّكُمْ ﴿١٠٨﴾ وما حكى الله في آية الاجتهاد: ﴿مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ﴾ [سج ٧٨].

ثم أورد العلامة محمد الدين كلاماً للسيد الهادي بن إبراهيم الوزير في (نهاية السوي) يذكر فيه ترجيح لإمام يحيى بن حمزة مذهب العترة النبوية و ستفاء أعارض الكلام في ذلك، وذلك في كتابيه (الانتصار) و(مشكاة الأنوار)، (انظر ذلك كاملاً في لوامع الأنوار ٢/٧٤-٨٢).

٦- قالو فيه.

أ- قال الإمام المطهر بن يحيى (عليه السلام) المتوفى سنة ٦٩٧ هـ، والذي صححه الإمام يحيى بن حمزة في يوم نعم، قال فيه: (في هذا الولد لله ثلاث آيات: علمه، وخلقه، وحطه)، ذكره الزحيف في مآثر الأبرار، والشرقي في اللآئى المضيئة

ب- وقال العلامة المؤرخ محمد بن علي بن يونس الزحيف المعروف بابن فند رحمه الله في مآثر الأبرار ٢/٩٧٢: (الإمام الصوام القوام، علم الأعلام، وقمطر علوم العترة الكرام، حجة الله على الأنام، كان الإمام يحيى (عليه السلام) في غزارة علمه وانتشار حلمه حيث لا يفتقر إلى بين، ولم يبلغ أحد من الأئمة ملغته في كثرة التصانيف، فهو من مفاحر أهل الست، وعلومه الدثرة^(١) من مناقب الزيدية) إلى أن قال: (كان كثير التواضع، عديم التبجح بمصنفاته، حتى كان لا يسميها إلا الخواشي).

(١) الدثرة، الكثيرة، ومال دثر أي كثير

ج- وقال القاضي العلامة الحسين بن ناصر بن عبد الحفيظ المهلا رحمه الله، المتوفى سنة ١١١١ هـ في مطمح الآمال ص ٢٥٣: (كانت أيامه بالعبادة عامرة، ولياليه بالقيام زاهرة، ومحافله بالعلوم تيرة باهرة، مع شدة إقباله على الآخرة، وإيثاره لما يؤثره أهل السحاب الطاهرة، فرضوان الله عليه وعلى آبائه أئمة الهدى ومصابيح الدحي).

د- وقال العلامة المجتهد الكبير محمد الدين بن محمد بن منصور المؤيدي حفظه الله في التحف ص ٢٧٠: (هذا الإمام من منن الله على أرض المن، وأنواره المضيئة في جبين الزمن، نفع الله بعلومه الأئمة، وأفاض من بركاته على هذه الأمة، وله الكرامات الباهرة، والدلالات الظاهرة)

هـ- وقال السيد العلامة المؤرخ محمد بن إسماعيل الكبسي الصنعاني رحمه الله، المتوفى سنة ١٣٠٨ هـ في اللطائف السنية ١/٩٧: (كان هذا الإمام في غزارة علمه وانتشار قصه، وتقمصه بعلوم العلوم، وإحاطته بمنطوقها والمهوم، وكثرة التصانيف، وجودة الأنظار في جميع التأليف، مع حسن العبارة ووضوح المعاني في إيراده وإصداره، ولم يبلغ مبلغه أحد من الأئمة في كثرة التصانيف، فهو من مفاخر أهل البيت حتى قيل: إن عدد الكراريس من مؤلفاته زادت على أيام عمره، مع أنه بسط له في العمر ثمانين سنة).

و- وقال القاضي العلامة أحمد بن عبد الله الجنداري رحمه الله، المتوفى سنة ١٣٣٧ هـ، في الجامع الوجيز -خ- في حوادث سنة ٧٤٩ هـ: (وفيها توفي الإمام عماد الإسلام، وحافظ الزيدية الكرام، المؤيد بالله يحيى بن حمزة بن علي، من ذرية علي بن موسى الرضا الحسيني،

وكان هذا الإمام من الآيات في حفظه وورعه وعلومه ومصنفاته، وأجمع على فضله المؤلف والمخالف، وقيل فيه القصائد من مصر وغيرها، وباعه في العلم بحر لا يساجل).

ز- وقال القاضي العلامة حسين بن أحمد العرشي رحمه الله، المتوفى سنة ١٣٢٩هـ، في بلوغ المرام ص ٥١: (أما الإمام يحيى بن حمزة فهو الذي حاز المفاخر الدينية، والعلوم القرآنية والسنية، وكان أعرف الناس بالكتاب وبمذهب آبائه الكرام، له التصانيف العظام).

ح- وقال الأستاذ العلامة المؤرخ المحقق عبد السلام بن عباس الوجيه حفظه الله في أعلام المؤلفين الزيدية ص ١١٢٤، ترجمة رقم (١١٩٣): (أحد أعلام الفكر الإسلامي في اليمن، ونجوم الال الكرام، وأكابر علماء الزيدية، إمام، مجاهد، مجتهد، مفكر، زاهد)

٧- وفاته وموضع قبره، ومدة عمره

وكانت وفاته (عليه) بحصن هرا، الواقع قلبي ذمار، وذلك في سنة تسع وأربعين وسبعمائة ٧٤٩هـ، ففن إلى ذمار ودفن فيها، ومشهده بها مزور مشهور، وله إحدى وثمانون سنة، وقيل: اثنتان وثمانون سنة، قال العلامة أحمد بن محمد بن صلاح الشرفي رحمه الله، المتوفى سنة ١٠٥٥هـ في اللآلئ المضيئة: (ولم تظهر فيه علامة من علامات الشيخوخة، ولا حصل في جسمه شيء من أمراض الهرم لا في وجهه ولا في جسده ولا سمعه ولا بصره ولا أسنانه ولا قوته، وكان (عليه) في غاية الجمال والكمال، وقيل: إن الفقيه حسن بن محمد النحوي رحمه الله كان يعجب من بياض لحيتته وسواد حاجبيه، ويقول: هذه كرامة أكرم الله بها

هذا الإمام (عليه)، وصلى (عليه) صلاة العشاء ليلة موته من قيام، ومات في آخر الليل من تلك الليلة). انتهى.

هذا وتذكر بعض المصادر وهي انقله عن ترجمته له أن وفاة الإمام يحيى بن حمزة كانت في سنة ٧٤٧هـ، إلا أن الصحيح أنه انتهى من تأليف كتابه (الانتصار) في أواخر سنة ٧٤٨هـ كما ذكره محققا الجزء الأول منه تعقياً على السيد يحيى بن الحسين مؤلف كتب (غاية الأمان).

٨- مؤلفاته

للمؤلف (عليه) مؤلفات كثيرة كما ذكرنا، وإليك قائمة بهذه المؤلفات، مقولة من كتاب: أعلام المؤلفين الزيدية ص ١١٢٤-١١٣١ للأستاذ العلامة المؤرخ الأديب المحقق / عبد السلام بن عباس الوجيه:

(١) إجازة الحديث. قال الحيشي: إجازة للفقيه أحمد بن سليمان، مخط المؤلف بحاب كتاب المعيار، بمكتبة الجامع رقم (٨٤) (علم الكلام).

(٢) أجوبة مسائل الأوزري. قال الحيشي: -خ- ضمن مجموع رقم (١١) مكتبة الجامع، (كتب مصادره).

(٣) أجوبة مسائل شتى (لعلها المذكورة في مصادر الحيشي بعنوان حواب (٣٨) سؤالاً -خ- سنة ٨٣٢هـ بخط حفيد المؤلف أحمد بن عبد الله بن يحيى بن حمزة رقم (١٠) (بجاميع مكتبة الجامع في خمس ورقات).

(٤) اختيارات المؤيد. قال الحيشي: الاختيارات المؤيدية، ذكره زيارة في أئمة اليمن ٢٢٩/١، ولعله مخطوط بإحدى مكتبات الهند، وذكره السيد مجد الدين باسم (الاختيار) في الفقه مجلدان.

٥) الأزهار الصافية شرح مقدمة الكافية (نحو) في مجلدين، وذكر باسم:
لأنهار الصافية شرح الكافية. -خ- الجزء (٢، ١) برقم (٢، ١) مكتبة
لعربية الجامع الكبير

٦) أطواق الحمامة في حمل الصحابة على السلامة. قل الحبشي: -خ- في
٧ ورقات صمن مجموعة في مكتبة آل يحيى بمدينة تريم حضرموت
(فهرس المخطوطات اليمنية في حضرموت).

٧) الإفحام لأفئدة الباطية الطعام في الرد عليهم في الأسرار الإلهية
والمباحث الكلامية -خ- سنة ٨١٧ هـ ق ١٥٥-٢٠٣ برقم (٦٩٠) مكتبة
الأوقاف (طبع).

٨) الاقتصار في النحو. مجلد (أئمة اليمن ١/٢٢٩)، التحف).

٩) إكليل الباج وجوهرة الوهج -خ- سنة ٨٣٢ هـ ق ١٤٦-١٧٥ برقم ٥١
(بجاميع) أوقاف

١٠) لانتصار الجامع لمذاهب علماء الأمصار. في تقرير المختار من مذاهب
الأئمة وأقوال علماء الأمة في المباحث لفقهية والمضطربات الشرعية،
موسوعة شاملة لأقوال مختلف المذاهب والعلماء في العقيدة الإسلامية،
في ١٨ مجلداً كبيراً -خ- منه ج ١، ٢، ٣ -خ- سنة ١٠٥٢ هـ في ٤٥٣ ورقة
برقم (٩٨١) مكتبة الأوقاف، ج ٢ خط سنة ٧٨٤ هـ في ٢٤٦ ورقة رقم
(٩٨٣)، وأخرى منه رقم (٩٨٢) وفي نفس المكتبة مجلدات أخرى
وهي ج ٥ رقم (٩٨٥) وأخرى منه رقم (٩٨٦)، ج ٨ رقم (٩٨٧)،
وأخرى منه ٩٨٨، ج ١٠ رقم (٩٨٩)، ج ١١ رقم (٩٩٠)، وأخرى
منه برقم (٩٩١)، ج ١٢ برقم (٩٩٢)، ج ١٥ برقم (٩٩٣)، ج ١٦

بخط المؤلف سنة ٧٤٨ هـ رقم (٩٩٤)، وهناك الأجزاء ٢، ٣، ٥،
٦، ٨، بخط المؤلف، و ٩، ١٦، ١٧ في المتحف البريطاني. (انظر
مصادر العمري ومصادر الحبشي)، و جزء ٥، ٦ خط سنة ٧٥٥ هـ بمكتبة
السيد يحيى بن علي الذارحي، ونسخ مصورة بمكتبة السيد
عبد الرحمن شاييم، أخرى من ١ إلى ٤ -خ- سنة ٨٨٥ هـ، بمكتبة السيد
عبد الله بن محمد غمضان، أخرى عشرة مجلدات مصورة بمكتبة السيد
محمد بن عبد العظيم الهادي، وانظر فهرس الأوقاف، وقد جمعت
أغلب أجزاءه بجهود الأستاذ علي بن أحمد مفضل والأستاذ
عبد الوهاب المؤيد، وبدأ في تحقيقها وأنها المجلد الأول وهو معد
للطبع، وانظر بقية مخطوطاته في كتابنا (مصادر التراث في المكتبات
الخاصة)، نسخة من المجلد الثالث خطت سنة ١٠٥٢ هـ، مصورة بمكتبة
معهد القضاء العالي، ومكتبة الأخ أحمد علي نور الدين.

١١) الأنوار المضيئة في شرح الأربعين حديثاً السليقية، شرح من أجل
وأوفى لشروح على الأربعين السليقية، فرغ منه سنة ٧٣٦ هـ -خ- ج ١
رقم (٢٢) (حديث) غربية، أخرى بمكتبة العلامة محمد بن محمد
الكبيسي، ونسخة منه في مكتبة الوالد العلامة محمد بن قاسم الوجيه،
كانت معدة للطبع، نسخة خطية مصورة ج ٢ بخط حفيد المؤلف
سنة ٧٣٦ هـ مكتبة محمد بن عبد العظيم الهادي.

١٢) الإيجاز لأسرار كتاب الطراز في علوم الدين ومعرفة الإعجاز، -خ-
سنة ٧٤٤ هـ بخط المؤلف المكتبة الغربية رقم (١) (بلاغ)، أخرى
رقم (١٨٣٠)، ثلاثة رقم (١٦١٠) مكتبة الأوقاف، رابعة ذكرها الأستاذ
الحبشي بمكتبة دار الكتب برقم (٤٢٩٩).

(١٣) الإيضاح لمعاني المفاسد. (في علم لفرائض). (أئمة اليمس - الترجمان - التحف).

(١٤) التحقيق في الإكفار والتفسيق -خ-. قال الحبشي -ح- سنة ٧٢٤هـ في حياة المؤلف في ١٤٠ ورقة بمكتبة الأستاذ حسين السياغي، أخرى بمكتبة الجامع (الكتب المصدرة). وقال الجنداري: في مجلدين. وقال السيد مجد الدين: التحقيق في التكفير والتفسيق مجلد في أصول الدين

(١٥) تصفية القلوب من درن الأورار والذنوب، من روائع المؤلفات في بابه وهو مرجع هام لتزكية النفوس وبناء الشخصية الإسلامية طبع مراراً ونسخه الخطية كثيرة

(١٦) اتمهيد في علوم العدل والتوحيد ويسمى اتمهيد لأدلة مسائل التوحيد -خ- سنة ٧٣٣هـ في ١١٢ ورقة برقم ٧٣٤ مكتبة الأوقاف الجامع، وذكر الحبشي أخرى ضمن الكتب المصدرة، أخرى لمجلد الثاني -خ- سنة ٧٠٧هـ وعليها هامش بخط المؤلف بمكتبة السيد عبدالله بن محمد غمضان.

(١٧) جواب على سؤال ورد من الشام يبحث عن أحواله ومقروءاته ومصنفاته. قال الحبشي -خ- رقم ١٠ مكتبة الجامع (الكتب المصدرة)، أخرى ضمن مجموعة بخط حفيده بمكتبة الجامع رقم ١٠ لعلها الأولى.

(١٨) جواب مسائل وردت على الإمام -خ- ١٠٦ (مجاميع) ق ٩٥-١٠١ مكتبة الأوقاف.

(١٩) الجواب القاطع لتمويه عما يرد من الحكمة والتثريب -خ- المجموع السابق ق ١٣٦-١٤٣.

(٢٠) الحواب الرائق في تنزيه الخالق عن مشابهة الممكنات والكون في الأرجاء والجهات -خ- المجموع السابق ق ٢٢ ٦٢، أخرى -خ- سنة ٩٩٧هـ بمكتبة السيد عبدالله بن محمد غمضان.

(٢١) الحواب المصلح للدين الموضح لسنن سيد المرسلين -خ- المجموع السابق ق ١٠٢-١٠٧.

(٢٢) لجواب الساطن بلصواب القاطع لعري الشك والارتباب المجموع السابق ق ٦٣-٦٧، أخرى بمكتبة السيد عبدالله بن محمد غمضان ضمن مجموع.

(٢٣) الجوابات الوافية بالبراهين الشافية -خ- في ١٣٤ ورقة المجموع السابق، أخرى بمكتبة السيد عبدالله بن محمد غمضان نفس المجموع.

(٢٤) الحاصر في شرح مقدمة طاهر (في النحو) -خ- ق ٨ في ١٩٦ ورقة رقم ١٧٠٠ مكتبة الأوقاف وذكر الحبشي نسخة في مكتبة عبدالروس الحبشي، ونسخاً أخرى رقم ١٢١، ١٢٢ (لغة) الجامع، أخرى بمكتبة المتحف البريطاني رقم ٣٨٢٤ والأمبروزيانا ١٠٢g في علم الإعراب -خ- سنة ٧٥٣هـ بمكتبة السيد محمد بن محمد المصور.

(٢٥) الحاوي لحقائق الأدلة الفقهية وتقرير القواعد القياسية في (أصول الفقه) -خ- سمعت أن طالباً من آل الحبشي يسعى لتحقيقه، ومنه نسخة مصورة من السفر الثاني خطت سنة ٧١٠هـ في مكتبة مركز بدر (والحاوي في ثلاثة مجلدات).

(٢٦) خلاصة السيرة. لخص فيه سيرة ابن هشام.

(٢٧) خطب الشهور والسنة -خ- بمرت مصورة بمكتبة محمد بن عبد العظيم الهادي.

(٢٨) الدعوة العامة. -ح- (مجاميع) ١٠٦ مكتبة الأوقاف ق ١٦٥-١٦٩.

(٢٩) الدعوة إلى سلطان اليمن -خ- (مجاميع) ١٠٦ مكتبة الأوقاف ق ١٧٠-١٧٣.

(٣٠) الدعوة إلى الأمراء من آل عماد الدين، -خ- (مجاميع) ١٠٦ مكتبة الأوقاف ق ١٧٣-١٧٥.

(٣١) الديباج الوصي في الكشف عن أسرار كلام الوصي (ثلاثة مجلدات) شرح نهج البلاغة لأمر المؤمنين -ح- سنة ١٠٧٣هـ في ٤٧٢ ورقة يحتوي على المجلد الأول والثاني رقم ١٩٧٦ مكتبة الأوقاف، أخرى ج ١ مصورة مكتبة محمد بن عبد العظيم الهادي.

(٣٢) رأي الإمام يحيى بن حمزة في أبي بكر وعمر -خ- ضمن ١٠٦ (مجاميع) أوقاف ٤ ورقت.

(٣٣) رسالة في بيان المصدر والحاصل له. قال الحبشي منه نسخة -خ- ضمن مجموع من ورقة ٤٦ إلى ورقة ٥٣ بمكتبة الأستاذ حسين السباعي بصنعاء.

(٣٤) الرسالة المفيدة -خ- سنة ١٠٢٥هـ ق ١٢٧-١٣٨ رقم ١٣ (مجاميع) مكتبة الأوقاف.

(٣٥) الرسالة الوازنة لذوي الألباب عن فرط الشك والارتباب. (جواب على السيد داود بن أحمد -خ- ضمن مجموع بمكتبة السيد حمود شرف الدين خط سنة ١٠٤٣هـ، أخرى -خ- سنة ٧٩٧هـ بمكتبة السيد عبد الله بن محمد غمضان في ١٠٦ (مجاميع) أوقاف ق ١١٣-١٢١، وأخرى رقم ٢٢٢ (مجاميع) أوقاف ث ١-٤.

(٣٦) الرسالة الوازنة لصالح الأمة عن الاعتراض على الأئمة -خ- ١٠٦ (مجاميع) أوقاف ق ٩٠-٩٤ وباسم الكاشفة للغمّة ق ١-٢٢، أخرى -خ- سنة ٧٩٧هـ بمكتبة السيد عبد الله بن محمد غمضان.

(٣٧) الرسالة الوازنة للمعتدين عن سب صحابة سيد المرسلين طبع سنة ١٣٤٨هـ بمصر ضمن مجموع الرسائل اليمنية ثم طبعت منفردة وصدرت عن دار التراث اليمني سنة ١٤١٠هـ

(٣٨) رسائل الإمام يحيى بن حمزة وكتبه وهي كثيرة ومنها رسالة إلى الإخوان بالظاهرية وشيخ بني أسعد بن حجاج أهل الظفير بحجة، (مجاميع) ١٠٦ أوقاف، وفيه كتاب تحريرة إلى الفقهاء بسي حبش ق ١٩٩-٢٠١، وإلى الأمير عبد الله بن أحمد بن القاسم، ق ١٧٥-١٧٨، وإلى الشيخ محمد الرصاص ق ١٩٣-١٩٦، وإلى سلطان اليمن المجاهد ق ١٨٣-١٨٦، وإلى من الجهات الأمنوم وعذر، وكتاب له حول المنكر بثوبان ق ١٨٦-١٩٠، ق ١٩٠-١٩٣ وغيرهما.

(٣٩) الشامل لحقائق الأدلة العقلية وأصول المسائل الدينية (في أصول الدين) أربعة مجلدات -خ- ج ٢ رقم ٨٨ (علم الكلام) غريبة،

- ونسخة مصورة من السفر الثاني بخط المؤلف فرع منه سنة ٧١١هـ في مكتبة مركز بدر، أخرى مصورة مكتبة محمد بن عبد العظيم الهادي، أخرى مصورة مكتبة السيد عبد الرحمن شايم من نفس النسخة.
- (٤٠) انطراز المتنصم لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز فرع منه سنة ٧٢٨هـ وطبع في ثلاثة مجلدات فاخرة بالقاهرة سنة ١٣٣٢هـ وطبع بعدها مراراً (معاني وبيان)
- (٤١) العدة في المدخل إلى العمدة قال زبارة في أئمة اليمن: في الفقه مختصر بالغ الأهمية يقع في جزئين.
- (٤٢) عمد اللآلي في الرد على أبي حامد الغزالي، (رد عليه في مسألة يباحته للسمع) -خ- ق ٦٨-٨٨ رقم ١٠٦ (مجاميع) أوقاف، أخرى رقم ٣٧
- (٤٣) العمدة في مذاهب الأئمة في الفقه فرع منه سنة ٧٢٠هـ ذكره زبارة في (أئمة اليمن) وقال: يقع في سنة مجلدات، اشتمل على جميع إيرادات المذاهب بالحجج والشواهد من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية والقياسات، منه ج ٢، ج ٣ مصورتان بمكتبة محمد عبد العظيم الهادي، الثاني من الصوم إلى الصلاق، والثالث من الطلاق إلى الشفاعة.
- (٤٤) الفائت المحقق في علم المنطق محمد (أئمة اليمن - الترجمان)، وباسم القانون المحقق (مؤلفات الزيدية ومصادر الحبشي).
- (٤٥) لفتاوى. قال الحبشي: منه نسخة -خ- سنة ٨٣٢هـ ضمن مجموع رقم (لم يذكره) مكتبة الجامع.
- (٤٦) القاطع للتمويه عما يرد على الحكمة والتريه. (مؤلفات الزيدية) وهو السابق رقم (١٩)

- (٤٧) القسطاس (في علم الكلام) جزءان ذكره زبارة وقال السيد محمد الدين: في أصول الفقه مجلدان
- (٤٨) الكوكب الوقاد في أحكام الاجتهاد -خ- ١٠٦ (مجاميع) أوقاف ق ١٢٢-١٢٨، وتوجد نقول منه ضمن مجموع بمكتبة السيد المرتضى الوزير
- (٤٩) اللباب في محاسن الآداب، -خ- منه نسخة ضمن مجموعة ق ١٦٩-١٧٣ مكتبة الأمروزيانا رقم ١٢٤g.
- (٥٠) المحصل في كشف أسرار الفصل للزنجشيري في أربعة مجلدات (إعراب، نحو، صرف) قال الحبشي: -خ- سنة ٧٢٨هـ بمكتبة الجامع رقم ٩٨ أدب.
- (٥١) مختصر الأنوار المضيئة في شرح الأربعين السيلقية. (لأعلام ١/ للزركي، وقال أنه موجود بإحدى مكتبات).
- (٥٢) مشكاة الأنوار الهادمة لقواعد الباطنية الأشرار. قال الحبشي: فرع من كتابها سنة ٨١٧هـ بمكتبة الجامع برقم ١٣١ (علم الكلام) مع كتاب المعلم الدينية (طبع بتحقيق محمد السيد بسيوني سنة ١٩٧٢م القاهرة، أخرى -خ- بمكتبة محمد عبد العظيم مصورة، أخرى مكتبة السيد محمد الدين المؤيدي خطت سنة ٨٩٣ خط نسخي عتاز عليها قراءات كثيرة، أخرى -خ- سنة ٧٩٧هـ بمكتبة السيد عبد الله بن محمد غمضان.
- (٥٣) مشكاة الأنوار للسالكين مسالك الأبرار -خ- مجلد رقم ٦٧ (علم الكلام)، أخرى ١٣ (مجاميع) ١٨-٤٢ غريبة جامع.

(٥٤) المعالم الدينية في العقائد الإلبيه. طبع بتحقيق لسيد مختار بن محمد أحمد سنة ١٤١٢هـ.

(٥٥) المعيار لقرائح النظر في شرح حقائق الأدلة الفقهية وتقرير القواعد الفاسية. (بدأ في تأليفه في حمادى الأولى وفرغ منه في رجب سنة ١٤١٥هـ) -خ- سنة ١٧٦٦هـ في ١٤١ ق رقم ١٤٨٧ مكتبة الأوقاف، أخرى -ح- في عصر المؤلف أو بعده بقليل سنة ١٧٤٧هـ في ١٠٤ صفحات بمكتبة العلامة المرتضى بن عبد الله الوزير هجرة السر، قال في أوله: هو المستولي على كتاب الحاوي في أصول الفقه والمشتغل على أسرار.

(٥٦) من كلام الإمام يحيى بن حمزة -خ- ١٠٦ (مجاميع) أوقاف وفيها (من كلامه في المنع بافتوى بمذهب الإمام الناصر، وفي جواب سؤال رد عليه، ومن كلامه وقد طالع كتاب التصنية للفقيه محمد بن حن الديلمي).

(٥٧) منهاج الجلي في شرح جمل الزجاج. في النحو -خ- رقم ٤٥ نحو غربية وهو مجلدان

(٥٨) نور الأصار المنتزع من كتاب الانتصار منسوب إليه في فهرس العربية ٣١٦ رقم ٣١٦ فقه غربية. وكذلك في مكتبة جامع شهارة نسخة كاملة.

(٥٩) النهاية في الوصول إلى علم حقائق علوم الأصول. (أصول دين) ثلاثة أجزاء (أئمة اليمن) -خ- ح ١ منه بمكتبة السيد سراج الدين عدلان ٥٣٨ صفحة مصورة بمكتبة محمد عبد العظيم الهادي.

(٦٠) وصايا الإمام يحيى بن حمزة إلى أولاده وزوجاته ١٠٦ (مجاميع) أوقاف ١٥٠-١٦٤.

(٦١) وصية أورد جزءاً منها زيارة في أئمة اليمن ٢٣١-٢٣٣.

(٦٢) الوعد والوعيد وم يتعلق بهما. قال الحبشي منه نسخة مخطوطة في ٣٨ ورقة بمكتبة الجامع (الكتب اصادرة).

٩- مصادر الترجمة

(١) مآثر الأبرار ٩٧٢/٢-٩٩١

(٢) اللآلئ المضيئة -خ-

(٣) طبقات الزيدية الكبرى (القسم الثالث) ١٢٢٤/٣-١٢٣٢.

(٤) التحف شرح الرلف ٢٧٠-٢٧٢ ط ٣ مركز بدر.

(٥) نواعم الأنوار ٧٣/٢-٨٢.

(٦) أعلام المؤلفين الزيدية، ترجمة رقم (١١٩٣) ص ١١٢٤-١١٣١.

(٧) مطمح الآمال ٢٥٢-٢٥٣.

(٨) اللطائف السنية ٩٧/١-٩٨.

(٩) الجامع الوجيز -خ- حوادث سنة ١٦٦٩هـ، سنة ١٧٢٩هـ، سنة ١٧٤٩هـ.

(١٠) بلوغ المرام ٥١.

(١١) تاريخ اليمن المسمى: فرجة الهموم والحزن، للواسمي ٢٠٦-٢٠٧.

(١٢) الإمام المحدث يحيى بن حمزة وآراءه الكلامية ، تأليف الدكتور أحمد محمود صبحي.

(١٣) الأعلام للزركلي ١٤٣/٨ - ١٤٤ ، ومنه البدر الطالع ٢٣١/٢.

(١٤) الجزء الأول من كتاب الانتصار للمؤلف ، (مقدمة التحقيق) بقلم الأستاذ عبد لوهاب بن علي امويد ، والأستاذ عبي بن أحمد مفضل.

وصف النسخ المعتمدة

اعتمدت بمعرفة الله تعالى على نسختين من نسخ هذا الكتاب ، والتي هي قليلة ، بالإضافة إلى نسخة ثالثة ، لكنها غير كاملة ، اعتمدتها كنسخة مساعدة وذلك بالرجوع إليها فيما عساه يلتبس أو يشتبه في النسختين الرئيسيتين المعتمدتين وفيما يلي وصف هذه النسخ :

(١) النسخة الأولى وهي التي رمزت لها بالرمز (أ) والكلام في وصفها بسفريها كالآتي :

أولاً : السفر الأول منها ، توفرت لدي نسخة مصورة منه صورت على نسخة مصورة أيضاً بمكتبة السيد العلامة محمد بن عبد العظيم الهادي حفظه الله ، بصعدة ولم أعتد إلى معرفة أصلها المخطوط ، وعدد صفحات هذا السفر من هذه النسخة (٤٠٢) أربعمائة وصفحتان بما في ذلك صفحة العنوان ، وعدد أسطر الصفحة الواحدة (٣١) سطراً ، ومقاس الصفحة ٢٩ × ٢٠ سم ، واسم ناسحها مجهول ، وكذا تأريخ نسخها ، ونوع خطها نسخي جيد جداً ، لكنه لا يخلو كحال معظم المخطوطات من التحريف والتصحيف ، والذي يرجع بدوره إلى سهو النساخ أو صعوبة الأم المنقول عليها ، أو غير ذلك ، وعلى العموم فالسهو وارد على كل إنسان ، فلا يكاد يخلو منه أحد ، هذا وقد أشرت إلى مواضع التحريف أو التصحيف في هذه النسخة في هوامش الكتاب.

وتتميز هذه النسخة من هذا السفر أن نص كلام أمير المؤمنين (عليه السلام) الوارد في (نهج البلاغة) يرمز له فيها قبل إيرادها بالحرف (ص) وهو يعني الأصل، حتى إذا انتهى من ذلك رمز لشرحها بالحرف (ش) وهو يعني الشرح لكن لا يعلم هل ذلك جاء من جهة المؤلف أم من جهة الناسخ أم من بعض التأخرين اجتهداً لتمييز الأصل عن شرحه؛ لكن الذي ترجح عندي أنه ليس من جهة المؤلف، وإنما من غيره؛ لأن النسخة (ب) بسقريها خلت عن مثل ذلك، بالإضافة إلى النسخة لثالثة والتي اعتمدتها كنسخة مساعده، بالإضافة أن السفر الثاني من النسخة (أ) قد خلت هي أيضاً من ذلك، وهي نسخة قديمة الخط جداً، ولعلها إحدى النسخ التي خطت في عصر المؤلف.

الصفحة الأولى من هذا السفر هي صفحة العنوان واسم المؤلف، ففي أعلاها عنوان الكتاب ونصه: (السفر الأول من كتاب الديباج الوصي في الكشف عن أسرار كلام الوصي) وتحت اسم المؤلف قال فيه: (مما ولي نظم شذوره وجمانه، وتلخيص معانيه وبيانه، وحيد زمانه وقريد أوانه، تاج العترة المكلل، وطراز المجد الرقيق الأول: الإمام المؤيد بالله أبو الحسين يحيى بن حمزة بن علي الحسيني أيده الله).

بلي ذلك مباشرة هذه العبارة: (والحمد لله شكراً على نعمه وإفضاله، وابصلاة على محمد وعلى آله وسلم تسليماً).

وتحت ذلك ستة أبيات شعرية، كل بيتين على حدة، ولم يحدد قائل كل منها، وهي بخط مختلف عن خط النسخة، قال فيها:

لله در القائل:

الصبر مفتاح كل خير وكل صعب به يهون
وطال ما نيل باصطبار ما قيل هيات لا يكون

غيره:

الصبر محمود إلى غاية وهذه العاية حتى متى
ما أحسن الصبر ولكنه في ضمه يذهب عمر الفتى

لله در القائل:

ي من أيديه عندي غير واحدة

ومن مواهبه تنمو على العدد

ما نابني في زماني قط نالته

إلا وحلتك فيها آخذاً يدي

ويظهر أن هذه النسخة قد انتقلت إلى عدة مالكين، ويظهر ذلك على صفحة العنوان حيث كتبت هذه التمليكات في زواياها وجوانبها، وجميع ذلك بخطوط مختلفة، ففي الزاوية اليمنى تحت اسم المؤلف تملك لفظه:

(الحمد لله، من فضل الله والله ذو الفضل العظيم على عبده وابن عبده وابن أمته المؤتم بكتابه وسنة نبيه، المتمسك إن شاء الله بهما وبأهل بيت نبيه ﷺ أحمد بن محمد بن حسين الأكوخ وفقه الله وغفر الله له ولوالديه وختم له ولهما بالحسنى بمحمد ﷺ). (وهذا التملك بغير تاريخ).

وفي الزاوية اليسرى تملك آخر لفظه:

(الحمد لله رب العالمين، من فضل الله سبحانه والله ذو الفضل العظيم على عبده وابن عبده وابن أمه المؤتم بكتابه وسنة نبيه والتمسك إن شاء الله بهما وبأهل بيت نبيه ﷺ محمد بن أمير المؤمنين عفر الله له ولوالديه وختم له ولهما بالحسن بمحمد وال محمد ﷺ). (وهذا أيضاً بدون تاريخ).

وتحت تملك آخر لفظه:

(من فضل الله تعالى على عبده وابن عبده الفقير إلى عفوه ورحمته وفضله السيد أحمد بن قاسم بن محمد العياني وفقه الله، بالشراء الصحيح). (وهذا بدون تاريخ)

وبجانبه من جهة اليسار بيع للكتاب قال فيه.

(بعث هذا الكتاب المبارك من سدينا صفى الدين أحمد بن محمد بن حسين لأكوع، بثمن قبضته مستوفى، في تاريخ شهر شوال سنة ١١٠٨ هـ، الفقيه صلاح بن عبد الله الصعادي (لعله الصعدي)، وبجانب هذا لبيع شهادة عليه قال فيها. شهد على بيع الفقيه صلاح الصعدي والله خير الشاهدين لهذا الكتاب إلى القاضي صفى الدين أحمد بن محمد بن حسين واستبفاء الثمن، محمد بن علي).

وفي أعلى الصفحة تملك للسيد أحمد بن فايح قال فيه: (من مواهب الله) في ملك السيد أحمد بن فايح). وبقيّة التملك غير مفهوم لضعف الخط، وهذا التملك مؤرخ سنة ١٣٠٤ هـ.

وفي الجانب الأيسر من الصفحة في أعلاها تملك آخر قال فيه: (لعمد الفقير إلى الله حسين بن أحمد الخيمي غفر الله له وصلى الله على محمد وآله رجب) وهو مؤرخ لكنه لم يتضح التأريخ جيداً لعدم وضوح التصوير في هذا الموضع.

يليه تملك آخر قال فيه: (أفقر عباد الله وأحوجهم إليه السيد إسماعيل فايح عفا الله عنه). بدون تاريخ.

يليه هذه التعليقة: (أودعت هذا الكتاب شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً رسول الله ﷺ، أدّى الأمانة وبلغ الرسالة، وأن الموت حق، وأن الله يبعث من في القصور، وأن الجنة والبارحق، والحساب يوم المعاد، على هذه أحياء وعليها أموات، وعليها أبعث إن شاء الله)

وفي أسفل الصفحة ثلاث شهادات أخرى علي بيع الكتاب تركتها اختصاراً، يليها تملك آخر مجهول التاريخ قال فيه: (من فضل الله سبحانه على عبده الفقير إلى عفوه أحمد بن أحمد بن يحيى بن الحسن بن علي بن أمير المؤمنين المتوكل على الله إسماعيل بن الإمام المتصور بالله وفقه الله تعالى لصالح العمل بمنه وفضله).

هذا ويأتي صفحة العنوان أول المخطوط من هذا السفر، قال فيه:

(بسم الرحمن الرحيم، اللهم أعن ويسر برحمتك يا أرحم الراحمين، الحمد لله الحكيم الذي أنطق لسان الإنسان فأفصح بوجوده وحقائق عرفانه، المنان الذي أوضح لنا منار البرهان، فكشف لنا عن باهر حكيمته وعظيم سلطانه، القيوم الذي تضاءلت العقلاء عن الإحاطة بدقيق صعه وإتقانه.... إلخ).

وآخر المخطوط:

(وقد بجز غرضنا من شرح كلامه هذا، على ما اشتمل عليه من الأسرار والمعاني والحمد لله، والله در نصائح أمير المؤمنين فيما بذله للخلق، وأعلامها وأحقها برصوان الله ومطابقة مراده وأولاهاء، فلقد نال من الله عظيم الزلفى وعلو الدرجات، وقام بما بذله في داته من عظيم الأجر ومضاعف الحسات).

وكتب تحت ذلك: (الحمد لولي الحمد ومستحقه، وصلواته على خير خلقه). ويظهر أنها بخط نسخ الكتاب.

وبقي في آخر صفحة منه فراغ مقدار ثلاثة أسطر كتب فيها هذا الحديث النووي الشريف: عن أبي الدرداء، عنه عليه السلام قال: «كل شيء حقيقة، وما بلغ عبد حقيقة الإيمان حتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه»، رواه أحمد والطبراني، ورجاه ثقات. انتهى.

ثانياً. السفر الثاني من النسخة (أ): توفرت لدي نسخة مصورة منه صورت على نسخة مصورة أيضاً، توجد بمكتبة المعهد العالي للقضاء بصنعاء برقم (٢١٢) بتاريخ ١٤١٥/٥/٢٠ هـ الموافق ١٩٩٤/١٠/٢٤ م، صورت على مخطوط في ملك خزانة المدرسة العممية بحوث، أحضرها للتصوير إلى مكتبة المعهد العالي للقضاء الأخ العلامة محمد بن عبد الله الشريعي (رئيس محكمه استئناف سبئون حالياً)، وفي أول هذه النسخة استمارة من المعهد العالي تحتوي على بيانات متعلقة بالنسخة، كرقمها في مكتبة المعهد وتاريخ تصويرها، وعنوانها واسم مؤلفها، وكتابتها،

وتاريخ كتابتها، وعدد صفحاتها، ونوع خطها واسم ملكها، واسم من أحضرها للتصوير وغير ذلك من البيانات.

وهذا السفر من هذه النسخة عدد صفحاته (٣٩٧) صفحة بما في ذلك صفحة العنوان، ومقاس الصفحة الواحدة ٢٩×٢٠ سم، وعدد أسطر الصفحة تتفاوت ما بين ٣٥ سطراً إلى ٣٦ سطراً، واسم ناسخها مجهول، ونوع خطها نسخي قديم جداً، قليل التنقيط، وكثير من كلماتها متداخلة بعضها ببعض، بمعنى أن كلمة ما يتصل أولها بنهاية لكلمة التي قبلها، مما يعسر فهمها وتمييزها إلا بعد جهد مضمّن، وهذا أحد أهم الصعوبات التي واجهتني في التحقيق، بالإضافة إلى رداءة التصوير وعدم وضوح أطراف بعض الصفحات، ولكن النسخة (ب) والنسخة الأخرى من الكتب كانتا بمثابة القنطرة في تمييز ما أتهم من هذا السفر أو عدم وضوحه، فساعدتني هاتان النسختان على فهم ما التبس من ذلك ومعرفته.

وعناوين حطب أمير المؤمنين علي عليه السلام وكتبه ووصاياه وعهوده كتب في هذه النسخة بالخط الكبير فيسهل قراءتها بسهولة، ونص كلام أمير المؤمنين في هذه النسخة عليه علامة غيظه عن شرحه، وذلك بتلوين مكان كتابه بحبر أو مادة معينة لا تؤثر على وضوحه، فهو يبرز واضحاً جلياً من بين ذلك، وكما هو واضح من خلال النسخة هذه فلا أدري ما لون المادة المستخدمة في ذلك، فالذي بين يدي هو نسخة مصورة تصويراً عادياً.

وتتميز هذه النسخة بالدقة، والتحريف أو التصحيف لا يوجد فيها إلا على جهة القلة والندرة، وبعض الكلمات مكبرة مثل قوله: سؤال، وحوابه.

والصفحة الأولى من هذا السفر هي صفحة العنوان، وهو مكتوب
بخط الكبير ولفظه: (السفر الثاني من كتاب الديباج الوضي في الكشف
عن سرار كلام الوصي).

وتحت اسم المؤلف فقل فيه: (للشريف الحسيني يحيى بن حمزة تجاوز
الله عنه وعفا)، وتحت ذلك من الجانب الأيمن مقدار أربع كلمات لم
يتصح لي مفهومها بسبب عدم وضوحها في التصوير، ثم كتب تحتها اسم
المؤلف ثانياً وهو بخط كبير قال فيه: (ألفه وأنشاه وكشف غامضه وحلاه
السيد الإمام، الأفضل العلامة العَلَم الأطول شرف العترة جمال الأئمة
عماد الدين، كعبة المسترشدين يحيى بن حمزة أطال الله بقاءه،
وحرس علائه).

ومن خلال هذا التعريف الثاني باسم المؤلف يتصح لنا من قوله: أطال
الله بقاءه، أن هذا السفر نسخ في حياة المؤلف وعلى عهده وأنه من أقدم
نسخ الكتاب.

وفي أسفل صفحة العنوان عبارة بالخط الكسر في سطرين كتبت من
الوسط لفظها: (الحمد لله على فضله وجوده ونعمائه، والصلاة على
محمد رسوله وسيد أنبيائه وآله الطيبين).

وفي نهاية الصفحة وفي حدود ثلاثة أسطر كتبت من الوسط كتابة غير
وضحة، ولم يتضح منها سوى قوله: (هذا الكتاب) ويرجع السبب في
ذلك إلى عدم وضوح التصوير، ولعل ذلك تمليك للكتاب والله أعلم.

أول هذا السفر:

(بسم الله الرحمن الرحيم، اللهم عونك يا أكرم الأكرمين ولطفك،
ومن خطبة له (عليه السلام) في الوعظ: (انتفعوا ببيان الله): بالأدلة التي نصيها
وقررها، فالأدلة العقلية دالة على وجوده وتوجيهه، والأدلة الشرعية
دلالة على المصالح والمفاسد من دينه)

آخره:

(وكان الفراغ منه في شهر ربيع الآخر من شهر سنة ثمان
عشرة وسبعمائة).

وكتب بعد ذلك عبارة بالخط الكبير ولي تبدو أنها بخط الناسخ قال
فيها: (الحمد لله على كل حال من الأحوال، والصلاة على محمد وعلى
آله خير عترة وآل)

٢- النسخة (ب)

وهي نسخة مصورة أيضاً على أصلها المخطوط الذي يوجد بمكتبة
الأوقاف بالجامع الكبير بصنعاء، وهي نسخة كاملة بسفري الكتاب (الأول
والثاني)، وحصلت عليها بعد جهد مضن، وهي نسخة جيدة جداً، وتقع
في (٤٧٢) ورقة أي (٩٤٤) صفحة، السفر الأول منها يقع في (١٩٦)
ورقة أي (٣٩٢) صفحة، والسفر الثاني يقع في (٢٧٨) ورقة أي (٥٥٦)
صفحة، وهي بخط ناسخ واحد، وهو عبد الحفيظ بن عبد الواحد بن
عبد المنعم النزيلي، ونوع الخط نسخي جيد جداً، فرغ من نسخة السفر
الأول ظهر يوم الجمعة الأغر ثاني وعشرين خلت من شهر رمضان

سنة ١٠٧١هـ، وفرغ من نساخة السفر الثاني ضحى يوم الإثنين المبارك ثامن شهر ربيع الأول سنة ١٠٧٢هـ

ومقاس صفحات هذه النسخة: ١٧×٢٠ اسم، وعدد أسطر الصفحة الواحدة تتفاوت من (٢٩) إلى (٣٠) إلى (٣١) سطرًا، والغالب (٣١) سطرًا.

وتتميز هذه النسخة أن جميع صفحاتها مسطرة من جميع الجوانب كما احتوت على كثير من الهوامش بين السطور أو على جوانب لصفحات والتي غالبيتها تتحدث عن الفروق بين النسخ سواء كانت نسخاً من الكتاب أم من متن النهج، وقد أثبت ذلك في هوامش الكتب.

كما تتميز هذه النسخة بنوع خطها فهو كما أشرت إليه جيد جداً، وهو واضح ومقووط يسهل قرؤه وقليل ما يوجد فيها تحريف أو تصحيف، وعناوين خطب أمير المؤمنين علي (عليه السلام) وكتبه وعهوده ووصاياه مكسرة بالحظ الكبير، وكذا بعض الكلمات مثل: سؤال، وجوابه، أو والجواب، وهكذا، وكلام أمير المؤمنين علي (عليه السلام) الوارد في كتاب نهج البلاغة مكتوب بالمداد الأحمر، والتشرح بالمداد الأسود، عرفت ذلك من خلال وقوفي على أصلها لمخطوط

احتوت الورقة الأولى من السفر الأول على العنوان، وذلك في صفحة واحدة منها قل فيه: (كتاب الديباج الوصي في الكشف عن أسرار كلام الوصي).

تحت ذلك مباشرة اسم المؤلف قال فيه: (نظم شذوره وحمائه

وتلخيص معانيه وبيانه، وحيد زمانه وفريد أوانه، تاج العترة المكلل وطرار المجد الرفيع الأول: الإمام المؤيد بالله أبو الحسين يحيى بن حمزة بن علي الحسيني أيداه الله).

وتحته كتب: (بخزانة سيدنا القاضي العلامة فخر الأمة صلاح بن عبد الله الحبي حفظه الله ومتع بحياته. آمين).

وعلى هذه الصفحة عدد من التمليكات، فعلى الزاوية اليسرى من تحت العنوان والمؤلف تمليك لفظه:

(هذا الكتاب ملك الوالد الحاج العزي محمد بن أحمد بن علي العرجبي أطل الله بقاءه بالبيع الصحيح بتاريخه شهر محرم سنة ١٣٠٠هـ).

يليه تمليك آخر وبخط مختلف عن التملك الأول قال فيه: (الحمد لله، ملكه من فضل الله عليه محمد بن علي العزاني غفر الله له في شهر الحجة سنة ١٢٤٥هـ).

يلي ذلك مباشرة بخط مختلف عن سابقه قوله: (ثم صار بالميراث إلى ولده عبد الله بن محمد بن علي العزاني، ألحقه الله بأبيه صالحاً مسلماً وأحسن ختامه، وجعل ما بقي من أيامه بالمشي على نهج أبيه عالماً أو متعلماً شهر شعبان سنة ١٢٦٤هـ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه).

وبجانب ذلك التملك بخط أكبر من سابقه تمليك آخر لفظه: (الحمد لله وحده، صار هذا الكتاب العظيم من فضل الله العلي الكريم ملكي بالشراء بواسطة علي دخان النادي بالكتب بثمان واثم مسلماً إليه،

والحمد لله رب العالمين، بحمد محمد وآله صلى الله وسلم عليهم يحيى بن صالح بن يحيى السحولى عفا الله عنهم) وهذا التمليك مجهول التاريخ.

وفي أسفل هذه الصفحة أيضاً تمليك آخر قال فيه: (الحمد لله، ثم صار حمد الله سبحانه في نوبة الحقيير إلى مولاه لعللي الكبير، محمد بن يحيى مداعس وفقه الله تعالى، بطريق الشراء الصحيح بتاريخه ربيع الآخر سنة ١٣٣٤هـ فله الحمد وسبحان الله وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم).

وفي الجانب الأسر من هذه الصفحة أربعة تمليكات أخرى قال فيها على التوالي:

١- الحمد لله انتقل إلى ملك الفقير (الحقيير) إلى ربه العلي محمد بن أحمد بن عبد السلام النزلي باوحيه الصحيح الشرعي، والحمد لله رب العالمين. (وهذا التمليك بدون تاريخ).

٢) من فضل الله على عبد الله بن محسن بن أمير المؤمنين بن المؤيد بالله غفر الله له ولوالديه بتاريخ ربيع الآخر ١١٤٠هـ.

٣- صار من كتب الفقير إلى الله العني أحمد بن عبد الرحمن موسى. (وهذا بدون تاريخ).

٤- أفقر العباد إلى رحمة الله السيد إسماعيل بن محمد فابع عفا الله عنه. (وهذا أيضاً بدون تاريخ).

وفي أعلى الصفحة أيضاً تمليك آخر لفظه:

(الحمد لله رب العالمين، من حزانة مولانا أمير المؤمنين المتوكل على الله

رب العالمين يحيى بن المنصور بالله محمد بن يحيى حميد الدين أطل الله مدته، ذي القعدة الحرام سنة ١٣٥٣هـ).

وفي أول صفحة من المخطوط وهي بدايته والتي تلت صفحة العنوان، على الجانب الأيمن منها وقفية للكتاب من الإمام يحيى حميد الدين وهي بخط ممتاز قال فيها:

(الحمد لله من وقف مولانا أمير المؤمنين المتوكل على الله يحيى بن أمير المؤمنين المنصور بالله محمد بن يحيى حميد الدين طول الله عمره، على مكتبة الجامع المقدس، من جملة الكتب الموقوفة هالك بنظر الحافظ وعلى الشروط المحررة بالقلم الشريف في غرة السجل العام الموجود بيد الحافظ وصورته لدى ناظر أوقاف صنعاء، وفقاً صحيحاً شرعياً نافذاً من حينه، تقبل الله منه وجزاه خيراً، وحرر بتاريخه شهر ربيع الثاني سنة ١٣٦٠هـ).

أول السفر الأول:

(بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله الحكيم الذي أنطق لسان الإنسان فأفصح بوحوده وحقائق عرفانه، المان الذي أوضح لنا منار البرهان، فكشف لنا عن باهر حكمته وعظم سلطانه، القيوم الذي تضاءلت عقول العقلاء عن الإحاطة بدقيق صنعه وإتقانه)

آخره:

(وقد نجز غرضنا من شرح كلامه هذا على ما اشتمل عليه من الأسرار والمعاني، واحمد لله، والله در نصائح أمير المؤمنين فيما بدله للخلق،

وأعلاها وأحقها برضوان الله وبمطابقة مراده وأولاها، فلقد نال من الله عظيم الزلفة وعلو الدرجات، وقام بما بذله في ذاته من عظيم الأجر، ومضاعفة الحسنات)

وقال الناسح بعد ذلك ما لفظه .

(تم السفر الأول من كتاب الديباج الوصي في الكشف عن أسرار كلام الوصي، والحمد لله أولاً وآخراً وباطناً وظاهراً على تمامه وكتبه، والله المسئول أن يفع به المؤمنين، وأن يأجر من أنشأه وجبر يابيعه للناهلين، وأن يجعله يوم القيامة له سوراً، وأن يعقر لنا وله ولجميع المسلمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الأمين وآله الميامين وصحابته أجمعين. فرع من رقم هذه السخنة الضمنية الجليلة الثمينة، الجديرة بأن تشرى بالمهج، فضلاً عن العرص الأحج، وأن يظن بها عن الحبيب ولا حرج، ظهر يوم الجمعة الأغر ثاني وعشرين حلت من الشهر الأشهر، ذي الفضل الأحول الأكرم، شهر رمضان المعظم من عام إحدى وسبعين وألف، سنة (١٠٧١هـ) من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى السلام، ما رقم حرف بالأقلام، بخزانة سيدنا القاضي الأعلم الأوحد الأجد الأكرم، علي الهمة، فخر (كلمة غير مفهومة) ذي السؤدد الذي لا يضاهي، والفجر الذي لا يتباهى، والعناية التامة، والهمة السامية، تسييد أركان الوراثة النبوية وتأيد بهاها، من لا يضبط محامده القلم ولا بعضها، ولا يسامي سماها، ضياء الدين صلاح بن عبد الله الحبي أحيا الله ذاته وحيها، وبلغه من الآمال متهاها، وحرس مهجته وأطال بقاها، وغمر بركته وعلومه وسناها، على مر الدهور ومداه،

بيد العبد الفقير المعترف بالتقصير عبد الحفيظ بن عبد الواحد بن عبد المنعم الزبلي تولاه الله وبلغه من الآمال أفصها). انتهى.

وكتب في آخر هذه الصفحة ما لفظه .

(بلغ مقابلة وتصحيحاً على الأم المنسوخ عليها بحسب الطاقة والإمكان والاعتناء التام وإن كان في الأم بعض سقم والأغلب الصحة، وقل من ينجو من الخطأ والزلل إلا كتاب الله عز وجل، بتاريخ نهار الإثنين سادس عشر شهر شوال سنة ١٠٧١هـ، بخط مالكة الفقير الحقير صلاح بن عبد الله الحبي).

ومن اوراقه (١٩٧) بدأ السفر لثاني من الكتاب، احتوت الورقة (١٩٧) على العنوان، واسم المؤلف كتبها داخل دائرة مقوشة جميلة الشكل، فقال:

(السفر الثاني من كتاب الديباج الوصي في الكشف عن أسرار كلام الوصي). يليه اسم المؤلف فقال فيه: (ألفه وأنشأه وكشف غامضه وجلاه لسيد الإمام الأفضل، العَلَم العلامة الأطول، شرف العترة، وجمال لأسرة، عماد الدين، كعبة المسترشدين، منهل شرب الصادين، وحيد زمانه وفريد أوانه، الإمام المؤيد بالله أبو الحسين يحيى بن حمزة بن علي الحسيني قدس الله روحه الطاهرة في الجنة، وأعاد من بركاته لوليه).

وكتب تحت ذلك داخل دائرة أيضاً جميلة الشكل وأصغر من سابقتها وبخط جميل قوله:

(بخزانة سيدنا القاضي العلامة حدن وحوور عين الكتب، انملى لما فيها

شوق وحب، ذروة الكمال وعين أعيان أهله، الفخر الذي لا ينال،
رواسطة عقد اللائ، صياد الدين صلاح بن عبد الله الحبي، أحياء الله بطول
بقه كل إحياء، وجمع له خيرى الآخرة والدنيا، وأحسن له الآخرة).

أول السفر الثاني من هذه السخنة:

(بسم الله الرحمن الرحيم، ومن خطبة له (عليه السلام) في الوعظ، (انتصروا
سيان الله): بالأدلة التي نصيها وقررها، فلأدلة العقلية دالة على وجوده
وتوحيده، والأدلة الشرعية دالة على المصالح والمقاسد من دينه... إلخ).

آخره.

(وكان الفراغ منه في شهر ربيع الآخر من شهور سنة ثمانى عشرة
وسبعمائة، تم كلام الإمام المؤيد (عليه السلام)، عظم الله أجره وشكر سعيه. اتفق
لفراغ من رسم هذه النسخة الكريمة التي هي للمثل عديمة، باللغة في
لرشفة والعناية والروقة الغاية، الوحيدة السخ، العديمة المثل، الموصوفة
بالنهاية التي لا يحيط بحاسنها ذاتاً واسماً ومعنى، ويعبى ذلك أتم نعتها بما
ذكره ليعرف قدرها ويضن بها عن الاسدال والسماحة، ولو كان فيه أعظم
مطلب وإنجاحه، ضحى يوم الإثنين المبارك من يوم في شهر ربيع الأول
من شهور عام اثنين وسبعين وألف عام من هجرة بينا محمد عليه وعلى
آله أفضل الصلاة والسلام، أبرزها كريم السعاية وعظيم العناية والإيثار
لها على سائر ضروريات اللوارم التي لا بد منها، واشتداد الرعة وحملها
أعظم طلبة لا غنى عنها من مالكة سيدنا القاضي العلامة الذي لم يدع
فخراً إلا قصده وأمه، واستولى عليه وزمه، ولا علواً إلا احتمل في بلوغه
إليه كل أزمة حتى يبلغ منه مراده، ففاق أهل الآفاق، وراق تبعه

في الأوراق، ولم يحص القلم بعض محاسنه الرشاق: صلاح بن عبد الله
الحبي، بلغه الله من فضله ما يرجى ومتع المسلمين بطول مدته وبقاء وجهه
الوصي وتقبل منه ذلك السعي الحميد والوصل المديد وجازاه عليه
بالفضل الثري ليس عليه مزيد وجعله خالصاً لوجهه الكريم مقرباً لنا وله
من جنات النعيم وتشرف برقم الكتاب الجليل والسفر الجميل ذكرى
بالدعاء الصالح من مالكة والناظر فيه الفقير إلى كرم مولاه القدير
عبد الحفيظ بن عبد الواحد بن عبد المنعم بن عبد الرحمن بن الحسين
النزيلي، غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين سائلاً الدعاء بحسن الخاتمة
والتوفيق إلى ما يرصى الله سبحانه والعصمة عن معاصيه، ورضوانه
الأكرم، وبلوغ الأمل والوطر في الدنيا والآخرة، وسبحان الله والحمد لله
ولا إله إلا الله والله أكبر كلما كتب بكتب حرف وكلما ذكره الذاكرون،
وعقل عن ذكره الغافلون أبداً مضاعفاً وصلى الله على سيدنا محمد وآله
وصحبه وسلم والحمد لله رب العالمين).

وقال في آخر صفحة منه:

(الحمد لله، بلغ مقابلة وتصحيحاً على حسب الطاقة والإمكان على
نسختين لم يكر فيهما قوة الصحة، ولكن فقد أفادت كل واحدة ما لم
تقد الأخرى، فله الحمد كثيراً بكثرة وأصيلاً، في الليلة الأسفر فيها صبح
الخميس يوم ٢٥ شهر جمادى الأولى سنة ١٠٧٣هـ بمحروس المحويت،
وبه الحمد كثيراً بكثرة وأصيلاً، وسأله أن يوزعنا شكر نعمه ويفتح علينا
بأعمال بمقتضيات كلام أمير المؤمنين وحكمه، بحق محمد وآله، كتب مالكة
الفقير صلاح بن عبد الله الحبي لطف الله به)

وفي جانب آخر صفحة منه كتب: (الحمد لله فرغ من قراءته عبد الله الفقير إليه في أوقات أخرى ضحوة يوم الجمعة ٢٣ جمادى الآخرة سنة ١٢٨٦هـ). ولم أعرف اسم كاتب هذه العبارة لأنه مغموس عليه.

٣- النسخة الثالثة وهي نسخة مساعدة وهي نسخة مصورة أيضاً وقد أفدنتني كثيراً، وهي نسخة غير كاملة ومتنوعة من أولها عدد كبير من الصفحات وكذا من آخرها بالإضافة إلى عدم الدقة في ترتيب صفحاتها عند التصوير، وهي مسوعة أخطوط بقلم أكثر من ناسخ، فجاءت خطوطها متفاوتة بين ضعيف وحيد، وعناوين خطب أمير المؤمنين وكتبه وعهوده ووصاياه مكتوبة بالخط الكبير، وناسخها مجهول، وتاريخ النسخة يسفر الأول سنة ٩٤٩هـ، وقال في آخر السفر الأول منها: وقد تجز غرضنا من شرح كلامه هذا على ما اشتمل عليه من الأسرار والمعاني والحمد لله، وله در بصائح أمير المؤمنين فيما بدله لنحلق وأعلاها، وأحقها برضوان الله ومطابقة مراده وأولاهاء، فنقدنا من الله عظيم الزلفة وعلو الدرجات وفاز بما بذله في ذاته من عظيم الأجر ومضاعفة الحسنات).

وقال الناسخ بعد هذا: (تم السفر الأول من كتاب الديباج الوصي في الكشف عن أسرار كلام الوصي في العشر الأواخر من جمادى الأولى من سنة تسع وأربعين وتسعمائة، والحمد لله أولاً وآخراً وضاهراً وباطناً، والصلاة على سيدنا محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين، وحسبنا الله ونعم الوكيل).

عملي في التحقيق

١- قمت بمقابلة المصنوفة على النسخة التي تم عليها لصف وهي النسخة التي رمرت لها بالحرف (أ) وذلك لضبط النص وتصحيحه وتمويمه، ثم بعد الانتهاء من مقابلة المصنوف على النسخة (أ) قمت بمقابلته ثانية على نسخة أخرى من الكتاب وهي التي رمرت لها بالحرف (ب)، وفي خلال ذلك استعنت بنسخة ناشئة للمخطوط، وذلك بالرجوع إليها فيما اشتبه والتبس في النسختين، وأثبت الفروق بين النسخ وأشرت إلى ذلك في هوامش الكتاب، وفي حال وجود كلمة أدق وأوضح في النسخة (ب) أو في النسخة الثالثة أدرجت ذلك ضمن نص الكتاب وأشرت إلى ذلك في الهامش بجعل الكلمة الواردة في (أ) فيه مع توضيح السبب في ذلك مهما أمكن.

٢- قسمت النص إلى فقرات، والفقرات إلى جمل، واستخدمت في ذلك علامات الترقيم المتعارف عليها.

٣- خرجت أغلب ومعظم الأحاديث النبوية الواردة في الكتاب وهي كثيرة جداً، خرجت ذلك مهما أمكن وفي حدود المراجع التي بين يدي. واعتمدت في تخريج بعضها على الكمبيوتر.

٤- قارنت كثيراً من نصوص كلام أمير المؤمنين علي (عليه السلام) الواردة

في الكتاب مع كتاب نهج البلاغة المطبوع، وأشارت إلى مواضع الفروق والاختلافات في الهامش.

٥- قمت بتفسير الكثير من الكلمات اللغوية واعتمدت في ذلك على قواميس اللغة المشهورة والمتوفرة لدي.

٦- ترجمت لكثير من الأعلام الواردة أسمائهم في الكتب، وتركت كثيراً من المشاهير منهم لشهرتهم، وذكرت المصدر في كل ترجمة.

٧- وثقت الكثير من الشواهد الشعرية اللغوية الواردة في الكتب في الهامش، وذلك بذكر اسم الكتاب الوارد فيه كل شاهد على حدة، وذكر اسم قائله إن وجد، ولم يذكره لمؤلف، أو روي لقائل آخر، وذكر شرحه من المصدر المذكور فيه مهما أمكن.

٨- بحثت عن الكثير من الروايات التاريخية وغيرها التي ذكرها المؤلف، والتي لم يعزوها إلى مصدرها، فما وجدته من ذلك ذكرته في الهامش وذلك بذكر المصدر وغير ذلك مما يستلزم التوضيح.

٩- رجعت فيما أمكنني إلى المصادر التي بين يدي والتي ذكرها المؤلف ورجع إليها وأشارت إلى ذلك في الهامش.

١٠- رقت خطب أمير المؤمنين علي (عليه السلام) أو ما يجري محراها المذكورة في الكتاب وكذلك الكتب والرسائل والحكم القصيرة، ترقياً متسلسلاً لتمييز كل خطبة أو كتاب أو حكمة قصيرة على حدة.

١١- أثبت في النص بعض عناوين الخطب التي لم ترد عناوينها في الكتاب، ووردت في شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد،

أو في كتاب نهج البلاغة بشرح الشيخ محمد عبده، أو أي كتاب لنهج البلاغة مطبوع تمكنت من مطالعته، وجعلت ذلك بين معقوفين وأشارت إليه في الهامش.

١٢- علقت في الهامش على بعض نصوص الكتاب وتوضيحتها، وذكر بعض الفوائد المتعلقة بها، بغية إمتاع القارئ وخدمة للنص وطلباً للمزيد من الفائدة، وإبانة ما عساه يلتبس أو يشتبه، واعتمدت في ذلك على أقوال العلماء والباحثين

١٣- جعلت نص كلام أمير المؤمنين علي عليه السلام بين قوسين وميز انص بينهما بالعلم الكبير.

الكتب لإخراج النهائي، وذلك بقراءته ومتابعة عمليتي التنسيق والإخراج، وأشكر كثيراً الأخ الأستاذ عبد الحفيظ النهاري على جهوده الكبيرة في الإشراف على إخراج الكتاب وكذلك أخي الطباع / خالد الزيلعي والذي قام بطباعة الكتاب، وكان متميزاً في جميع مراحلہ بالدقة والإجادة.

كلمة شكر

ولا يقوتني أن أتقدم بحالص الشكر والتقدير لكل من مدّ لي يد العون والمساعدة في تحقيقي لهذا الكتاب الجليل وأخص بالذكر أستاذي العلامة المؤرخ المحقق الأديب الأستاذ الفاضل / عبد السلام بن عباس الوحيه الذي قام معي بدور كبير في سبيل إنجاح هذا العمل وإخراجه لسرى النور، فأمدني بالمصادر والمراجع العديدة من مكتبته الخاصة في الحديث واللغة والتأريخ والترجم، والتي رجعت إليها في جميع مراحل الكتاب فأفادتني كثيراً. كما أنه حفظه الله قد بذل معي جهداً كبيراً، فتفصل بمراجعة الكتاب وقراءته قل طباعته وإخراجه الإخراج الهائي، وأتحفني بملاحظاته الموضوعية والمنهجية ولفظ انبهاهي إلى معلومات وتوضيحات وتصويبات واستدراكات لم تكن في الحسبان، وعلى العموم فإنني لا أستطيع أن أفيه بحقه، ولكني أسأل الله سبحانه وتعالى أن يجزيه عني خير الجزاء وأن يكتب له عمله ذلك في صحيفة حسنة، إنه سميع مجيب الدعاء.

كم لا أنسى أن أتقدم بالشكر الجزيل لأخي الشقيق الأستاذ الفاضل / محمد بن قاسم من محمد المتوكل الذي بدوره بذل معي جهوداً كبيرة في مقابلة النسخ ومتابعة التصحيحات، وكذلك أخي النزيل الأستاذ الفاضل / أحمد بن محمد بن عباس، سحاق، والذي قام بدور كبير تمثل في توفير النسخ الخطية المصورة من الكتاب، وبذل جهداً قبل إخراج

كما لا يقوتني هنا أن أتقدم بالشكر الجزيل والعرفان الكبير والتقدير والاحترام للأحوة القائمين على مؤسسة الإمام زيد بن عبي الثقافية، أولئك الجنود الأوفياء الذين يبذلون كل ما في وسعهم من وقت وجهد ومال في سبيل إنجاز مثل هذه الأعمال في طباعة كتب التراث الإسلامي في اليمن وإخراجه إلى النور، والذي لا يزال معظمه في عداد المخطوطات، وقابلاً في أدرج المكتبات الخاصة والعامة، فألى جميع أولئك وإلى من عداهم ممن ساعدني في هذا العمل أبعث إليهم جميعاً ومرة أخرى أسمى آيات الشكر والعرفان والتقدير والاحترام سئلاً الله العليّ القدير أن يكتب لهم ولي بكل حرف حسنة، وأن يجعل ذلك من أفضل ما يصعد إليه من العمل الصالح، وأن ينفع به الإسلام وأهله إنه ولي ذلك والقادر على ما هنالك

وختاماً أسأل الله العليّ العظيم أن يجعل غنائي في تحقيق هذا الكتاب خاصاً لوجهه الكريم، وأن يعتق رقبي ورقاب وادي وجميع المؤمنين والمؤمنات من النار وأن يعز الإسلام وأهله، ويذل الشرك وحزبه، إنه على ما يشاء قدير وبالإحابة جدير، وحسبنا الله وحده، وصلوات الله وسلامه على سيدنا وحبيبنا ومولانا ونبينا محمد بن عبد الله وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين.

خالد بن قاسم بن محمد المتوكل

صنعاء بأريخته ٢٩ / ربيع الثاني / ١٤٢٤ هـ

الموافق ٢٩ / ٦ / ٢٠٠٣ م

كتاب التداوي الوصي

طهر شد و از او جدا گردید و در خانه و بیرون
و خود را به روضه و قریه و بیابان و کوه و دریا

ملک ۲۵۴

[illegible]

الحمد لله

الموضع المذكور

وہی وہی ہے

1598

مجلسه ۱۰۰

... ..

[illegible]

١٥٠
 ١٥١
 ١٥٢
 ١٥٣
 ١٥٤
 ١٥٥
 ١٥٦
 ١٥٧
 ١٥٨
 ١٥٩
 ١٦٠
 ١٦١
 ١٦٢
 ١٦٣
 ١٦٤
 ١٦٥
 ١٦٦
 ١٦٧
 ١٦٨
 ١٦٩
 ١٧٠
 ١٧١
 ١٧٢
 ١٧٣
 ١٧٤
 ١٧٥
 ١٧٦
 ١٧٧
 ١٧٨
 ١٧٩
 ١٨٠
 ١٨١
 ١٨٢
 ١٨٣
 ١٨٤
 ١٨٥
 ١٨٦
 ١٨٧
 ١٨٨
 ١٨٩
 ١٩٠
 ١٩١
 ١٩٢
 ١٩٣
 ١٩٤
 ١٩٥
 ١٩٦
 ١٩٧
 ١٩٨
 ١٩٩
 ٢٠٠
 ٢٠١
 ٢٠٢
 ٢٠٣
 ٢٠٤
 ٢٠٥
 ٢٠٦
 ٢٠٧
 ٢٠٨
 ٢٠٩
 ٢١٠
 ٢١١
 ٢١٢
 ٢١٣
 ٢١٤
 ٢١٥
 ٢١٦
 ٢١٧
 ٢١٨
 ٢١٩
 ٢٢٠
 ٢٢١
 ٢٢٢
 ٢٢٣
 ٢٢٤
 ٢٢٥
 ٢٢٦
 ٢٢٧
 ٢٢٨
 ٢٢٩
 ٢٣٠
 ٢٣١
 ٢٣٢
 ٢٣٣
 ٢٣٤
 ٢٣٥
 ٢٣٦
 ٢٣٧
 ٢٣٨
 ٢٣٩
 ٢٤٠
 ٢٤١
 ٢٤٢
 ٢٤٣
 ٢٤٤
 ٢٤٥
 ٢٤٦
 ٢٤٧
 ٢٤٨
 ٢٤٩
 ٢٥٠
 ٢٥١
 ٢٥٢
 ٢٥٣
 ٢٥٤
 ٢٥٥
 ٢٥٦
 ٢٥٧
 ٢٥٨
 ٢٥٩
 ٢٦٠
 ٢٦١
 ٢٦٢
 ٢٦٣
 ٢٦٤
 ٢٦٥
 ٢٦٦
 ٢٦٧
 ٢٦٨
 ٢٦٩
 ٢٧٠
 ٢٧١
 ٢٧٢
 ٢٧٣
 ٢٧٤
 ٢٧٥
 ٢٧٦
 ٢٧٧
 ٢٧٨
 ٢٧٩
 ٢٨٠
 ٢٨١
 ٢٨٢
 ٢٨٣
 ٢٨٤
 ٢٨٥
 ٢٨٦
 ٢٨٧
 ٢٨٨
 ٢٨٩
 ٢٩٠
 ٢٩١
 ٢٩٢
 ٢٩٣
 ٢٩٤
 ٢٩٥
 ٢٩٦
 ٢٩٧
 ٢٩٨
 ٢٩٩
 ٣٠٠
 ٣٠١
 ٣٠٢
 ٣٠٣
 ٣٠٤
 ٣٠٥
 ٣٠٦
 ٣٠٧
 ٣٠٨
 ٣٠٩
 ٣١٠
 ٣١١
 ٣١٢
 ٣١٣
 ٣١٤
 ٣١٥
 ٣١٦
 ٣١٧
 ٣١٨
 ٣١٩
 ٣٢٠
 ٣٢١
 ٣٢٢
 ٣٢٣
 ٣٢٤
 ٣٢٥
 ٣٢٦
 ٣٢٧
 ٣٢٨
 ٣٢٩
 ٣٣٠
 ٣٣١
 ٣٣٢
 ٣٣٣
 ٣٣٤
 ٣٣٥
 ٣٣٦
 ٣٣٧
 ٣٣٨
 ٣٣٩
 ٣٤٠
 ٣٤١
 ٣٤٢
 ٣٤٣
 ٣٤٤
 ٣٤٥
 ٣٤٦
 ٣٤٧
 ٣٤٨
 ٣٤٩
 ٣٥٠
 ٣٥١
 ٣٥٢
 ٣٥٣
 ٣٥٤
 ٣٥٥
 ٣٥٦
 ٣٥٧
 ٣٥٨
 ٣٥٩
 ٣٦٠
 ٣٦١
 ٣٦٢
 ٣٦٣
 ٣٦٤
 ٣٦٥
 ٣٦٦
 ٣٦٧
 ٣٦٨
 ٣٦٩
 ٣٧٠
 ٣٧١
 ٣٧٢
 ٣٧٣
 ٣٧٤
 ٣٧٥
 ٣٧٦
 ٣٧٧
 ٣٧٨
 ٣٧٩
 ٣٨٠
 ٣٨١
 ٣٨٢
 ٣٨٣
 ٣٨٤
 ٣٨٥
 ٣٨٦
 ٣٨٧
 ٣٨٨
 ٣٨٩
 ٣٩٠
 ٣٩١
 ٣٩٢
 ٣٩٣
 ٣٩٤
 ٣٩٥
 ٣٩٦
 ٣٩٧
 ٣٩٨
 ٣٩٩
 ٤٠٠
 ٤٠١
 ٤٠٢
 ٤٠٣
 ٤٠٤
 ٤٠٥
 ٤٠٦
 ٤٠٧
 ٤٠٨
 ٤٠٩
 ٤١٠
 ٤١١
 ٤١٢
 ٤١٣
 ٤١٤
 ٤١٥
 ٤١٦
 ٤١٧
 ٤١٨
 ٤١٩
 ٤٢٠
 ٤٢١
 ٤٢٢
 ٤٢٣
 ٤٢٤
 ٤٢٥
 ٤٢٦
 ٤٢٧
 ٤٢٨
 ٤٢٩
 ٤٣٠
 ٤٣١
 ٤٣٢
 ٤٣٣
 ٤٣٤
 ٤٣٥
 ٤٣٦
 ٤٣٧
 ٤٣٨
 ٤٣٩
 ٤٤٠
 ٤٤١
 ٤٤٢
 ٤٤٣
 ٤٤٤
 ٤٤٥
 ٤٤٦
 ٤٤٧
 ٤٤٨
 ٤٤٩
 ٤٥٠
 ٤٥١
 ٤٥٢
 ٤٥٣
 ٤٥٤
 ٤٥٥
 ٤٥٦
 ٤٥٧
 ٤٥٨
 ٤٥٩
 ٤٦٠
 ٤٦١
 ٤٦٢
 ٤٦٣
 ٤٦٤
 ٤٦٥
 ٤٦٦
 ٤٦٧
 ٤٦٨
 ٤٦٩
 ٤٧٠
 ٤٧١
 ٤٧٢
 ٤٧٣
 ٤٧٤
 ٤٧٥
 ٤٧٦
 ٤٧٧
 ٤٧٨
 ٤٧٩
 ٤٨٠
 ٤٨١
 ٤٨٢
 ٤٨٣
 ٤٨٤
 ٤٨٥
 ٤٨٦
 ٤٨٧
 ٤٨٨
 ٤٨٩
 ٤٩٠
 ٤٩١
 ٤٩٢
 ٤٩٣
 ٤٩٤
 ٤٩٥
 ٤٩٦
 ٤٩٧
 ٤٩٨
 ٤٩٩
 ٥٠٠
 ٥٠١
 ٥٠٢
 ٥٠٣
 ٥٠٤
 ٥٠٥
 ٥٠٦
 ٥٠٧
 ٥٠٨
 ٥٠٩
 ٥١٠
 ٥١١
 ٥١٢
 ٥١٣
 ٥١٤
 ٥١٥
 ٥١٦
 ٥١٧
 ٥١٨
 ٥١٩
 ٥٢٠
 ٥٢١

3. =

[illegible][illegible]

وَمَا يَكْفُرُ لَكُمْ عَنْهُ عَلَىٰ عَهْدِهِ غُلُوبًا ۖ وَلَئِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ الْإِسْلَامَ فَاسْتَأْذِنُوا ۚ فَاذْنَبُوا عَلَيْهِمُ ۚ وَلَقَدْ كُذِّبَتْ عَنْ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ الْيَهُودِيِّ إِذْ قَرَّبَهُ بَرَاءً ۖ إِذْ قَالَتْ أَتَعْبُدُ الْبَنَاتِ السَّامِيَّ ۖ وَرَدُّوا عَلَيْهِ أَدْبَارَ مَا فَتَرَا ۚ وَلَقَدْ كُذِّبَتْ عَنْ حُذَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ الْيَهُودِيِّ إِذْ قَرَّبَهُ بَرَاءً ۖ إِذْ قَالَتْ أَتَعْبُدُ الْبَنَاتِ السَّامِيَّ ۖ وَرَدُّوا عَلَيْهِ أَدْبَارَ مَا فَتَرَا ۚ وَلَقَدْ كُذِّبَتْ عَنْ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ الْيَهُودِيِّ إِذْ قَرَّبَهُ بَرَاءً ۖ إِذْ قَالَتْ أَتَعْبُدُ الْبَنَاتِ السَّامِيَّ ۖ وَرَدُّوا عَلَيْهِ أَدْبَارَ مَا فَتَرَا ۚ وَلَقَدْ كُذِّبَتْ عَنْ حُذَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ الْيَهُودِيِّ إِذْ قَرَّبَهُ بَرَاءً ۖ إِذْ قَالَتْ أَتَعْبُدُ الْبَنَاتِ السَّامِيَّ ۖ وَرَدُّوا عَلَيْهِ أَدْبَارَ مَا فَتَرَا ۚ

[illegible][illegible]

Year: 1980
 Date: 10/10/80

... ..

بسم الله الرحمن الرحيم

[اللَّهُمَّ، أَعِنِّي وَسِّرْ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ]^(١)

الحمد لله الحكيم الذي أنطق لسان الإنسان فأفصح بوجوده، وحقائق عرفانه، المثان الذي أوضح لنا منار البرهان، فكشف لنا عن باهر حكمته، وعظيم سلطانه، القيوم الذي تضاءلت [عقول]^(٢) العقلاء عن الإحاطة بدقيق صنعه وإتقانه، وتلاشت أحلام ذوي الهوى عن إدراك حكمته، ومعرفة حقيقة شأنه، وكَلَّتْ ألسنة الفصحاء عن ضبط عوارفه وحصر مزيد إحسانه، المتعالي الذي قصَّ قوادم أجحة الفكر عن التحليق إلى تعريف ذاته، وأحسر جياذ أبصار ذوي البصائر عن التطلع إلى حقيقة صفاته، فسبحان من استغنى عن عبره في إحكام ما أبدع من المكونات وإثباته.

والصلاة على المتحب من طيبة العنصر الأطيب الراسخ، والمصطفى من سلالة المجد الأقدم الشامخ، مجد راسخ أصله فاستقر وأعرق، وعلا فرعه فغطى وبسق، وطابت مغارسه فأخضر وأونق، وصفت مشاربه فأثمر وأورق، وعلى صنوه الأعظم، وطوده المكرم، المشتق من طينته، والمشارك له في أصله وأرومته، مستودع الأسرار النبوية، ومستند^(٣) الحكم الدينية والدنيوية، وعلى آله الطيبين الهادين إلى منارات الدين وأعلامه، والموضحين لشرائعه وأحكامه، ما صلح فجر وأنار، وأظلم ليل وأسفر نهار.

(١) سقط من (ب)

(٢) زيادة في (ب)

(٣) في (ب) ومستند الأحكام: الحكم الدينية و الخ.

المتكاثرة، وهو البحر الذي لا يساجل^(١)، والجَمُّ الذي لا يحاقل^(٢).

وقلت في نفسي: كيف أرد مشرعاً ضنك الموارد، صعب المقاصد، يكاد تتضاءل فيه الأحلام، ويضيق فيه المطلب، ويصعب المرام، فشجعت جنائي^(٣)، واستحضرت فكرتي، وصقلت لساني، واثقاً بما عند الله لي من الإمداد بالألطف الحفية، والإعانة بالتوفيق المصالحية، وكان فيه غرضان:

أحدهما: الإبانة عن عظيم قدر أمير المؤمنين حيث كان سابقاً لمن تقدمه، وفائتاً لمن تأخر عنه، فعلى مثاله هذا كل خطيب مصقع، وعلى منواله نسج كل واعظ أروع.

وثانيهما: ما يكون في ذلك من مذخور الأجر^(٤) من الانتفاع بالزواجر الوعظية^(٥)، والحكم الأداة، والحجج الفاطمية، والراهمين النافعة، وخواهر اللغة العربية، وثواقب الكلم الدينية والدنيوية، بحيث لا يلقي محمداً في كلام من جميع السلف الأولين، ولا منسجاً في نظام من الخلف الآخرين، خاصة في علوم لتوحيد والحكمة وتنزيه الله تعالى عن مشابهة^(٦) الممكنات، وذكر المعاد الأخروي، بل إنما يؤثر عنهم القليل النادر والشاذ الشارد.

إد كان كلامه للعلية عليه مسحة^(٧) من الكلام^(٨) المعجز السماوي،

(١) لا يساجل بالحجم أي لا تكاثر، أصله من الرع بالسجل وهو اندلو المني.

(٢) الجَمُّ: الكثير، ولا يحاقل: أي لا يماخر بالكثرة، أصله من الحمل وهو الامتلاء، والمحادنة

المماخرة بالامتلاء، صرح حافض أي معلن (انظر شرح لهج لابن أبي الحديد ٤٦١/١).

(٣) اسجد بالعنتج: القلب

(٤) في (ب): الآخرة.

(٥) في (ب): الواعظية، ولعله سهو من الناسخ

(٦) في (ب): مشابهات.

(٧) يقولون: على فلان مسحة من جمال - أي علامة أو أثر - وكأنه يريد هاهنا ضرواً وصفاً.

(٨) انظر شرح لهج لابن أبي الحديد ٤٥٠/١.

أما بعد: فإني حردت همتي، وشحذت غراري^(١) عزمي، في هذا الإملاء بعد استخارة ذي الطول، والاستعانة من له القوة والحول، إلى إنصاح ما وقع في كلام أمير المؤمنين من تفسير ألفاظه العربية، وإظهار معانيه اللطيفة العجيبة، وبيان أمثاله الدقيقة، ولطائف معانيه الرشيقة، وغير ذلك مما يشتمل عليه كلامه للعلية، إذ كان كلامه قد رقى لي غايته لفصاحة في لفظه، والبلاغة في معناه، إدهو منشأ البلاغة ومولدها، ومشرع الفصاحة وموردها، وعينه كان تعويل أربابها، وضالة طلابها، فلا واد من أودية الفصاحة إلا وقد ضرب فيه محظ وافر ونصيب، ولا أسلوب من أساليب البلاغة إلا وله فيه القدر الملائم، والتؤم والرقيب^(٢)، وهذا مع اعتراضي بكلول أجد عن بدوغ ذلك الحد في شرح مشكلاته، وإقراري بقصور باعي، وضيق ربيعي^(٣) عن كشف معضلاته، لكن ليس الغرض المعتمد أن أستولي على ذلك الأمد، ولا الغرض الأقصى هو الإحراز والإحصاء، ولقد صدق من قال: ومتى تبلغ الكثير من الفضل إذا كنت تاركاً لأقله.

مع أنني عند شروعي في هذا الإملاء خيل لي أن المرام خطب عسير فجعت أخطو خطو البطيء المتشاغل، وأنهض نهوض الحسير المتكاسل، لاشتغاله على الأسرار الحمة الدثرة^(٤)، واحتوائه على النكت الغزيرة

(١) الغرار: جد الرمح والسيف ولهم (ديبان، عرب ٩٧٣/٢).

(٢) التؤم: هو مرل الحوزاء، ويطلق أيضاً على سهم من سهام البسر أو ثنيها، والرقيب الحارس وهو أيضاً نجم من نجوم المطر يراقب حملاً آخر، ويطلق أيضاً على الثلث من قدام يسر وعلى أمين أصحاب الميسر أيضاً (انظر لعموس المحيط ص ١٣٩٨، ص ١١٦).

(٣) ربيعة ابن رطل - شأنه وحاله التي هو رابع عليها أي ثابت مقيم (نهاية ابن الأثير ١٨٩/٢).

(٤) الدثرة: الكثير، مال دثر أي كثير

وفيه عمقه^(١) من رائحة الكلام اسبوي، فلما سيكه نبار الفكرة في بوتق التحقيق، وصار ذهباً خالصاً يموج في قالب أنيق، سميت بكتاب: (الديباج الوضي، في الكشف عن أسرار كلام الوصي)، ليكون اسمه موافقاً لسماءه، ولفظه مطابقاً لمعناه، حيث كانت^(٢) العلوم درر وهو تاجها، وحللاً وهو ديباجها.

وأنا أسأل الله بجلوه الذي هو غاية كل طالب وسائل، وكرمه الذي هو نهاية كل مطلوب وسائل، أن يوفق سعياً لما يرضيه، ويعينني على ما أقصده من ذلك وأبغيه، ويجعله لوجهه^(٣) حاصلاً، ونعم المستول.

(قل اشريف المؤلف رضي الله عنه). واعلم أنا قبل الخوض في كشف الغطاء عن لطائف كلامه وإطهار الأسرار منه، تذكر مقدمة مشتملة على تقارير ثلاثة تكون تمهيداً لما نريد ذكره من بعده بمعونة الله.

التقرير الأول

في بيان الكتاب الذي كان هذا الإملاء شرحاً له

وهو كتاب: (نهج البلاغة) الذي ألفه السيد الإمام ذو الحسين، أبو أحمد الحسين بن موسى الحسيني^(١). وهو ما حدثني به

(١) في (٢). كلام، وب أثبه من (ب).

(١) عمقه راجع

(٢) في (١) ك

(٣) سمع من (ب).

(٤) في (ب). أبو أحمد بن موسى الحسيني، وفي (ب) أيضاً حاشية، لفظها. في كتاب الخدائق للمفيد الشهيد رحمه الله، هو: أبو الحسن محمد بن الحسين بن موسى بن محمد بن موسى بن إبراهيم بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام. تمت نسب. وب ذكره في الخدائق هو الصحيح، وكما ذكره في الخدائق هو كذلك في شرح لهج لابن أبي الحديد (٣١/١) والشريف الرضي ولد سنة ٣٥٩هـ. وتوفي في المحرم سنة ٤٠٤هـ. وكان رحمه الله عماد أئمة وشاعراً معتقاً، تصحح العلم، صمخ الألفاظ، وكان عفيف شريف النفس، عالي الهمة، =

شيخه^(١) سماعاً عليه بقراءته نفسه، عن شيوخه يبلغ بذلك إلى المصنف المذكور، وهو: كتاب باغ في فنه، يحتوي على المختار من كلام أمير المؤمنين، ويتضمن من عجائب^(٢) ابلاغة، وغريب الفصاحة ما لا يكاد يوجد في غيره من الكتب؛ لاشتماله على معاقده ومناظمه، واستيلائه على مقاصده وتراجمه، وإن وجد كلام لأمير المؤمنين في غيره فإنما هو على حجة النادرة، ومؤلف^(٣) هذا له فضل باهر وعلم واسع، وهو من فضلاء الإمامية والمشار إليه منهم.

وحكى الحاكم أبو سعد^(٤) أنه كان زيدي المذهب يرى رأي الزيدية، وله تقدم سابق في العلوم الأدبية، وإطلاع على علوم البلاغة، وإحاطة بعلوم البيان، ومن اطلع على نذ من كلامه عرف مصداق هذه المقالة، ولم أظفر بشيء من مصنفاته سوى هذا الكتاب.

ملتزم بالدين وقوانينه، وحفظ المراء بعد أن حاور ثلاثين سنة في مدة يسيرة (انظر ترجمه موسعة في

شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد (٤١:٣١/١)

(١) هو: نقاصي عفيف الدين سلمان بن أحمد الألباني من أعلام القرن السابع، سمع عن الشيخ أحمد بن أبي الخير الشماخي (سأ أبي داود)، وعلى الإمام يحيى بن محمد السمراسي (سيرة أبي هشام)، وعلى السيد العالم عامر بن زيد العباسي العلوي (أمالي السيد أبي طالب)، وسمع عليه (نهج البلاغة) وسمع عليه جميع ذلك الإمام يحيى بن حمزة طيفت الزيدية الكري - القسم الثالث ٤٧٦/١ - ٤٧٧

(٢) في (ب). عجب

(٣) في (ب): ومؤلفه.

(٤) هو الحاكم الحسني، الحسين بن محمد بن كرامة، ينتهي نسبه إلى الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) (٤١٣-٤٩٤هـ)، أحد أعلام الفكر الإسلامي وأئمة الكلام والتفسير، أصولي، معتزلي، ريدي، قرأ بفساد وغيرها، وهو من شيوخ العلامة الرعشمري بواسطة أبي مصر. ووفق إلى اليمن، قالوا: كان حفي المذهب عدلي الاعتقاد، ثم رجع إلى مذهب لرؤية الشعب، وله مؤلفات كثيرة منها: (التهديب في التفسير) في ثمانية مجلدات ضخمة، ومنها: (جلاء الأبصار)، ومنها: (السبينة) وغيرها. (انظر أعلام المؤلفين الزيدية ص ٨١٩-٨٢٣)

فأما (المجازات النبوية) فبما هي للسيد الإمام صدر الدين علي بن ناصر الحسيني^(١).

ومن اطلع عليها أيضاً عرف مكانه في الفضل، ومنزلته في الفصاحة، واضلاعه على العلوم العقلية والمباحث الأدبية، وقد قيل^(٢) في (نهج البلاغة) سموط من الآيات الشعرية مما يدل على فضله واستحقاق المدح بما هو من أهله

السمط الأول: للسيد الإمام علي بن ناصر الحسيني قال:

لله ذرٌّ بانهج البلاغة من نهج نجا من مهاوي الخهل سالكه
أودعت رهر نحوم صل منكره وحاد عن خذ^(٣) غيا مسالكه
لأنت ذرٌّ وبانته ناصمه وأنت نصر^(٤) وب لله مسالكه^(٥)

(١) قال في (الخواهر المصينه في معرفه رجال الحديث عند الزيدية)، علي بن ناصر الدين الحسيني، مدبر الشريف المرتضى، مؤلف (أعلام الروية على نهج البلاغة)، يروي نهج بلاغة عن (بيص في الأصل) وعنه رواه ومؤلفه أحمد بن أحمد أو زيد بن أحمد البهني، وكذلك فيروز شاه، سمع كتابه (أعلام الرواية) في الحيل، وفي (النسب) لأغا برك^٢ علي بن ناصر المعاصر بلشريف الرضي، وهو أول من شرح (نهج البلاغة) وسمى شرحه (بأعلام نهج البلاغة) وله مؤلفات منها: أعلام نهج البلاغة - خ -، ورسالة في تقرير ثلاث الجواب على مخرقة شمره يحيى بن الحسين في الستطاف، وقال: نسب إليه الإمام يحيى بن حمزة كتاب (معالم على نهج البلاغة)، وذكر أنه اثنا عشري (أعلام المؤلفين لزبديه ص ٧٢٥-٧٢٦)، وقد طبعت المجازات النبوية مسوية إلى الشريف المرتضى

(٢) في (ب) قيد

(٣) الجذذ جمع خذة بضم وهي الطريقة

(٤) أنصر بورن النصر: الذهب

(٥) أنت السيد علي بن ناصر الحسيني هي في كتابه (أعلام نهج البلاغة) - خ - ص ١.

السمط الثاني ما قاله بعض المتوالين

نهج البلاغة نهج مهيج^(١) جند
يا عادل لاله فيه اخير والرشد
وانه والله إن التاركه عموا
كأنهم العبد مظلوما حواهرها
ما حالهم دونهما إن كنت تصمني

السمط الثالث ما قاله بعضهم

نهج البلاغة روض زهره ذر
من يسلك النهج لا يبقى له إرب^(٢)
لله در أمير المؤمنين لقد
من حاد عنه فقد مالت نصرته

التقرير الثاني في بيان النهج الذي سلكته في شرحي لهذا الكتاب.

واعلم أنني قد سلكت فيه (أحد)^(٣) مسلكين:

المسلك الأول:

أن أقتطع من كلامه (المنهاج) قطعة، ثم أعقد عليها عقداً يكون محيطاً بأسرارها وغرائها، ويحتوي على جميع معانيها وعجائبها، وهذه هي طريقة

(١) طريق مهيج، أي يبين

(٢) في (أ) ساحات عظام وما أثبتته من (ب)

(٣) السد متحين: الاستقامة

(٤) في النسخ: ناطمها، وبه زحف، ولعل الصواب كما أثبتته: ناطمها

(٥) الإرب: الحدة

(٦) في (أ): إلى

(٧) في (ب): وظلت

(٨) سقط من (ب)

جيدة [و] ^(١) فأنذرتها هو إيضاح معاني الكلام بالعقود اللاتقة، والترتيبات الفاتقة، وهي طريقة يسلكها ^(٢) كثير من النظار فيما يريدونه من إيانة معاني الكلام، ولها آفة وهو الإسهاب في الكلام الذي يورث الملل وسامة الحواطر.

المسلك الثاني

أن أذكر للفتة المركبة من كلام أمير المؤمنين ثم أكشف معناها، وأوضح معزاها، من غير التزام عقد لها ولا إشارة إلى ضابط، وهذه طريقة يسلكها ^(٣) الأكثر من النظار، فهذان مسلكان يمكن ذكر أحدهما، وكل واحد منهما لا غبار عليه ^(٤) في تحصيل المقصد وتقرير البغية، لكن أرى أن المسلك الثاني هو أعحب، وإلى جانب الاختصار والتحقيق أقرب؛ لما ذكرناه من ^(٥) حصول التكثير في سلوك الطريقة الأولى، خاصة في مثل هذا كتاب، فإن شجونه كثيرة ونكتة غزيرة، فلا جرم كان التعويل عليها هو الأخلق، ثم أقول قولاً حقاً: إن (نهج البلاغة) بالغ في فنه لكل مرام، وإنه لأعبر على ^(٦) فنون البلاغة وحاكم وإمام؛ لاشتماله على مبادئ الفصاحة ونهاياتها، وعجز لقصب سقى لبلاغه وغاياتها، قد أعجز أهل أوانه، وصار مفحماً ^(٧) لغيره في علومه وعلو شأنه، فلو كانت العلوم كواكب لكان قمرها ^(٨) الزاهر، ولو كانت أقماراً لكان بدرها الباهر،

(١) سقط من (ب).

(٢) في (ب) - سلكتها.

(٣) في (ب) سلكتها.

(٤) في (ب) عساه.

(٥) في () في

(٦) في (ب) في

(٧) في () مفحماً

(٨) في ()، فحرها، وفي (ب) كما أثبت

ولو كانت بدوراً لكان شمساً في فلكها الدائر، ولو كانت أحاديث لكان مثلها السائر.

ولا يعررك ما ترى من الناس من إهماله وهجره ونسؤه وراء ظهورهم، وطرح ذكره حيث كن، كأن في حكمة الهجر مأسوراً مقهوراً، ومن العلوم في أكثر أحوالها محجوراً مغموراً، قد استولت على أسرار يد النسيان والذهول، وانكسفت نجومه، وآلت أقماره وشموسه إلى الزهاب والأفول، والله در من قال:

حسدوه حين رأوه أحسن منهم وابندر تحسده الجوم إذا بدا

وما ذاك إلا لأجل ^(١) ما اشتمل عليه من الغموض، واستولى عليه من دقة الأسرار والرموز، خاصة في الإشارة إلى أحوال المدع وصفاته، ومعرفة الأزمنة الأثرية، وتقرير الخواص الإلهية، فإن أحداً من أفاء ^(٢) الخليفة لم يسح على مواله، ولا سمحت قريحه بشككه في ذلك ومثاله، كما ستنبه على تلك الأسرار، ونذكر تلك الحقائق بمعونة الله تعالى، ولقد صدق فيه من قال:

فل للذي بصروف الدهر عيرنا هل عائد الدهر إلا من له خطر

أما ترى البحر تعلو فوقه حيفاً وتستقر بأقصى قعره الدرر

وفي السماء نجوم ما لها ^(٣) عدد وليس يكسها إلا الشمس والقمر

التقرير الثالث: في بيان العلوم التي تضمنها واشتمل عليها

واعلم أن هذا الكتاب وإن كان مشتملاً على فنون متفرقة، وأساليب في البلاغة متشعبة، لكن أكثرها حرياناً فيه وأعظمها استعمالاً،

(١) في (ب) : إلا لما اشتمل.

(٢) أنباء: أي أحلاط

(٣) في نسخة: لا عديد لها، (هاتر في ب)

وهي الخطب والكتب والحكم، فلا جرم لما كان الأمر كما قلناه رتبناه على هذه الأقطب الثلاثة

أولها: الخطب والدلائل

وثانيها: الكتب والرسائل.

وثالثها: الحكم والأدب^(١)

وكل واحد من هذه الأقطاب مشتملاً^(٢) على نكت غريبة ولطائف عجيبة، تلحق^(٣) بكل واحد منها ما يليق به منها، فهذا ما أردنا تقريره من الإشارة إلى ضبط قواعد الكتاب، وستماله على ما ذكرناه من هذه العلوم، نعم مع تقريره له على هذا النظام وتربله على مثل هذه الصواب، فإني لا أدعي أنني قد أحطت بأقطاره واستوليت على غوائله وأغواره بحيث لا يشذ عني شيء من ذلك، فليس في ذلك وسعي، ولا يدخل تحت طوقى وإمكانى، فإن الذى يعزب عن فطنى أكثر من الحاصل في ريعتى والقائت عني أكثر من الواصل إليّ، وكيف أدعي حصره. وليس لمحسه حد ولا غاية، ولا أمد له ولا نهاية، فإن فيه حاجة كل عالم، ونغية كل متعلم، ومطلب كل بليغ، ومقصد كل زاهد، ومثنية كل عابد، وما على إلا بذل الوسع والاجتهاد، وعلى الله الإعانة والتكفل بالإرشاد، وهذا حين ابتدئنا في شرح كلامه بالهداية للصواب من الله وإلهامه، والرغبة إليه في التوفيق لإنجازه وإتمامه.

(١) في (ب). والآداب

(٢) هكذا في النسخ قبله بالنصب، وهو حال من صمير في فعل محذوف تقديره: أنى، أو جاء أو نحو ذلك

(٣) في (ب): يلحق

القطب الأول

في ذكر الخطب والدلائل

اعلم أن الخطبة بضم الفاء عبارة عن المصدر، يقال: خطبت على المبر خطبة، وكأنه وقع على المصدر والكلام بلفظ واحد، بخلاف قولنا: غرفت غرفة، وغرفة، فالفتح^(١) المرة الواحدة وهو المصدر، والضم اسم للشئ المعروف، وهذا هو الأكثر الجاري أعني التفرقة بين المصدر والاسم، فأما هاهنا فإنهما حاربان بلفظ واحد كما ذكرناه

فأما الخطبة بالكسر في الفاء فهو: في حق المرأة، تقول: خطبت المرأة جطة، ولم يرد فيه الفتح في الفاء، وهذا يؤكد ما قلناه من حري مصموم لعماء على لاسم والمصدر جميعاً، والخطبة إنما تكون في المقامات المشهودة، والخطوب الواردة والأمور المعضلة، والحوادث المتفاقمة

(١) [فمن خطبة له عليه السلام يذكر فيها ابتداء خلق السماء والأرض وخلق آدم]^(١)

قال الإمام أمير المؤمنين، وسيد الوصيين، المختار من بين سائر الخلق للأخوة، والقائم مقام صاحب الشريعة في كل الأحكام ما خلا النبوة:

(الحمد لله الذي لا يبلغ مدحنا القائلون): واعلم أن الحمد والمدح يأتلان من أحرف واحدة مع اختلاف نظامها^(٢)، وهما أخوان والمعنى فيهما واحد، وكلاهما من قيل القول، وهو: الثناء الحسن بذكر الأوصاف الحميلة^(٣)، واستحقاقهما في مقابلة لنعمة وغيرها، ولهذا فإن الرجل كما يحمد عند إنعامه، فإنه يكون محموداً على حسن الصورة وأصالة الحسب، وأما الشكر فهو يكون باللسان والقلب وأفعال الجوارح، وهو مخصوص بالنعمة، ولهذا قل:

أفادتكمُ العماءُ مني ثلاثة يدي ولساني والضمير المحجَّبُ يشير به إلى أنه إنما يكون بهذه الأمور الثلاثة في مقابلة النعمة، فحصل من هذا أن الحمد خاص بالإضافة إلى جنسه وحقيقته فإنه يختص

(١) ما بين المعرفين زيادة في شرح النهج لابن أبي الحديد، وفي النهج بشرح الشيخ محمد عبده

(٢) في (ب) نظامهما.

(٣) في (أ): الحميلة.

بالأقوال، وعام بالإضافة إلى ما يستحق عليه فإنه يكون في مقابلة النعمة وغيرها. وإن الشكر عام بالإضافة إلى حقيقته؛ لاحتصاصه بالأقوال والأفعال، وأعمال القلوب، وحاص بالإضافة إلى ما يستحق عليه؛ لأنه [إنما] يكون في مقابلة النعمة لا غير، والحمد وإن كان أحد شعب الشكر، فهو أبلغ منه لأمرين:

أما أولاً: فلقوله (عليه السلام): «الحمد رأس الشكر، ما شكر الله عبد لم يحمده»^(١)

وأما ثانياً: فلأن الله تعالى افتتح به كتابه الكريم بخلاف الشكر، وما دلك إلا لأن ذكر النعمة باللسان أدخل في الإشاعة ذكرها، وأكثر في الإشادة على مؤليها لما يكون في أفعال لقلوب من الخفاء، وفي أفعال اخوارح من الاحتمال.

فأما النطق وهو: عمل اللسان، فإن فيه من التصريح بالمقصود والإفصاح عنه ما لا يكون في غيره، ومن ثم كان مبدوءاً بالحمد في أول كل منطوق به ومكتوب من سائر أنواع الكلام في الخطب والرسائل، ورتفعه على الابتداء وخبره الجار والمحرور بغيره، ورفعه أحسن؛ لما يتضمنه من البعد عن التقييد بالأرمنية؛ لأنه إذا كان منصوباً فهو مشعراً بعمل المقيّد بها، بخلاف حاله إذا كان مرفوعاً فلا أثر للتقييد فيه

(١) سقط من (أ)

(٢) أورده في موسوعة أطراف الحديث ٥٧٢/٤، وعراء إلى تحف السادة المتقين ٤٩/٩،

والدر المنثور ١١/١

بحال، ومن ثم قال الجهابذة^(١) من أهل صناعة البيان: إن سلام إبراهيم كان أبلغ من سلام الملائكة حيث كان مرفوعاً، فانقطعت عنه آثار الفعلية، بخلاف سلام الملائكة فإنه لما كان منصوباً، كان نصبه مشعراً بالفعل المقيّد بالأرمنية.

سؤال: لِمَ كانت اللام مختصة بوقوعها خبراً عن الحمد في كل موضع عنه، بخلاف سائر حروف المعاني من الباء وغيرها من حروف الجر؟

وجوابه: هو أن اللام معناه الملك والاستحقاق، فلما كان الحمد لا يستحقه أحد ولا يملكه على الحقيقة سوى الله [تعالى]^(٢) كان موقعها هـ هنا^(٣) أحسن ودخولها أقعد، فلها كانت مختصة بالوقوع، بخلاف غيرها من أحرف المعاني فإنها لا تعطي هذا المعنى، واللام فيه دالة على الحس، وهو مطلق الحقيقة من غير إشارة إلى عموم فيكون مستغرقاً، ولا إشارة إلى خصوص فيكون متعيناً، وإنما هو مروض^(٤) بإزاء مطلق الحقيقة من غير إشارة إلى قيد من قيودها استغراقاً كان أو تعيياً كما أشرنا إليه، ومثله قولنا: أكلت الحزء وشربت الماء، فإن العرض باللام إنما هو دلالتها على مطلق الحقيقة من غير إشارة [بها]^(٥) إلى عموم فيكون مستغرقاً، ولا إلى خصوص فيكون متعيناً.

(١) الجهابذة بالكسرة: القاد أخير (القاموس مجلد ص ١٢٤)

(٢) سقط من (ب).

(٣) في (ب): هـ.

(٤) في (أ). مروض، وما أثبت من (ب)

(٥) سقط من (ب)

وحبر المبتدأ محذوف والظرف ساد مسند، والتقدير فيه: الحمد ثبت لله أو مستقر له.

(الله): هو اسم من أسماء الله تعالى، وقد وقع فيه اضطراب بين العلماء، فقال قائلون: هو اسم سرياني وليس عربياً والحق أنه عربي، لأن جميع ما في القرآن عربي إلا ما دلت عليه دلالة، وهذه اللفظة من جملة ما تضمنه القرآن. ثم إذا كان عربياً فهل يكون اسماً أو صفة، والحق أنه اسم؛ لأن الصفة إنما تدل على معنى واحد في موصوفها، كالعالم والرحيم، وهذا الاسم عند إطلاقه يدل على معاني كثيرة؛ لأن قولنا: الله، دال على جميع الصفات الإلهية عند إطلاقه ومفهومه مه، فهذا كان سماً حارياً محري الألقاب، ثم إذا كان اسماً فهل يكون جامداً أو مشتقاً، ومعنى الاشتقاق هو: اجتماع الكلمتين في معنى واحد يشملهما والحق أنه مشتق، وهذا مرخود في قولنا: الله، فإن قولهم^(١): أله الرجل، وقولنا: إله يجتمعان في معنى واحد، ثم اختلف مما^(٢) يكون مشتقاً مه

فقال بعضهم: من أله إذا تحير؛ لأن العقول منحيرة في معرفة الله تعالى وإدراك كنه حقيقته، وقال بعضهم: اشتقاقه من أله إذا احتجب؛ لأنه تعالى لا تدركه أبصار العيون، ولا تناله بصائر^(٣) العقول، ثم إذا كان مشتقاً فهل يكون علماً أو غير علم؟ والحق أنه ليس علماً محضاً،

(١) في (ب): قرب

(٢) في (ب): فيما

(٣) في (أ): أبصار، وفي (ب): ما أبته

وإنما هو جار مجراه فيما فيه من العمية، [وهو]^(١) كونه دالاً على معنى في نفسه على جهة التغيير كزيد وعمرو، وبما فيه من مخالفة أمر العلمية لم يجز تعبيره كتغيير الأعلام بالنقل والوضع، ولزوم اللام له؛ لأنه من الأسماء الغالبة كلروم اللام في النعم للثريا، وتفخيم هذه اللفظة من السنة، هكذا فانه الزحاح^(٢)، وإنما التزموا تفخيمه دلالة على عظم حال مسماه وفخامة شأنه.

(الذي لا يبلغ): لما اعتاص عليهم وصف^(٣) المعارف بالجمل الفعلية والاسمية؛ لما في الجمل من غاية التنكير فوضعوا (الذي) وصلة إلى ذلك، وهذا على نحو صنعهم^(٤) في (دو)، فإنه لما كان يتعذر عندهم أن يوصف بالمصدر واسم الجنس لعدم الاشتقاق فيهما، توصلوا إلى الوصف بهما بإدخال ذو، فقالوا: هذا رجل ذو مال وذو علم، وبلغ المكان إذا وصله، قال تعالى: ﴿وَإِذَا بَلَغَ أَجَلُهُ﴾ [البقرة: ١٣١] ففي (فقيه) أن يوصل إلى كنه مسدحه

(مدحته القائلون): المدحة: الضرب من المدح، كالعذرة تكون للضرب من الاعتذار، ويقال: فلان حسن الطعمة والرئية كل ذلك بكسر الفاء دلالة على ما قبله، والمدحة بالفتح للواحدة من المرات، وغرضه هو أن مدائحته تعالى لا يمكن إحصاؤها ولا صيبتها.

(١) سقط من (ب)

(٢) الزجاج هو: يريم بن السري بن سهل، أبو إسحاق ٢٤١-٣١١ م عالم بالحو واللمعة، ولد ومات في بغداد، كان في فوته يخرط الزجاج، ومال إلى الحو فعلمه المبرد، وله

صايف، سماء (معاني القرآن)، والاشتقاق وغيرهما (أطر الأعلام ٤٠/١)

(٣) في (أ): وضمم، وفي (ب): ما أبته

(٤) في (ب): صنعهم

(ولا يَخْصِي نِعْمَاءَ الْعَادُونَ): الإحصاء هو: الحصر والضغط، قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَنْصَبْنَا وَغَنَّمْ﴾ [مر ١٩٤] ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ لَّخَصِيَاءَ﴾^(١) [بر ١٢]، ﴿وَأَخَصَى كُلُّ شَيْءٍ عَذَابًا﴾ [مر ٢٨]، النعمة: هي المنافع الواصلة إلى الغير على جهة الإحسان، والنعماء يروى بفتح النون وضمها، فإن فتحت مددت وهو سماعنا، وإن ضممتها قصرت، وفي بعض النسخ: (نعمه)، وهي: جمع نعمة كسدره وسدره، والنعماء مصدر كالسراء والضراء، وغرضه من ذلك ﴿عجيب﴾ هو أن آلاءه ونعمه لا تحصى^(٢) بعد كما لا يوصل إليها حد.

(ولا يؤذي حقه المجتهدون): أدى دينه إذا قضاه، والمصدر فيه التأدية، والاسم منه هو الأداء، والحق: واحد الحقوق، والاجتهاد: بذل الوسع في تحصيل المقصود، ففى ﴿عجيب﴾ في كلامه هذا أن يقضى حق الله تعالى وهو ما يستحقه بحلاله وعظم نعمه، وإن بلغ المؤدي كل غاية في الاجتهاد، وهذا صحيح! لأن حقه تعالى إذا كان بغير نهاية في كل أحواله، فما يختص بحال ذاته وما يختص بنعمه^(٣) فمحال تأديته ويلوغ حده.

(الذي لا يدركه بخد الخضم): أدرك إذا الحق، قال تعالى: ﴿إِنَّا لَمُنْزِكُونَ﴾ [الش ٦١] وأدرك الغلام إذا بلغ، والهمم: جمع همّة، يقال: فلان بعيد الهمة، والهمة بكسر الفاء وفتحها: إذا كان ذا عزيمة

(١) سقط من (١)

(٢) في (ب): لا تحصر

(٣) في (ب): نعمته

سامية، كأنه بلغ في النفاسة غاية بعيدة لاتصال، وغرضه ﴿عجيب﴾ هو أنه تعالى لا تلغه الهمم، وإن بلغت في بُغْزها وإعرقها، وتجاوزت في ذلك كل حد ونهاية.

(ولا يناله غوصُ الفطن): ناله إذا أصابه ومسه، كما قال تعالى: ﴿لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحُومًا﴾ [الحج ٣٧]. والغوص هو: النزول تحت الماء، ومعناه أن الفطن التي هي: الأفهام لا تصيبه ولا تقع على معرفته.

سؤال: أليس كان القياس في أسلوب هذا الكلام أن يقال فيه: لاتدركه الهمم على نُعْدِها، ولا تناله الفطن على غوصها، فلمَ عدل إلى هذا الأسلوب؟ ولهذا يقال: العشق هو المحبة المفرطة، ولا يقال فيه: إنه إفراط المحبة؟

وجوابه: أن الأمر كما ذكرت، ولكن إسناد الإدراك إلى العدد والتيل إلى الغوص يكون أبلغ وأدخل في المعنى من خلافه، ولهذا فإن قولنا: أعجبي شهامة نفسك وشرف^(١) طبعك أرق وأدق من قولك: أعجبي نفسك الشهامة، وطبعك الشريف، وهذه التفرقة تُدْرِكُ بالذوق الصافي.

وأما ما ذكره في العشق فبما وجب ذلك لما كان المقصود هو تعريفه، فلا بد فيه من الوفاء بالجنس والفصل^(٢) [ولن يكون بما ذكر]^(٣).

(١) في (ب): أن الله تعالى.

(٢) في (ب): وشرافة.

(٣) حاشية في (ب) لفظها: وجعل الوفاء بالجنس، والفصل: لأن المحبة هي الجنس، والإفراط هو الفصل، ولكن جعل البيت وهي تقديم الفصل على الجنس ينص ما ذكره في (مادئ المنتهى)، تحت.

(٤) سقط من (أ)

(الذي ليس لصفته حد محدود. ولا نعت موجود): الحد: غاية الشيء ومنقطع، فإذا كانت صفاته تعالى ثابتة في الأزل والأزمنة الأزلية ليس لها حد ولا لها غاية، وجب فيم كان ثابتاً فيها مستمر الثبوت ألا يكون به حد أيضاً، وهكذا أيضاً أنه لا نعت لها؛ لأن النعت هو: الوصف أيضاً، وهو حاصل بعد أن لم يكن، وما كان هذا حاله فهو متناهي وصفاته بلا نهاية، فيستحيل فيما لا يتناهي أن يكون موصوفاً، فإنما^(١) يكون طريقاً إلى معرفة ذاته من الأوصاف المتناهية؛ لأن ما سوى الله لا يثبت في الأذهان إلا بالأوصاف؛ المعرفة لداته، وثبوت لله تعالى إيم هو بالبراهين لا بالصفات.

لهذا قال (عليه السلام): (ولا له نعت موجود) يكون طريقاً إلى معرفة داته كما قررناه.

(ولا وقت محدود): يعني أن صفاته تعالى لا تكون مؤقتة بوقت أصلاً؛ لأنها حاصلة في الأزمنة الأزلية، ولا وقت هناك، أو يريد أنها غير متوقفة على الوقت فتكون منتهية بانتهائه.

(ولا أجل محدود): يريد أنه لا أجل لها، فينقطع بانقطاعه، بل هي دئمة أزلاً وأبداً، وكلامه (عليه السلام) ما هنا مشعر بأن حقيقة داته غير معلومة للبشر، خلاف للمعتزلة وغيرهم.

وما قاله (عليه السلام) هو مختارنا، وقد ورد في عدة من كلامه كما سننبه عليه في مواضعه اللاحقة، وهذا الأسلوب الذي أورده يسمى: التعديد

(١) في (ب)؛ وربما

عند علماء البيان، وهو من البلاغة في أرفع قدر ومكان^(١)، وهو الإتيان^(٢) بالصفات الحسنى من غير توسط حروف عطف، كما ورد في التنزيل، كقوله تعالى: ﴿الْمَلِكُ الْقَلُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُتَّقِينُ الْمُزَيَّنُ الْجَارُ الْمُتَكَبِّرُ﴾ [الحشر: ٢٣] إلى آخرها، وقوله: ﴿شَدِيدُ الْعِقَابِ ذِي الطُّولِ﴾ [الأنعام: ١٣٠].

(فطر الخلاق بقدرته): فطر الأشياء^(٣) هو: إبداعها، واختراعها

قال ابن عباس: ما كنت أدري ما فاطر اسماءوت حتى أتاني أعريان يحتصمان في بشر، فقال أحدهما: أنا فطرتها^(٤).

والخلاق: جمع خليفة، وهو: عبارة عن جميع المكونات الحادثة بقدرته، كما تقول: كتبت بالقلم نزلها منزلة الآلة، وليس آلة في الحقيقة، لأن الفعل يستحيل وجوده من غير قدرة.

(ونشر الرياح برحمته): بسطها، من قولهم: نشرت المتاع إذا بسطته، أو نشرت الثوب بعد طيّه، وكلاهما حاصل في حق الريح، فإنه تعالى يسطها في جهاتها الواسعة، وينشرها بعد أن كانت مطوية أي راکدة.

وقوله: (برحمته) يروى بالباء، من قولهم: أكلت باللحم، أي أنها ملاسة للرحمة مصاحبة لها، ويروى باللام، أي أنه ما نشرها إلا للرحمة فهي الباعنة على فعلها، والداعية إليها، كما تقول: جئت للسمن.

(١) في (ب)؛ في أرفع مكان.

(٢) في (ب) الإتيان

(٣) في (أ). الإشاء، وهو تحريف

(٤) النهاية لابن الأثير ٤٥٧/٣، ومختار الصحاح ٥٠٧

(وَوَدَّ بِالصَّخُورِ مَبْدَانَ أَرْضِهِ): وتد العود يتده إذا ضربته على الأرض، الصخور جمع صخرة وهي: القطعة العظيمة من الأحجار، ومبدان يروى يسكون^(١) الياء وهو واحد الميادين، وهي: الأرض الوسعة، وبتحريكها وهو: التحرك والاضطراب، ومقصوده هو أن الله تعالى جعل هذه الحال الراسحة وناد الأرض، كما قال تعالى: ﴿وَالْجِبَالُ أَوْتَادًا﴾ [سجدة: ٥] منعة [لها] عن التحرك، أو أعلاماً منصوبة على مسطح الأرض، لمنافع عظيمة عن المنع من اضطرابها، لا يحيط بعلمها إلا الله تعالى، وقوله: (وَوَدَّ بِالصَّخُورِ) من باب نيت بالجر، فمن هذه حاله فلا بد من^(٢) أن يكون معروفاً ومعبوداً بدين.

(فَأُولَ الدِّينِ مَعْرِفَتُهُ): الدين هو: الإسلام، لقوله تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ [آل عمران: ٨٥]، والإسلام هو: الإيمان، لقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ يَبْئَسْ قَلْبُ مَنْ يَقْبَلُ مِنْهُ﴾ [سجدة: ١٨]، وللمعلوم قطعاً أنه لو أتى بالإيمان لكن مقبولاً منه، وفي هذا دلالة على أن الإيمان والإسلام شيء واحد، فإذا تقرر هذا فاعلم أن الإيمان عندنا اسم شرعي، وصار عبارة عن عمل القلب وهي المعرفة، وعن عمل اللسان وهو الإقرار، وعن عمل الجوارح وهو فعل الطاعات، والكف عن القبائح، فصار مقيداً^(٣) لهذه الأمور الثلاثة عند إطلاقه، وهذا هو مذهبنا وعليه أكثر السلف، وقد خالفنا في ذلك فرق وطوائف، وقد قررنا نصرة مقلنا،

(١) في (ب): يسكان.

(٢) سقط من (ب).

(٣) قوله. من، سقط من (أ).

(٤) في (ب): مفيداً.

ورددنا على من خالفنا في الكتب العقلية، فإذا تمهدت هذه القاعدة، فإنما قال (عليه السلام): إن أول الدين هو المعرفة؛ لأن ماعدا المعرفة بما يقع عليه اسم الدين من الإقرار وعمل الطاعات لا وقع له إلا بعد إحراز المعرفة وتحصيلها، فالإقرار لاصحة له إلا بعد المعرفة ليكون خبراً صدقاً، والأفعال الشرعية فالمعرفة تمكين منها؛ لأن الصلاة والزكاة، وسائر العبادات لشرعية لا تفعل^(١) إلا بعد المعرفة، وأما الواجبات العقلية فالمعرفة لطف فيها، فصار أمر الدين كله لا يكون إلا بعد المعرفة وكمالها.

(وَكَمَالُ مَعْرِفَتِهِ التَّصَدِيقُ بِهِ): أراد بعد حصول المعرفة وكمالها وإتمامها إنما يكون بالتصديق وهو لإقرار لأنه تلو المعرفة؛ لأن فائدة المعرفة صيانة النفس عن وعيد الآخرة وعقابها، وفائدة الإقرار إنما هو إحراز الرقة عن السيف والمال عن السحت^(٢)، كما قال (عليه السلام): «أمرت أن أقتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله، فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها»^(٣).

فلهذا كان الإقرار كمالاً للمعرفة.

(وَكَمَالُ التَّصَدِيقُ بِهِ تَوْحِيدُهُ): يعني أن الإقرار إذا وجب التصريح به

(١) في (ب) لا تعقل.

(٢) السحت: لاستئصال، ويقال: دمه وماله سحت أي لا شيء على من أعدمه، ومال مسحت ومسحوت: مُدَقَّقُ (انظر القاموس المحيط ص ١٩٦).

(٣) أخرجه الإمام المرشد بالله في الأمالي الخمسية ١٥/١ بسنده عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، وهو في المجموع للمنصوري رقم (٢) ص ١٣١ في الرسالة الموسومة بالدرة النيرة، قال المحقق في تحريجه ما لفظه: الحديث شهير، ويوجد في أغلب مصادر الحديث، ولإطلاع على مصادره انظر موسوعة أطراف الحديث البوي ٢/٣٣٧-٣٣٨.

لما ذكرناه، فكماله وتماهه إنما يكون بذكر التوحيد، فلا يكفي أن نقر بوجود الله تعالى^(١)، حتى نقول^(٢): إنه موجود، وإنه لا إله إلا هو، وإلا كان التصديق لا فائدة فيه.

(وكمال توحيده الإخلاص له): بعد وجود التوحيد وثبوته وكماله إنما يكون بتوجيه الأعمال كلها إليه، وإخلاصها لوجهه؛ لأن العبد إذا كان يعلم أنه لا إله في الوجود إلا الله، ولا يستحق الإلهية سواه فهو المستحق للعبادة حقيقة، فلهذا وجب صرفها إليه وحده، وعرف بما ذكرناه أن الإخلاص من كمال التوحيد من الوجه الذي قررناه.

(وكمال الإخلاص له نفي الصفات عنه): اعلم أن الصفات التي يختص بها القديم تعالى في ذاته، للناس فيها أربعة مذاهب:

أولها أمور سلبية^(٣) كما هو محكي عن جمهور الفلاسفة، وزعموا أنها لو كانت أموراً ثبوتية لكانت ذاته منكثرة بها، والكثرة دلالة الإمكان وثنيها: أنها أحكام إضافية، وهذا هو قول الشيخ أبي الحسين^(٤) من المعتزلة^(٥).

(١) في (ب): أن نقر بالله تعالى

(٢) في (ب) يقال

(٣) سقط من (أ)

(٤) هو محمد بن علي الطيب، أبو الحسين المصري التوفي سنة ٤٣٦هـ، أحد أئمة المعتزلة، ولد في البصرة وتوفي بها، وله تصانيف منها: المعتمد في أصول الفقه (جزءان) وغيره (الأعلام ٢٧٥/٦).

(٥) المعتزلة هم أصحاب وأصل بن عطاء ويسمون أصحاب العدل والتوحيد.

وثالثها: أنها صفات حقيقية غير مستقلة بذاتها، وهذا هو قول الشيخ أبي هاشم^(١) وأصحابه من المعتزلة

ورابعها: أنها معاني مستقلة بنفسها كالقدرة والعلم والحياة مغايرة لذاته تعالى، وهؤلاء هم الذين أثبتوا هذه المعاني، وهو قول الكرامية^(٢) من المجبرة.

فأما الأشعرية^(٣) المحققون منهم، فأقولهم فيها على نحو من مذهب أبي الحسين.

فإذا تقررت هذه لقاعدة، فاعلم أن أقرب ما يصرف إليه قوله (ع) من أن كمال الإخلاص نفي الصفات عنه، إنما هو المحكي عن الكرامية فإنهم أثبتوها مغايرة لذاته تعالى.

(لشهادة^(٤) كل صفة): لأن حقيقتها ومفهومها إذا كانت مستقلة بنفسها مفردة بحالها يقضي:

(١) هو عبد السلام بن محمد بن عبد الوهاب الحائي، أبو هاشم المعتزلي، ولد سنة ٢٤٧هـ وتوفي سنة ٣٢١هـ، عاظم بالكلام من كبار المعتزلة. له آراء انفرد بها، وتبعته فرقة سميت (البهشية) نسبة إلى كنية أبي هاشم، وله مصنفات منها: الشامل في الفقه وغيره (الأعلام ٧/٤).

(٢) الكرامية هم أصحاب محمد بن كرام بن عراق، أبي عبد الله من فرق الابتداع في الإسلام، كان يقول: بأن الله تعالى مستقر على العرش وأنه جوهري، وانتهوا في إثباتهم للصفات إلى التجسيم والنسبة (انظر الأعلام ١٤/٧، وهاشم في شرح ابن أبي الحديد ٥٩/١)، والمجبرة هم المعتزلة بالجبر ويسدون جميع أعمال العباد إلى الله ولا اختيار لعصاة فيها (هاشم في تحكيم العقول ص ٢٦).

(٣) الأشعرية هم أصحاب أبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري، وهي جماعة الصعائية (هاشم في شرح نهج البلاغة ٥٩/١).

(٤) في (ب): بشهادة.

(بأنها غير الموصوف): لأن حقيقة الغيرية^(١) حاصلة فيهما جميعاً، أعني الصفة بهذا التفسير والموصوف؛ لأنهما معلومان ليس أحدهما هو الآخر.

(وشهادة كل موصوف): بحقيقته وما هيته.

(بأنه غير الصفة): لأن مع استقلال كل واحد منهما بنفسه، كل واحد منهما مشار إليه بالغيرية لصاحبه، فإذا كان هذا غيراً لذلك^(٢) فذاك غير بهذا، فعلى ما ذكرنا من استقلال الصفات بنفسها^(٣) وكونها معبومة على انفرادها.

(من وصف الله سبحانه فقد قرنه): جعل له قرناً مساوياً له في الاستقلال بذاته، ومشاركته في الأرواح التي هي أخص صفاته كما تزعمه الكرامية.

(ومن قرنه): أثبت له كفواً مماثلاً له.

(فقد ثناه): لأن حقيقة التشية حاصلة فيه، وهو إثبات قديم ثاني مشارك لذاته في لقدم.

(ومن ثناه): أثبت له مثلاً كما قرناه.

(فقد جزأه): لأن الإله عبارة عن اذات المختصة بصفات الكمال، فإذا كانت هذه الصفات التي هي أصل في معنى^(٤) الإلهية مستقلة بنفسها

(١) في (أ) الغيرة وما أثبت من (ب)

(٢) في (ب) كذلك

(٣) في (ب) بأنفسها

(٤) في (ب) المسمى

قديمة صارت الذات عبارة عن مجموع أجزاء، ولهذا كان تعالى على منهاج هذه المقالة متجزئاً.

(ومن جزأه): أثبت ذاته قابلة للتجزؤ والانقسام.

(فقد جهله)^(١): اعتقده على خلاف ما هو عليه من كون ذاته تعالى واحدة من كل وجه، لا يتطرق إليها تجزؤ^(٢)، ولا يضاف إليها^(٣) انقسام محال.

(ومن أشار إليه): لما قرر (ع) تنزيه ذاته تعالى في نفسها عن اختصاصها بالصفات المساوية لها في القدم والغيرية، شرع في تنزيه ذاته تعالى عن الجهات والأمكة وأنواع الشبهات^(٤)، فعلى هذا من أشار إليه بعينه أو بيده:

(فقد حدّه): جعل له حداً ونهاية؛ لأن كل ما كان مرتباً أو مشاراً إليه فلا يد فيه من المقابلة أو حصول في جهة الإشارة، فقد صار في جهة دون جهة، ولهذا كان محدوداً

(ومن حدّه): بإحاطة الجهات له وصورته فيها:

(فقد عدّه): لأنه إذا صار في جهة فهو من قبيل الأجسام لمركبة المعدودة.

(١) بيده في شرح النهج: ومن جهله فقد أشار إليه

(٢) في (ب): الجري

(٣) سقط من (أ)

(٤) في (ب): الشبهات.

(ومن قال: فيم): أتى بهي التي هي حرف يقتضي المكان والوعاء، كما يقال^(١): فيم زيد في الدار أو في السوق.

(فقد ضمته): المكان الذي دل عليه هذا الحرف، كما كان زيد مضمناً بالدار^(٢)، أي حاصلها فيها.

(ومن قال: علام): أتى بالحرف الدال على الاستعلاء وهو على، كما يقال: زيد على فرس، وعمرو على السطح.

(فقد أخلص منه): لأنه إذا كان في جهة العلو فقد خلت عنه جهة السفل، ومن كان في جهة السفل فقد خلت عنه جهة العلو، وهكذا القول في جميع الجهات، فقد أتى (لجميع) بهذه الرموز الحرفية واللفظية الحكمية دلالة على تربيته عن المراغاب المعبر بها بالجهات، وعن الأحياز المعبر بها بالأمكة، ثم لم فرغ منها أشار إلى كيفية وجوده، بقوله:

(كائن) لأن الكائن هو الحاصل الثابت الموجود:

(لا عن حدث): لس حاصله بغيره^(٣) كما كان في غيره من الكائنات.

(موجود): له الوجود حقيقة.

(لا عن عدم): يريد أنه وإن كان موجوداً فلم يسقه عدم، كما كان ذلك حاصله في جميع الموجودات، فهو وإن شاركها في الوجود والشوت فقد بايها في أن وجوده بلا أول ووجودها له أول ونهاية.

(١) في (ب) تقول

(٢) في (ب) في الدار

(٣) في (أ) بغيره، وما أثبت من (ب).

(مع كل شيء): ﴿وَلَوْ مَنَّكُمْ أَنَّنَا مَا كُنْتُمْ﴾ [الحديد: ١٦]، لأن كل من كان منزهاً عن الجهة فإنه لا يغيب عن كل شيء، ولا يغيب عنه كل شيء، وانغية^(١) متحققة في حقه.

(لا بمقارنة): أراد أن هذه المعية وإن كانت ثابتة في حقه، فإنه لا يشابه الأشياء بمصاحبة لها وإحاطة بعلمها.

(غير لكل شيء): لأن حقيقته مخالفة^(٢) لحقائقها، فإذا كانت الغيرية حاصلة في حق ما كان مثلاً فكيف إذا كان مخالفاً لها.

(لا بمزايلة): لا بمفارقة لها بل هو كائن معها، من قوبهم: زابته مزايلة وزيالاً إذا فارقه، قال تعالى: ﴿فَنَزَّلْنَا بُرُوجَهُمْ﴾ [يس: ٢٨] أي فرقاه، فهو في هذه الكلمات يشير بها إلى إثبات القدم ونهي الحدوث عن ذاته والعدم.

(فاعل): لوجود الفعل من جهته بحسب الداعية، فإنه أوجد هذه المكونات بدعي الإحسان والمصلحة الحكمية.

(لا بمعنى الحركات والآلة): لأن كل فاعل غيره فإنما يفعل بتحركة واضطراب وتحصيل آلات وأدوات.

(بصير): أي مدرك للأشياء بحقائقها.

(إذ لا منطوق عنه من خلقه^(٣)): فلا يغيب عن إدراكه شيء من أحوال المخلوقات؛ بل هي بعين مـ ومراى، وهو بكل شيء محيط

(١) في (ب) فاعلية.

(٢) في (أ): محامها، والصواب ما أثبت من (ب)

(٣) العبارة في شرح النهج: إذ لا منطوق له من خلقه

(متوحد): متفرد بالوحدانية، ومن هذه حاله في التفرّد والتوحد.

(فلا سكن يستأنس به، ولا يستوحش لفقده^(١)): يسكن الكاف هم الأهل، ويتحركها كلما يسكن إليه، فوجودهم لا يستأنس بهم، وبعدهم لا يستوحش من فقدهم.

(نشأ الخلق): أوجد كل الموجودات.

(انشاء): من غير شيء كان أصلاً لها.

(وابتداءه): اخترعه.

(ابتداء): من غير سبب.

(بلا روية أجالها): من غير فكرة اضطربت في نفسه، والجولان ما هنا مجاز، وحقيقها المحاولة في الحرب، تجاولوا إذا حال بعضهم على بعض كما يفعل غيره عند إحدث أمر من الأمور.

(ولا تجربة استفادها): من غيره لتكون مُعَيَّنَةً له عليها يخلق؛ لأن كل من جربَ لأمر وخبرها كان أدخل في إحكام ما^(٢) يحكم من أفعاله.

قوله: (ولا حركة أحدثها): يريد أنه لا يحتاج إلى حركة ولا اضطراب في تحصيل شيء من أفعاله كما يفعله الواحد إذا أراد فعلاً من الأفعال.

(ولا هامة^(٣) نفس): الهامة ولهمامة هي: الإرادة، وكلاهما صفة مضافة إلى فاعلهما.

(١) سقط من (أ)

(٢) في (ب)، جاء وما أنه من (ب)

(٣) في شرح النهج: ولا هامة

(اضطرب فيها): يريد أنه تعالى ليس له إرادة بهم فيها بالشيء ثم يتردد في ذلك، كما يعرض للإنسان من الإرادات المختلفة والدواعي المتعددة في أفعاله.

(أحال الأشياء): بالحاء المهملة، إما من قولهم: أحال عليه بالدين؛ لأنه تعالى جعل لكل شيء وقتاً أحاله عليه وجعله موعداً لحصوله ووجوده، وإما من قولهم: أحال بالسوط، أي أقبل عليه، فإنه تعالى أحال الأشياء.

(لأوقاتها): أقبل على تصرّفها وإحكامها بعد خلقها وإيجادها.

(ولاءم [بين مختلفاتها]^(١)): فاعل من الملاءمة مهموز من قولهم: لاءمت بين^(٢) القوم إذا أصلحت حالهم^(٣)، فهو تعالى أصلح حال اختلافات حتى تلاءم، ووافق بينها حتى تقررت.

(وغرر غرائزها): أقام طبعها على طبائع مختلفة، ومنه الغريزة وهي: الطبيعة^(٤)، وإما قررها وبينها من قولهم: غررت رجلي في الركاب إذا وضعتها فيه متعكة.

(وألزمها أشباحها): الشبح: الشخص، يريد أنه جعل لكل شيء شحاً وصورة مركبة، لا تعقل تلك الحقيقة إلا بتلك الصورة كالأشباح الإنسانية والأشباح البهيمية وغير ذلك.

(١) ما بين العنقوين سقط من لسخين، وأثبت من شرح النهج

(٢) في (ب): في

(٣) في (ب): بينهم

(٤) في (ب): ومنه الطبيعة وهي الغريزة.

(فأجاز فيها): بالجيم والراي وما عداه خطأ، من قولهم: جاز الطريق إذا سلكها.

(ماء متلاطم تياره): التيار: الموح، المتلاطم: الذي يصك بعضه بعضاً من شدة اضطرابه، يعني أنه سلك في فرج الهواء بحراً متلاطم موجه^(١)

(مراكماً زخاره): المراكم: المجتمع ومنه سحب متراكم، والزخار: الممتد المرتفع، يقال: بحر زاهر إذا كان ممتداً مرتفعاً وهو صفة الماء، وهو البحر يريد أنه مجتمع وله قوة وامتداد (حمله): الضمير للماء.

(على من الرياح العاصفة، والرّعزع القاصفة): ظهرها لتمسكه في الهواء، ولا يتحدر إلى أسفل كما هو من لوازمه، والعاصفة من الرياح هي: الشديدة الهبوب، كأنها تعصف كل شيء بحركتها، والرّعزع: اسم من أسماء الرياح، كأنها ترعزع^(٢) كل شيء إلى الحركة، والقاصفة: الكاسرة، من قصف العود إذا كسره.

(فأمرها برده): فأمر الريح برد الماء على خلاف ما هو من طبعه؛ لأن طبيعة الزول.

(وسلطها على شدة): قواها ومكنها على شدة وثاقه وضبطه.

(١) في (ب). يتلاطم أمواجه،
(٢) في (أ). زرع، وما أثبت من (ب)

(عالم^(١) [بها]^(٢)): سبق علمه
(قبل ابتدائها): لسبق وجوده وعلمه بوجودها.

(محيط^(٣) بحدودها وانتهائها): لأن عالميته لذاته فهو عالم بمقاديرها وانتهائها.

(عارف^(٤) بفراننها وأحنائها): فالأحباء هي: الخوالب: والقرائن: ما يقترن بعضها ببعض، ومقصوده في هذا هو: أنه تعالى عالم بما يقارنها من خواصها وما يحاسبها.

ثم تكلم في كيفية^(٥) خلق الأرض، فقال:

([ثم] أنشأ سبحانه فتق الأجواء): تنق الشيء إذا شقه، وفتقه [كنقه]^(٦) إذا استخرجه، والأجواء جمع جو، فأراد بفتق الأجواء استخراجه، وهي: الفراغات التي بين السماء والأرض.

(وشق الأرحاء، وسكانك الهواء): الأرحاء: هي الجوانب، قال تعالى: ﴿وَالْمَلَكُ^(٨) عَلَى أَرْجَائِهَا﴾ [الحج: ١٧] وأراد جعلها قطعاً، وسكانك الهواء بالسين المثلثة التحتانية هي: فرجه.

(١) في (شرح الهج). علماً

(٢) سقط من (أ).

(٣) في شرح الهج: محيط.

(٤) في شرح الهج: عارف

(٥) قوله: كيفية، ريدة في (ب)

(٦) سقط من (أ)

(٧) سقط من (ب)

(٨) في (أ). والملائكة، فليقرأ، وبأثنت من (ب)، ومن المصحف الذي بين يدي.

(وقرنها إلى حده): يريد أن الله [سبحانه] ^(١) تعالى قرن الريح بالبحر ^(٢) لتعمل فيه العمل الذي تقتضيه الحكمة الإلهية إلى حده الذي علمه الله تعالى، فلا يقدر على معارقته وممايته من غير إذن لها في ذلك، فهذه حكمة بالغة وقدره باهرة في خلق الأرض، ويؤيد هذا.

(الهواء من تحنها فيق): يريد أن لهواء مستخرج من تحت الريح، فتبق أي مفتوق.

(والماء من فوقها دفيق): يعني بالماء البحر الذي ذكره بقوله: متلاطماً تيره، والضمير للريح، ودفق الماء إذا صبه فكأنه فوقها مصبوب، ودفيق بمعنى مدفوق، وهكذا دافق فإنه [بمعنى] ^(٣) مدفوق، وحيث وقع فعله وبه ^(٤) مبني لما لم يسم فاعله، فيقال: دُفِقَ الماء، ولا يقال: دققته.

(ثم أشأ سبحانه رجأ): اخترعها لما يريد من المصلحة.

(اعتقم مهبها): ربح عقيم: لا تلقح سحاباً ولا شجراً، واعتقم بمعنى أعقم: لأن الفعل به لا يكون إلا منعدياً فلا يقال: اعتقمته، ولكن يقال: أعقمته، إذا صيرته عقيماً والهمزة للتعدية، ومعنى اعتقم مهبها أي هوبها، أي جعله ملتوياً لا يكون في سمت واحد.

(وأدام ضربها، وأعصف مجراها، وأبعد منشأها): المرب: المجتمع للريح، ومراده من ذلك هو أن الله تعالى جعلها متصلة الهبوب على نسق

(١) زيادة في (ب).

(٢) في (أ): ما أبحر، وما أثبت من (ب).

(٣) سقط من (ب).

(٤) في (ب): فهو.

واحد، لا ينفصل بعضها لما في ذلك من الشدة، فلما كانت بأمر الله [تعالى] ^(١) على هذه الأحوال.

(أمرها ^(٢)): أمر الإرادة والقدرة لا أمر القول، بعد أن أعصف ^(٣) مجراها أي جعله شديداً، وبعد ^(٤) منشأها جعله بعيداً، لا يعلم حاله من شدة البعد ليعلم بذلك شدة البعد مع السرعة العظيمة في مجراها، وهذا من عجائب القدرة ولطف ^(٥) الصنعة.

(نصفيق الماء الزحار): نصفيق الماء: اصطكاك بعضه ببعض من عظم حركة الريح وعنفها، ونصفيق الشراب تحويله من إناء إلى إناء لما يحصل في ذلك من التصفية للماء عن جميع الأقدار والأكدار.

(وإثارة صوج البحار): لأن بالريح تكثر الأمواج وتعظم حركتها.

(فمخصته محض السقاء): فحركت الريح هذا الماء الموصوف لما يراد به من التكوين محضاً يشبه شخض السقاء وهو: وعاء اللبن.

(وعصفت به): والعاصف هي: اريح الشديدة، قال الله تعالى: ﴿جَاءَهَا رِيحٌ عَاصِفٌ﴾ [برس. ٢٢] والضمير للماء.

(عصفها بالفضاء): يريد مثل ^(٦) عصفها بالفضاء، وهو: الفراغ الخالي

(١) سقط من (ب).

(٢) في شرح النهج: فأمرها.

(٣) في (ب): عصفت.

(٤) في (ب): وأبعد.

(٥) في نسخة: ولطف، (ذكره في هامش ب).

(٦) في (ب): ميل.

مع ما فيه من البهاء ؛ لأن الرياح إذا اختلفت مهاتها لعبت به يمياً وشمالاً فلا يكون له قرار بحال ، وكيفية عصفها له إنما يكون^(١) بأن

(ترد أوله على آخره) : بشدة اضطرابه ونحره بها.

(وساحيه على مدره) : والساجي هو : الساكن ، لقوله تعالى : ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى﴾ [يسر ٢] والمائر هو : المتحرك ، كما قال تعالى : ﴿يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا﴾ [الطور ٩].

(حتى إذا عبا عبابه) : حتى هذه هي الابتدائية ، مثلها في قوله تعالى ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ﴾ [يسر ٢٤] وهي كثيرة في كتاب الله تعالى ، وعب : كثر وعظم ، والعباب بالضم هو : الماء الكثير المندفق^(٢) المرتفع.

(ورعى بالزبد) : لشدة ما يألفه من الحركة والاضطراب بالريح.

(ركامه) : والركام هو : المتراكم المحعون بعضه على بعض . كما قال تعالى ﴿فَبَرَكُوهٗ﴾

(فرفعه في هواء منفثق) : فرفع الماء عن مستقره إلى هواء منفثق مشقوق ، من فثق الشيء إذا شقه.

(وجو منفثق) : والجو هو : المكان الحالي ، والمنفثق : الواسع ، فكان عاقبة هذا البحر ، أن :

(١) في (ب) . تكور

(٢) في (ب) : المنفق

(سوى منه سبع سموات) : فهذه دلالة من كلامه (عليه السلام) على أمرين :

أحدهما : أن خلق الأرض كان قبل خلق السماء^(١) وتكوينها.

وثانيهما : أن ظاهر كلامه دل على أن خلق السماوات إنما كان من البحر الموصوف حاله ، وليس مناقضاً لها هنا لما قاله تعالى : ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ﴾ [ص ١١] ، لأنه يجوز أن يكون البحر بعد ما رمى بالزبد وعب صار دخاناً ، لكنه لم يتعرض لذكره (عليه السلام) ، واكتفى بما ذكره من صفة أحواله ، فلا يكون ظاهره مناقضاً لما في الآية.

سؤال ، أليس قد قال تعالى في سورة النازعات بعد ذكره خلق السماء : ﴿وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ فَنُفِثَ﴾ [النازعات ٣٠] ، وهذا يدل على أن خلق الأرض بعد خلق السماء خلاف ما قررتموه ؟

وجوابه : أنه يجوز أنه تعالى خلق كرة الأرض أولاً ثم أنه خلق السماء بعد ذلك ، ثم بعد خلقه للسماء وتكوينها أقل على دحو^(٢) الأرض وبسطها ، كما قال : ﴿وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ فَنُفِثَ﴾ [النازعات ٣٠] ، وعلى هذا لا تناقض فيه.

(جعل سفلاً هن) : وهي التي تليها جعلها.

(موجاً) : من موج البحر.

(مكفوفاً) : عن الحركة والهوط إلى أسفل لما فيه من الثقل.

(١) في (ب) . السموات

(٢) في (ب) . دحوا

(وَعَلَيَّاهُنَّ سَقْفًا مَحْفُوظًا) : ولعلها منهن كالسقف لما تحته محفوظاً
عروساً عن تخطف الشياطين في استراق السمع.

(وَسَمَكًا مَرْفُوعًا) : والسماك : الرفع على الأرض وعلى ما تحته من
اسماوات، ثم من القدرة الباهرة والإحكام الدبيع مع الانبساط
الكلبي جعلها.

(بغير عمد) : من غير عماد وهو ما يعتمد عليه من عود وحجر.

(بدعمها) : يكون دعامة له فيستقر عليه كما في مصنوعات الخلق، فإن
أقل فليله مستقر إلى اندعامة ليستقر عليها

(وَلَا دَسَارَ يَنْتَظِمُهَا) : والدسار : واحد الدسر، وهو : الخيوط التي
يشد بها ألواح السفينة، كما قال تعالى : ﴿عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَكُسْرٍ﴾ [النور : ١٣٠]
يريد مع كثرة الانتظام في تأليفها فلا يحتاج إلى ما يضمها ويرأب
بين أحرائها

(ثم زينا بزينة الكواكب) : ثم لما أكمل حلقها ونظمها على نظامها
العجيب أتم خلقها بنور هذه لكواكب الجارية فيها، كما قال تعالى : ﴿إِنَّا
زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةِ الْكَوَاكِبِ﴾ [الأنعام : ١٧٥] فأما سائر لسماءات فيحتمل
أن تكون مكوكبة وأن تكون غير مكوكبة، والكواكب هي : هذه
الاجوم كلها.

(وضياء الثواقب) : المضيئة الزاهرة، من قولهم : ثقيبت النار^(١) إذا
انقدت وظهر نورها.

(١) في (أ) : وسماكها، وما أثبت من (ب) ومن شرح الهج
(٢) في (ب) : الدسر

(وَأَجْرَى فِيهَا سَرَّاحًا مُسْتَطِيرًا) : أجراه إذا جعله جارياً، وأراد
بالسراج الشمس، واستطارتها : حركتها، والمستطير : الطالب للطيران من
شدة الحركة وعظمتها.

(وَقَمَرًا هَنِئِرًا) : مضئاً ذا نور، وإنما خص هذين الكوكبين من بين
سائر الكواكب لما يختصان به من عظم النور فيهما، ولما جعل الله فيهما
من كثرة المنافع للخلق في تصرفهم ومعاشهم

(فِي فَلَكٍ دَائِرٍ، وَسَقْفٍ سَائِرٍ، وَرَقِيمٍ هَائِرٍ) : الظرف متعلق بأجري، أي
وأجري الشمس والقمر في فلك دائر، دورانه على حركة معلومة ومقدار
محكم، وأراد بالسقف الفلك : لأنه لها كالسقف لأنها جارية فيه، وهو
متضمن لها حركتها بحركته، فأما الرقيم ها هنا فيما أراد به الفلك، وإنما
وصف بالمر لكثرة حركته وشدتها في السرعة، وقد فسر قوله تعالى : ﴿لَنْ
أُصْحَبَ الْكَتَبِ وَالرَّقِيمِ﴾ [الكهف : ١٠] على أوجه ثلاثة كلها صالحة ها هنا.

أما أولاً : فالرقيم هو الكتاب، فلما جعل الله حركة الفلك والأبصار
الكوكبية أسباباً لتجدد الحوادث في العالم السفلي^(١) كان كالكتب المرقوم،
كما ذكره [السيد]^(٢) الإمام علي بن ناصر الحسيني صاحب
(أعلام النهج)^(٣).

(١) في (ب) : السعال

(٢) سقط من (ب).

(٣) اللفظ في أعلام النهج - ج - ص ٤ - ولعله أراد به السلك : لأن الله تعالى جعل حركة الفلك
وانصالات الكواكب سبباً لتجدد الحوادث في العالم السفلي، كان ذلك كالكتاب المرقوم،
ولذلك وصفه بالسير انتهى.

وأما ثانياً: فبأن يكون الرقيم بنبان، كما حكى عن ابن عباس أنه قال:
ما أدري ما الرقيم؟ أكتاب أم بنبان^(١)؟

وهذا حاصل في الفلك فإنه مؤلف على نظام مخصوص
وأما ثالثاً: فيحتمل أن يكون الرقيم لوحاً مكتوباً، وهكذا حال الفلك
يحتمل ذلك

ثم تكلم في خلق السماء والأرض، بقوله:

(ثم خلق ما بين السماوات والعلاء): يريد شق ما بين السماء والأرض،
كما قال تعالى: ﴿أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا﴾ [الأنعام: ٣٠] يريد
فصلنا هذه عن هذه

(فملاهن أطواراً من ملائكته): فحشاهن من الأطوار، يعني الخلق^(٢)
المختلفة، كما قال تعالى: ﴿وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾ [إبراهيم: ٨] ثم جعلهم أنواعاً
ووصف لكل واحد منهم وصيفة في العبادة والقيام بأمره.

(منهم ساجدون لا يركعون^(٣)): واضعون جباههم على الأرض
لا يرفعونها.

(وركوع لا ينتصبون): حائون أصلابهم لا يقيمونها.

(وصائفون لا يتزايلون^(٤)): مستوية أقدامهم من غير تفريق ولا مزيلة.

(١) الهداية لابن الأثير ٢/٢٥٤، ومختار الصحاح ص ٢٥٣

(٢) في (ب) الخوف.

(٣) قوله: لا يركعون، زياده في شرح النهج

(٤) قوله: لا يتزايلون، زياده في شرح النهج

(ومسبحون): شاغلون ألسنتهم بالذكر وأنواع لتسيح وضروب
التحميد لربهم، قد شغلوا بهذه ابوظائف وخلقوا لها
[لا يسأمون]: لا يملون^(١).

(فلا يفشاهم): يعترهم ويتلبس بهم

(نوم العيون): إنما أضاب النوم إلى العيون لأن ظهور أوائمه إنما يكون
بالأعين ثم يتصل بسائر الأعضاء في الاسترخاء.

(ولا سهو العقول [ولا فرة الأبدان، ولا غفلة النسيان]^(٢)): ولا يعرض
لعقولهم ما يعرض لعقول البشر من السهو؛ لتحفظها وتيقظها^(٣)، ولا
تعترهم فترة في أبدانهم لما خصوه^(٤) من القوة وشدة البطش، ولا تلحقهم
غفلة النسيان، بل هم على خلاف هذه الأحوال لما أراد الله بهم من
الكرامة، وقرب المكان إليه، وعظم الرقة عنده

اللَّهُمَّ، اجعلنا ممن تدخل عليهم الملائكة من كل باب بالتسليم والبشارة
بحسن عقبى الدار.

(ومنهم): أي ومن الملائكة من خلقوا لغير هذه الحالة.

(أمناء على وحيه [وألسنه إلى رسله]^(٥)): ينزلون بالوحي على ألسنة
الرسل بالأحكام الشرعية والأخبار السماوية.

(١) سقط من (ب).

(٢) ما بين المعنيتين زيادة من شرح النهج

(٣) في (أ): وتنطقها، وما أثبت من (ب)

(٤) في (ب): خصوا.

(٥) زيادة من شرح النهج

(وَمُخْتَلِفُونَ بِقَضَائِهِ وَأَمْرِهِ): بأنواع الرحمة وضروب البلاء لأهل الإحسان ولأهل الإساءة إلى غير ذلك من الخير والشر، والحياة والموت، وأنواع الأقضية والأوامر.

(وَمِنْهُمْ الْحَفَظَةُ لِعِبَادِهِ): يريد الملائكة من يحفظ العباد، كما قال تعالى: ﴿وَإِنْ عَلَيْكُمْ لَحَافِظَاتٌ﴾ [المطر ١٠] يحفظون أعمالهم ويصبطونها، ويحفظونهم بالليل والنهار عن الهوام وسائر المؤذيات حتى تقضي آجالهم.

(وَمِنْهُمْ السَّيِّئَةُ): يريد الحفظة والحجاب

(لِأَبْوَابِ جَنَائِهِ): كما قال تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا جَاءَهُمَا بُشِعَتْ أَبْوَابُهُمَا وَقَالَ لَهُمْ خُذْهَا﴾ [الرعد ٧١].

(وَمِنْهُمْ الثَّابِتَةُ فِي الْأَرْضِ^(١) السَّافِرُ أَقْدَامَهُمْ): خلق عظيم قد رسخت في الأرض أقدامهم

(وَمُرْقِنُ^(٢)): حرحت.

(مِنَ السَّمَاءِ الْعُلْيَا أَعْنَاقَهُمْ، وَالْحَرَجَةُ مِنَ الْأَقْطَارِ): يعني أقطار السماء وهو: جوانبها.

(أَرْكَانَهُمْ).

(وَالْمُنَاسِبَةُ): يريد المساوية.

(لِقَوَانِمِ الْعَرْشِ أَكْتَفَهُمْ): إما بالون وهو: حواشيها؛ لأن الكنف

(١) في شرح النهج: الأرضين

(٢) في شرح النهج: والمرقة

هو اجانب، وإما بالثناء وهو: المنكب، وكلاهما محتمل ها هنا.

(فَانْكَسَتْ دُونَهُ^(١) أَبْصَارُهُمْ): خافضون لأبصارهم هيئة لجلال الله وعظيماً لسلطانه

(مُتَلَفِعُونَ بِأَحْنَتِهِمْ): التلوع هو: التغطي بالأحنحة على جهة التذلل.

(تَحْتَهُ^(٢)): الضمير للعرش فيكون التحت حقيقة، أو يكون الضمير للرب فيكون التحت مجازاً، أي تحت القهر واسلطان.

(مَضْرُوبَةٌ): أي مراحة، من قولهم: ضربت لحجاب إذا أرخيته.

(بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَنْ هُوَ دُونَهُمْ): قوله: من هو دونهم، إما أن يريد به الملائكة غير هؤلاء الذين وصف حالهم، وإما أن يريد [به]^(٣) من [هو]^(٤) دونهم من الثقلين الجن والأنس

(حُجِبَ الْعِزَّةُ وَاسْتَارَ الْقُدْرَةُ): محتمل أن تكون هذه الحجب والأستار حقيقة، وقد ضربها الله تعالى بينهم وبين من دونهم^(٥) لما يعلم من المصلحة وتبسيطاً على علو الدرجة، ويحتمل أن تكون مجازات، ولا حجاب هناك ولا ستر، وإنما الغرض هو بعدهم عن دونهم وتبسيطهم عن سواهم، لا يعلم حالهم، كأنهم مضروب عليهم بحجب وأستار، فلا يحيط بحقيقة حالهم إلا الله تعالى.

(١) في (أ) دونهم. وما أثبت من (ب) ومن شرح النهج

(٢) في (ب) من تحته

(٣) ردة في (ب).

(٤) ردة في (ب)

(٥) في (أ) دونه، وفي (ب) ما أثبت

(لا يتوهمون ربهم بالتصوير، ولا يحزنون عليه صفات المصنوعين) :
(أي) لا يطلقون عليه شيئاً من صفات الخلق إذ هي غير صادقة عليه.

(ولا يحسونه بالأماكن) : أي لا يعتدونه في مكان فيقال : هو هناك.
(ولا يشيرون إليه بالنظائر) : أي لا يعتقدون أن له نظيراً ومثلاً،
فيقولون : هو مثل هذا، فسبحان الماهر في سلصانه، والعظيم في علوه
محمده وشأه.

ثم تكلم في كيفية خلق آدم، بقوله :

(ثم جمع من حزن الأرض وسهلها) : أراد أن الله تعالى ألف هذه
الصورة وجمعها من أنواع مختلفة وضروب متباينة ليدل بذلك على إظهار
قدرته وباهر حكمته، فركبها من حزن الأرض وهو : التراب الحزن
الغليظ، والسهل هو : اللين الأسلس

(وعذبها وسنبحها) : العذب : الطيب لميت، والسَّحَّ : الفساد
المسترخي، فلا يصلح للإنبت.

(تربة) : مجموعة من هذه الأحلاط المختلفة.

(سنَّها بالماء) : مَنَّها به ورقَّعها، أو حَكَّها، من قولهم : سننت الحجر
إذا حككته

(حتى خلصت) : من كل كبر.

(ولا طها بالبلّة) : لاط الخوض إذا طينته بالتراب وملسه، والضمير للتربة
أي^(١) ملسها بالرطوبة.

(حتى لزيت^(٢)) : أي لزقت بعضها ببعض، وكانت مختلطة، كما قال
تعالى : ﴿وَمِنْ طِينٍ لَّازِبَةٍ﴾ [الأنعام: ١١] أي لازق.

(واصلدها) : صلَّها، ومنه حجر صلد إذا كان صلباً.

(حتى صلصلت) : أي صار^(٣) لها صوت ليسها وصلابتها ورقة
تركيبها. والصلصال : الطين الياس غير انطوخ، فإذا طبخ فهو الفخار
بعبه، ثم جعلها على هذه الهيئة وركبها على هذه التربة :

(بوقت محدود، وأجل معلوم) : اللام في قوله : لوقت محدود متعلقة
بقوله : (جمع تربة) يعني أنه جمع هذه التربة على هذه الكيفية، لأجل
معلوم وهو ما بين تركيبها ونفخ الروح فيها

سؤال : لم قال : (سنَّها بالماء)، وقال : (لاطها بالبلّة) وكلاهما محتاج^(٤)
إلى ما يضم لأجزاء من الرطوبة ؟

وجوابه هو : أن السنَّ يقتدر إلى كثرة الماء ؛ لأن الغرض أن يخرج بين
الحجرين شيء يسيل متهما، فلماذا قال : (سنَّها بالماء) بخلاف حال التربة
إذا لاطها، فإن الغرض هو لونها لتكون مجتمعة فلماذا قال : (لاطها بالبلّة)
لما كان لا يقتدر إليها كافقار السن.

(١) في (ب) : الذي

(٢) بعده في شرح النهج : فجعل منها صورة ذات أحياء ووصوء، وأعضاء وفصول، أجمد
حتى استمسكت.

(٣) في (ع) : صارت.

(٤) في (ب) : يحتاج.

(ثم نفخ فيها من روحه): النفخ يحتمل أمرين:

أحدهما: أن يكون المراد بالنفخ هو: الإحياء، ولا نفخ هناك أصلاً ولا منقوخ فيه، وإنما هو صادر على جهة التمثيل، وعارة عن ما يحصل به الإحياء، وهو خلق الروح في هذه التربة المركبة على هذه الكيفية.

وثانيهما: أن يكون الإحياء حاصلًا عقيب هذا النفخ، ويكون فيه سر ومصلحة استأثر الله بعلمها، ويكون إيجاد هذه الواسطة وهي النفخ كسائر الوسائط التي يفعلها الله تعالى، وقوله: (ثم نفخ فيه^(١)) يدل على أن بين تركيب الصورة ونفخ الروح فيها مدة متراحية؛ لأن ثم للمهلة والتراخي.

(فمثلت إنساناً): أي حصلت شخصاً تاماً، وإتيائه بالفاء هاهنا دلالة على عدم التراخي بين النفخ وصورته إنساناً؛ لأن الفاء تدل على عدم المهلة. وإنساناً منصوب على الحال، أي مثلت على هذه الحالة مصورة على شكل الإنسانية^(٢).

(ذا أذهان عجيبها): أراد بالأذهان العمل وعلومه، [التي]^(٣) يجلبها في كل جانب، ولهذا قال (عليه السلام): «قلب ابن آدم أشد تقبلاً من الريشة على طهر الماء»^(٤).

(وفكر يتصرف بها): الفكر هي: الأنظار والخواطر التي يتصرف بها في الفع ودفع الضرر.

(١) ردة في (ب)

(٢) في (ب): إسمية

(٣) سقط من (ب)

(٤) أورده في موسوعة أطراف حديث ٧١٣/٥، بلقط: «قلب ابن آدم أشد اعجاباً» وعراه إلى

تحاف السادة المتقين ٣٠٣/٧، وتاريخ بغداد ٤٠٧/٨

(وجوارح يستخدمها^(١)): كاليد والرجل فإنهما آلتان للكسب، وسائر الجوارح فإنها صارت مطيعة له في كل ما استعملها على جهة الانقياد من غير مخالفة.

(وأدوات يقلبها): فرق (عليه السلام) بين أجوارح والأدوات، فجعل الجوارح ما تكون سبباً لاكتساب وطريقة له، وجعل الأدوات ما ليس كذلك كالعين، ولهذا قال في الأول: يستخدمها، وفي الثاني: يقلبها، لا غير.

(ومعرفة يفرق بها): أراد بالمعرفة القلب؛ لأنه محل العلم والمعرفة، فما كان المراد منه هو التمييز.

(بين الحق والباطل): وضع المعرفة مكانه

(والأدوق والمضام): يعني ويفرق بين ما كان مدوقاً فيدركه بآلة ذوقه، وبين ما كان مشموماً فيدركه بآلة شمه

(والألوان والأحناس): فالألوان يدرك التفرقة بينها بحاسة لبصر لأنها متضادة، والأجناس ما عدا ذلك من التفرقة بين الإنسان والفرس، ولظلمة والنور، والحجر والماء، وغير ذلك من الأجناس المختلفة، التي يعلم اختلافها بالضرورة.

(معجوناً بطينة الأكوان المختلفة، والأشباه المؤلفة، والأصداد المعادية، والأحلاط المتباينة، من الحر والبرد، والبله والجمود^(٢) والمساءة والسرور): مركباً من أمور مختلفة، وانتصابه صفة لإنسان، ومنه العجيب

(١) في شرح الهمح: يستخدمها

(٢) في (أ): الحمودة، وما أثبت من (ب) ومن شرح الهمح

لأن المرأة تلويه^(١) وتجمعه حتى يكون مركباً من أجزاء، وقد أشار (عليه السلام) في كيمية تركيب خلقه، إلى أنواع أربعة:

النوع الأول: الأكوان المختلفة.

وغرضه بالأكوان المختلفة هي: الأعضاء المفردة، وجملتها عشرة وهي: العظام، والعصب، والأوتار، والعضلات، والعروق، والشحم، والعشاء، والخلد، والشعر، والظفر، فهذه هي الأعضاء المفردة، وكل واحد من هذا^(٢) مختص بفع وطبيعة تختلف غيره.

النوع الثاني: الأغشاء المختلفة.

ويريد بالأغشاء المختلفة ما كان مركباً من هذه الأعضاء، وجملتها ثمانية عشر: الدماغ، والعينان، واللسان، والأذنان، والقلب، والرئة، والحجاب الحاجز بين الصدر ولطن، والمعدة، والمعاء، والكبد، والمرارة، والطحال، والكليتان، والمثانة، والأثنيان، والذكر، والرحم. وهذه لها لطائف وحصائص ومنافع لا يحيط بعجزها إلا الله عز سلطانه.

النوع الثالث: الأضداد المتعارضة.

والمراد بكونها متعادلة هو أنها لا تجتمع في محل واحد، وإنما يكون اجتماعها على^(٣) جهة التركيب بلطف الله ودقيق حكمته، وهذه هي الأمزجة، وحملتها تسعة: أربعة منها مفردة، وهذه هي: الحرارة، والبرودة، والرطوبة، واليبوسة، وأربعة منها مركبة وهي: الحرارة

(١) في (أ)، تلويه، وما أثبت من (ب)

(٢) في (ب) هذه

(٣) في (ب) في

مع اليبوسة، والحرارة مع الرطوبة، والبرودة مع اليبوسة، والبرودة مع الرطوبة، فهذه ثمانية، والتاسع هو: المزاج المعتدل من هذه.

النوع الرابع: الأخلاط المتباينة

وعني بكونها متباينة هو: أن طع كل واحد منها مابين^(١) طبع الآخر، وهذه هي أربعة أيضاً: الدم، وهو حار رطب، والصفراء، وهي حارة يابسة، والسوداء، وهي باردة يابسة، والبلغم، وهو بارد رطب، فهذه إشارة إلى ما قاله (عليه السلام) على جهة الإجمال، ومن أراد الإطلاع على عجائب القدرة في خلقه الإنسان فعليه بكتب التشريح، ومن أبلغها: (الشفاء) لأبي علي بن سينا^(٢).

(واستأدى الله سبحانه الملائكة وديعته^(٣) لديهم، وعهد وصية إليهم، في الإذعان بالسجود له والجنوح^(٤) لتكرمه فقال: «استجثوا لآدم فسجثوا» (نور: ٢٤): استأدى الشيء إذا طيب أدهه، يريد أن الله تعالى قد كان عهد إلى الملائكة عهداً أودعه عندهم وقرره في نفوسهم، بقوله: «إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَلٍ مُسْنُونٍ» (الحجر: ٢٨)، وأمرهم بالإذعان وهو: الانقياد للسجود عند تسويته، واستقامته بشراً سوياً وشبهاً آدمياً

(١) في (ب) - يابن

(٢) هو الحسين بن عبدالله بن سينا أبو علي (٣٧٠-٤٢٨ هـ) شرف الملك، الفيلسوف الرئيس، صاحب التصانيف في الطب والمنطق والطبيعات والإلهيات، أصله من بلخ، ومولده في إحدى قرى بخارى، ونشأ وتعلم في بخارى، وطاف البلاد، وناظر العلماء، واتسعت شهرته، وله مصنفات كثيرة منها: الشفاء في الطب أربعة أجزاء، والقانون في الطب، ولإشارات وغيرها (انظر الأعلام ٢/ ٢٤١-٢٤٢).

(٣) في (ب) - وديعة.

(٤) في شرح النهج: والجنوح.

تكرمة [له] ^(١) إذ جعله قبله يسجد لله نحوه، كما فعل القبلة مكاناً يسجد لله نحوه، فقال: ﴿اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا﴾ [المر: ٢٤] امتثالاً للأمر وانقياداً له.

(إِلَّا إِبْلِيسَ) وقبيله: هو استثناء منقطع؛ لأن إبليس لم يكن من الملائكة وإنما هو من الجن، وإذا كان مخلوقاً من نار والملائكة مخلوقون من نور فليس مدرجاً تحتهم فلهذا كان منقطعاً، وأنكر بعض الأصوليين الاستثناء المنقطع، وحصل الآية على أن التقدير فيها فسجد الملائكة ومن أمر بالسجود إلا إبليس، وعلى هذا يكون مصلاً، وهذا تعسف لا وجه له، فإن الانقطاع وارد في اللغة لا يمكن دفعه، كقولهم: ما زاد إلا ما نقص، وما نفع إلا ماضر، وقد ذكرنا ما هو الحق من ذلك في الكتب الأصولية

(اعتزتهم الحمية): الضمير له ولقبيله، اعتراه الأمر إذا غشيه، قال تعالى: ﴿إِنَّ قَوْلَ الْإِغْرَاكَ بَعْضُ الْهَيْئَةِ بِشَوٍّ﴾ [مرد: ٥٤] والحمية بالتشديد هو الاحتماء وهي الأنفة، يقال: حمت عن كذا حمية، إذا أنفت عنه، وفعل وفعية قن ما يردان ^(٢) في المصادر، فإن استعمل فَعِيلٌ مصدرٌ فهو مخصوص بالأهوات كالزبر والوحيف وغيرهما، واستعمال فعيلة ^(٣) مصدرٌ قليل.

(وغلبت عليهم الشقوة): قهرتهم، وكانت هي المستولية بسلطانها ^(٤)

بها عليهم، والشقوة بكسر الفاء هي: للضرب من الفعل كالجلسة والقيعة، والشقوة بفتح الفاء والشقاوة بمعنى الشقاء.

(وتعززوا بحلقة النار): أضافوا عزتهم إلى ما عليه اندر من الحركة الشديدة، والنور الكثير، والتسلط على كل شيء بالإتلاف.

(واسنوهنوا خلق الصلصال): واستضعفوا من الوهن وهو: الضعف ما عله الصلصال من اسوداد جوهره وبشاعة خلخته، وخشانة تأليفه، وضعف قوته ينقب باد ^(١) في حركة تماسه، والمعنى في هذا هو أن إبليس وقيله من الأبالسة والشياطين لما غلب عليهم التكبر واسحكم في أفتدتهم الاحتماء والأنفة عن السجود خالفوا أمر الله بالسجود لآدم فاستحقوا غضب الله وسخطه وإنزال ^(٢) العقوبة لأجل المخالفة:

(فأعطاه الله النظرة): يعني التأخر إلى الآخرة، وعلل تأخره بأمر ثلاثة:

(استحقاقاً للسخط): ليكون مستحقاً للسخط بالمخالفة، ويكشف عنه اللبس فيه.

(واستتماماً للبلية): ولتكون العقوبة تامة بما يزداد من كفره ^(٣) المخالفة للأمر في الدنيا بسبب الإمهال

(١) كذا في (أ)، وفي (ب) يفتح نازلاً، إلخ، ولعل الصواب: يمت بأدنى حركة تماسه.

(٢) في (أ): وأنزل.

(٣) سقط من (ب)

(١) سقط من (ب)

(٢) في (أ): يرد، وفي (ب) ما أنته

(٣) في (ب) معبلة

(٤) في (ب): لسلطانها

(وإحزاً بالعدة): حيث قال تعالى:

(إِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ) (الحجر: ٢٧): وهو الصادق فيما قال، والمنجز

لما وعد.

(ثم أسكن سبحانه آدم (عليه السلام) داراً): وصلها بقصة إبليس لما بينهما^(١)

من لتلارم، وهي قصة واحدة، فلما أورد الله تعالى كرامة آدم بخلقه
وسكنه الجنة.

(أرغد فيها عيشته^(٢)): طابه من قولهم: عيش راغد ورغد^(٣) إذا
كان طيباً

(وآمن فيها محلته): المحلة: المنزل^(٤) بفتح العين، والمحل أيضاً بفتحها
هو: المكان الذي يحل فيه، وهما إردان على اقياس، فأما قوله تعالى:
(حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيَ مَحَلَّهُ) (البقره: ١٢٦) فهو خارج عن قياس^(٥) بابه وخروجه
كخروج المسجد والمسك، وأراد أنه^(٦) جعله في عيش طيب، وآمن
لا يخاف.

(وحذره إبليس وعداوته).

سؤال: في أي موضع قد قرر^(٧) الله عداوة إبليس ومكره لآدم،

(١) في (أ) بيها، وما أنته من (ب)

(٢) في (أ) عيشه، وما أنته من (ب) ومن شرح النهج.

(٣) في (أ): ورغد

(٤) في (ب): المنزل

(٥) في (أ): القياس، وما أنته من (ب) فهو الصواب

(٦) في (ب): وأراد به

(٧) في (ب): قرر.

حتى قال (عليه السلام): (وحذره عداوته)؟

وجوابه: أنه^(١) من وجهين:

أما أولاً: فيحتمل أن يكون الله تعالى^(٢) قد أبلغه^(٣) ذلك على لسان
جبريل مع غيره من أنواع الحكم.

وأما ثانياً: فلمكان ما وقع منه من المخالفة في الأمر بالسجود لآدم،
فإذا كان قد اعتراه الحسد والأنفة في سجدة لا يناله بها تفع عاجل إلا
الكرامة، فأف عها، واستكبر عن تأديتها، فكيف حاله إذا فار بالنعيم
المقيم، والقور الذي لا فوز وراءه، فعلى هذا يكون مكره أكثر، وعداوته
له أعظم وأكبر فلهذا أعمل رأيه وضرب سهامه.

(فاغتره إبليس^(٤) نفاسة عبيه): فأناء على غرة، وأنفذه فيه^(٥) مكره من
حيث لا يشعر، كما قال تعالى: (فَدَلَلْنَا بِمُزْوَرٍّ) (الأعراف: ١٢)، ونفست فلاناً
على كذا إذا حسدته إياه، ولم تره أهلاً له، وانتصاب نفاسة على المفعول
له، ويجوز أن يكون مصدراً في موضع الحال، أي حاسداً له من فاعل
اغتره، وهو إبليس حيث رآه ساكناً مستقراً:

(بدار المقام): موضع الإقامة حيث لا يظعن أساكين، ولا يرحل المقم
وحيث وجده مطمئناً.

(١) سقط من (ب) قوله: إنه.

(٢) زيادة في (ب) قوله تعالى

(٣) في (ب): بلغه.

(٤) في شرح النهج: عدوه.

(٥) سقط من (ب) قوله: فيه.

(وهو حقيقة الأبرار): من الأنبياء والصالحين وأشهداء.

(فباع): يعني آدم أي فكان ما تقدم من الاعتراض سبباً للبيع.

(اليقين): إما علمه بعداوة الشيطان وخدعه، وإما يقينه بما هو فيه من
لذّة العيش ورغده.

(بشكه): وهو: ظنه أن إبليس ناصح له في قوله: «إِنِّي لَكَ مِنَ
الصّٰحِحّٰتِ» [النمر ٢٠]

(والعزيمة): وهي الأخذ بالحزم في مخالفة أمر اللعين، وبجانبه
خفي مكيدته

(بوهنه): بما تحقّقه من بعد من ضعف رأيه في الانقياد لما قاله إبليس

سؤال، لم عدل عن اللام إلى الإضافة في قوله: (فباع اليقين بشكه،
والعزيمة بوهه) وهلا ساوى بينهما باللام بأن يقول: فباع اليقين بالشك،
والعزيمة بالوهن؟

وجوابه هو: أن اليقين والعزيمة كأنهما من جهة الله بتوقيفه ولطفه فلا
احتصاص له بهما، بخلاف الشك والوهن فإنما كانا باغتراره من جهة
نفسه، فلهذا أضافهما إلى آدم لما لهما من مزيد الاحتصاص به.

(فاستبدل^(٢) بالجدل): وهو ما كان فيه من السرور واللذة والغبطة.

(وخلأ): وهو مفارقة اللذة، ورغده المعيشة، واستشعار لزوم العقوبة
الدائمة لمخالفة الأمر من الله تعالى

(١) في (ب) - لذة

(٢) في (ب) في شرح الهج: واستبدل

(وبالاعتزاز): وبما كان من تعويله على الاعتزاز.

(نهما): وهو عصا الأنامل على ما نزع منه وفاته، ثم تداركه الله
تعالى بما كان من لطفه [به] «^(١) ورحمته إياه.

(ثم بسط الله سبحانه^(٢) له في توبته): يعني أنه ألهمه للاستغفار
بقوله: «رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ
الْخٰسِرِيْنَ» [الأعراف ٢٣].

(ولقاه كلمة رحمته): بقوله: «فَلَقَىٰ آدَمَ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ» [البقرة ٣٧]
وقرئ [كلمات]^(٣) بالنصب على أن آدم هو المتلقي لهن، وقرئ بالرفع على
أنهن المتلقيات له بالتدارك والرحمة.

(ووعده المردة إلى جنته): بقوله: «صَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ
الرَّحِيمُ» [البقرة ٣٧] ثم كان يعد الإقسام على مخالفة الأمر بأكل الشجرة

(أهبطه إلى دار البلية): أهبطه أي أنزله من علو، يكون متعدياً لمكان
الهمزة كأخرجه، وهَبَطَ يَهْبِطُ وَهَبَطَ يَهْبِطُ، بغير همزة يتعدى^(٤) نارة
ويلزم أخرى. دار السية هي: الدنيا لما فيها من التكاليف الشديدة.
ومقاسات الأمور الصعبة، والأمراض، والغمو، والأحزان الكثيرة

(وتناسل الذرية): وحيث أذن الله بالتناكح الذي يحصل بسببه النسل
والتوالد، وبعد وقوع ذلك وحصوله من جهة الله تعالى كلفهم بما قرره

(١) سقط من (أ).

(٢) قوله - الله سبحانه، زيادة من شرح الهج

(٣) زيادة في (ب).

(٤) في (أ): مبعداً، وهو تحريف

في عقولهم، وعهد إليهم بما ركه في أفهامهم من معرفة توحيد، وتنزيهه عما لا يليق بداته.

(فاصطفى سبحانه من ولده أنبياء): الاصطفاء هو: الاختيار، فاختار الله هؤلاء الأنبياء، واحتصمهم بالرسالة لما يريد من كرامتهم، وبلاغ الحجة على الخلق، كما قال تعالى: ﴿لَعَلَّ يُكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ [الباء ١٦٥]

(أخذ على الوحي ميثاقهم): أخذ الميثاق هو: تأكيد، وتخصيل^(١)، كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ﴾ [ال عمران ٨١]، والميثاق: ما يستوثق به من ذمة وعين، وقوله: على الوحي أي على حفظ الوحي وإبلاغه من غير خيانة [فيه]^(٢) بزيادة، ولا تقصير في أدائه.

(وعلى تبليغ الرسالة أصانتهم): الرسالة: ما يرسل به من كلام وشرعة، والمصدر منه هو: الإرسال، والمعنى وأخذ على تبليغ الرسالة إلى الخلق ما اتتمنهم عليه من أنواع التكاليف وسائر ما تعبدوا به أمانتهم الأمانة والأمن والأمة مصادر كلها بمعنى واحد، وقد تطلق الأمانة على الشيء المؤتمن عليه.

سؤال: ما المراد بالأمانة والميثاق اللذين أخذهما الله تعالى^(٣) على الأنبياء، كما دل عليهما^(٤) كلامه ها هنا؟

(١) في (ب)، وغضله.

(٢) سقط من (ب).

(٣) زيادة في (ب) قوله: تعالى.

(٤) في (ب): عليه.

وجوابه: هو أن يبلغوا ما أرسلوا به، ولا يغيروا شيئاً بزيادة ولا نقصان ولا تحريف، والمواثيق ثلاثة:

أولها: ما أخذه الله تعالى على الخلق من الإقرار بربوبيته والاعتراف بوجدانيته، كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنِّي أَدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ إِفْرَاقَهُمْ﴾^(١) [الأعراف ١٧١].

وثانيها: ما أخذه الله على الأنبياء في سلخ ما أرسلوا به، حيث قال: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ﴾ [الأنبياء ٧٠].

وثالثها: ما أخذه الله على العلماء من بيان ما علموه، حيث قال: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ﴾ [ال عمران ١٨٧].

(لما بدل أكثر الخلق عهد الله إليهم)^(٢): يريد اصطفاهم حين بدل أكثر الخلق، خالفوا ما عهد إليهم من هذه المواثيق والعقود.

(فجهلوا حقه): وضعوا ما يليق بأمره من توحيد والإقرار بمعرفته والقيام بعبادته، والقيام بواجباته، فخالفوا ذلك كله فركوا التوحيد.

(واخذوا الأنداد معه)^(٣): وهي الأصنام والأوثان المعبودة، وكل ما يعبد من دون الله من جماد وحيون، وعبادة الأصنام قديمة، ولهذا فإنها واقعة في أيام نوح، ولم يبلغ إلينا التاريخ إلا من زمانه.

(واحتالهم)^(٤) الشياطين عن معرفته: الاحتيال بالحاء المهملة افتعال

(١) سقط من (أ).

(٢) زيادة في (ب) وفي شرح السج.

(٣) سقط من (أ).

(٤) في (أ): واحتالهم، وما أئنه من (ب)، وفي شرح السج واجتالهم، أي أمارتهم.

من قولهم: حال عن العهد، إذا حوَّله وغيره، وبالحاء المعجزة افتعال من احتله إذا غره وخدعه، والمعنى هو أن الشياطين ما زالت في المكر والخديعة بهم حتى غرتهم وحولتهم عن معرفة الله تعالى فأزلتهم عن معرفته إلى حداثه، وعن شكر نعمته إلى كفرانه.

(واقتطعهم^(١) عن عبادته): يريد أن الشياطين لما أزلوهم عن تحقق المعرفة وثوتها، كأنهم اقتطعوهم عن العبادة التي هي ثمرة المعرفة (فبعث فيهم رسله): تقريراً لما ذكرناه وتحديراً من خلافه.

(وواتر إليهم أنبياءه): يعني تابع بينهم نبياً على إثر نبي، إبلاغاً للحنة وقطعاً للمعذرة، والمواترة لا تكون إلا إذا وقعت هناك فترة، كما فعل في حق الأنبياء، فإن الفترات حاصلة على قدر ما عمنه من المصلحة، فكان^(٢) بين موسى وعيسى، قيل: ألف سنة، وبين عيسى ومحمد ﷺ، قيل: ألف سنة^(٣)، فأما إذا لم تكن هناك فترة لم تكن مواترة، وإنما هي مداركة وبعثهم على ما ذكرناه من هذه الفترات.

(ليستادوهم^(٤) ميثاق فطرته): ليطلبوا منهم ما ألزمهم من الميثاق الذي واثقهم عليه، وهو ما تقضي إبه^(٥) الفطرة من الإقرار به، ومعرفته وحمدانيته^(٦)، واستحقاقه للعبادة، كما قل تعالى: ﴿فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي ظَنَرُ

النَّاسَ عَلَيْهَا﴾ [الروم ٣] يعني الإقرار بالربوبية، وقوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات ٥٦].

(ويدكروهم منسي^(١) نعمته): ويوقظونهم بالتذكير عن الغفلة التي كانت سبباً في نسيان النعمة، والمنسي مفعول وهو الشيء الذي ينسى.

(ومحتجوا عليهم بالتبليغ): يكون غايتهم في تقرير الحجة على الخلق هو: أنا قد أبلعناكم^(٢) ما أرسلنا به، وهو غاية جهلنا: ﴿لَعَلَّمْنَا أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رَسُولَاتِ رَبِّهِمْ﴾ [الأنعام ٢٨]، فأما الإلجاء بالقسر فلا وجه له لما فيه من بطلان الغرض المقصود بالتكليف.

(وبشروا لهم دفائن العقول): أثار الشيء إذا^(٣) أظهره، والدفن: المدفون وهو: ما يخبأ، ومراده ﷺ بذلك هو أن الرسل صلوات الله عليهم أظهروا ما كان مخبوءاً من الدلائل العقلية، ونهبوا على الاستدلال بها، وكانت عقول الخلق قاصرة عن استئثار هذه الدفائن، وإظهار الأسرار العجيبة.

(ويروهم آيات القدرة): ليستدلوا بها على^(٤) معرفة الصانع ونوحيده، كما قال تعالى: ﴿سُبْحَنَهُمْ أَكْبَارُ فِي الْأَفَاقِ وَفِي آسَافِهِمْ﴾ [سجدة ٥٣]، فالذي يكون في الآفاق أمور ثلاثة^(٥):

(من سقف مرفوع فوقهم^(٦)): وهو السماوات كلها.

(١) في (أ). منسي، وما أثبت من (ب) ومن شرح النهج

(٢) في (ب): بلعناكم

(٣) سقط من (ب) قوله: إذا

(٤) في (أ). عن، وما أثبت من (ب)

(٥) في (ب). بية

(٦) في شرح النهج: من سقف فوقهم مرفوع.

(١) في (أ) اقتطعهم

(٢) في (ب). وكان

(٣) في المصباح لأبي العباس الحلي ص ١٥٢: ستمائة سنة.

(٤) في (أ): ليستادوا، وما أثبت من (ب) ومن شرح النهج

(٥) سقط من (ب)

(٦) في (ب): ومعرفة وحدانيته

(ومهاد تحتهم موضوع): وهي الأرضون السبع.

(ومعاش تخبهم): وهي الثمرات وأنواع الفواكه، وأم التي في أنفسهم فهي ثلاثة أيضاً.

(وأجال تغنيهم): فإنها مع طولها وقصرها موعدها الموت

(وأوصاب نهرهم): الأوصاب هي^(١): الأمراض، يقال: وَصَبَ الرجل يَوْصِبُ إذا وَجَع، والهرم هو: ضعف القوى في جميع الخوس

(وأحداث تتبع عليهم): من الرخاء ولشدة، وأنواع المصائب العارضة، فقد أشار (عليه السلام) بهذه الأمور الستة إلى ما^(٢) ذكر الله في قوله: ﴿سَتَرْنَاهُمْ آيَاتِنَا فِي الْأَمْثَالِ حِكْمًا وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [سجدة: ٤١]، بأحسن لفظ وأوجزه، فإن هذه الأشياء [كلها]^(٣) دالة على وجود الصانع وباهر قدرته، وكل واحد منها دال على أنه لا بد له من فاعل وموجد ومقدر، لما يرى فيها من الاختلاف والباين، فالأرض تخالف السماء، والماء يخالف الحجر، فلا بد لها من فاعل يخالف بين حقائقها، ولكونها حاصلة على هذه الكيفيات بعد أن لم تكن، وفي ذلك أبهر القدرة على وجود الصانع الحكيم المدبر العليم، والمقدرة هي: القدرة بفتح العين وضمها وكسرها

أما القدرة^(٤) من القدر، فإنما تكون بفتح العين لا غير، ولهذا قيل: المقدرة^(٥) بضم العين تذهب بالحقيقة لما كانت من القدرة، وكل هذه

الآيات قد نبه عليها الأنبياء أعظم تنبه، وأظهروها غاية الإظهار، فلاجل هذا.

(لم يخل الله سبحانه خلقه^(١) من نبي مرسل): النبي قد يكون مرسلًا وغير مرسل، والتمزقة بينهما طاهرة، فإن الرسول من الأنبياء هو من جمع إلى المعجز الشريعة المعوث بها، والنبي هو: الذي يطهر عليه المعجر من غير شريعة، وإنما أمر بالدعاء إلى شريعة من كان قبله من الأنبياء وتجديدها خلافاً لأبي هاشم وغيره من المعتزلة، حيث أحالوا بعثة النبي من غير شريعة جديدة، ولهذا فإن الرسول (عليه السلام) سئل عن الأنبياء؟ فقال: «مائة ألف وأربعة وعشرون ألفاً»^(٢)، وسئل عن الرسل؟ فقال: «ثلاثمائة وثلاثة عشر»، وفي هذا دلالة بيّنة على التفرقة بين الرسول والنبي، فلهذا قال: من نبي مرسل، إشارة إلى التفرقة التي ذكرناها، والله در كلام أمير المؤمنين فما أكثر فوائده، وأدق عند التفقيش معانيه.

(أو كتاب منزل): مضمن لما يصلحهم من فروض واجبة، وستن واصحة، وأعلام بينة، والله تعالى يريد أن يهديكم سنن الذين من قبلكم، ومنزل^(٣) يروى بالتشديد أي أنه نزل شيئاً بعد شيء على حسب المصلحة، كقولك: تجرّع وتجشأ، ويروى بالتخفيف على معنى أنه نزل^(٤) دفعة واحدة من غير تفريق.

(١) قوله: خلقه، سقط من (أ)، وما أثبت من (ب) ومن شرح النهج
(٢) أخرجه الإمام أبو إمام الحسن في المصابيح ص ١٣٢-١٣٣ من حديث طويل يسنده عن أبي ذر، والإمام المرشد بالله في الأمالي الحميرية ٢٠٤/١ بسنده عن أبي ذر أيضاً
(٣) في (ب)، وينزل.
(٤) في (ب) أنزل.

(١) في (ب): هو
(٢) سقط من (ب) قوله: ما
(٣) سقط من (ب)
(٤) في (ب): المقدرة.
(٥) في (أ) - المقدرة، وما أثبت من (ب)

(أو حجة لازمة): ولحجة هي أكبر^(١) البرهان، وإنما وصفها بالبروم؛ لأنها لتحققها وثبوتها كانها لاصقة بمن أقيمت عليه

(أو محجة قائمة): المحجة بالفتح: جادة الطريق، وهو جار على قياس بابه في الفتح، وإنما وصف المحجة بالقيام لأنها لكونها دالة على الحق، مرشدة إليه لاتنوح أبداً.

(رسل): أي هم رسل، وإنما نكره لما في تنكيره من الفخامة، وعظم الموقع في النفوس، كأنه قال: هم رسل وأي رسل، ونظيره قوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي النَّبِإِ حَيَاتٌ﴾ [النور: ٧٦].

(لا تقصر بهم قلة عددهم): أراد [أن]^(٢) قلة عددهم لا تعجزهم عن إبلاغ ما حملوا من أداء الرسالة من قولهم: قصرت عن الشيء إذا عجزت عنه، أو أراد أن قلة عددهم لا يحذلهم عن بلوغ أقصى الغاية في تحمل أعباء النبوة وأثقالها من قولهم: قصر السهم عن الهدف إذا لم يبلغه، وكلامهم جيد لا عار عليه.

(ولا كثرة المكذبين لهم): معناه ولا يعتريهم ريب، ولا تخالجهم^(٣) شك في صحة ما جاءوا به، وإن بلغ المكذبون بهم كل غاية في الكثرة.

(من سابق): بيان لقوله: رس وتقسيم لهم، والسابق هو: المتقدم.

(سمي له من بعده، أو غابر عرفه من قبله): يريد (عليه) أن الأنبياء

(١) قوله: أكبر سقط من (ب)

(٢) سقط من (أ).

(٣) في (ب): ولا يحالضهم

صلوات الله عليهم هم على قسمين:

إما: متقدم، سمي الله له من يأتي بعده من الأنبياء باسمه ولقبه.

وما: غابر أي ماضي عرفه الله من قبله من الأنبياء.

سؤال: لم قال فيمن سبق: سمي، وفيمن غبر: عرف، وهلا سوى بينهما في التعريف أو التسمية من غير مخالفة بينهما؟

وجوابه: هو أن تعريف الشيء بصفته أكثر وأوضح من تعريفه بلقبه، لما يقع في الاسم من اللبس دون الصفة، فمن^(١) سبق من الأنبياء لا يمكن تعريفه من يأتي بعده من الأنبياء إلا باللقب والاسم لا غير، لأنهم لم يوجدوا بعد فيعرفهم بصفاتهم، وذكر أحوالهم، وأما من ليس متقدماً من الأنبياء فتعريف الله له حال من قبله من الأنبياء إنما هو بالوصف لكونه أدخل لإمكانه في حقهم، فلهذا قال (عليه) في الأول: سمي، وفي الثاني: عرف، إشارة إلى هذه الدقة.

(على ذلك نسلت القرون): ذلك إشارة إلى ما تقدم من الإرسال للرس وعندهم لإصلاح أحوال الخلق وإرشادهم، ونسلت القرون أي: توالدوا وكثروا، وقولهم: نسلت الدبة إذا ولدت بكثرة، وعلى متعلقة بنسلت، والقرون هم: الأمم الماضية جمع قرن.

(ومضت الدهور): تقضت، وإنما سمي الدهر دهرًا، لاجتماعه من قولهم: دهرت الشيء إذا جمعت، فلما كان عبارة عن اجتماع الأيام

(١) في (أ): فيمن، وما أنت من (ب)

واستنين سمي دهرأ. والدهور جمع دهر، قال:

إن دهرأ يلف شمل يجمل^(١) لزماً بهم بالإحسان^(٢)

(وسلفت الآباء، وخلف الأبناء): السلف بتحريك^(٣) العين هم: آباء الرجل المتقدم ولايسكن، والخلف هم: لأبناء المتأخرون، يقال: هذا خلف صدق من أبيه، وخلف سوء من أبيه، بالتحريك والتسكين فيهما جميعاً.

قال الأخفش: هما سواء منهم من يحرك فيهما جميعاً، ومنهم من يسكن فيهما أيضاً، ومنهم من فرق فقال: خلف سوء بالتسكين، وفي خلف صدق بالتحريك^(٤).

(إلى أن بعث الله محمداً ﷺ): أراد أنه غاية للرسل وخاتم الأنبياء، وإلى متعلقه بما مضى قبها من الأفعال مثل تسلت ومضت أي استمر ذلك إلى أن بعثه

(لأنه عدته): نجاز العدة إنعامها بالإعطاء؛ لأن الله سبحانه قد كان عهد إلى الأنبياء قبله صلوات الله عليهم أنه يبعث نبياً يكون خاتماً

(١) الحمز: الحز

(٢) ورد البيت في لسان العرب ١٠٢٤/١، ترتيب يوسف خياط. ونقط الشطر الأول فيه

إن دهرأ يلف شمل يجمل

(٣) في (ب) يفتح

(٤) بطر مختار الصحاح ص ١٨٥، والأخفش هو الأخفش الأوسط، وهو سعيد بن مسعدة الحميري بلولاء النحوي، ثم انصري، أبو الحسن، المتوفى سنة ٢١٥ هـ، نحوي، عالم باللمعة والأدب، أخذ عن سيويه، وله تصانيف منها: تفسير معاني القرآن، والاشتقاق وغيرهما (الأعلام ١٠١/٣-١٠٢)

(٥) مونه: وسم: زيادة في (ب)

للأنبياء، مقرون^(١) بالساعة، وعلى إثره القيامة، ولهذا قال (عليه السلام): «وجبت لي النبوة وآدم طينة» والعدة والموعود والوعد سواء، والسلام متعلقة بعث.

(وإنعام نبوته): لأن البشارة المتقدمة ووجود البعث المتأخر عنها فيه تمام النبوة وإكمالها

(ماخوذاً): حال من محمد.

(على النبيين ميثاقه): الضمير إما لله بمحمد^(٢)، ويكون معناه أن الله أخذ ميثاقه وهو الدعاء إلى توحيدهِ والإقرار بربوبيته، وإما لمحمد ويكون معناه أن الله أخذ ميثاق محمد وهو تصديقه ولاعتراف بنبوته^(٣).

(مشهورة سمائه): ظاهرة علاماته، كما قال الله تعالى: «يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ آبَاءَهُمْ» [الأنعام ٢٠].

(كرباً ميلاده): أيلاذ: اسم بلوقت الذي يولد فيه الرجل، والمولد: اسم المكان الذي يولد فيه^(٤)، والوقت الذي ولد فيه (عليه السلام) كان كرباً لما ظهر فيه من الأسرار النبوية، ومجلى بسببه الأنوار الإلهية، وقد قيل: إنه لما ولد انكبت الأصنام على وجهها^(٥) إيذاناً بمجيء الحق، وزهوق الباطل، وإشعاراً بانكشاف نجومه، وتقلص ظله الزائل.

(١) هكذا في (أ) و(ب) بالرفع، ويجوز أن يكون مقرون

(٢) في (أ): إما لله أو لمحمد، وما أثبت من (ب)

(٣) في (أ): بنبوته، وما أثبت من (ب)

(٤) سقط من (أ)

(٥) في (ب): وجوهها، وانظر المصابيح في السيرة لأبي العباس الحلي رضي الله عنه ص ١٠٩

(وأهل الأرض): ومن كان عسى وجه البسيطة.

(يومئذ): يوم كان مولوداً، ويوم بعثته، لكن تركت هذه الجمل، وكان التنوين عوضاً عنها، ونظيره ساعتئذٍ وحينئذٍ.

(هلل): أي أهل ملل، والملة: الدين والشرعة، وهكذا النحلة وهو: ما ينتحله^(١) الإنسان، ويدين به من الأديان كلها حقاً كان أو باطلاً.

وقوله: وأهل الأرض، وملل، حملة ابتدائية في موضع نصب عسى الحال من بحث، كقولك: جاء زيد والشمس طالعة.

(منفرقة): فمن عابد لوثن أو ساجد لصنم أو يور أوثار إلى غير ذلك من الأديان الضالة والملل البتعة.

(وأهواء منتشرة): الهوى: ما تدعو إليه النفس وتترع إليه، وإنما وصفها بالانتشار، لأنهم حكموا فيها أهواءهم، واتبعوا في الانقياد لها آراءهم، فأوقعتهم في الحيرة، وضلوا بها في كل مستاهة^(٢).

(وطرائق متشتتة): الطرائق: جمع طريقة، وهي: المذهب والنحلة، قال تعالى: ﴿كُنَّا طَرَائِقَ قِدَا﴾ (البقرة: ١١) أي مللاً مختلفة أهواؤها، وانتشتت: عبارة عن التفرق، مأخوذ من الشت وهو التفريق، يقال: كساء مشتت إذا كانت حيوطه متباعدة، هم.

(بن ضشبه لله محله): البين: يستعمل في الفصل والوصل، وهو من أسماء الأضداد، كالسدة فإنها تستعمل للضوء والظلام،

(١) ي (أ). ينحله، وفي (ب) ما أثبتته.

(٢) ي (أ): مسلة هكذا رسمها السج، وما أثبتته من (ب)، ولم أعتد للمعنى

وقرئ قوله تعالى: ﴿لَقَدْ قَطَعْنَا بَيْنَكُمْ﴾ (الأنعام: ١٤) بالرفع أي وصلكم، وبالنصب على حذف الموصول أي ما بينكم، وانتصابه على الطريقة ها هنا، والمشبّه من قال: إن الله تعالى بصفة الجسم في الحصول في الحيز^(١)، والأعضاء والجوارح، أو بصفة العرض في الخلول، وهذه مقالة لفرق وطوائف.

(أو ملحد في اسمه): الملحد في دين الله^(٢) إذا عدل عنه، ومنه اللحد لأنه مشتق في غير سمت القبر، وإنما قال (ع) ملحداً في اسمه؛ لأنهم عدلوا باسم الله إلى غيره، فسموا غيره باسمه؛ فقال للأصنام: آلهة، والإلهية على الحقيقة مختصة به، لا تطلق على غيره.

(أو مشير إلى غيره): الإشارة هاهنا إما بالإلهية، حيث قالوا: هذه الأصنام آلهتنا، كما قال تعالى حكياً عنهم: ﴿الَّذِينَ خَرَّعْنَاهُمْ لِمَا هُمْ بِأَعْيُنِهِمْ﴾ (الرحمن: ٥٨)، وإما بالعبادة كما قال: ﴿مَا كُنْهُمْ إِلَّا يَخْشَوْنَ إِلَى اللَّهِ يَلْقَى﴾ (الرحمن: ٣١)، وإما بزيادة هذه الآثار والحوادث في عالمنا هذا إلى الحركات لفلكية والاتصالات الكوكبية، فكل هذه الأمور مختصة به، فإذا أضافوها إلى غيره فقد أشاروا بها إلى غيره.

(فهذا هم به من الضلالة): الضمير لمحمد صلى الله عليه وآله وسلم^(٣)، والضلالة مصدر ضل بضل ضلالة.

(وأنقذهم بمكانه من الجهالة): الإنقاذ هو: التخلص، يقال: أنقذه

(١) ي (أ). والحيز، وما أثبتته من (ب).

(٢) ي (ب): أخذ لي لدين.

(٣) قوله، وسمي. زيادة ي (ب).

من كذا إذ خلصه منه، والمكان هنا مجاز، مثله في قولك: ما كنت لأحسن إليك لولا مكان فلان، واجهالة مصدر يقال: جهل جهلاً وجاهلة

(ثم اختار سبحانه محمد ﷺ لقاءه): أراد أنه صلى الله عليه وآله وسلم لما بلغ الرسالة، واستقم كما أمر، أكرمه الله تعالى بملاقاة ربه، وإنما كن مختاراً لما فيه من الخلاص من بلوى الدنيا وكدرها، وما في ذلك من الفوز برضوان الله وكريم جواره.

(ورضي له ما عنده). من الدرجات العالية والنزل الكريم.

اللَّهُمَّ، أسعدنا برضوان من عندك، وبشارة بلقور^(٢) بثوابك.

(واكرمه عن دار الدنيا): أراد أن نيل الكرامة كلها له^(٣)، إنما كان ينقله عن الدنيا وإراحته عن غمومها وأحزانها.

(ورغب به عن مقام البلوى): رغب في الشيء إذا أراد به، ورغب عنه إذا لم يرد^(٤)، ورغبته به عن كذا إذا لم ترد^(٥) على تلك الحال، كما تقول: رغب بفلان عن السفر، ورغبته بكتابي عن العارة إذا لم ترد على ذلك، والعرض أن الله تعالى رغب بنبه أي لم يرد له الدنيا، وإنما أكرمه بما عنده فنقله إليه، والمقام: يروى بضم الميم من أقام وبفتحها

(١) قوله: وسلم، زيادة في (ب)

(٢) في (أ): الفوز، وفي (ب) ما أنت.

(٣) قوله: له، سقط من (ب).

(٤) في (ب): رغب في الشيء إذا أردته، ورغبته به إذا لم ترد.

(٥) في (أ): يرد.

من قام، والبلوى مصدر كالرجعى والبشرى^(١)، أي مقام البلاء.

(فقبضه إليه كريماً): إما قبض^(٢) كريماً من الرفق بروحه والسهولة في قبضه، وإما وهو كريم بما أحزل^(٣) الله له من الثواب على إبلاغ الرسالة على وجهها واحتمال مشقتها.

(وخلف فيكم ما خلفت الأنبياء في أمهات): يريد أنه صلى الله عليه وآله مات إلا بعد إبلاغ الرسالة، وإيضاح كل مشكل، وبيان كل عسى.

(إذا لم يتركوهم هملاً^(٤) بغير طريق واضح، ولا علم قائم): الطريق يذكر ويؤث، وهو هنا عبارة عن الأدلة الواضحة، والعلم هو: المنار في الطريق.

قال جرير^(٥):

إذا قطع علماً بدا علم^(٦)

والعلم في الثوب، والعلم هو: الراية؛ لأن المأخوذ على الأبياء

(١) في (أ): والبشرى

(٢) في (ب): قبضاً

(٣) في (أ): لا أحزل

(٤) قوله: هملاً، زيادة من (ب) وشرح النهج

(٥) هو جرير بن عطية بن حذيفة الخطمي، من تميم (٢٨-١١٠هـ) أشعر أهل عصره، ولد ومات في البصرة، له نقائض مع العزدي، جمعت وطبعت في ثلاثة أجزاء، وله ديوان شعر مطبوع

(الأعلام ١١٩/٢)

(٦) صدره

على فلاح مثل خيطان السلم

انظر شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٥٤/١.

هو المصاحبة للأمم كلها، والدعاء به لهم في بذل ما يحتاجون له^(١) من أمر دينهم، ولا شك أن حاجتهم بعد موت الأنبياء أكثر من حاجتهم مع وجودهم إلى البيان والإيضاح.

(كتاب ركنكم): بيان لقوله: ما خلفت الأنبياء، وبذل منه.

(مبينا): حال من الرسول أي خلف مينا له.

(حلاله وحرامه): يعني ما تضمنه من التحليل والتحرير، فالخلال ما أمر به أو نذر إليه^(٢)، واحرام ما نهى عنه، أو ورد الوعيد على فعله.

(وفضائله): وهي جمع فضيلة، ولفضيلة: إما الأمور التي تضمنتها، وكان دالاً عليها من المعاني الدقيقة والأسرار العميقة، وتضمنه للأخبار الغيبية، وغير ذلك بما هو مرشد إليه من الغرائب والعجائب، التي لا تزال مستنبطة منه غضة طرية على وجه الدهر، وإب أن تكون الفصائل هو أوصافه الممدوح بها، كقوله (عليه السلام): «كتاب الله فيه خير ما قبلكم، ونبا ما بعدكم، من قال به صدق، ومن عمل به أجر، ومن حكم به عدل»^(٣)، فلفضائل محتملة^(٤) لما ذكرناه.

(وفرانضه): وهي^(٥) ما دل على كونه فرضاً لازماً كالصلاة والزكاة

(١) في (ب): ما يحتاجونه

(٢) قوله: إليه: سقط من (ب)

(٣) هو من حديث طويل أخرجه بسنده عن علي (عليه السلام) الإمام المرشد بالله في الأمالي الخمسية ٩١/١ إلا قوله: «ومن عمل به أجر» فيست فيه، وقوله (عليه السلام): «من قال به صدق، ومن عمل به أجر، ومن حكم به عدل» أخرجه من حديث طويل الشريف السيلقي في الأربعين السيلقية ص ١٩، الحديث الخامس، عن أبي سعد الخدرى

(٤) في (أ): محتمل

(٥) في (ب): وهو

وغير ذلك، مما كان فرضه من جهة الكتاب، نحو الفرائض المقدرة في الميراث وغيرها.

(وناسخه ومنسوخه): وهذا نحو آية السيف، فإنها ناسخة لأحكام كثيرة، وهي قوله تعالى: «أَقْتُلُوهُمْ» فإنها سحخت قوله تعالى: «مَا آتَتْ عَلَيْهِمْ بِرُكُوبٍ» [النساء: ١٠٧]، و«خَيْطٌ» و«تَصْطِيرٌ» وقوله تعالى: «لَنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ» [الشورى: ١٨]، ونحو قوله تعالى في عدة الوفاة^(١)، فإنها ناسخة لقوله تعالى: «فَتَأْتَا إِلَى الْحَوَليِّ فَبَرَخَا» [البقرة: ٢١٠].

(ورخصه وعزائمه): الرخصة: ما حاز تركه مع قيام سبب وجوبه، نحو أكل الميتة للمضطر، فإن سبب التحريم قائم وهو النص، لكنه رخص للمضطر^(٢) في أكلها، ونحو رخصة لسفر في قصر الصلاة، والإفطار للمسافر وغير ذلك من الرخص الشرعية، فإن الأسباب الموجبة للتحريم والوجوب قائمة، ولكن الله تعالى بسعة رحمته للعباد رخص لهم في ذلك، وأما العزائم فهي: عبارة عن الأمور الواجبة يقال: عزم على هذا الأمر أي قطع على فعله وحثه، فكل ما كان مقطوعاً بوجوبه علماً أو من جهة الظن فهو عزيمة

(وخاصه وعامه): العام: ما كان مندرجاً تحته أفراد على جهة الاستفراق، وأكثر عمومات القرآن مخصوصة إلا القليل منها،

(١) زيادة في (ب)

(٢) وهي قوله عز وجل: «والذين يتوكلون منكم ويذرون أزواجاً يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشراً».

(٣) ما بين المعرفين سقط من (ب).

وهذا كقوله: ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، وقوله: ﴿وَمَا مِنْ ذَابَةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا﴾ [البقرة: ٢٦٠].

وأما الخاص فهو: عبارة عن الدليل الذي يخص العموم، كقوله تعالى: ﴿وَلَنْ نَعْلَمَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ سِتْرَكَ﴾ [البقرة: ١٧]، فإنها مخصصة بقوله تعالى: ﴿أَقْلَرُوا الْمُشْرِكِينَ﴾ [البقرة: ١٥]، لأنه عام فيه لكنه خرج بما ذكرناه.

(وعبره وأمثاله): العبرة هي: الاسم من الاعتبار بكسر لفاء، ويفتحها استكتاب الدمع، والعبرة: ما يعتبر به، قال الله تعالى: ﴿لَنْ يَكُونَ لَكَ لَبِئْرٌ لِمَنْ يَخْشَى﴾ [البقرة: ٢٥]، و﴿لَبِئْرٌ لَأُولَى الْأَبْصَارِ﴾ [البقرة: ٢٣]، وجميع ما حكاه الله تعالى من قصص الأولين فهي عبر لمن بعدهم، يعتبرون بها، ويحذرونها نصب أعينهم، والأمثال فهي جمع مثل وهي كثيرة في القرآن، كقوله: ﴿مَثَلُ الْفَخْرِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ حَارَاهُ﴾ [البقرة: ١٧] و﴿مَثَلُ الْكَلْبِ﴾ [البقرة: ١٧٦] و﴿مَثَلُ الْجَنَارِ﴾ [البقرة: ١٥]، وغير ذلك من الأمثال.

(ومرسله ومحدوده): يحتمل أن يكون المراد بالمرسل: ما ليس موقفاً كالخج وغيره من العبادات لا توقفت بوقت بعينه، وبالمحدود^(١): ما كان موقفاً كالصلاة والصوم وغيرهما؛ لأن الوقت يأتي عليه من جميع أطرافه، ويحتمل أن يكون المراد بالمرسل: ما كان مطلقاً، كقوله تعالى: ﴿فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ﴾ [البقرة: ١٨٢]، وقوله: ﴿فَصَرِيضَتَيْنِ﴾ [البقرة: ١٨٢]، والمحدود: ما كان مقيداً كقفيد الرقة بالإيمان، والصوم بالتتابع، فهذا كله محتمل في الإرسال والتحديد.

(١) في (ب): والمحدود.

(وعحكمه ومتشابهه): للعلماء في بيان ماهية المحكم والمتشابه أقوال كثيرة، وخطب عظيم، وليس من ههنا ذكره، والحق فيه أن المحكم: ما دل على معناه^(١) بظهره، والمتشابه: ما لا يعلم المراد من طاهره، والسر في مخاطبة الله إيان بالمتشابه هو أن القرآن لو كان كله محكماً، يفهم المراد من طاهره، لكان ذلك داعياً إلى إهمال النظر وتعييه^(٢) مسالكه وتعويلاً على التقليد.

(مفسراً): حال من الرسول.

(جمله): أي ما أجمل منه وكان مفتقراً إلى البيان، كقوله تعالى: ﴿وَأَتُوا حَتَّةً﴾ [الأنعام: ١٦١]، وقوله تعالى: ﴿ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ﴾ [البقرة: ٢٢٨]، وغير ذلك من الأمور المجملة.

(صبيئاً): حال ثانية^(٣).

(غوامضه): الغامض: الذي لا يتضح معناه، ومنه أغمض عينه إذا لم يصر بها، وهذا كثير في كتاب الله تعالى، فإن أسرارها لا تحصى، وعجائبها لا يمكن ضبطها، وما زال العلماء وأهل الفطنة من يوم نزوله إلى زماننا هذا مستخرجين لغوامضه، ومستثيرين لدقائقه فما أحصوها ولا حصروها، ولو لم يكن من عجائب إعجازه إلا هذا، لكان كافياً

(١) في (ب): معنى

(٢) من قولهم: عي بأمره وعي إذا لم يهتد لوجهه. (وانظر مختار الصحاح ص ٤٦٧).

وفي (ب): وتعييه، وهو من قولهم: عفا المرل أي درس، فلم يبق منه إلا آثاره.

(٣) في (أ): حال من ثانية، وهو غامض، وما أثبت من (ب).

في الإحكام^(١)، وعلى الجملة فإنما هو كتاب إلهي، ومعجز سماوي، ثم إن علومه وأحكامه:

(بين ماخوذ ميثاق علمه، وموسع على العباد في جهله): يعني أنها منقسمة إلى ما أخذ الله^(٢) [على]^(٣) المكلفين إحراز علمه والتحقق له، وهذا نحو العلم بكوبه معجزاً ودالاً على صدق من ظهر عليه، وأن جميع ما دل عليه من الأحكام فكلها حق.

فهذا كله يجب إحراز علمه على كل أحد، وإلى ما لا يتعلق بمصلحة^(٤) التكليف، فبوسع على الخلق في جهله، وهذا نحو إدراك العلم بمراتح السور، والتحقق لأسرارها، [والمراد به]^(٥) ونحو العلم بسر الشمس والقمر وقطعهما للفلك، كما قال تعالى: ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا﴾ [س: ٣٨]، وقوله تعالى: ﴿وَالْقَمَرُ قَرْنَاةً مَنَزَلٍ﴾ [س: ٣٩]، إلى غير ذلك من النظر في العالم العلوي، فإن هذه الأشياء كلها مما لا يجب علينا علمها، ولا يتوجه فيها تكليف، فلهذا وسع على الخلق في جهلها، كما أشار إليه (ع) في كلامه هذا: إذ لا مصلحة هناك^(٦).

(وَبَيِّنْ مُنْتَبِهٌ فِي الْكِتَابِ قَرْضُهُ، مَغْلُومٌ فِي السَّنَةِ نَسْخُهُ). وهذه صفة، إشارة^(٧) إلى جواز نسخ الكتاب بالسنة^(٨) خلافاً لما قاله الشامي

- (١) في (ب): الإحكام.
- (٢) لفظ الخلافة، ليس في (ب).
- (٣) زيادة في (ب).
- (٤) في (ب): حيازة.
- (٥) سقط من (ب).
- (٦) حاشية في (ب) لفظها أم المصلحة فلا يحرم، ولكن لا يجب النظر فيها تمت.
- (٧) في (ب): أشار.

من منع ذلك، وإلى جواز نسخ السنة بالكتاب خلافاً للشافعي، فإنه منع من ذلك، وهذا فاسد، فإن القرآن والسنة أدلة للشرع كلها، وهي متلقاة من جهة الرسول (ﷺ)، فإذا جاز نسخ القرآن بعضه ببعض [والسنة بعضها ببعض]^(١)، حاز ذلك في القرآن والسنة أيضاً من غير فرق، والقرآن قد نسخ ما ثبت بالسنة، فإن استقبل بيت المقدس كان ثانياً بالسنة^(٢)، فنسخ بقوله: ﴿قَوْلٌ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ [س: ١٤١]، والسنة قد نسخت القرآن، فإن قوله تعالى: ﴿فَأَتَسْكُونُ إِلَى الْيُثُوتِ﴾ [س: ١٥٠]، قد نسخ بقوله: «البكر بالبكر جند مائة، والثيب بالثيب جلد مائة ورحم بالحجارة»^(٣) (١) (٢)

(٨) الذين يجوزون نسخ الكتاب بالسنة بشرطون في ذلك بأن تكون السنة متواترة (١) سقط من (ب)

- (٢) ويشير الإمام عبد الله بن الحسين بن الإمام القاسم بن إبراهيم عليهم السلام في كتابه الناصح والمنسوح أن استقبال بيت المقدس كان ثابتاً بالقرآن، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُ لَشَرِيعٌ وَمَلْعُوبٌ فَأَيُّمَا تَوَلَّوْا فَمِنْ وَجْهِ اللَّهِ﴾. (انظر تفصيل ذلك في المصدر المذكور ص ٤٥-٤٧)
- (٣) الحديث مشهور، انظر موسوعة أطراف الحديث السوي ٤/٣٢٣، ٤٣٣، ٤٧٥، وهو يمتط «الثيب بالثيب جلد مائة والرجم» والبكر بالبكر جلد مائة والخمس مئة، أخرجه الإمام الأعظم زيد بن علي عليهما السلام في مجموعه ص ٢٢٨ برقم (٤٩٢) بسنده عن أبيه، عن جده، عن علي عليهم السلام قال قال رسول الله ﷺ، فذكره. ورواه السيد العلامة أحمد بن يوسف زيارة رحمه الله في أنوار التنم ٦١/٥، وعراه إلى أمالي الإمام أحمد بن عيسى (عليه السلام) بسنده عن عيسى (عليه السلام) وإلى الجامع الكافي، عن سلمة بن المحبق، وقوله «والخمس مئة» في أمالي الإمام أحمد بن عيسى وفي الجامع الكافي: «وغيره سنة».
- (٤) وللإمام المرتضى بن الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين عليهم السلام قول آخر في هذا الموضع، فهو في معرض إجابته عن النسخ والمنسوح ما هو؟ يورد الآية القرآنية الكريمة، وهي قوله سبحانه: ﴿وَاللَّاتِي يَأْتِيَنَّ الْعَاقِبَةُ مِنْ بَنَاتِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِمْ أَرْبَعَةً مِنْكُمْ فَإِنْ شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُمْ فِي الْبُيُوتِ حَتَّى يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا﴾، قال: ثم أزيل شهدها فأمسكوهن في البيوت حتى يتوفاهن الموت أو يجعل الله لهن سبيلاً، قال: ثم أزيل عز وجل في الرأية والزاني: «فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلد ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر وليشهد عداهما طاعة من المؤمنين» قال: وأزيل الرجم فكان هذان المعنيان السبيل الذي جعله الله لهن، من بعد ما أمر به من حينه.

(وواجب في السنة أحده، مخصص في الكتاب [تركه] ^(١)): يعني أن وجوبه كان معلوماً بالسنة، لكنه نسخ بالكتاب بأن رخص في تركه، وهذه هي فائدة النسخ ومعناه

(وبين واجب لوقته، وزائل في مستقبله): إشارة ^(٢) بما ذكره إلى العادات المؤقتة ^(٣) بأوقاتها، فإن وجوبها مشروط بحضور وقتها، وبعد زوال الوقت يزول الوجوب لا محالة، وهذا كالصلاة والصيام، فإن لهما أوقاناً محدودة لا يتجاوزها فإن وجدت فيه وإلا زال وجوبها، فإن دل دليل بعد ذلك ^(٤) على وجوب القضاء وحب وإلا فلا.

(ومباين بين محارمه): يريد أن ما كان من ذلك محرماً فهو متباين في نفسه، نحرمة.

(من كبير أوعده عليه نيرانه): من هنا دالة على التبعيض، أي بعض ذلك من حملة الكبائر المؤقتة الكفرية أو الفسقية التي استحق الوعيد على فاعلها بإدخاله النار وحلوه فيها.

(أو صغير أرصد له عفرته): الإرصاء: الإعداد، وأراد بأرصد أعد، وهياً لها العفران، وهذا فيه دلالة على أن الكبيرة لا تكفرها إلا التوبة،

فكان هذا زيادة في الحكم وتيسيراً ورحمة. انتهى. (انظر كتاب الإيضاح من مجموع كتب ورسائل الإمام المرتضى محمد بن الإمام الهادي عجلي بن الحسين ٢٣٢/١ قلت: وذكر نحو ذلك الإمام الهادي عجلي في الأحكام ٢١٩/٢)

(١) سقط من (أ)، وهو في (ب) وفي شرح السبع

(٢) في (ب). أشار

(٣) في (ب): لمؤقتات.

(٤) زيادة في (ب)

وأن الصغيرة يكفرها الثواب، كما قاله المتكلمون، ودال أيضاً على تحقق الوعيد وعلى إيصال العذاب إلى مستحقه من كافر أو فاسق خلافاً لأهل الإرجاء.

(وبين مقبول في أدناه ^(١)، [و] موسع في أقصاه): أراد أن بعض الطاعات أدناه وأحقه مقبول، وهذا نحو الصدقة وقراءة لقرآن فإن أدناهما مقبول بكل حال كالتمر من الصدقة، والحرف الواحد من القرآن، وأعلاه موسع في تركه فإن أقصاه بلا نهاية فلا يزال، ولهذا وسع الله في تركه، وكلمة بين في هذه التقسيمات طرف مكان، وهو محاذ، وخير لمبتدأ تقديره: أحكام القرآن وعلومه بين هذه الأقسام، ثم ختمها بإبانة فرض الحج، بقوله:

(فرض عليكم حج ببيتك): لأنه من فرائض الدين، وأحد شعائر الإسلام

(الذي جعله قبلة للأنعام): إما قبلة يستقبلونه في صلاتهم، كما قال تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ وَنَحْنُ نَعْبُدُ اللَّهَ وَمَا كُنَّا لَكُمْ بِبَائِلِينَ﴾ [الأنعام: ١٠٤]، وإما قبلة يأمنونه في إحراز منافعهم، ومثابة يرجعون إليه في قضاء مآربهم.

(برودته ورود الأنعام): ورد الماء إذا استقاه وأخذ، وإنما قال: ورود الأنعام؛ لأنها أسرع ما يكون سيرها للماء من شدة العطش، كما قال تعالى: ﴿فَسَارِبُونَ شُرْبَ الْهَيْمِ﴾ [الأنعام: ٥٥].

(١) في (أ) أدناه

(٢) زيادة في (ب). وفي شرح السبع

(وسالمون إليه ولوه الحمام): الوله: التحير وذهاب العقل،
قال الأعشى^(١):

وأقلت والها تكلى على عجل كل دهاها وكل عندها اجتماعاً^(٢)

وفي الحديث: «لا تؤله والدة بولدها»^(٣)، وإنما قال: ولوه الحمام؛
لأنها أشد الطيور وجداً على أولادها، ومنه ناقة ولها، وهي التي يشتد
وحدها على ولدها.

(جعله سبحانه علامة لنواضعهم لعظمته): لما فيه من التواضع
بكشف الرأس والكف والتذل بلس ما ليس بريء، وتعفية^(٤) الشعور،
وهجران الطيب وغير ذلك، وكل هذا تواضع لعظمة الله تعالى، واغطاط
لجلاله وتقرباً إليه.

(وإدعاهم لعزته): الإذعان هو: الخضوع والدلة، والغرض أن فعل
هذه الأمور كلها من أجل الخضوع والتذل لعزة الله.

(١) الأعشى هو ميمون بن قيس بن جدل، أبو بصير، المعروف بأعشى قيس، ويصل له
لأعشى الكبير، المتوفى سنة ٧هـ، من شعراء الطبقة الأولى في الجاهلية، وأحد أصحاب
المعلقات. كان يفني شعره فسي صاجة العرب، عاش عمراً طويلاً، وأدرك الإسلام ولم
يسلم، ولفب بالأعشى لصعف بصره، له ديوان شعر مطبوع (انظر الأعلام ٣٤١/٧)

(٢) لسان العرب ٩٨٤/٣

(٣) النهاية لابن الأثير ٢٢٧/٥ وقد في شرح الحديث: أي لا يفرق بينهما في البيع، وكل أنش
فأرقت ولدها فهي والة. انتهى، وانظر أساس البلاغة للزمخشري ص ٥١٠، وغزار
المصاحح لمحمد بن أبي بكر الراري ص ٧٣٦

(٤) في (أ): وتعقب

(واختار منهم^(١) سمعاً اجابوا إليه دعوته): الضمير في قوله: منهم
للأنام، أي اختار^(٢) من الخلق سمعاً وهم جمع سامع مثل جاهل
وجاهل، امثلوا أمره حين أمرهم بالقصد إليه، كما قال تعالى: ﴿وَرَبِّطُوا
بِالْبَيْتِ الْحَقِيقِ﴾ [الحج: ٢٩]، وأجابوا دعاءه ونداءه ما دعاهم بقوله: ﴿وَأَنْتَ فِي
النَّاسِ بِالْحَقِّ بِأَتْرَكِ رَجَالاً﴾ [الحج: ٢٧]

(وصدقوا كلمته): باللبية لما ناداهم، وبالاتقياد لما أمرهم.

(ووقفوا مواقف أنبيائه): لأن جميع الأنبياء والرسل الذين ذكرهم الله
تعالى في كتابه الكريم، وبلغنا عددهم على لسان سه فصدوا هذا الست،
وعظموا شعائره.

(وتشبهوا بملائكته المطيفين بعرشه): يعني أن^(٣) طواف المؤمنين
بالبيت وإحداهم حوله تعظيماً له، شبه^(٤) طواف الملائكة بالعرش تعظيماً
له، وناهيك بهذا فضلاً تشبههم بالملائكة.

(يجرزون الأرياح في متجر عبادته): أراد أن من وصف حله قد أحرر
الأرياح، وهي الثوانات العظيمة في مكان العبادة، وهو متجرها الرابع.

(ويتبادرون عند موعد^(٥) مغفرته): يدر الشيء وابتسره إذا أسرع إليه،

(١) في نسخة وفي شرح الهج: واختار من خلفه سمعاً

(٢) في (ب): وختار

(٣) في (أ): لأنه طواف المؤمنين - بلخ، رب أنته من (ب)

(٤) في (أ): يشبه، وفي (ب): كما أنت

(٥) في (ب): مواعيد، وفي الهج: عده موعد.

واستدروا بالسلاح أي سارعوا في أخذه، والغرض ما هنا هو المسارعة لمن ذكره موعده الله بالمعفرة، وهو حط الذنوب وتكفيرها عنهم، ثم استأنف وصفه بغير ذلك، بقوله:

(جعله الله للإسلام علماً): العلم: المار في الطريق، قال:

كأنه علم في رأسه نار^(١)

فالحج كالعلم في أركان الدين.

(وللعابدين حرماً): إما إنه لا يدخل إليه إلا بإحرام لحج أو عمرة، وإما لأنه حرم لا يصاد صيده، ولا يعصد شجره، وإما لأنه موضع إحرام المتمتع أو لأهله، فكل ما ذكرناه محتمل فيه، وبهذا حصه بالعايدين إشارة إلى ما ذكرناه.

(فرص حجه): بقوله. ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ [آل عمران: ٩٧].

(وأوجب حقه): بقوله: ﴿وَلْيَطَّوُّوْا بِالْبَيْتِ الْحَرَامِ﴾ [الحج: ٢٩].

(وكتب عليهم^(٢) وفادته): وفد الرجل يفد إذا جاء رسولاً وفداً ووفوداً، والاسم منه هو الوفاة بكسر الفاء وفتحها، ولأكثر كسرهما، وقد أوجب الله وروده، بقوله: ﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١٩٦]،

(١) البيت هو للحساء، وصدره:

وإن صحراً لتأتم الهدى به

(٢) في شرح المصحح، عليكم

وغير ذلك من الآيات، ثم تلى هذه الآية:

(﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾^(١) [آل عمران: ٩٧]):

فحصلت في كلامه واسطة لعقده، وزيادة في رشاقة قده^(٢).

(١) تمامها: ﴿ومن كفر فإن الله غني عن العالمين﴾

(٢) في (ب): اشتقاقة قده، وهو تحريف

(إلى كفايته): والكفاية مصدر كفاء كفاية، إذا احتمل مؤنته.

(إنه لا يضل): عن طريق الحق ويبل عنها.

(من هداه): بفعل الألفاظ الخفية.

(ولا يئل): ولا ينصلح من آل ماله بئله إذا أصلحه، ومن آل إذا نجا أي لا يئل لا يجد ملجأ أصلاً.

(من عاداه): والمعاداة من جهة الله تعالى، إنما هي إرادة إنزال المضار، كما قال تعالى: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ عَشْرٌ لِلْكَافِرِينَ﴾ [سجدة: ١٨]، أي يريد إنزال المضار بهم والعقوبات، والمالاة لأحبابه هي إرادة إنزال المنافع لهم، كقوله تعالى: ﴿آتَتْ وَثْنًا﴾ [الأعراف: ١٥٥].

(ولا يفتقر): ولا يحتاج.

(من كفاه): من احتمل أمره ومؤنته.

(فإنه): الضمير للحمد.

(أرحح ما وزن): من الأعمال لصالحه في ميزان الخيرات.

(وأفضل ما خزن): خزنت المال إذا جعلته في الخزانة، والمعنى أن أفضل ما حباه الإنسان ليوم حاجته.

اللَّهُمَّ، اجعلنا من الخامدين في السراء والضراء، والشاكرين على الشدة والرخاء.

(١) طين فوقها في (ب)، بقوله: أنه

(٢) ومن خطبة له عليه السلام بعد منصرفه من (صفي)

(أحمد استتماماً لنعمته): مصى تفسير الحمد، واستتماماً منصوب على المفعول له^(١) أو حال منه؛ لأن الحمد على النعمة يكون سبباً لتتمامها، كما قال تعالى: ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم: ٧] [والزيادة فيها]^(٢).

(واستسلاماً لعزته): انقياداً لعظمته.

(واستعصاماً من معصيته): عصمه إذا منعه، ومنه عصم القرية؛ لأنه يمنع الماء من الخروج، وهو الحبل الذي يسد به فوها، وهو محارها؛ لأن الحمد يكون سبباً في الامتناع من المعصية لما فيه من الطاعة لله تعالى، فلهذا كان سبباً ولطفاً في ذلك.

(واستعصنه فاقية): الفاقية هي: الفقر والحاجة، وأستعصنه طلب إعانتته، وقد جاء معدي بالباء، كقوله تعالى: ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾ [البقرة: ١٥]، و﴿اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ﴾ [الأعراف: ١٢٨]، ونفسه كقوله ها هنا: وأستعصنه، وكلاهما جار^(٣) فيه، أعني التعدي^(٤) واللزوم، وأسند فاقتي وحاجتي.

(١) في (ب)، منصوب على الحمد المفعول له

(٢) سقط من (ب)

(٣) في (ب) جار

(٤) في (أ)، التعرية، وهو تحريف

(واشهد أن لا إله إلا الله): شهادة لله بالوحدانية^(١) وإقراراً^(٢) له بالربوبية، كما قال (عليه السلام):

«الخطبة بلا شهادة كاليد الخدما»^(٣).

(شهادة): مصدر مركد لقوله: أشهد، كقولك: ضربت ضرباً

(ممتحناً). امتحت فلاناً إذا اختبرته^(٤)، والاسم منه هو الممتحن، والمصدر هو الامتحان، وممتحناً ما هنا يحتمل أن يكون اسم مفعول، منصوب على أنه صفة لشهادة، أي شهادة امتحن الله:

(إخلاصها): عن كل ما يشوبها من الرياء وغيره، ويحتمل أن يكون اسم فاعل أي [أنني]^(٥) اختبرت إخلاصها من نفسي فوجدته حاصلاً.

(معقداً): أي ربطاً قلبي، ومنصوباً صميري على.

(مصاصها): وهو حالصها الذي لا يشوبه شائب، ومعتقداً كما يصح أن يكون اسم فاعل أي أنا معتقد فقد^(٦) يكون سم منفعول أيضاً وفعله، المصاص.

(نتمسك): مسك بالشيء، وأمسك به، واستمسك كلها بمعنى إذا اعتصم به.

(١) في (أ) الوحيد، وما أثبتته من (ب)

(٢) في (أ) وإقراراً، وما أثبتته من (ب)

(٣) هو في نهاية ابن الأثير ٢٥٢/١ يلمط. «كل خطبة ليست فيها شهادة فهي كاليد الخدما» ويلمط ابن الأثير ذكره في لسان العرب ٤٢٦/١.

(٤) في (أ). اختبره، وهو تحريف

(٥) سقط من (ب)

(٦) في (ب): قد.

(بها): أي بالشهادة.

(أبدأ): على الاستمرار لا ينقطع ذلك.

(ما أبقانا): ما ما هنا زمانية مثلها في قولك^(١): انتظرني^(٢) ما جلس القاضي، أي مدة جلوس القاضي، والمعنى زمان بقاءنا وأوقاته.

(وندخرها): دخره يدخره، وأدخره [يدخره]^(٣) إذا خبأه وجعله ذخيرة له، وعلى الوحدين جميعاً يحمل قوله: ويدخرها أي يخبأها^(٤)

(لأهويل): جمع أهوال، وأهوال جمع هول نحو نعم وأنعام وأنعيم، وهو جمع الجمع، وهو يرد كثيراً في أبنية القلة.

(ما يلقانا): في مستقبل أعمارنا في الدنيا وفي الآخرة، فإنه يحملهما جميعاً.

(فإنها): الصمير للشهادة.

(عزيمة الإيمان): قاعدة من قواعده، وأصل من أصوله.

(وفاتحة الإحسان): من عند الله تعالى بمضاعفة الثواب وعظام الأجر عليها، بما يحق ذلك من الإحسان تفضلاً منه تعالى.

(ومرضاة الرحمن): لما فيها من إخلاص التوحيد لله تعالى، والاعتراف

بالإلهية، وفيها معظم الرضى.

(١) في (أ): ملك، وهو تحريف.

(٢) في (ب): اطربي.

(٣) زيادة في (ب)

(٤) في (أ) - ويدخرها أي يخبأها.

(ومدحرة لشیطان)؛ المدحور هو: الطرد والإبعاد، قال تعالى: ﴿مِنْ كُلِّ جَانِبٍ لِّخُورًا﴾ [الصافات: ٨-٩] أي دفعاً وإبعاداً، والمدحرة مصدر دحرج، كما أن المسعاة مصدر سعى، وهكذا المرصاة أيضاً مصدر رضى.

سؤال: بم أدخل لقاء في مدح الشهادة في قوله: فإنها عزيمة الإيمان، وحذف في قوله: إنه لا يضل من هده، وهما مستويان، وتوسطهما بين جملتين؟

وجوابه: هو: أن هذا الحرف وهو إن إذا كان متوسطاً بين جملتين، وكانت رابطة للأولى بالثانية كأنهما قد أفرغا في قالب واحد، فإنه يقبح دخول اللقاء هنا، ولهذا^(١) لم يحسن دخولها في قوله: إنه لا يضل من هده، لما ذكرناه، ومن هذا القبيل قوله تعالى: ﴿اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾ [الحج: ١]، وقوله تعالى: ﴿لَا تَخَافُ بَنِي مَكَّةَ اسْتَعْ وَأَرَى﴾ [ط: ١٦]، وهذا في كتاب الله تعالى أكثر من أن يحصى، فأما إذا كانت الجملة الثانية قد انقطعت عن الأولى وصارت منفصلة عنها، فإنه يحسن دخول اللقاء، ولهذا^(٢) حسن دخولها في قوله: فإنها عزيمة الإيمان، ومن هذا القبيل، قوله تعالى: ﴿وَأَنهَا لَا تَمْنَى الْأَبْصَارُ﴾ [الحج: ١٦]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ [الأنبياء: ٢٨]، فإنها لما كانت منقطعة عما قبلها جاز دخولها عليها، وفي كلامه هذا دلالة على أنه (لغيره) قد أحاط بعلوم البلاغة عقده وملكه، واستولى على أسرار الفصاحة سلطانه وملكه.

(وأشهد أن محمداً عبده ورسوله): هاتان^(٣) الشهادتان توأمان لا يكمل

(١) في (ب) فهذا

(٢) في (ب) فهذا

(٣) في لسختين. بينكم، وما أنه من الصحف، ولعل الذي في النسخ على قراءة.

(٤) في (أ) - تان، وفي (ب) كما أثبت

الإيمان إلا بهما، ولا تسلم الرقاب عن القتل والأموال عن التغم والاخت إلا بالإقرار بهما.

(أرسله بالدين): جعله رسولاً، الباء في قوله: بالدين يحتمل أن تكون للإلصاق^(١) مثلها [في قوله]^(٢): كبت بالقلم، ويحتمل أن تكون للحال أي دالاً على الدين مثلها في قولك: خرجت بسلاح أي مسلحاً.

(المشهور): الذي لا ينكره أحد بلغه، لما فيه من المصالح الملائمة للعقول، أو المقطوع^(٣) بصحته لقوة براهينه.

(والعلم الماثور): أراد بالعلم توحيدته تعالى والإقرار ببروئته وغير ذلك، مما اشتمل عليه قوله تعالى: ﴿مَا وَحَى إِلَيْنَا عَنْهُ مَا وَحَى﴾ [الحج: ١٠]، وأراد بالماثور ما أبلغه من علم الأنبياء قبله، وفي بعض النسخ: (والعلم) متح اللام، ولا معنى له هاهنا.

(والكتاب): يعني القرآن^(٤).

(المسطور): المكتوب، والسطر: الكتب.

قال رؤية^(٥):

واعلم بأن ذا الجلال قد قدر في الصحف التي قد كان سطر

(١) في (أ): للإيمان، وما أثبت من (ب)

(٢) سقط من (ب)

(٣) في (ب): والمقطوع.

(٤) في (أ). يعني الغرائض وهو تحريف، والصواب ما أثبت من (ب)

(٥) هو رؤية بن عبد الله المحاج بن رؤية التميمي السعدي، أبو الحجاج، وأبو محمد المتوفى

سنة ١٤٥هـ، راجع من الفصحاء المشهورين من محرمي الدولتين الأموية والماسية، أخذ

عنه أعيان أهل اللغة، وكانوا يحنجون شعره، ويقولون بإمامته في اللغة، وله ديوان رجز

مطوع (معجم رجال الاعتبار وسلوة العارفين ص ١٤٦)

(والنور): مجازها هذا، وحقيقته الضياء، وهو هنا عبارة عن العلوم والأحكام التي جاء بها الرسول.

(الساطع): المرتفع، ومنه سطع الفجر إذا ارتفع وعلا.

(والضياء): وهو كل ما أضاء وظهر ضوءه

(اللامع): لمع البرق إذا ظهر ضوءه مرة بعد أخرى.

(والأمر): وهو لبيان العظيم، يقال: جاءهم الأمر^(١) لا قوة لهم به، يريد شأناً عظيماً لا يوصف حده.

(الصادع): الذي يفرق بين الحق والباطل، ومنه قوله تعالى: ﴿فَاصْطَنَعِ يَمَّا تُوْمَرُ﴾ [الحجر ١٢] فأصله^(٢) الشق.

قال الفراء^(٣): ﴿فَاصْطَنَعِ يَمَّا تُوْمَرُ﴾ [الحجر ١٢] أي اطهر دينك.

(إراحة للشبهات): زاحه وأزاحه إذا أمله، وانتصابه على المفعول له^(٤)، والشبهة: ما كان على خلاف الحق، وإنما سميت شبهة، لأنها تليس بالحق، ولهذا زلّ فيها من زلّ.

(١) في (أ) أمر

(٢) في (ب) وأصله

(٣) الفراء: هو يحيى بن زياد بن عبد الله بن مطر الديلمي، أبو زكريا [١٤٤-٢٠٧هـ] المعروف بالفراء، يسم الكوفيين وأعلمهم بالحو واللغة وقول الأدب، ولد بالكوفة، وكان مع تقدمه في اللغة مهياً متكنفاً عالماً بأيام العرب وأخبارها، عارفاً بالنجوم والطلب، يمس إلى الاعمال، وله تصانيف منها: المقصور والممدود، والمعاني، ويسمى معاني القرآن، والمذكر والمؤث وغيرها (انظر لأعلام ١٤٥/٨-١٤٦).

(٤) سقط من (أ)

(واحتجاجاً للبينات^(١)): أي أرسله وبعثه محتجاً للأحكام الباهرة، وهو ما ظهر عليه من الشرائع.

(وتحذيراً بالآيات): أراد بالآيات إما آيات القرآن فإنها متضمنة للتخويف والإنذار لعقاب الآخرة، وإما الآيات المفتوحة على الأنبياء من أمهم، والمعنى أن الله تعالى قدمها تحذيراً لهم من العقاب، فإنهم لما^(٢) لم يحافوا وقع عليهم العقاب لا محالة.

سؤال: لم عدّ مصدر الاحتجاج باللام، فقال: احتجاجاً للبينات^(٣)، وعدّ مصدر لتحذير بالباء، فقال: وتحذيراً بالآيات، وما وجه المخالفة بينهما؟

وجوابه: هو أن المراد بالبينات الأحكام والشرائع، والغرض هو الاحتجاج لها، والتقرير لقواعدها بالأدلة، فلهذا دخلت اللام دالة على أن الغرض هو إظهار الاحتجاج لأجل البينات، بخلاف التحذير فإن الغرض إلصاقه بالآيات، فلهذا جاء في الباء، فلهذا فصل بينهما لما ذكرناه.

(وتخويفاً بالمثلات^(٤)): وهي العقوبات، كما قال الله تعالى: ﴿وَقَدْ خَلَّتْ مِنْ قَبْلِهِمُ الْمَثَلَاتُ﴾ [الرعد ١] يعني عقوبات من مضى قبلهم بالرجفة والصيحة، وأنواع البلايا.

(١) في (ب) لسليات، وفي شرح النهج: واحتجاجاً بالبينات

(٢) سقط من (أ).

(٣) في (ب)، للآيات، وهو خطأ

(٤) في النهج: بالمثلات

(أرسله والناس في فتنة^(١)): جملة ابتدائية في موضع الحال،
كما تقول: جاء زيد والناس يضحكون، والفسة هي: الابتلاء والامتحان
من قولهم: فتنت الذهب إذا خبرت جودته ورداءته.

(المجذوم فيها): انقطع، وسمي المجذوم مجذوماً لانقطاع أوصاله.

(حبل الدين): متمسكاً به^(٢)، وهي التي يتوصل بها إلى إثباته، فوضع
الحبل مكانها لما كان وُصلة إلى غيره، وانقطاعه إنما كان من بعد الأنبياء
واندراست آثارهم

(وتزحزحت^(٣)): تنحلت ومالت، كقوله تعالى: «لَمَنْ رُخِيَ
عَنِ النَّارِ» [ان عمران: ١٨٥]

(سوارى): السواري هي: الدعائم والأساطين التي عليها قواعد البنية.
(اليقين): هو الأمر المتيقن المتحقق^(٤) [حاله]^(٥).

(واختلف النجر): النجار والتحر هو: الأصل والحسب، أراد أن أصل
كل شيء من الأديان والشرائع مختلف، ليس موضوعاً في مستقره لاستيلاء
الجهل بأهله.

(وتشتت الأمر): أي تفرق، وليس له جامع، ولا يشمل رابط.

(وضاق المخرج): عن ظلمة الجهل لفقد العلم.

(١) في (أ): في فترة، والصواب ما أثبتته من نسخة أخرى، وفي (ب): فتنة.
(٢) كما في السحتين، ولعل الصواب: متمسكاته
(٣) في شرح النهج: وتزعزعت
(٤) في (أ): المجي، وما أثبتته من (ب)
(٥) ما بين المعقوفين بياض في (أ) وما أثبتته من (ب).

(وعصي المصدر): وهو الذهاب بغير دليل ولا مرشد.

(فاهدى حامل): لذكر لعدم من ينشروه.

(والعص شامل): لا سبيل له وكثرته.

(عصي الرحمن): بارتكاب محارمه، وترك أوامره

(وبصر الشيطان): باتباعه وتحصيل مراداته

(وخذل الإيمان): بترك التزام أحكامه.

(فانهارت دعائمه): أي تهدمت من هارته^(١) إذا هدمه، لأجل
عدم ناصريه.

(وتنكرت): صارت منكورة لا تعرف.

(معالمه): المعالم هي: المعاهد والربوع، وبما قيل لها: معالم لكثرة
تحققها وثباتها

(و درست): امتحت، ومنه ثوب دارس، وطريق دارس إذا كان
لا يسلك.

(سبله): أي طريقه ومسالكه فلا يعرف لها أثر لعدم من يسلكها^(٢)
ويعرفها.

(وعقت): اندرست وهلكت.

(شركه): الشرك: جمع شركة مثل ملكه وملك، وهو معظم الطريق

(١) في (أ): هاده وهو تحريف.

(٢) في (ب): سلكها.

ووسطه، فإذا كان معظمه هالك مندرس فكيف حال جوانبه، ومراده من ذلك هو حصول هذه الأمور كلها لفقد الأنبياء ومن يدعو إلى الخير، وفيه شحذ للهمم في اقتفاء طريق الأنبياء، واتباع آثارهم، وتحريك لعزائم العلماء في ذلك.

(أطاعوا الشيطان): بتحصيل مراداته والانقياد لأمره.

(فسلكوا مسالكه): فافتقروا آثاره، ونهجوا طريقه.

(ووردوا مناهله): وشربوا من حياضه، وكرعوا فيها، وارتبوا من أجنها

(بهم سارت أعلامه، وقام لواؤه): سير الأعلام، وهي: البنود، وقيم الألوية^(١) وهي الرايات، استعارة لها هنا عن استقامة الأمر وثبوته وتمكنه واستحكام نفوذه؛ لأن هذه الأمور متى كانت مستقيمة فأحوال العسكر مستقيمة، وأمرهم نافذ، وعزيمتهم ماضية، ورجحهم متحركة، فهذه الأمور كلها حاصلة.

(في فتن): جمع فتنه

(داستهم): دقتهم.

(بأخفافها): كما يدوس البعير بحفنه.

(ووطنتهم): همستهم.

(بأظلافها): كما تدوس البقر بأظلافها.

(١) في (أ): الولاية، وهو تحريف

(وقاصمت): يعني الفتن.

(على سنانكها فبهم): الخف للجمل، والظلف للبقر، والسنبك للفرس وهو طرف مقدم الحافر، واستعار ذكر هذه الأشياء كلها ليبدل بها على أن الفتن قد طحتهم بكلاكلها واستقرت قواعدها فلا يستطيعون حيلة، ولا يهتدون سبيلاً.

(فهم فيها تائهون): ذاهبون في الحيرة كل مذهب.

(حائرون): مقيمون في الفتنة، لا يجدون مسلكاً يسلكونه.

(جاهلون): بما يكون فيه النجاة، عمّا هم فيه.

(مفتنونون): عمتحنون بأنواع هذه البلاوي، ساكنون.

(في شردار): إما الدنيا لكثرة ما يعرض فيها من ضروب المحن، وإما مواضعهم حيث كانوا في هذه الفتن مقيمون فيها.

(وشر جيران): حيث لم يصنعوهم فيما وقعوا فيه، وشر جار من لا ينفع الفصص عن اشتجارها^(١).

(نومهم سهود): سهو يسهد سهوداً إذا قل نومه، فنومهم شارد قليل لما دهمهم من هذه الأمور.

(وكحلهم دموع): أراد ما يكتحلون من شدة الأمر وهوله^(٢) إلا دموعهم، وقوله (كحلهم دموع): مثل قولهم: نحية بينهم

(١) يقع أي يسكن، واشتجارها أي تارعها، والعبارة في (ب): من لا يسمع العصص عن اشتجارها.

(٢) في (أ): وبغوله، وهو تحريف

صرب وجيع، ومن قولهم: تعليقها الأسرج والألجام، ومن قولهم:

بدت قَمَرًا ومالت حَسَوطًا

وفاح عرًا ورزئت غزالًا

وهو من علوم البيان تلفت بالنديج^(١) أخذًا له من الديباج، مقيمون^(٢):

(بأرض): وإنما نكرها لما في تنكيرها من الفخامة، كأنه قال: بأرض وأي أرض في الشر واحتمال المكروه.

(عالمها ملجم): فلا ينطق استهانة بكلامه، وركعة في حاله عندهم.

(وجاهلها مكرم): لا تقيادهم لأمره وحتكاهم لقوله، كما قال (عليه السلام) في شعره.

فورن كل امرئ ما كن نخمته

والجاهلون لأهل العلم أعداء

ثم وصف [الآل^(٣)] بقوله:

(هم موضع سره): أراد أنهم مكانه ومحلّه؛ لأن السر إنما يكون في أهل النظافة والخاصة، ولهذا قيل في الأنصار: كانوا كرشاً^(٤) وعيبة للرسول (عليه السلام).

(١) في (أ): بالتدريج، وهو خطأ

(٢) في (أ): معقول، وما أنته من (ب)

(٣) في (أ): الأول، وهو تحريف، والصواب ما أنته.

(٤) في (أ): كرش، وفي (ب) كما أنته وهو لصواب، والقول الذي ذكره المؤلف هنا في الأنصار

هو معنى حديث ورد عن النبي (صلى الله عليه وسلم): «الأنصار كرش عبيتي».

(ولجا أمره): ومستنده في الأمور كلها، من قولهم: لجأت إلى كذا، أي استندت إليه

(وعيبه علمه): العيبة: وعاء البز، واستعاره هنا لأنهم موضع علمه كما كانت العيبة موضعاً^(١) للبز، وحافضة له، منهم يؤخذ العلم، وإليهم يرجع فيه.

(وموئل حكمه): وآل إلى كذا إذا لجأ إليه، والموئل هو: الملجأ، ومعناه أنهم^(٢) يلجأ إليهم في الأحكام كلها وتستنهض من جهتهم.

(وكهف^(٣) كتبه): الكهف: التقر في الجبل كالحزانة، ومراده هاهنا أنهم موضع كتبه، وأراد بالكتب العلم؛ لأنه يحفظ بالكتابة، وبحرس عن الإهمال والضياع.

(وجبال دينه): أراد أنهم يلاذ بهم عن المهالك كما يلاذ بالجبال بالتحرز، أو أن جانبهم مرتفع كارتفاع الجبال، وعزمهم شامخ شموخ الجبال، فلا مسامون^(٤) حقاً في أديانهم، فالاستعاره محتملة لما ذكرناه.

(بهم أقام): الضمير في أقام يحتمل أن يكون لله تعالى، أي أن الله تعالى أقام بهم، ويحتمل أن يكون للرسول أي أنه أقام بهم، والأول أوجه الأمرين؛ لأن ذلك من جملة ألطاف الله تعالى بهم، حيث جعلهم على هذه الصفة.

(١) في (أ): موضع، وفي (ب) كما أنت وهو الصواب

(٢) في (ب): أنه

(٣) في شرح النهج: وكهوف.

(٤) في (ب): فلا يسأمون

(٥) قوله: تعالى زيادة في (ب).

(أخذاء ظهره) : اعوجاجه.

(وأذهب ارتعاد فرائصه) : وأزال حركة فرائصه، والفريضة : اللحمة بين الجنب والكتف من الدابة التي لا يزال ترعد، والفرائص : عروق الأوداج في العنق، والغرض من هذا هو أن الله تعالى قوى أمره، وشده^(١) عضده، وقوى أزره بالآل

ثم أروقه بما يناقض هذه الصفات من حال غمهم، وأطن أنه يشير به^(٢) إلى بني أمية، فقال (رحمهم)

(زرعوا الفجور) : جعلوا بذره في أراض مكرهم وعنادهم.

(وسفوه الغرور) : لأن البذر لا ينبت إلا بالسقي، فجعلوا سقيه ماء الغرور بالأهواء، واستحكم^(٣) الفجور في لأفعال، والغرور بالأهواء.

(فحصدوا الثبور) : فكان^(٤) الجُذائ هو الخسران والهلاك، يقال : ثبر ثبوراً أي خسر وهلك، كما قال تعالى : «لَا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَلِحْدًا وَادْعُوا ثُبُورًا كَبِيرًا» [الفرقان ١٤].

وقوله (رحمهم) : سقوا العرور، فحصدوا الثبور، مع قوله : زرعوا المحور من باب توشيح الاستعارة، لأنه لما استعار الزرع عقبه بما يلائمه من السقي والحصد، وهذا كقوله تعالى : «اسْتَرْزُوا الصَّلَاةَ بِتَهْنِئَةٍ

(١) في (أ)، وشده، وفي (ب) كما أتيه

(٢) قوله : به سقط من (ب)

(٣) في (ب) : فاستحكم المحور بالأفعال.

(٤) في (ب) : وكان، وجذ أي قطعه وكسره، والجذائ بضم الجيم وكسره ما كسر منه، والضم أفصح. (عبار الصحاح ص ٩٧).

فَمَا رِيَحَتْ تَجَارُفُهُمْ» [المزمل ١٦] فإنه من علم البلاغة ليدرها المسير، وفلكها المستدير.

(لا يقاس بال محمد [صلى الله عليه وآله])^(١) غيرهم من أحد من هذه الأمة^(٢) : يشير بكلامه هذا إلى بني أمية، وهيهات هيهات! أين العرب عن النبغ^(٣)! والخصى عن المرحان! ولا يستوي الحشب المعمد والدر المنضد^(٤)! ولا الإبرير والإرزيز^(٥)! وشتان ما بين رماد الكبير، وخلص الذهب الأكبر!

(لا يسوى بهم)^(٦) من جرت نعمتهم عليه أبداً^(٧) : يشير بذلك إلى أمرين :

أما أولاً : فلما عليهم من المنة به ناصطفاء الرسول ودعاؤه لهم إلى الإسلام، فإن هذه منة لا تشبه المرء، ونعمة لا تشبه النعم.

وأما ثانياً : فلما كان من رسول الله من المن يوم الفتح، وإطلاقهم عن الرق والأسر والقتل، حيث قال : «اذهبوا فأنتم الطلقاء»^(٨)، فمن هذه حاله لا يقاس بهم غيرهم، وكيف يقاس بهم غيرهم،

(١) ما بين المعقوفين زيادة في النهج

(٢) لفظ العبارة في النهج : لا يقاس بال محمد ﷺ من هذه الأمة أحد.

(٣) الغريب بالتحريك : القصة. واسخ العار، يقال : محجة باعة أي يثور ثرابها

(٤) المنضد : أي المرتب والمنظم.

(٥) الإبريز : الذهب الخالص، والإرزيز : برز صغار كالشج (انظر القاموس المحيط)

(٦) في شرح النهج - ولا يسوى، وقوله بهم، زيادة منه ومن (ب)

(٧) قوله : أبداً، زيادة من شرح النهج.

(٨) أورده في موسوعة أطراف الحديث النبوي ٤٤٧/١، وعراه إلى السنن الكبرى للبيهقي

٩١٨/٩، وانظر سيرة ابن هشام ٣٥/٤

والمشابهة من جميع الوجوه منتفية فلا وجه إذن للمقاسة، إذ لا بد لحقيقة القياس من أن تقع علّة، تكون^(١) مستندة إليه.

(هم أساس الدين): قواعد التي عليها يبنى، وإنما كرر ذكر الضمير وهو قوله: هم، لما فيه من مزيد الاختصاص، كأنه قال: لا يخص بهذه الصفات سواهم، وهذا كقوله تعالى: ﴿وَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى﴾ [سجدة: ١٤-١٥]، فكرر الضمير دالاً به على أنه لا يختص بهذه الأمور إلا هو.

(وعصاة اليقين): العماد: جمع عمداً، وهي: الأخشاب التي يشد إليها حبال الأخبية.

(إليهم يميء الغالي): إنما قدم الضمير لما فيه من الإيهام بذكرهم فاء إذا رجع، والغالي هو: الذي يزيد في الشيء ويكثر منه، كقوله تعالى: ﴿لَا تَقْلُوا فِي دِيَرِكُمْ﴾ [سجدة: ١٧١]، كما غلت النصارى في عيسى فاعتقدوه إلهاً، ومعناه أن الغالي يرجع إليهم لما يأخذ من البصيرة فيرجع عن غلوه.

(وبهم يلحق التالي): هذا تلو لهذا، أي تابعه، قال تعالى: ﴿وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاها﴾ [النبي: ٢]، أي تبعها يعني الشمس، والمعنى في هذا^(٢) أنهم لمقدمون لكل الخلق ومن عداهم تابع لهم وقافٍ على أثرهم.

(وهم خصائص حق الولاية): الخصائص: جمع خصيصة، وهي عبارة عما يكون الإنسان مختصاً به، الولاية: بكسر الفاء مصدر كالإمارة،

(١) في (ب) ويكون مستنده إليه.

(٢) في (ب) بهذا.

وهي عبارة عن النصرة، والولاية: بالفتح هي الاسم، وهي عبارة عن السلطان، والولاية هنا مفسرة في كلامه بالوجهين؛ لأن المعنى أنهم المختصون بالإمارة والسلطنة، والنصرة والاحتواء من بين سائر الخلق

(وبهم الوصية): يشير بهذا إلى نفسه؛ لأن الرسول (عليه السلام) قال: «ووصيي^(١) ووزير وخير من أخلفه لقضاء ديني علي بن أبي طالب»^(٢)

(والورثة): إن أراد وراثته اعلم فهو يعني نفسه؛ لأنه نازل منزلته (عليه السلام) في العلم والولاية بالخلق، وإن أراد وراثته السب فهو يعني فاطمة فإنها بنته وورثة بنسبها^(٣) منه، وغرضه بالآل^(٤) الذين أشار إلى فصلهم هو نفسه وولدها وفاطمة، فإن هؤلاء هم الآل باتفاق أهل البيت على ذلك، ومن تلاهم من أولادهم

(الآن): أي هذا الوقت يشير إلى زمان خلافته.

(١) في (ب): وصيي

(٢) أخرجه الإمام محمد بن سليمان الكوفي رحمه الله في مناقبه ٣٨٧-٣٨٦/١ تحت الرقم (٣٠٦) بسند عن أنس بن مالك عن سلمان مع اختلاف في بعض ألفاظه وزيادة فيه، وهو فيه بلفظ: «(إن خليلي ووزير وخير من أترك بعدي، يعصني ديني، ويجز موعدي عني بن أبي طالب)» وله فيه شواهد كثيرة، وكما في الكوفي أخرجه ابن عساكر في ترجمة أمير المؤمنين من تاريخ دمشق ١٣٠/١-١٣١ عن أنس تحت الأرقام (١٥٥-١٥٨)، وانظر المصابيح في السيرة لأبي العباس الحسني ص ٢٠٣، وهو بلفظ: «(إن أخي ووصيي وخليفتي في أعلي وخير من أترك بعدي يقضي ديني ويحرم موعدي علي بن أبي طالب)» أخرجه الكوفي أيضاً في مناقبه عن أنس تحت الرقم (٣٤٥)، وانظر تخريج الحديث الموسع في نوافع الأنوار ٥١٦-٥٠٩/٢.

(٣) قوله: وسلم زيادة في (ب).

(٤) في (أ): نسبا

(٥) في (أ): بالاول، وهو خطأ.

(إذ رجع الحق إلى أهله) : إلى مستحقه ، ومن كان [مستحقاً] ^(١) أهلاً له من قبل غيره.

(ونقل إلى منتقله) : وحول إلى أصله الذي كان له وموضعه ^(٢) ، والمتقل : ما ينتقل إليه كالمصطجع ^(٣) لما يضطجع فيه.

دقيقة : اعلم أن ذكره لآل بعد ذكر بني أمية كلام جار على جهة الاستطراد ، وهو كل كلام خرجت منه وأخذت في ذكر غيره مما لا يناسبه ، ولا يكون بينهما ملازمة ، وهو جار في كلام الله تعالى في مواضع كثيرة ، وفي كلام الفصحاء

(٣) ومن خطبة له عليه السلام

المعروفة بالشقشقية وهي : من حلائل الخطب النفيسة على الاستعارات الرشيقة ، والتمثيلات الحسنة ، وفيها نبيه على علو همته وارتفاع قدره ، قال فيها :

(أما والله) : أما هذه هي المحففة وهي دالة على التنسّه ، وهي نظيرة ألا المحققة ، كما قال تعالى ^(١) : ﴿أَلَا لِيَأْخُذَ اللَّهُ﴾ [يوسف: ٦٢] ﴿أَلَا لِيَهْلِكَ مِنْ﴾ [الأنعام: ١٠١] ﴿أَلَا لِيَهْلِكَ مِنْ رَبِّهِمْ﴾ [سكك: ٥٤] وغير ذلك ، قال :

أَمَّا وَالَّذِي أَبْكَى وَأَضْحَكَ ، وَلَيْدِي

أَمَاتَ وَأَحْبَ وَالَّذِي أَمَرَهُ الْأَمْرُ ^(٢)

ويستعمل القسم بعدها كثيراً.

(لقد تقمصها) : الضمير للإمامة أي لبسها لبس القميص ، وهذه استعارة حسنة فاشتمل عليها كاشتمال القميص على البدن.

(١) زيادة في (ب)

(٢) في (أ) : وضعه ، وهو خطأ.

(٣) في (أ) : كالمصنوع ، وهو تحريف ، والصواب ما أنه من (ب)

(١) قوله : تعالى زيادة في (ب).

(٢) في (أ) : أمر ، وفي (ب) كما أنه ، والبيت هو لأبي صخر البجلي.

(فلان^(١)): يشير به إلى أبي بكر، اللام في لقد هي المحققة للجملية الواقعة [بعدها]^(٢)، الموضحة لأمرها وشأنها، كأنه قال: لقد اختص بها اختصاصاً ظاهراً، لا يشك فيه أحد وانفرد بها قطعاً.

(وإنه ليعلم): ليتحقق تحققاً لا ريب فيه.

(إن محلي منها): مكاني من الإمامة ومنزتي منها، من ها هنا كالتي في قولك: منزلتك من فلان قريبة لابتداء الندية.

(محل القطب من الرحي): مكان القطب: وهي حديدة تدور عليها لرحى للماء، ومن هذه حاله فإنه لأهل لها، وإني بها كالجبل الذي.

(ينحدر عني السيل): لارتفاعه وعلو سمكه، والسيل إنما يستقر على الحضيض وقرار الأرض.

(ولا يرقى إلى الطير): لشموخه وارتفاع حجمه، واطير إنما يحلق إلى مقدار الأبنية المتقاصرة، فمن رأى ما رأيت من الاستبداد زعماً للأولوية والإعراض عني، وتركه^(٣) اعتماداً على الأحقية.

(فسدلت^(٤) عنها ثوباً): سدلت الثوب إذا أرخاه على منكبيه، من غير أن يردّه عليهما، أو على أحدهما.

(وطويت عنها كشحاً): والكشح: ما بين الخاصرة والضلع الخلف،

(١) في شرح النهج: ابن أبي قحافة

(٢) سقط من (ب).

(٣) في (أ). وتركه، وفي (ب) كما أثبت

(٤) في (ب): سدلت، والمارة في النهج: سدلت دونها ثوباً

وهذا كلام جعله كناية عن الإعراض عنها، وتركها والإقبال على غيرها، كما جعل قوله: فلان يقدم رجلاً ويؤخر أخرى، كناية عن التحير، وقولهم: فلان يحبط^(١) على الماء، وينفخ في غير ضرْم، كناية^(٢) عن الاشتغال بما لا يجدي^(٣) ولا يعود بنفع وغير ذلك، وهو يزيد الكلام بلاغة ويكسبه رونقاً وحلاوة

(وظفقت): جعلت، قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ يَمْنُنَ﴾ [الأعراف ٦٢] أي جعلاً.

(أرتني): أفتعل من الرأي والتدبير، ومعناه جمعت أجيل رأبي، وأدير^(٤) في عاقبة أمري.

(بين أن أصول): صال عليه إذا استطال وعلا، وقد قيل: رب قول أشد من صول^(٥)، أي ربما كان الكلام أنفع في بعض الأحوال من المصاولة والاستطالة.

(بيد جذاء): اليد ها هنا هي: الجرحه، والجذاء هي: المقطوعة، والجذء: القطع، قال الله تعالى: ﴿عَطَاءٌ غَيْرَ مَجْتُوذٍ﴾ [ممد ١٠٨] أي مقطوع، وهذا الكلام جعله كناية عن عدم التاصرله على ما يريد.

(١) في (ب): يحط

(٢) في (أ) من الكتابة.

(٣) في (أ). لا يجري، وهو تحريف

(٤) في (أ). وأدير، وفي (ب) كما أثبت

(٥) صاحب القول هذا هو أمير المؤمنين علي (عليه السلام)، وهو في شرح النهج لابن أبي الحديد يلفظ

(رب قول أهد من صول)

(أو^(١) اصبر): وأكضم عيطي:

(على صحية عمياء): الطخية: الظلمة، والطحية بالفتح: الكلمة التي لا يفهم معناها، وأراد بها ظلمة مظلمة وقضية مستعجمة لا يفهم معناها، ولا يدرك متنهاها، وجعل هذا الكلام كناية عن صعوبة الحال وشذتها، واستفحال أمرها وامتداد زمانها^(٢)، حتى أنها

(بهرم فيها الكبير): إذ ليس بعد الشيخوخة، لا الهرم.

(ويشيب فيها الصغير): إذ ليس بعد الكهولة إلا المشيب، وأراد بهذا الإبانة والإفصاح عن عظم حلها.

(وبكدح فيها^(٣)): يسمى ويعالج، كقوله تعالى: **وَإِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدًّا** [الانشقاق ٦].

(مؤمن): أراد نفسه

(حتى يلقي ربه): وهو على حالته، مستأثراً عليه بحقه، مؤلى عليه غره، فلما كان أمري فيما أنا فيه لا يفك عن أحد هاتين حالتين (فرايت): فكان عاقبة نظري، ومتهى تمكيري.

(ان الصبر على هاتنا): وهي الطخية العمياء؛ لما فيها من سلامة الدين، وتسكين الدهماء، والإعراس عن زخرف الدنيا، ولذتها.

(أحجى): إما من قولهم: فلان أحجى بهذا، أي أخلق به وأحق،

(١) في (أ): وأصبر، وما أثبت من (ب) ومن شرح النسخ.

(٢) في (ب): زمامها.

(٣) قوله: فيها، زيادة من شرح النسخ

وإما أخذاً لها من الحجا وهو العقل، أي أنها فعل ذوي الحجا؛ لأن من شأنهم الإعراس عن ما فيه شجار وخصومة.

(فصبرت): فحصل صبري على احتمال المكارة، ولا صطار لها.

(وفي العين قذى): القذى: ما يسقط^(١) في العين فيؤذيها، ومنه الحديث: «يرى أحدكم القذى في عين صاحبه، ولا يرى الجذع في عينه»^(٢) يريد أنه يتيقظ لصغير القبيح في غيره، ولا يتيقظ لكبير قبح فعله.

(وفي الحلق شجاً): الشجاء: ما يعترض في الحلق

قال:

من يكدنني بسئى كنت منه كالثجاء ين حلقه والوريد

(أرى): أنظر بعيني، وأتحقق بقلبي:

(تراثي نهياً): التراث والورث واحد، والتاء بدل من الواو فيه، والنهت: ما ينتهب ويأخذه من شاء، ثم كانت هذه حالي^(٣) وهجيراي، وعاقبة أمري:

(حتى مضى الأول): مات أبو بكر

(١) في (ب): سقط.

(٢) الحديث أورده ابن الأثير في النهاية ٣٠/٤ بلفظ: «يصر أحدكم القذى في عين أخيه، ويرى من الجذع في عينه»، وهو في لسان العرب ٤٢/٣ بلفظ (نهاية)، ورواه في مسند شمس الأختار ٥١٧/١ في الباب الثامن والتسعين بلفظ: «يصر أحدكم القذى في عين أخيه، ويدع الجذع في عينه»، وقال في تحريجه: أخرجه أبو يعين في الحلية، وصححه السيوطي، وابن المبارك عن أبي هريرة. انتهى

قلت: وأورده الإمام أبو القاسم في الاعتار وسلوة العارفين ص ٥٢٥ في باب الاشتغال بعباد النفس عن عيوب الناس، أورده من حديث عن المسيح عليه السلام

(٣) في (ب): حالتي

(لسبيله): لطريقه إلى الآخرة، وكان الموت طريقاً؛ لأن به يصل إليها لا محالة.

(أدلى بها): من قولهم: أدلى إليّ بالقرابة، وغرضه أنه دفعها، وأدلى قد يأتي متعدداً بنفسه، كقوله تعالى: ﴿فَأَلْقَى نَجْوَاهُ﴾ [سجدة: ١٩]، وتارة بحرف الجر، كقوله تعالى: ﴿وَوُتِّلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ﴾ [التبر: ١٨٨]، وههنا استعمله متعدداً^(١) بالباء دلالة على ملاصقته لها بالدفع^(٢).

(إلى فلان بعده^(٣)): أراد عمر بن الخطاب، فإنه عقد به الخلافة بعده، وهذا حين عند المعتزلة أن الخمسة قد اختاروا أبا بكر وهو سادسهم، وعقدوا له، فلما صحت إمامته بالعقد، حاز أن يكون عاقداً لغيره، فلهذا صحت إمامة عمر بعدهم عملاً على هذا؛ لأنه لما صار مختاراً بالعقد جاز أن يعقد ويختار لغيره، ثم تمثل بيت الأعشى^(٤):

(شَتَنَ مَا يُوَيِّى عَلَى كُورِهَا وَيَوْمَ حَنَّ أَخَى جَسَارِ)^(٥)

ولشكر معنى البيت، وموضع الشاهد فيه:

(١) ي (ب) متعد.

(٢) ي (أ): يرفع، وهو تحريف.

(٣) في شرح النهج: إلى ابن الخطاب بعده.

(٤) هو الأعشى الكبير، أعشى قيس، وهو أبو بصير ميمون بن قيس بن حذيل،

(٥) بعده.

أرمى بها لبيداء إد هجرت

وأنت بين القرو والعاصر

في محدد شيد بنائه

يرل عنه ظمير الطائر

(انظر شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١/١٦٧)

أما معناه فقوله: شتان هو اسم من أسماء الأفعال، والمعنى إذا قلت: شتان زيد وعمرو، أى تباينا واقترا، ويستعمل على وجهين:

أحدهما: وهو الأكثر الأعرف عند أئمة اللغة: شتان زيد وعمرو، وشتان ما زيد وعمرو، وعلى هذا ورد^(١) البيت للأعشى.

وثانها: أن يقال: شتان ما بين الزيدين، وشتان ما بينهما، أى بعد ما بينهما، وعلى هذا ورد قول من قال:

لَشَتَنَ مَا بَيْنَ الْيَزِيدِينَ فِي السُّدَى

يزيد سليم والأغر بن حاتم^(٢)

فأما الأصمعي^(٣) فأنكر هذا^(٤) ورده، ولم يستبعده آخرون؛ لأن العرض من هذا بُعد ما بينهما، وما زائدة، يومي فاعل شتان، والكور للناقة كالسرح للفرس، ويوم حين عطف عسى ما قبله بالرفع أيضاً، وحيان وجابر كانا رئيسين من رؤساء بني حنيفة، والمعنى فيه ما أبعد ما بين اليومين اللذين مرا على رأسي، يوم ركبت ناقتي وعالجنت مشقة

(١) في (ب): وارد.

(٢) البيت أورده صاحب (أعلام بهج البلاغة) -خ- ص ٦ بدون نسبة إلى قائله، وقال في شرحه للشعر الثاني ما لفظه: يعني يريد بن أسيد السلمي، ويريد بن حاتم المهلبى. انتهى. وورد البيت في لسان العرب ٢/٢٦٧ ونسبه إلى ربيعة الرقي.

(٣) هو عبد الملك بن قريش بن عبد الملك بن علي بن أصمع البجلي، المعروف بالأصمعي، أبو سعيد ١٢٢١-٢١٦ هـ أحد الأعلام في الأدب واسم واللغة والأخبار، والملح، محدث، له مؤلفات منها: نواصر الأعراب، واللغات وغيرها (انظر معجم رجال الاعتبار ص ٢٥٦-٢٧٥).

(٤) في (أ): فأنكرها وأورده، وما أنشئه من (ب).

السفر، ويوم استقرار في المكان عند حيان في خفض العيش والدعة والكرامة والجائزة العظيمة من حيان، يمدحه بذلك ويشكره، وكان سيداً في بني حنيفة.

وحكي أنه عيَّبَ على الأعشى؛ لأنه نسبته إلى أخيه في الاشتهار، مع كونه غيياً عن ذلك لشرفه في نفسه من غير حاجة إلى ذكر أخيه، فاعتذر الأعشى بالقافية، فلم يعذره في ذلك^(١).

وأما^(٢) موضع الشاهد من البيت، فإنما أورده **(عليه السلام)** لأحد غرضين:

أحدهما: أن المراد ما أبعد ما بين حالتي مع رسول الله **(ﷺ)** ^(٣) وفي^(٤) إِدْبَاتِي وتَعْرِيبِي^(٥) منه، وبين حالتي الآن في إِبْعَادِي وإِفْصَائِي عن الأمر.

وثانيهما: أن يكون غرضه ما أبعد حالتي عن حال عمر، فإذا عقدت له مع أن حاله لا يطلع إلى حالتي، فكنت أحق بالعقد منه وأولى، وهذا جيد، ولهذا تمثل به **(عليه السلام)** عقيب قوله: فأدلى بها إلى فلان بعده، وهذا يقوي ما قلناه.

(فيا عجباً!) أصله: إما بـ عجبني وأبدلت الألف من الياء، وإما يا عجباه فطرحت هاء السكت عند الوصل، والمعنى: يا قوم عجباً لهذا الأمر، واستعجاباً منه.

(١) أعلام نهج البلاغة - خ-، وانظر شرح النهج لابن أبي الحديد ١٦٧/١

(٢) في (ب): وأما

(٣) سقط من (ب).

(٤) في (ب) في بدون الواو

(٥) في (ب) وتعريري

(بيننا): وهي بين^(١) لكن أشبعت الفتحة فتشأت الألف، ويزاد عليها ما، فيقال: بينما، والمعنى تعجبي حاصل بين أوقات استقالته لها في حياته، وتليه الجملة الابتدائية، ومنه قولهم: بينما رسول الله واقف، بينما زيد قائم إذ جاء فلان.

(هو يستقبلها في حياته): الضمير في يستقبلها للإمامة، وفي حياته يعني أبابكر، والاستقالة: طلب فسخ العقد السابق، كالاتقالة في البيع؛ لأن أبابكر كان يقول في بعض الأوقات في خلافته: أقبلوني فلست بخيركم، فلهذا قال **(عليه السلام)**: العجب من حاله إذا كان يستقبلها في حياته، فكان من حقه ترك الأمر، وإهماله عند الموت من غير مشاورة إلى إيمانها إلى الغير وتخصيصه بها.

(إذ عقدها لآخر بعد وفاته): يشير إلى عهد أبي بكر إلى عمر، وقوله بعد ذلك: لشد ما تشطر، اعترض بين المعطوف والمعطوف عليه، وأراد على جهة الإنكار لقوله: يستقبلها.

(لشد ما تشطر^(٢) ضربها): شد عضده إذا قوَّاه، قال الله تعالى: **﴿وَسَدَدًا مُلَكَّهُ﴾** [مر: ٢٠]، واللام في قوله: لشد هي المحققة للجملة، مشها في قوله تعالى: **﴿وَلَقَدْ ظَلَمَ﴾** [نمر: ٩٧]، وما هاهنا مصدرية، وهي وما بعدها فاعلة لشد، وتشطر فعل وفاعله أبو بكر، وشطر الشيء: نصفه، وشطره: بعضه، وفي المثل: أحلب حلباً لك شطره^(٣)، وهو هاهنا مستعار

(١) سقط من (أ)

(٢) في النهج: تشطرا ضربها، وفي (ب): تشطر أضرعتها

(٣) أعلام نهج البلاغة - خ-

من الناقة؛ لأن لها ضرعاً أربعة ثمان مقدمان^(١)، واثنان مؤخران، كل ضرعين فيها يسميان خِلْفاً^(٢)، وكل خلف يقال: شطر، والمعنى [فيه]^(٣) أن أبا بكر قد حلب شطرها^(٤)، يعني الخلافة برهة من الزمان ومزأ أخلافها، وعصر بلالتها مدة حتى إذا دنا موته نحاهما عني؛

(فصيرها): جعلها:

(في حوزة خشناء): الحوزة: هي الجانب من الشيء، وإنما سمي الجانب حوزة؛ لأن الإنسان يحوز به بوقوفه فيه وشغله له، وأراد بالحوزة جانب عمر حين عهد إليه بالخلافة وجعلها له.

(يغلظ كلمتها): الغلظ: خلاف الرقة، والكلم: الجرح، قال:

وَكَلَّمُ السَّيْفِ تَدْمِلُهُ فَيَسِرُ وَكَلَّمُ الدَّهْرِ مَا جَرَحَ اللِّسَانُ^(٥)

(ويحسن حسنها): الحشن: خلاف الملاسة، والمسن: هو لجس باليد، وهو مستعارها هنا استعارة رشيقه، والمعنى هو أن عمر لما علا ذروة الخلافة وملك زمامها وقع في شدائد، وألم به خطوط عظيمة، تدهش الحليم، ويدهل عنها اللبيب، وكفى عن هذا بعلظ الكلم وحسن المس إشارة إلى ما قلناه، وهي كناية عجيبة، لا يمتن لها إلا هو.

(١) في (ب) مقدمان

(٢) كذا في السحتين، ومن الصواب: خلفان، وذلك ابن أبي الحديد في شرح النهج ١٧٠/١؛ وللناقة أربعة أحلاف: خلفان قدامان، وخلفان آخران، وكل اثنين منهما شطر انتهى

(٣) زيادة في (ب)

(٤) في (ب): أشطرها

(٥) استورد في لسان العرب ١٠١٤/١، بدون نسبة لقائه بلفظ:

وجرح السيف تدمله فيسر - ويقى الدهر ما جرح اللسان

(ويكثر العثار إيهياً^(١)): يشبره إلى المطاعن التي وقعت في خلافه.

(والاعتذار منها): يريد أنه قد عثر واعتذر عن عثراته، ولنشر إلى طرف من ذلك:

أولها: أنه رجم حاملاً، فقال له أمير المؤمنين: هب أن لك سلطاناً عليها، فما سلطانك على ما في بطنها. فأمسك، وقال: لولا علي لهلك عمر^(٢).

وثانيها: أنه كان يمنع من المغالاة في المهور في خطبه فنهته امرأه، فقالت له: إن الله تعالى يقول: ﴿وَأَتَّخِمْ لِحَدَاحِمْ قَسَراً﴾ [سورة ٢٠]، فاعتذر عن ذلك وقال: كلكم أقره من عمر، حتى المخدرات في البيوت^(٣).

وثالثها: أنه أحبر يقوم يشربون الخمر فتسور عليهم، فقاو له: أخطأت في ثلاث: منها أن الله تعالى نهى عن التجسس وقد فعلته، ومنها أنك دخلت بغير إذن، ومنها أنك لم تسلم^(٤)، فاعتذر إليهم في ذلك، وغير ذلك من القضيبي الاجتهادية التي ارتبك فيها، وأخذ الحكم فيها

(١) سقط من الأصل وهو في شرح النهج

(٢) انظر الرواية بالتفصيل في مجموع لإمام الأعظم زيد بن علي (رحمه الله) ص ٢٢٨ برقم (٤٩٤) بسند عن أبيه، عن جده، عن علي عليهم السلام. وفي الأحكام للإمام إلهادي إلى الحق يحيى بن الحسين (رحمه الله) ٢٢٠/٢، عن أمير المؤمنين (رحمه الله)

(٣) شرح النهج لابن أبي الحديد ١٨٢/١، ولفظ آخره فيه: (كل لسان أقره من عمر حتى ريات الخجل)، وروى قريباً منه السيد العلامة أحمد بن يوسف ريادة في أنوار لنظام ٢٣١/٣ وغزاة إلى الثمرات للعلامة يوسف بن أحمد بن عثمان الثلاثي رحمه الله، وكما في أنوار النمام رواء العلامة المصير الزمخشري في الكشف ٥٢٣/١، وقاصي المصاة عند الحبار بن أحمد في المعنى ١٣/٢/٢٠.

(٤) انظر شرح النهج لابن أبي الحديد ١٨٢/١، والمضي ١٤/٢/٢٠

من أمير المؤمنين، وهي ظاهرة مروية في كتب الفقه^(١)، فهذا هو مراده بقوله (عليه السلام): ويكثر العثار والاعتذار منها، فإذا كان الأمر كما قلنا^(٢) من مقاساة الأمور الشديدة والخطوب الصعبة بتحمل الخلافة، والقيام بأعبائها.

(فصاحبها): الضمير إما للحوزة؛ لأنه هو السابق في الذكر، وإما للخلافة؛ لأنها هي المعهودة بالذكر، فيما يلاقي من خطوبها وأثقالها:

(كراكب الصعبة): يشبه^(٣) حاله حال من ركب ناقه نفوراً غير مدله فهو فيما يكابد من عنائها، إما أشق لها والإشفاق: هو جذبها بزمامها، فبد جذبها بزمامها وهي تنزع رأسها خرم أنفها.

(إن أشق لها خرم، وإن أسلس لها تقحم): الأصل في تقحم تقحم^(٤) لكن حذف أحد^(٥) التائين على جهة التحقيق، يقال: أشق لغيره وأشقه يتعدى ولا يتعدى، وإما أرخى لها رسها^(٦) مع صعوبتها، فإذا فعل ذلك تقحمت عليه ولم يملكها وأسلس لها إذا أرخى زمامها، وسلس بوله وأسلسه يتعدى بكل حال، وإما قال: أسلس لها، والقياس فيه التعدية ليطابق قوله: أشق لها، لما كان فيه الأمران^(٧) التعدية وتركها،

(١) انظر الروضة الندية في شرح المحجة العلوية ص ١٤٣-١٤٧، وانظر الجزء الثالث من كتاب انفير لمحمد بن الحسن الأميني، والنص والاجتهاد لعبد الحسين شرف الدين.

(٢) في (ب): قت.

(٣) في (ب): شه.

(٤) في (أ): يتقحم، وهو تصحيف.

(٥) في (ب): إحدى.

(٦) في (أ): سها، وهو تحريف، وفي (ب) كما أنهته والرسن: الخلل.

(٧) في (ب): الأمرين.

وهذا الكلام يعني به عمر، وهو المراد بقوله: فصاحبها، والمعنى في هذا هو أنه لما صارت خلافة إليه كان في معاملته للناس بين أمرين: إما حمل الناس على المكروه، وعلى خلاف ما يريدونه، أدى ذلك إلى فسادهم وتطالمهم، وإما تركهم وآراءهم أدى ذلك إلى بطلان أمره وفساده تتقحمهم عليه، وإنما حملناه على هذا ليكون المثال^(١) مطبقاً لمثوله في ركوب الصعرة التي أوردناها، فلما عهد إليه أبوبكر في الخلافة وصيرها فيه:

(فمسي الناس - لعمر الله-) ابتلي الناس في تلك ائدة، ولعمر الله قسم، وهو مرفوع على الابتداء، وخبره قسمي وهو محذوف، ومعناه البقاء والدوام، يقال: عمر الرجل يعمر عمراً وعمراً إذا عاش طويلاً، فكانه قال: أحلف ببقاء الله ودوامه

(محبط): سير على غير طريق.

(وشماس): شمس الفرس إذا منع صاحبه عن الركوب، وانغرض من هذا هو أنهم عدلوا عنه فخطوا في غير طريق وحالوا بينه وبين حقه ومنعوه، ولهذا قال: محبط وشماس يشير به إلى ما ذكرناه.

(وتلون): فلان يتلون إذا كان لا يستقر على حالة واحدة، ولا يشت على خلق واحد.

(واعترض): إما من قولهم: اعترضت فلاناً إذا وقعت به في الأذية،

(١) في (أ): المقالة، وفي (ب) ما أتت

وإما [من] ^(١) قولهم: اعترضت كذا، إذا جعلت نفسك حائلة ^(٢) دونه، والعرض من هذا هو أنهم أعطوه ^(٣) دون حقه وصيروا أهويتهم ^(٤) عارضة عنه، أو حصلت الوقعة من بعضهم لبعض، فكل هذا قد كان، فتلوثوا في أخلاقهم، يريد أنهم لم يثبتوا على خلق واحد في جعلها له وصيرورتها إلى جاته، بل بعضهم يقول علي، وبعضهم يقول غيره، فلما كان فيهم من الاستبداد ما كان، وعرض منهم ما عرض

(قصرت على طول امدة): لأن خلافة أبي بكر كانت سنتين ونصفاً، وخلافة عمر كانت ^(٥) عشر سنين، وخلافة عثمان كانت قريباً من اثني عشر سنة.

(وشدة المحنة): لعمري ^(٦) من حقي، وانحطاطي عن مرتني، وكل ^(٧) ذلك من شدة البؤى وعظم المحنة.

(حتر إذا مضى لسبيله): مات عمر وهلك كغيره.

(جعلها): صيرها.

(في جماعة): علي، وعثمان، وطلحة، والزبير، وعبد الرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص.

(١) سقط من (أ)

(٢) في (ب): جائلة

(٣) في (أ) اعترضوا، وما أثبت من (ب)

(٤) في (ب): نفوسهم.

(٥) قوله: كانت سقط من (أ)

(٦) في (ب): التي

(٧) في (أ) شنع، والصواب كما أثبت من (ب)

(٨) في (ب): وك

(زعم أني أحدهم): قال من جهة نفسه: إنها شورى بين هؤلاء الستة، وإنني واحد منهم لا اختصاص لي بشيء دونهم.

(في الله): استغثة به بالله في هذا الصنيع مهم، واللام مفتوحة أيما رفعت للاستغثة.

(وللشورى): الرواية فيه بكسر اللام، وإنما كسرت لأمرين:

أحدهما: أن تكون الشورى مستغاثاً بها، وكسرت لامها لأجل زوال اللبس بوقوع الواو، ويكون معناه أستغيث بالله وبالشورى على هؤلاء حين عدوني من أهلها.

وثانيهما: أن تكون الشورى معطوفاً على شيء مستغاث ^(١) من أجله، فلهذا كان لامها مكسوراً، فيكون تقديره: أستغيث بالله على هؤلاء وعلى الشورى حين صرت معدوداً من أهلها.

وزعم الشريف السيد علي بن ناصر صاحب (الأعلام) أن اللام في قوله: يا الله للاستغثة، وفتحت فرقاً بينها وبين اللام في المستغاث منه، وأن اللام في قوله: وللشورى لام التعجب ^(٢)، وهذا فاسد؛ لأن لام التعجب لا تكون إلا مفتوحة كقولهم: يا للماء ربا للدواهي، وقولهم: يا للعجب.

(١) في (أ). على مستغاثاً، وما أثبت من (ب)

(٢) أعلام بهج البلاغة - ص: ٧

(متى اعترض الريب في^(١) مع الأول^(٢))؛ أي زمان كان الشك معترضاً حاصلًا في ذاتي ومتى وقع النقص في همتي.

(حتى صرت أقرن إلى هذه النظائر): حتى هذه هي الابتدائية، ومعها حتى صيروني مثلاً بهذه النظائر، والقرن والنظير^(٣) هما: المثل.

(لكنني أسففت إذ^(٤) أسفوا): أسف الطائر إذ دنا من الأرض عند طيرانه.

(وطرت إذ^(٥) طاروا): معناه^(٦) خلقت حين خلقوا، والتحليق هو: ارتفاع لطائر في الجو، والتحليق إنما يكون في الطيور القوية كالنسر ولحقد، فأما صغر الطيور فلا تقوى عليه لضعفها.

سؤال: من حق لكن إذا كانت للاستدراك أن تكون متوسطة بين كلامين متغيرين، فأين التغير في كلامه هذا؟

وجوابه: هو: أن التغير فيه لما ضموني إلى هذه النظائر فما حوِّلت ولا بدلت شيئاً مما فعلوه أصلاً، لكنني تركتهم على حالهم فيما زعموه، وفعلت ما قالوه فأسففت حين أسعوا. وطرت حين طاروا، فاجتهدوا، وأعملوا^(٧) آراءهم في صرفها عني، وإيثار غيري بها.

(١) قوله في سفظ من (١)

(٢) في شرح النهج: مع الأول مهم

(٣) في (٤) والطير، وهو تحريف

(٤) في (٤) دا

(٥) في (٤) دا

(٦) في (٤): مع، واصواب ما ثمة من (ب)

(٧) في (٤) وعملوا وفي (ب) ما أنة

(فصفا رجل منهم لضفنه): فمال واحد منهم عني لما في صدره من الحقد، وهو الضفن، وهو سعد بن أبي وقاص^(١)، فإنه قتل أباه يوم بدر، وهو الذي توقف في إمامته بعد قتل عثمان وإجماع الناس عليها مع غيره. (ومال الآخر لصهره): يريد عبد الرحمن بن عوف مال إلى عثمان؛ لأن زوجته أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط كانت أختاً^(٢) لعثمان من أمه وأمهما أروى^(٣).

(مع هن وهن^(٤)): الهن: جعلوه كناية عن الأشياء الفبيحة، ولهذا فإنهم لما استقبحوا التنفّظ باسم الفرج جعلوا مكانه الهن. قال:

أرى ابن سزار قد جفسي وملّني

على هنوات شأنها متشاسيم^(٥)

ويقال: كان بينهم هنات أي أشياء قبيحة، ولما أراد حسان مهاجّة قريش أمره الرسول (ﷺ) بأن يسأل أبا بكر عن فضائهم،

(١) ذكر هذا القول الشريف علي بن ناصر الحسيني في اعلام نهج البلاعة ص ٢٠٠، وذكر ابن أبي الحديد في شرح النهج ١/ ١٨٩ أن المراد بقوله (فصفا رجل منهم لضفنه) أي طلحة، قال: وقال المظن الراوندي، يعني سعد بن أبي وقاص: لأن عبداً (للرسول) قتل أباه يوم بدر، قال: وهذا خطأ فإن أباه (هو وقاص) راسه مالك بن أبيب بن عبيد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب مات في الجاهلية ختف أنفه. انتهى

(٢) في (أ) و(ب)، أخت، والاصواب كما أثبتته: اختاً بالنصب؛ لأنه خبر كان

(٣) هي أروى بنت كرز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس.

(٤) في (ب) ووهي

(٥) البيت في لسان العرب ٣/ ٨٤٠ يدور سة إلى قائله، وقوله هنا (متشاسيم) في اللسان

(متابع)، وانظر شرح النهج لابن أبي الحديد ١/ ١٨٤

وقال: «اسأله، فإنه أعرف بتلك الهات» فصبرت على ما أنا فيه من الاستعداد والإيثار عليّ:

(إلى أن قام ثالث القوم): يعني عثمان، أي واحد من القوم.

(نافحاً حصنيه^(١)): اسافح بالجيم: صاحب الكبر والخيلاء، نفج الرجل إذا تكبر واختال. ومن رواه بالخاء المعجمة فإنما هو تصحيف لا وجه له، والخصن: ما دون لإبط إلى الحاصرة، وانتصابه على الحال من ثالث القوم، أي قام على هذه الحالة.

(بين ثيليه ومعتلفه): الثيل: الزيل، والمعتلف: موضع اعلف، وفعل في ثيل بمعنى مفعول، مثل جريح بمعنى محروح

سؤال: إلى ما يشير بقوله: نافحاً حصنيه^(٢)، وقوله: بين ثيليه ومعتلفه. فيكاد أن يكون كلاماً أجنبياً غير ملائم؟

وجوابه هو: أنه أشار (عليه السلام) بقوله: نافحاً حصنيه إلى الكبر والتعاطم، ولهذا كن منه إلى جلة الصحابة وأكابرهم ما كان من ضرب عبد الله بن مسعود، وإحراق سائر المصاحف كلها إلا مصحفه، وأمره بإشخاص ابن مسعود لما طعن فيه وكفره، وما كان من ضربه لعمار بن ياسر وكان يكفره ويطعن عليه، وأخرج أبا ذر إلى الشام إرضاءً لمعاوية، وضربه له، وغير ذلك مما يدل على تكبر وتعاطم على أهل الدين، وأشار (عليه السلام) بقوله: بين ثيليه ومعتلفه إلى ما كان من تساهله في إعطاء أموال الله

(١) في شرح النهج: حصيه

(٢) في (ب): حصه

من ليس أهلاً لها ولا يستأهلها يحضمها ويقضمها^(١) من غير استحقاق، حتى روي أنه أعطى أربعة نفر من قريش أربعمئة ألف دينار، كانوا أزواجاً لبنته، إلى غير ذلك مما لو ذكرناه لطال^(٢)، فأشار بهذه الإشارة اللطيفة إلى ما ذكرناه.

(وقام معه بنو أبيه): أقاربه من بني معيط، ولهذا قال له عمر: إذا وليت هذا الأمر فلا تسلط آل معيط على رقاب الناس^(٣).

(يحضمون مال الله): الخضم هو: الأكل بجميع الفم.

(خضم الإبل نبتة الربيع): لما فيها من الطيب والروحة، لأن أكلها يعظم فيها، فلهذا شبه حالهم بأكل الإبل لها، ثم أقام على هذه الصفة، ومكث على هذه الحالة.

(إلى أن نكث غزله فقتله^(٤)): نكث الغزل إذا بقضه وغزله مرة ثانية.

(وأجهز عليه عمله): أراد أن عمله أسرع إلى قتله، أخذاً من قولهم: أجهز على الجريح إذا أسرع في قتله.

(وكبت به مطينه^(٥)): فسقط من ظهرها، فاستعار^(٦) (عليه السلام) هذه

(١) الخضم: الأكل بجميع الفم، والقضم: الأكل بأطراف الأسنان.

(٢) انظر مصابيح لأبي العباس الحسيني ص ٢٨٢-٢٩٤، وشرح النهج لابن أبي الحديد ١٩٨/١، والمعني لقاضي القصاة عبد الجبار بن أحمد ٣٨/٢/٢٠-٤٠.

(٣) الرواية في شرح النهج لابن أبي الحديد ١٨٦/١، عن الجاحظ في كتاب (السفانية) واللمع فيه. (هيها إيك) كأي بك قد قللتك قريش هذا الأمر حبها إيك، فحملت بي أمية رضي أبي معيط على رقاب الناس وأكثرهم بالمع. (الخ). وانظر الرواية بنقط المولف في المعني لقاضي القصاة عبد الجبار بن أحمد ٣٨/٢/٢٠.

(٤) في (ب): إلى أن انتكث عليه قتله، وفي شرح النهج. إلى أن انتكث قتله.

(٥) في شرح النهج: بطته

(٦) في (ب): واستعار

الأشياء ودل بها على تغير حاله، وتفاهم الأمر عليه من كل جانب، حتى قال عمار بن ياسر: قتلناه كافراً.

وفي بعض النسخ: (كتب به بطنته) والبطه هي: الإمتلاء، وهو خطأ لا معنى له.

(فما راعني): الروح^(١) هو: الفرع، قال الله تعالى: ﴿فَلَمَّا قَعَبَ عَرْوُ إِبْرَاهِيمَ الرُّوحُ﴾ [مر: ٧٤] أي الفرع، ومعناه فما أفرعني.

(إلا والناس إلى كُحْرَف الضبيع): إلا والناس يتوجهون إليّ أرسالاً فريق بعد فريق، وإنما شبههم بعرف الضبيع كثرة شعرها، وترادف بعضه على بعض.

سؤال: أين [فاعل^(٢)] راعني وما بعده لا يصلح أن يكون فاعلاً؟

وجوابه: أنه^(٣) يحتمل أن يكون الفاعل له ما بعد إلا، والتقدير فيه: فما راعني إلا اجتماع الناس إليّ، وعلى هذا يكون الاستثناء فيه مفعلاً، ويحتمل أن يكون فاعله محذوفاً، أي ما راعني شيء، وعلى هذا يكون الاستثناء منقطعاً، تقديره لكن الناس إليّ مجتمعون.

(ينثالون عليّ): ينصبون.

(من كل جانب): من كل جهة لكثرتهم، وتراكم عددهم.

(حتى لقد وطن الحستان): من كثرة الناس، وازدحامهم عليه.

(١) في (ب). من الروح

(٢) سقط من (أ)، وأنته من (ب)

(٣) في (ب). هو أن يحتمل - إلخ

(وشق عطائي^(١)): تمزق ردائي لوطئهم له بأخفافهم ينثالون

(بجتماعين): حال من الواو في ينثالون.

(حولي): من عن يميني، وشمالي، وخلفي، وقدامي محدقين بي.

(كربيزة الغنم): الربيعة: مكان ربوض الغنم، والمعنى أنهم يحيطون بي كإحاطة الربيعة بالغنم واجتماعها فيها.

وحكي أن الناس فرحوا ذلك اليوم^(٢) فرحاً شديداً، وصاروا يتباكون^(٣) حوله خوفاً أن يعتذرهم عن البيعة، فقال: (أنا أطلع المنبر، فإن قال أحد: لا أرضى لم أدخل)، حتى قال ابن عباس: لقد خشيت أن يقول أحد ممن قتل أباء أو جده: لا أرضى فيتأخر، فلما صعد أمير المؤمنين المر خطب الناس، وخبرهم الأمر فيه، فما قال أحد: لا أرضى، إلا دخلوا في بيعته أفراجاً، وقاموا إليه فرادى وأزواجاً^(٤) ابتهاجاً بما أسعدهم الله بخلافته وأكرمهم بتصرفه^(٥)، فرضوا بي، ودخلوا في بيعتي:

(فلما نهضت بالأمر): تحملت أعباء الإمامة، وأقال الخلافة.

(نكث^(٦) طائفة): النكث: نقض العهد يعني طلحة والريبر؛ لأن بيعته قد تقدمت في رقابهما، فعليهما الحجة له في خروجهما من غير بصيرة بعد الدخول.

(١) في شرح النهج: عطائي.

(٢) في (ب) فرحوا يومئذ

(٣) في (أ): ينثالون، وفي (ب) ما أثبت

(٤) انظر المنشي لقاضي القضاة عبد الجار بن أحمد ٦٦/٢/٢٠

(٥) في (ب). بتصرفه.

(٦) في (أ). نكث، وما أثبت من (ب) ومن شرح النهج

(ومرقت أخرى): أخذ المروق من قولهم: مرق السهم من الصيد، إذا خرج من الجانب الآخر، يعني بذلك الخوارج، فكان خروجهم من الدين شيئاً^(١) بم قال في المروق.

(وفسق آخرون): أي خرجوا من الدين بعداوتهم^(٢) وحربه، يعني بذلك معاوية؛ إعراضاً عن الآخرة والتفاتاً إلى عاجل الدنيا

(كانهم لم يسمعوا الله تعالى يقول: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ.....﴾ الآية^(٣) [الشمس: ٨٣]): وهؤلاء أرادوا الدنيا والعلو في الأرض والإفساد فيها فلا عاقبة لهم في الآخرة إلا انار لعدم التقوى.

(يلى والله): تكذيباً لهم، ورداً عليهم.

(فقد^(٤) سمعوها): بأدائهم

(ووعوها): بقلوبهم.

(ولكن^(٥) حليت الدنيا في أعينهم): حلاها الله تعالى في أعينهم فتنة وامتحاناً وبلية واختبراً كسائر الامتحانات.

(وراقهم زبرجها): وأعجبهم زيسها، والزبرج: الزينة، والزبرج: الذهب أيضاً.

(١) في (أ) شه

(٢) في (ب): بعداوتهم.

(٣) في شرح الهج: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ مَجْمَعُهَا لِلدِّينِ لَا يَرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فُسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾.

(٤) في شرح الهج: لقد

(٥) في شرح الهج: ولكم

قل حسان^(١):

ونجما ابن خضراء العجّال حوريرث^(٢)

يغلى المصاع به كغلى الزبرج

سؤال: من حق لكن أن تكون واقعة بين كلامين متغايرين، فكيف تقديره وكلامه^(٣) هذا؟

وجوابه: هو: أن التغاير فيها أكثر ما يأتي مقدراً، وتقديره ها هنا والله لقد سمعوها ووعوها، ولكن ما فعلوا ما يقتضيه حكم الوعي والسمع؛ لإكبابهم على الدنيا وزينتها، وإعراضهم عن الآخرة ونعيمها، وفي كلامه هذا دلالة على أن من نكث ببعته ومرق عنه وفسق ما كان إلا طامعاً^(٤) في عاجل الدنيا وما^(٥) كان عن بصيرة، ولا ارتياء في فكرة، ولا طلب روية.

(أما والذي فلق الحبة، وبرأ السمّة): أما هذه مخففة، وهي^(٦) للتسيه، وفلق الحبة: شقها تصفين^(٧)، كما قال تعالى: ﴿لِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى﴾ [الأنعام: ٩٥].

(١) هر: حسان بن ثابت بن المذر الخرجي الأنصاري، أبو الوليد المتوفى سنة ٥٤ هـ الصحابي، شاعر النبي ﷺ وأحد الحضرمين الذين أدركوا الجاهلية والإسلام، ولم يشهد مع النبي ﷺ مثبداً (الأعلام ١٧٥/٤-١٧٦)
(٢) لسان العرب ٨/٢، ولط الشطر الأول فيه.
وعى ابن حمراء المعجزة حوريرث

(٣) في (ب): في كلامه هذا

(٤) في (أ): طمعاً، وفي (ب) ما أثنه

(٥) في (ب): ما يدور وو.

(٦) في (ب): وهو

وبرأ: خلق، ومنه البرية، والنسمة: هي النفس، وخلاف العقلاء في ماهية النفس فيه خبط عظيم، وقد ذكرناه في الكتب العقلية.

(لولا حضور الحاضر): يعني وجود^(١) لناصرين، وأراد أن يعود في أول الأمر ما كان إلا لفقد الأنصار والأعوان، واليوم هم حاضرون فلا عذر لي في التأخر^(٢) عن نصرته الدين.

(وقيام الحجة بوجود الناصر): وأن حجة الله تعالى قد قامت في إحياء الدين، وإشادة ما اندرس من معانيه وحججه.

(وما أخذ الله على العلماء): عطف على قوله: لولا حضور الحاضرة وما أخذ الله على العلماء من الميثاق حيث قال: ﴿لَتَجِئَنَّ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْفُرُونَ﴾ [ال عمران ١٨٧].

(أن لا يقاروا): يصبروا.

(على كظة ظالم): الكظة بالكسر: اسم لما يعتري الإنسان من كثرة الأكل، ومن رواء بالفتح قيام هو المرة الواحدة كاضربة، والكسر فيه أفصح^(٣) كالبطنة.

(ولا على سغب مظلوم): السغب: الجوع، قال تعالى: ﴿أَوْ إِيظَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْجَرٍ﴾ [المدثر ١٤] أي مجاعة، ولمعنى في هذا أي لا يصبروا على إمتلاء

(٧) في (أ): بصين.

(١) في (ب): بوجود.

(٢) في (ب): التأخر.

(٣) في (ب): أصح.

الظالم وأكله من الأموال الحرام، وجوع المظلوم بأخذ ماله، وهذا ما^(١) يهز الأعطاف ويحرك الدواعي في حق العلماء وأئمة الدين في الإنكار على الظلمة، بتكدير لذاتهم وتغيير شهواتهم رضاء لله وتقرباً إليه، كما كان منه^(٢) في ذلك.

(لألقيت): هذا هو جواب القسم، وما قلته كلام عارض بين القسم وحوايه لفائدة جلية قد رمزنا إليها.

(حللها على غاربها): انغرب من الجمل هو: مقدم سامه، وهو من الفرس انتسخ والحارك والكاهل، وهو من الإنسان المكب.

وقوله: ألقيت حللها على غاربها، كناية عجيبة عن ترك الأمر^(٣) وإهماله، ونظيره في الكناية: فلان كثير رواد القدر إذا كان كريماً، وفلان رحب المقلد إذا كان طويلاً، فحقائق هذه الأمور معروفة، ولكنهم وصعوا كناية عما ذكرناه، وقد عدها بعضهم من لمجاز كالاتعارة، وهذا فاسد فإنها دالة على معناها الذي وضعت من أجله في الأصل^(٤) وما هذا حاله، فليس مجازاً أصلاً.

(ولسقيت أحرها بكاس أولها): لفعلت الآن في الترك والإعراض مثل ما كان مني من قبل، ولكن ما وسعني عند الله إلا القيام بأمر الله، وإظهار شعار الدين وحكمه.

(١) في (ب): ما.

(٢) في (أ): الأمور، وما أنه من (ب).

(٣) وهو الطبع والطور. تمت حاشية في (أ) بين السطور.

(ولالغيتهم^(١)): جواب القسم أيضاً، ومعناه لو جدتم

(دنياكم هذه): عاجلتكم هذه المذمومة.

(عندي): في نفسي وضميري

(أزهد): أقل وأحق.

(من عطفة عنز): العقاط للمعزى: اسم لما يخرج من أدبارها،

والعقاط في الشيء: اسم لما يخرج من حياشيمها.

وفي بعض النسخ: (عطفة غير): وهو الحمار وهو خطأ، فإن العقاط

ليس مفعولاً في حق الحمير

(فلما اسهر إلى هذا الموضع قام إليه رجل من أهل السواد، فناوله

كتاباً فأقبل ينظر فيه، فلما فرغ من قراءته قال له ابن عباس:

[يا أمير المؤمنين]^(٢)، لو اطردت مقالاتك من حيث أفضيت: اطرده الشيء

إذا اتبع بعضه بعضاً، وأفضى فلان سره إذا أظهره. (فقال له ^(٣)):

هيهات [يا ابن عباس]^(٤)): أي بُعد ما تريد.

وجواب لو في كلام ابن عباس محذوف تقديره: لو اطردت مقالاتك

لكان حسناً.

(تلك شقشقة): والشقشقة: لحمه كالرئة تخرج من [فم]^(٥) البعير

إذا هاج.

(١) في النهج لوجدتم دنياكم أرهد عدي. بلغ

(٢) زيادة في شرح النهج

(٣) زيادة في شرح النهج

(٤) سقط من (١)

(هدرت): هدر الجمل إذا ردد صوته في حنجرتة غيظاً وتضجراً.

(ثم قرّت): سكنت وهمدت.

(قال ابن عباس: فوالله ما أسفت على شيء^(١) قط كاسفي على ذلك^(٢))

لكلام ألا يكون أمير المؤمنين بلغ منه حيث أراد)

قال الشريف المؤلف:

فهذا لقبت هذه الخطبة بالشقشقية^(٣) لما ذكره ^(٤)، ثم مع اشتمالها

على ما فرناه من المحاسن، فلقد^(٥) تضمنت من جزل الألفاظ ودقيقها

وبلاغة المعاني ورقيقها ما فيه بلال كل غلة، وشفاء كل علة، فإنها دالة

على فضل باهر وعلم حاكم قاهر، وقد أوردنا فضائله على جهة

التفصيل في كتابنا الملقب بـ (النهاية^(٦)) في علم الدين وغيره من الكتب

العقلية، فمن أرادها فليأخذها منه، ولو لم يرد في فضله إلا مارواه أحمد

البيهقي^(٧) منسباً إلى الرسول ^(٨) أنه قال: «من أراد أن ينظر إلى آدم

(١) في شرح النهج: كلام

(٢) في شرح النهج: هـ

(٣) في (أ) بالشقشقة

(٤) في (أ) لقد، وفي (ب) ما أثبه

(٥) كتاب النهاية بسمي: (النهاية في الوصول إلى علم حقائق الأصول) (أصول دين) ثلاثة

أجزاء، ج ١ بمكتبه السيد سراج الدين عدلان في (٥٣٨) صفحة، مصور مكتبة السيد

محمد بن عبد العظيم الهادي، (انظر أعلام المؤلفين الريدي ص: ١١٣١)

(٦) البيهقي، هو: أحمد بن الحسين بن علي، أبو بكر ٣٨٤-٤٥٨ هـ من أئمة الحديث، ولد في

حسروجرود (من قرى يهق، نيسابور) ونشأ في يهق، ورحل إلى بغداد ثم إلى الكوفة ومكة

وغيرهما، وطب إلى نيسابور فلم يزل فيها إلى أن مات، له تصانيف كثيرة منها أسس

الكبرى، والسنن الصغرى، المعارف، الأسماء والصفات، دلائل النبوة وغيرها

(الأعلام ١/١١٦)

في علمه، وإلى نوح في تقواه، وإلى إبراهيم في حلمه، وإلى موسى في زهادته، وإلى عيسى في عبادته، فليظنر إلى علي بن أبي طالب^(١) لكان هذا كافياً في فضله على غيره من سائر العالمين لمساوانه لهؤلاء الأنبياء في هذه الحاصل بخلاف غيره

(٤) ومن خطبة له عليه السلام

(بنا اهتديتم في الظلماء): هذا كلام يخاطب به من خالفه ويشير به إلى ما من الله به [من]^(١) نبوة ابن عمه ونعمة الله برسالته، فلهذا قال: يا يشير إلى ذلك، يريد أنه هداهم من طلعة الكمر إلى نور الإيمان، وكل ذلك باصطفاء محمد واحتياره.

(وتسمنتم العلياء): يعني علوتم على كل مرتبة بما كان من الإسلام والدين.

(وبنا انفجرتم عن السرار): انفجر الشيء إذا انفتح^(٢)، ومنه انفجار الصبح انفتاحه بالضياء والنور.

وقوله: «وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا» [السر ١٢] أي فتحناها، والسرار هو: الحفاء، ومنه السر الحقائق، وسرار الهلال: يكون في الليلة الآخرة من الشهر، ومراده أن أمرهم كان خفياً مستتراً، حتى جاء الله بالرسول والإسلام.

(١) سقط من (أ).

(٢) العبارة في (أ): تفجر الشيء - إذا انفجر، وما أثبت من (ب).

(٧) قوله: وسلم سقط من (أ).

(١) نه شواهد، منها ما أخرجه الإمام المرشد بيانه في الأمالي الحمسية ١٣٣/١ بسنده إلى علي (عليه السلام) بلفظه: «من أراد أن ينظر إلى موسى في شدة بطشه، وإلى نوح في حلمه فليظنر إلى علي بن أبي طالب»، ومنها ما أخرجه ابن عساكر في ترجمة أمير المؤمنين من تاريخ دمشق ٢٨٠/٢ برقم (٨١١) بسنده عن أبي الحمراء بلفظه: «من أراد أن ينظر إلى آدم في علمه، وإلى نوح في فهمه، وإلى إبراهيم في حلمه، وإلى يحيى بن زكريا في زهده، وإلى موسى بن عمران في بطشه فليظنر إلى علي بن أبي طالب»، ونظر تخريجه الموسع هـ، وبلفظه الذي أورده المؤلف هـ هو أيضاً عن اليهقي في سطوح الآمال ص ١٠٥، وانظر تخريجه فيه، وانظر أحدث في لوامع الأنوار ٢٣٨/٢-٦٤١ فهو فيه بتحريح موسع

(وَقَبِرَ سَمْعٌ لَمْ يَسْمَعْ^(١) الواعية): الوقر: الصمم، قال الله تعالى: ﴿وَلَيْ آدَانَا وَقَرٌ﴾ [ص: ٥] السمع: الذي يدرك الإنسان به الصوت، كما لبصر بالعين، والوعيه: الصارخة، وهذا الكلام خارج على جهة الدعاء، والمعنى فيه أصم الله أذن من سمع فضلي بالدلائل الظهيرة، وعلمه بالأخبار الماثورة، من جهة الرسول فكتمه وأنكره.

(كيف يراعي^(٢) النبأ من أصمته الصيحة): النبأ: الصوت الخفي، والصيحة هي: الصوت العظيم، ولا يدرك الأخرى مع الصوت العظيم، وهذا كلام خارج يخرج التعجب، ولهذا صدره بكيف، ومراده من ذلك هو أن من لم يكفه في فضلي على غيري ما يعرفه من قرابتي من رسول الله، وما يقرع سمعه من أخباره في فضائلي، وكمال علمي، وبما كان من الرسول ﷺ^(٣) في إبانة فضلي في المشاهد المختلفة والمواقف العظيمة فلا يؤثر في حاله شيء آخر غير ذلك.

(ربط حنان لم يفارقه الخفقان): الربط هو: الشد على الشيء، قال الله تعالى: ﴿وَوَزَقْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمُ﴾ [الكهف: ٤٥]، والحنان هو: القلب، والخفقان: حركة القلب والريح، وهو: اضطرابهما، وهذا الكلام خارج على جهة الدعاء، ومعناه ربط الله كل جان لا يفارقه الخفقان، وفيه تعريض بأصحابه الذين يخاطبهم في عدم سكوتهم إلى ما يقول، وانسراح صدورهم إلى معرفة حقه، وامثال أوامره، ولهذا قال لهم عقيب هذا^(٤).

(١) في شرح الهج: بفتح

(٢) في (أ). نراعي، وما أثبت من (ب) ومن شرح الهج

(٣) سقط من (ب)

(٤) في (ب): ذلك

(ما زلت أنتظر بكم عواقب الغدر): الغدر هو: ترك الوفاء، ومراده من ذلك ذم أصحابه بأن دوام انتظاره لهم ليس لخبر يرجوه منهم أصلاً، وإنما يرتقب الغدر منهم، وترك الوفاء بما يتوحيه [من حقه]^(١).

(وأتوسمكم بحلية المعتزين): أتفرس في أحوالكم كلها فوجدتكم^(٢) متحلين بحلية المعتزين المخدوعين بالأمانى الباطلة والتسويات الكاذبة.

(ستزني): غطاني

(عنكم جلباب الدين): لباسه، والجلباب هو: الملحفة والرداء، والمعنى في هذا هو أن ديني وخوفي من الله تعالى منعني عن أن أريكم آثار قوتي وسلطاني، أو يكون المعنى منعني^(٣) تستركم^(٤) بالدين وإظهاره عن إنزال العقوبة بكم من جهتي.

(وبصرتكم): عرفني حالكم، وما أنتم عليه من التخاذل، وترك النصره في.

(صدق النية): صفاء عقيدتي ونزور باطني، كما قال (عليه السلام): «اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله»^(٥)

(١) سقط من (أ).

(٢) في (ب) وجدتكم

(٣) قوله: منعني سقط من (أ)

(٤) في (أ) - ستركم

(٥) أخرجه الإمام أبو طالب (رحمه الله) في أمانيه من ٢٣٠ برقم (١٩١) بسنده عن أبي سعيد الخدري، وأورده ابن الأثير في النهاية ٤٢٨/٣، وهو في موسوعة أطراف الحديث ٩٦/١، وعراه إلى مصادر عدة انظرها هناك، ورواه العلامة القرشي رحمه الله في مسد شمس الأخبار ٧/٢ في الباب الحادي والمائة

(أقمت لكم): أثبت نفسي، وثبت من أجلكم

(على سنن الحق): السنن - الطريقة الموصلة إلى الحق.

(في جواد المضلة^(١)): الجواد: جمع جادة، والمضلة بالكسر: موضع لضلal، وغرضه أني ثبت واستقمت على طريقة الحق، حين وقنم في طريقة^(٢) اضلال ومسالكتها.

(حيث تلتفتون): من كثرة الحيرة يميناً وشمالاً.

(ولا دليل): يدلکم على النجاة

(وتحتفرون): من حمر الأرض إذا شقها.

(ولا مبهون): تلبغون الماء لصلالکم عن مكانه وموضعه

(اليوم): أي الزمان الذي أد موجود فيه.

(أنطق لكم العجماء): أظهر لكم الأدلة، وأكشف عنها، لتي لم تكن مذكورة قبلي، ولا يكشف عنها أحد مشي، والعجماء: البهيمة؛ سميت بذلك لأنها لا تتكلم، والحجة: ما لم يتكلم بها أحد ويظهرها فهي عجماء، والأعجمي: الذي لا يفصح عن كلامه.

(ذات البيان): صفة للعجماء، يريد أن الحجة بعدما كشفها تصير ذات بيان، لما يظهر فيها من الإفصاح بالعلم بمدلولها.

(عرب رأي امرئ تخلف عني): عذب أي تعد أمره، وما أدى إليه نظره

(١) في (أ) مكتوب فوقها: معاً ويقصد أنها تصح بالكسر والفتح أي المضلة والمضلة.

(٢) في (ب): في طرق

من لم يوافقني على ما أنا عليه ويأبيني^(١)، وهذا عام أعني إنكاره على من تخلف عنه، سواء كان ذلك عن نكث ومشاقة، كما كان من طلحه والزبير وغيرهما، أو كان عن بصيرة كما كان من عبد الله بن عمر، ومحمد بن مسلمة، وسعد بن أبي وقاص؛ لأنه فائم على الحق، وما بعد الحق إلا الضلال.

(ما^(٢) شككت في الحق مذ رأيت^(٣)): يشير أنه^(٤) كان صافي الذهن، متقد القريحة، منور البصيرة من جهة الله تعالى، فلا يخالجه شك في معرفة الحق وتحققه، ولهذا قال: (علمني رسول الله ألف باب من العلم، فافتح لي في كل باب ألف باب)^(٥).

ومن هذه حاله كيف لا يدرك الحق عند رؤيته له.

(لم يوجس موسى خيفة على نفسه): الإيلاس: إضمار الخوف، وأراد أن موسى^(٦) ما أوجس الخوف وأضره إشفاقاً على نفسه وإثنا أضره خوفاً على قومه ألا يتبعوه، وهكذا حالي فإني^(٧) أضر

(١) في (١): ويتابعي

(٢) في (ب): ما

(٣) في شرح النهج: أريت

(٤) في (أ)، يشير أنه^(٥) بلغ

(٥) أخرجه ابن عساكر في ترجمة أمير المؤمنين من تاريخ دمشق ١٨٣/٢ - ١٨٥ تحت رقم

(١٠١٢) بسنده عن عبد الله بن عمر، من حديث لفظه: إن رسول الله ﷺ قال في مرضه

((ادعوا لي أخي)) فدعي له عثمان فأعرض عنه، ثم قال: ((ادعوا لي أخي)) فدعي له

علي بن أبي طالب فستره بثوب واكب عليه، فلما خرج من عنده قيل له: ما قال النبي

لك؟ قال: (علمني ألف باب يفتح كل باب ألف باب). انتهى

(٦) سقط من (أ).

الخوف إشفافاً على نفسي فأنا على بصيرة من أمري، وهداية من ربي، ولكن إشفائي خوفاً عليكم من الوقوع في الضلال بمخالفتي وعصيتي [إنما] (١).

(أشفق من غلبة الجهال): أشفق الرجل إذا حذر خوفاً من غيره، وأشفق إذا صار ذا حذر وخوف، قال الله تعالى: ﴿وَأَشْفَقْنَا مِنْهَا﴾ [الأحزاب ٧٢] أي حذرنا [خوفاً] (٢) من تحملها يعني الأمانة، وقال: ﴿مِنْ حَشِيَّةٍ رَحِمَ مُشْفِقُونَ﴾ [المراد ٥٧] أي حذرون خوفاً من عذابه، والمعنى أن من غلبه لجهال على رأيه وأمره صار ذا حذر وخوف من سوء عاقبة رأيهم وضلال أمرهم.

(ودول الضلال): حكى يونس (٣): عن أبي عمرو بن العلاء (٤): أن الدولة بفتح الفاء تكون في الحرب، يقال: كانت الدولة لنا عليهم، والدوة بالضم في المال، يقال: هذا المال دولة بيتنا أي نداوله.

وقال أبو عبيد (٥): الدولة بفتح الفاء هو: المصدر، وبضمها اسم للنبي المتداول.

(١) زيادة في (ب)

(٢) سقط من (أ)

(٣) هو يونس بن حبيب بالولاء، أبو عبد الرحمن، ويعرف بالتحوي ٩٤-١٨٧هـ علامة بالأدب، كان إمام عمدة البصرة في عصره، من كتبه: معاني القرآن (الأعلام ٢٦١/٨).

(٤) هو زيان بن عمار لثميني المازني البصري ٧٠٦-١٥٤هـ، أبو عمرو، ويسبق أبوه بالعلاء، من أئمة اللغة والأدب، وأحد أنصار السبعة، ولد بمكة ونشأ بالبصرة ومات بالكوفة (الأعلام ٤١/٣).

(٥) هو محمد بن المثنى التميمي بالولاء البصري، أبو عبيدة البحري [١١٠-٢٩٠هـ، من أئمة العلم بالأدب واللغة، مولده ووفاته بالبصرة، له نحو مائتي مؤلف، منها: مجاز القرآن، وتقايس المرادف وحرير وغيرهما (الأعلام ٢٧٢/٧).

وقال عيسى بن عمر (١): كلاهما يكون في المال والحرب، فأما يونس فقال: أما أنا فوالله ما أدري ما بينهما (٢)، يعني ما حالهما، ومراده (عليه السلام) أن [من] (٣) غلبه أهل الجور والفساد من أرباب الدولة فهو حذر خوفاً من وقوعه في المتالف لما في رأيهم من الفساد.

(اليوم تواقفنا) على سبيل الحق والباطل): يريد بعضنا على الحق وبعضنا على الباطل موقعه، وهذا من أنواع البديع يسمى اللف والنشر، وحقيقته آيلة إلى أن المتكلم يجمع بين كلمتين بالوار، وهذا هو اللف، ثم يلحق بكل واحد منهما ما يناسبه من الحكم ويلائمه وهذا هو النشر، وهذا كقوله ما هنا: تواقفت على الحق والباطل، فهذا اللف، ثم نشره بأن المعنى فيه فنحن على الحق، وأنتم على الباطل، ونظيره من كتاب الله تعالى قوله: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ﴾ [الفرقان ٦٢] فهذا اللف، ثم قال بعد ذلك: ﴿لَتَسْكُنُوا فِيهِ﴾ [يس ٦٧] يعني الليل، ﴿وَالنَّهَارَ تَنْشِيرًا﴾ [يس ٦٧] فهذا نشر.

(من وثق بماء لم يظمأ): أي من (٤) وثق بماء اعلم لم يظمأ بعض الجهل، ومراده من هذا هو أن من كان على بصيرة من أمره،

(١) هو عيسى بن عمر الثقفني بالولاء، أبو سليمان، المتوفى سنة ١٤٩هـ، من أئمة اللغة وهو شح الخليل وسيوفه وابن لعلاء، وأول من هذب النحو ورتبه، وهو من أهل البصرة (الأعلام ١٠٦/٥).

(٢) انظر مختار الصحاح ص ٢١٦

(٣) زيادة في (ب)

(٤) في النسختين: توفقت، وفي شرح البهجة في أعلام بهجة - ج - وفي «بفتح» بشرح محمد عده، توفقت، كما أنشأه

(٥) قوله، من، سقط من (أ)

وانشراح صدر في دينه، فهو ساكن القلب مطمئن لنفس، ومن كان على غير بصيرة فهو قلق الأحشاء، مضطرب الفؤاد، كمن يكون في مقارة، ومعه ما يكفيه من الماء، فإن تحققه للماء يرفع عطشه، ويسكن انتهابه، ومن ليس معه ماء في تلك المفزة فإن استشعاره لعدم الماء يذيب فؤاده، وسهب أحشاءه، ثم إن هذه الخطبة مع صغرها، وتقارب أطواقها قد اشتملت على الحكم القصيرة، والمعاني البديعة، وإن أنهار البديع لتطرد على صفحاتها، وأنوار الحسن تجول على جنباتها.

(٥) ومن كلام له عليه السلام لما قبض رسول الله صلى الله عليه وآله [وسلم]^(١) وخاطبه العباس وأبو سفيان بن حرب في أن يبایعا له بالخلافة

(أيها الناس، شقوا أمواج الفتن)؛ أي هو المنادي، وهاء التنبية مقحمة عوض عما كان لأي من الإضافة، وأساس صفة لأي، والشق هو: التفريق والانصداع، ومنه شق العصا وهو تفرقها، والأمواج: جمع موج، وهو ما يكون من زفير البحر عند هيجانه بالريح، وهو استعارة هنا؛ لأن إقبال الفتن لعظمها كإقبال أمواج البحر في عظمها وتراكمها.

(بسفن النجاة)^(٢)؛ كما أن البحر لا يمكن أن يعبر إلا بالسفن، فهكذا لا يمكن الخلاص من أمواج الفتن إلا بسفن البصائر، وتمييز الحق فيها عن الساطل.

(وعرجوا عن طريق المنافرة)؛ يقال: فلان عرج على كذا، إذا واظب عليه، وعرج^(٣) عن كذا إذا تركه ومان عنه، والمنافرة هي: المفاخرة في الأحساب، يقال: نافره ففروه يتفروه بالضم إذا غلبه وفخر عليه بحسبه، وغرضه من هذا ميلوا عن مسالك المفاخرات في الأحساب.

(١) قوله: وسلم، سقط من (أ)

(٢) في (أ): النجاء، وما أثبت من (ب) ومن شرح الحج

(٣) في (أ): وعرج، وهو محرف.

(وضعوا تيجان المفاجرة): وأسقطوها عن أن تكون منصوبة على رؤوسكم، وهذا الكلام يشبه أن يكون قد أخذه من كلام رسول الله صلى الله عليه وآله [وسم] (١) يوم الفتح، لما أخذ بحلقة باب الكعبة وقريش حوله: «إن الله قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية، وافتخاركم بالآباء، الناس كلهم من ولد آدم، وآدم من تراب» (٢) فسبك هذا السبك، فصار أنيق انديحة، رقيق الزجاجة.

(أفلح من نهض بجناح): يريد من نهض لأمر من الأمور، وكان له أنصار يعينونه (٣) على تحصيل مطلوبه، فقد أفلح بالوصول إليه، استعارة من نهوض الطائر بجناحه.

(أو استسلم فأراح): يريد ومن لم يكن له أعوان على ما يطلب فانقاد لحكم المقادير وتعد، فقد أراح نفسه عن التشوف لما لا قدرة له عليه، وهذا كلام يخاطب به (٤) نفسه في أول الأمر، فإنه استسلم وانقاد لما لم يجد ناصراً على ما يريد.

(ماء اجن): أي هذا الذي أنا فيه أمر صعب، شبهه بالماء الآجن، وهو المتغير لونه وطعمه

(ولقمة يغص بها أكلها): النصبة هي: الشجاء، وغص باللقمة وأغصته (٥) إذ انشبت في حلقه فلا تصل إلى معدته ولا ترتد إلى فيه،

(١) ريده في (ب)

(٢) هو جره من حطبة الرسول ﷺ يوم فتح مكة، انظر سيرة ابن هشام ٣٥/٤.

(٣) في (أ): يعينه، وهو خطأ

(٤) قوله: به سقط من (١)

(٥) في (ب): واعتصه

يريد أن من خاض في أمر، ولم يتم له ذلك الأمر، كان كمن غص باللقمة فلا هو ردها ولا هو ابتلعها، فهكذا حاله لاهوتركه، ولا هو آتمه وأنفذه.

(ويحتنى الثمرة لغير وقت إيمانها): جنى الثمرة واحتناها إذا أخذها، ومراده هو أن من اجتنى الثمار لغير وقتها، فإنه لا يصل إلى مقصوده منها، ولا يستفيع بها، يصير حاله:

(كالزراع) (١) بغير أرضه): فكما أن الزراع بأرض الغير لا يصل إلى مقصوده، لأن لصاحب الأرض رفعه وإفساده، وهذا منه (ع) تشبيه (٢) بحالة من تشوش الأمر عليه، وقلة الأنصار على ما يريده، وحصول الوحشة في حقه، وتكرر الأحوال له، فأنا فيما أعاني من هذه الأمور أكابد على (٣) الصعوبة لا أنفك عن حالتين.

(فإن أقل يقولوا: حرص على الملك): يقول إن أمدد يدي للمبايعة كما طلبوها مني يهتموني بطلب الدنيا، والإقبال إليها، والإعجاب بزحرفها.

(وإن أسكت) (٤)، يقولوا: حزع من الموت): يقول: وإن أكففت يدي عن المبايعة، يقولوا: ما ترك ذلك إلا عجزاً (٥) عن الأمر، وفراراً من الموت، فما أنفك عن هاتين الحالتين.

(هيهات بعد اللتيا واللتيا): أراد بقوله: هيهات أي بُعد ما قالوه

(١) في شرح النهج: كالزراع

(٢) في (أ): يشبه

(٣) في (ب): هذه

(٤) في (أ): سكت.

(٥) في (أ): عجز.

من أن تأخري كان حزناً من الموت، أو أن إقدامي إن أقدمت كان طمعاً
[في الدنيا]^(١)، واللتيا والتي هما اسمان من أسماء الداهية.
قال العجاج^(٢):

بعد اللتيا والتي إذا علتها أنفُسُ تَرَدَّتْ^(٣)

ومعناه بعد الشدة العظيمة والطاقة الكبرى أن أخوف بالموت أو أطمع
في زخرف الدنيا، وإنما حذفوا صلة التيا والتي ليؤهموا أنها بلغت مبلغاً
تقاصرت العبارة عن كنهه^(٤) في الشدة والعظم، وقوله:

(والله لابن أبي طالب آتس بالموت من الطفل بشدي أمه): إنما هو إنكار
لقولهم: جزع من الموت، واستحضار لما أراده بقوله: بعد اللتيا والتي،
فإنما^(٥) جعلهما كناية عن استبعاد مقلتهم في طمعه في الدنيا وجزعه من
الموت، فإقسامه بالله على ما ذكر من الأتس بالموت يرد مقلتهم ويكذبها،
ولعمري إن من بلغ حاله في الأتس بالموت إلى هذه الحالة فإنه خليق بأن
لا يحزع منه ولا يهابه إذا ورد عليه.

(بل اندمجت على مكنون علم): اندمج في الشيء إذا دخل فيه وتغطى
به، وكنت الشيء وأكنته إذا سترته، والمعنى في هذا هو أن العلم مندمج
في صدره قد استولى عليه.

(١) سقط من (ب).

(٢) هو: عبد الله بن ربيعة بن بدي بن صخر التميمي، أبو الشعثاء العجاج، المتوفى بحمص سنة ١٩٠ هـ،
رائع مجيد، من الشعراء، ولد في الجاهلية، وقال الشعر فيها ثم أسلم (الأعلام ٨٦/٤-٨٧).

(٣) لسان العرب ٣/٣٤١.

(٤) في (أ): كنهه، وهو تحريف.

(٥) في (أ): فإيه.

(لو بحث به): باح بالسر وأباحه إذا أظهره.
(لاضطربتم): تحركم حركة بعنف وشدة.

(اضطراب الأرضية): اضطراباً يشبه اصطكاك الأرضية، وهي
الحبال الطويلة.

(في الطوي البعيدة): الطوى: البئر، وقبلة ها هنا بمعنى مفعولة،
والمقصود من هذا [هو]^(١) أنني لو أظهرت لكم مكنون علمي لفشلت،
ولا اضطربت عقائدكم وترلزت، كما قال (عليه السلام) في بعض كلماته: (لو
شئت أن أخبر كل واحد منكم بمخرجه ومولجه وجميع شأنه لفعلت،
ولكن أخاف أن تكفروا برسول الله صلى الله عليه وآله [وسلم])^(٢).

سؤال: ما وجه الملازمة بين قوله: بل اندمجت على مكنون علم، وبين
قوله: والله لابن أبي طالب آتس بالموت من الصبي حتى أوردته على إثراء،
وبينهم تنافر كما ترى؟

جوابه: إن هذا من باب الاستطراد، وله في البلاغة موقع عظيم، وهو
أن يخرج من كلام إلى كلام آخر مغاير للأول، ألا ترى أنه هنا بينا هو
يتكلم في أنسه بالموت إذ قد خرج إلى ذكر حاله في العلم، وهذا من غريب
البلاغة وبديعها، ونظيره قوله تعالى: «وَأَنَّكَ تَرَى الْأَرْضَ خَائِضَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا
عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَرَتْ وَرَبَتْ» [سج ٣١] ثم قال بعد ذلك^(٣): «إِنَّ الْبَرِّ لَخِثَابٌ

(١) سقط من (أ).

(٢) زيادة في (ب).

(٣) في (ب): وبعد ذلك.

لَمْخِي الْمَوْتَى [سنة ٣٩] فيينا هو يدل على عظم^(١) قدرته بإتزال الغيث
واهتزاز الأرض، إذ خرج إلى ذكر إحياء الموتى، وليس لأحدهما تعلق
بالآخر، وكم في كلامه من معنى يديع، وسرعجيب كما ترى.

(٦) ومن كلام له عليه السلام لما أشير عليه بأن لا يتبع طلحة والزبير

(والله لا أكون كالضبع ينأى^(١) على طول اللذم): اعلم أن السب في هذا
الكلام هو أن أمير المؤمنين لما أراد الخروج إلى العراق تابعاً لطلحة والزبير،
أشار عليه ولده الحسين بالرجوع عن ذلك، فقال بحياء له: (والله لا أكون)
واللذم: عبارة عن صوت الحجر إذا وقع على الأرض، قال الشاعر
وللفؤاد وحيباً تحت أبهره

لذم انلام وراء الغيب بالبحر^(٢)

واللذم هو: أن يضرب لصائد بالحجر على جحر الصبع فيحسبه
صيداً، فيخرج عند ذلك حياً^(٣) بصاد، وغرضه من هذا المثل هو إنكاره
على الحسين لما أشار إليه بالرجوع عن الخروج إلى العراق، فيقول:
أتبعهم، ولا أقف حتى بقصدوني بالحرب، فأكون كالضبع [تكون]^(٤)
واقعة فتصاد في جحرها.

(١) في شرح النهج، تمام.

(٢) البيت في أساس البلاغة ص ٤٠٧: ونسب إلى ابن مفلح، وكذلك في لسان العرب ٣/٣٥٨.

والوجيب: الاضطراب.

(٣) في (ب): حنى

(٤) سقط من (ب)

(حتى يصل إليها طالبها) : بسبب وقوفها في جُحرها.

(ويحتلها راصدها) : الختل : الخدع، وختله إذا خدعه، والراصد هو : المتربص، وكل هذا حاصل بوقوفها، فأنا لا أتبع رأيك في هذا.

(ولكنني أضرب بالمقبل إلى الحق) : أنتصر بالمتابع^(١) لي، والمتابع للحق المتبادر له، فجعل الصرب كناية عن الانتصار لما كان سباً فيه، فأضرب به.

(المدير عنه) : لمخالف [لي والأنف]^(٢) عن متابعتي.

(وبالسامع) : لأمرى.

(المطيع) : له.

(العاصي) : المخالف لأمرى وإرادتي.

(والمرتب^(٣) أبدأ) : الشاء المتردد.

(حتى يأتي عليّ يومي) : عبارة عن الموت، وانقطاع الأجل.

(هو الله ما زلت مدفوعاً عن حقي) : مؤخراً عن أخذه واستيفائه، وهذا لشؤم الدنيا وتكدرها.

ويحكى أن ابن عباس تكلم يوماً في صفة أمير المؤمنين، فقال : كان رجلاً مملوئاً حلمًا وعلمًا، عرته سابقته من رسول الله، فكان عنده أنه لا يمدُّ يده إلى شيء، إلا فناله، فما مدَّ يده إلى شيء^(٤) فناله.

(١) في (ب). بالمابع

(٢) سقط من (ب)

(٣) في (ب) وشرح النهج : المرتب، وفي (أ) سقط قوله. أبد

(٤) في (ب). لشيء

(مستأثراً عليّ) : مستبداً به دوني كما كان في الإمامة وغيرها.

(منذ قبض رسول الله حتى يوم الناس هذا^(١)) : يريد أن أول الاستئثار كان بعد وفاة الرسول (ﷺ) إلى هذه الساعة.

سؤال، أليس هو الآن الإمام والخليفة، فكيف قل : مستأثراً عليه محقه؟
وجوابه : هو أن الاستبداد قد كان حاصلًا من قبل في تقدمهم عليه، وأخذهم لها بغير رضاه.

(١) العبارة في شرح النهج : منذ قبض الله عليه صلى الله عليه حتى يوم الناس هذا

(قباص وفرخ في صدورهم): البيض والتفريخ لكل ما لا يلد من أنواع الطير كلها

وحكي عنه (عليه السلام) أنه قال: (كل ما ظهرت أذنه فسله يكون بالولادة، وكل ما خفيت أذنه فسله يكون بالبيض والتفريخ منها).

(ودب ودرج في حجورهم): الديب على وجه الأرض أقل من المشي، والدروج أكثر منه أي مشى ومضى لسييله في الإغواء والتزين، فالتبسهم من كل وجهة^(١).

(فنظر بأعينهم): في جميع مطالع السوء

(ونطق بألسنتهم): بالكذب، والزور، والإملاء، والخدع

(فركب بهم الزلل): حرّاهم على كل ما يزل به الإنسان عن الحق

(وزين لهم الخطل): الملقط الفاسد المضطرب، وفلان قد خطل في كلامه بخطل خطلاً إذا أفحش فيه، فجميع هذه الأمور كلها من الديب والتفريخ والدروج في الحجور، وهي: جمع حجرة وهي ناحية الدار

(فعل من قد شرّكه الشيطان في سلطانه): أي شاركه في أمره كله

(ونطق بالباطل على لسانه): فصار مستولياً عليه في كل أحواله

واعلم: أن كلامه هذا قد اشتمل على نوعين من أسواع البديع، وكل واحد منهما له موقع في البلاغة لا يخفى:

أولهما: الترجيع وهو: أن تكون الكلمتان مستويتين في الإعجاز

(١) في (ب). فائتهم من كل جهة

(٧) ومن كلام له عليه السلام

(اتخذوا الشيطان لأمرهم ملاكاً): الملاك: ما يقوم الشيء به^(١) ويستقر أمره معه، ولهذا قال صلى الله عليه وآله: «ملاك الدين الورع، وملاك العمل خواتمه» فوصف هؤلاء باتخاذهم الشيطان قوام أمرهم كله فلما اتخذوه هكذا:

(اتخذهم له اشراكاً): والأشراك تحتل أمرين:

أما أولاً: فبأن تكون جمع شرك وهي الحباله التي يصاد بها فجعلهم له مصايده كما يحكى عن إبليس أنه قال [لله]^(٢): يارب، اجعل لي مصائد، قل: «النساء».

وأما ثانياً: فأن تكون حمعاً لشريك مثل شريف وأشراف، والغرض هو اتخاذهم شركاء، كما قال تعالى: «وَشَارِكْهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَالْإِيمَانِ»، فالمشاركة في الأموال بالربا والظلم والتصرف بالمكاسب المحظورة، والمشاركة في الأولاد بالزنا، وادعائه له من غير وجهه، وتسمية الولد بعبد اللات والعزى^(٣) وغير ذلك.

(١) في (ب). ما يقوم به الشيء

(٢) يده في (ب)

(٣) عبارة في (أ): وتسمية الولد بعبد الأب والعزى، وغير ذلك، وما أثبت من (ب)

ولأوزان وهذا كقوله: باض وفرح في صدورهم، ودبّ ودرج في حجورهم، وهذا كقوله تعالى: ﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَتَهُمْ، ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ﴾ [الغاشية ٢٥-٢٦].

وثانيهما: التخييل وهو: تصوير حقيقة الشيء، حتى يتوهم أنه ذو صورة مشاهدة، وأنه مما يظهر في العين، وهذا كقوله: نظرت بأعينهم، ونطق بألسنتهم، ومن هذا قوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاوَاتِ مَطْوِيَّاتٍ بِيَمِينِهِ﴾ [الزمر ٦٧]، وقوله [تعالى] ^(١): ﴿طَلَّهَا كَأَنَّهَ ذُئُوبُ السَّيِّاطِلِ﴾ [الصافات ٦٥].

(٨) ومن كلام له عليه السلام يخاطب ^(١) به الزبير

(يزعم أنه قد بايع بيده ولم يبايع بقلبه): يريد أنه قد ظهر ^(٢) إعطاءه البيعة، لأنه كان ذلك على ملأ من الناس، لكنه ادّعى أن قلبه لم يرض ذلك وأنه كاره له.

(فقد أقر بالبيعة): حيث قال: إني كنت مكرهاً.

وكما قال طلحة: بايعت واللحُ يعني السيف على قتي ^(٣).

وهذا إقرار ^(٤) صريح من جهتهما.

(وادعى الوليعة): الوليعة: الخنثى والبطنة، كما قال تعالى: ﴿وَلَمْ يَصِلُوا مِنْ اللَّهِ وَالْأَنْبِيَاءِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِجَعْلِكَ﴾ [البقرة ١٠] أي بظانة،

(١) في شرح الهج وفي نسخة أخرى: يعني

(٢) في (ب): أظهر إعطاءه

(٣) هو في النهاية لابن الأثير ٢٣٤/٤ بلمط. (قدموسي بوصعوا البع على قتي) وانظر لساد العرب ٣٤٣/٣، ترتيب يوسف خياط، وقول طلحة أورده أيضاً ابن أبي الحديد في شرح الهج ٧/٤، وقال في شرحه: واللح سيف الأشتر، وقتي لمة هذلية، إذا أصابوا المقصور إلى أنفسهم قلبوا الألف ياء وأدغموا إحدى لياثين في الأخرى، فيقولون: قد وقع ذلك هو، أي هواي، وهذه عصي، أي عصاي، انتهى

(٤) في (أ): قرار، وهو سهو، والصحيح كما أنه من (ب)

وغرضه ما هنا أنه ادعى دخوله في البيعة مكرهاً، وأصله من البطانة لأنه يبطن ذلك ويسره.

(فليات عليها)؛ يعني الوليعة.

(بأمر معروف^(١))؛ لا ينكره أحد، وهو إقامة البيعة عليها.

(والأفليد حل فيما خرج منه)؛ وهو الإمامة التي دخل فيها أولاً.

(٩) ومن كلام له عليه السلام

(وقد أروعوا وأبرقوا). أبرق الرجل وأرعد إذا تهدد وأوعد.

قال الكميت^(١):

أبرق وأرعد يا يري — د فمأ وعيدك لي بضائر^(٢)

(ومع هذين الأمرين الفشل)؛ يريد أن من حق من أبرق وأرعد أن يصدر ذلك عن تؤدة ورزاة وحصافة^(٣)، إذا كان صادقاً وقادراً على إنفاذه.

فأما إذا صدر ذلك عن فشل وارتعاد فرائص فهو دلالة على كذبه وبطلانه، فأما نحن:

(فلسنا نرعد حتى نوقع)؛ أي أننا لا نرعد إلا بعد الإيقاع بالعدو، وأن فعلنا متقدم على قولنا؛ لأن القول إذا تقدم فرعاً لا يوافق الفعل وربما يوافقه، أما إذا سبق الفعل فالقول لا يكون إلا صادقاً لا محالة.

(ولا نسيل حتى نمطر)؛ اعلم أن الإسالة من دون مطر محال، والغرض أنا لا نفعل أمراً إلا بعد تقرير قواعده والفراغ من مقدماته.

(١) هو الكميت بن زيد بن حنيس الأسدي، أبو المستهل ٦٠١-١٢٦هـ، شاعر آل البيت (عليهم السلام) من أهل الكوفة، اشتهر في العصر الأموي، وكان عالماً بالأدب العربي واللغة وأخبار العرب وأنسابها (معجم رجال الاعتبار ص ٣٥٣).

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢٣٧/١، ولسان العرب ١٩٧/١.

(٣) في (أ)؛ وحصانة

(١) في شرح انتهى وفي نسخة أخرى: يعرف.

(ما لبست على نفسي): فأكون غاشاً لها وخادعاً وغاراً^(١) في ارتكاب الخطأ بالتأويلات الباطلة والشهات الكاذبة.

(ولا لتس علي): ولا خدعني غيري بالانقياد له، والمتابعة له لقوله.

(وايم الله): الأصل في هذا ائمن الله، وهي جمع يمين، والهمزة فيه همزة وصل عند سيويه، ولم تفتح الهمزة إلا هاهنا، وفي الهمزة مع لام التعريف.

وقال الفراء: إنها همزة قطع، ورفعها على الابتداء، وخبره محذوف، وتقديره: أئمن الله قسماً^(٢).

(أفرطن لهم^(٣) حوصاً أنا مانعهم): فرطت القوم أفرطهم إذا سبقتهم إلى المدة.

قال القطامي:

فاستعجلونا وكانوا من صَحَائِبِ

كَمَا تَعَجَّلَ فَرَّاطٌ لَوْرًا^(٤)

ومثله^(٥) قوله صلى الله عليه وآله: «أَنَا فَرَطُكُمْ عَلَى الْخَوْضِ»^(٦)

(١) في (أ): وواعاً، وهو غامض، وفي (ب) كما أنه

(٢) في (أ): قسم

(٣) في (أ): لكم، وما أنه من (ب)، ومن شرح البه

(٤) القطامي، ستأتي ترجمته، والبيت في لسان العرب ١٠٧٩/٢، وقوله ما: (كما تمحل) في اللسان: (كما تقدم).

(٥) في (أ): ومه، وهو خطأ.

(٦) رواه الإمام المرتضى محمد بن الإمام الهادي (عليه السلام) في جوابه على مسائل عبد الله بن الحسن

من مجمر كبه ورسائله ٦٣٢/٢، وأورده من حديث عن ابن مسعود الإمام الماسم بن

محمد (عليه السلام) في الاعتصام ٣٦/١ وعزاه في موسوعة أطراف الحديث السوي -

(١٠) ومن خطبة له عليه السلام

(ألا وإن الشيطان قد جمع حزبه، واستجلب خيله وزجليه): حزب الرجل: أصحابه وأعوانه، والأحزاب: الطوائف والجماعات، والخيل: الخيالة، والرجل: اسم جمع كالصاحب والركب.

سؤال: ما يريد بقوله: إن الشيطان قد أجلب بالخيال والرجالة؟

وجوابه: أنه يحتمل وجهين:

أحدهما: أن يكون ذلك مجازاً، وورد^(١) على جهة لتمثيل، مثلت حالته في نسلطه عليهم بالإغواء واستيلائه عليهم بمنزلة من أغار على قوم، وصاح عليهم وأجلب عليهم بخيله ورجله، حتى استأصل شأفتهم وقطع دابرهم.

وثانيهما: أن يكون مريداً لحقيقة ذلك، وأن يكون الشيطان له خيل ورجاله يقهر بها ويفلب.

(وإن بصيرتي لمحي): البصيرة: الحجة، واشتقاقها من البصر؛ لأن الإنسان يميز بها بين الحق والباطل كما يميز بصره بين الأشياء كلها، ويدن على ذلك أني.

(١) هكذا في النسختين بالرفع، فلعله خبر مبتدأ محذوف تقديره هو وارد

أي متقدمكم، والماتح هو: الذي يستقي ماء، والمعنى في كلامه هذا: والله لأهين لهم حرباً أقيم عمادها، وأشب نارها^(١) وأريهم مقامي وموضعي فيها، ولأقطعن دابرهم بالقتل واستئصال الشأفة.

(لا يصدرون عنه): لا ينفكون حتى آتي على آخرهم بالقتل، والصمير للحوض.

(ولا يحدون إليه): لما يحصل عيهم من القتل والتفريق، ونقد بلغ تمثيه للحرب بالحوض مبلغاً يصرف الأفهام إلى قبوله، وتبتدر الخواطر إلى فهمه ومعقوله^(٢).

الشريف ٥٢٤٠٢٣/٢ إلى مصدر علة من تحاري ١٤٨/٨، ١٥٠، ١٥٨، ٥٨/٩، ومسلم في المعاني ٢٦/٢٥، وسنن ابن ماجه ٤٣٠٦، ومسلم أحمد بن حنبل ١٠٦، ٣٨٤، ٢٥٧/١ وغيره، والسنن الكبرى للبيهقي ٧٨/٤ وعزاه إلى غيرها من المصادر نظراً هناك، ورواه ابن أبي الحديد في شرح النهج ٢٤٠/١. وابن الأثير في النهاية ٤٣٤/٣، والرازي في مختار الصحاح ٤٩٩، والرحماني في أساس البلاغة ص ٣٣٩

(١) في (أ): ينارها، وما أثبت من (ب)

(٢) العبارة في (أ): وتبتدر الخواطر إلى فهمه ومعقوله، ولها تحريف، والصواب ما أثبت

من (ب)

(١١) ومن كلام له عليه السلام لابنه محمد بن الحنفية لما أعطاه الراية يوم الجمل

(نزول الجبال ولا تنزل): شبه رسوخ قدمه في نفوذ البصيرة وتحقيق الأمر شوت الجبال ورسوخها

(ععض على ناجذك): التواجد ليس هي الأنياب، وللإنسان منها أربعة، وإنما هي الأرحاء^(١) آخر ما ينبت، وعدتها ست عشرة رحاء، ويقال: إنها أستان الحلم، وفي الحديث: «ضحك رسول الله حتى بدت نواجذه»^(٢)، يريد أنه استغرق في ضحكه، وجعلها هها كناية عن الصر عند تحمل المكاره، وأعظمها^(٣) هو بذل الروح في سبيل الله (أعر الله جمجمته): الجمجمة هي: تدوير الرأس.

سؤال: لم قال ها هنا: أعر الله، ولم يقل: هب من الله، والهة أدخل في الملك من العارية؟

وجوابه: هو أن الغرض إهائنا إنما هو الجودة والسماحة لله تعالى بالنفس، ولا شك^(٤) أن نفس الإنسان بالعارية أسمع: لأنها عن قريب

(١) الأرحاء: الأضراس.

(٢) الحديث أورده الرحماني في أساس البلاغة ص ٤٤٧. وابن الأثير في النهاية ٢٠/٥

(٣) في (ب): ومن أعظمها

(٤) ما بين المعقوفين سقط من (ب)

تعود إليه، بخلاف الية فإنها تملك عليه ولهذا شبهها بالعارية مبالغه في السماحة والبدل لها.

(تد في الأرض قدمك): وتد الوند إذا صوبه في الأرض، والأمر من ذلك هو قولنا: يند، وأصله أوتد ذهبت الواو حملاً له على المضارع، لأن الأمر والمضارع يتقاربان، وذهبت همزة الوصل لأجل تحرك عين الكلمة فاستغني عنها، وغرضه جعل قدمك كالوند المضروب على الأرض فلا يزول أبداً.

(إرم ببصرك أقصى القوم): لأن من رمى ببصره أقصى العسكر فإنه لا ينتهي دون ابوصول إلى أقصاهم، ومن كان همه إدراك أولهم تكص عن^(١) بلوغ آخرهم.

(وعض بصرك): عن الالتفات يمينا وشمالاً، فإن ذلك يكون أثبت لدجاش وأقرب إلى الطمأنينة.

سؤال: كيف قال: غض بصرك، وقد قال من قبل: إنه يرمي^(٢) ببصره أقصى القوم؟

وجوابه: هو أن الغرض بالكف للبصر وغضه عن الالتفات يمينا وشمالاً وذلك يورث الفشل، فأما رؤية أقصى العسكر فهو خارج عن هذا لما فيه من العوة والثبات^(٣).

(١) في (أ): على

(٢) في (أ): رمى

(٣) في (ب): والبيان

(واعلم أن النصر من عند الله): لأن له اقوة والحول والقدرة والبسطة فلا يوجد ذلك من جهة غيره بحال، وقد ضمن هذا الكلام نوعين من أنواع البديع كل واحد منهما له موقع في البلاغة لا يخفى:

أولهما: إتيانه فيما علمه من أدب^(١) الحرب بهذه الجمل من غير حرف عطف، وهو يسمى التجريد، فإن أتى في الصفات فهو تعديد، كقوله تعالى: ﴿التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ...﴾ إلى آخرها [البقرة: ١١٢]، وإن [كان]^(٢) أتى في الحمل سمي التجريد، ومثاله قوله تعالى: ﴿مَثَلُ نُورِهِ كَمِثْقَاةٍ فِيهَا يَبْتِخَالُ الصَّبْأُ فِي رُجُلَةِ الرَّجُلَةِ كَأَنَّمَا كَوَّكَبٌ ذُرِّيٌّ﴾ [سورة ٢٥] فحذف الواو من هذه الحمل وحردتها منها.

وثانيهما: إتيانه بهذه الآية من القرآن في آخر كلامه، فكانت واسطة لعقدها، ودرة لتاجها، وقمر هائلتها، وطارار غيلايتها^(٣).

وله كلام في آية الكرسي ذيله بهذه الآية، فكانت غرة [فيه]^(٤) ومنصيرة عنه، وفي تميز القرآن عن كلامه (عليه السلام) دلالة على أنه ليس من كلام البشر، إذ كان كلامه في أعلى طبقات الفصاحة، فإذا تميز القرآن عنه دل على ما قلناه.

(١) في (ب): من أحوال، وقال في هامشها في نسخة: من أدب

(٢) سقط من (ب)

(٣) الفلاة: شعار يلبس تحت الثوب وتحت الدرع أيضاً. (مختار الصحاح ص ٤٧٩)

(٤) زيادة في (ب).

(١٢) ومن كلام له عليه السلام لما ظفر بأصحاب الحمل

وقد قال له بعض أصحابه : وددت أن أخي فلاناً كان شاهداً ليرى ما نصرك الله على أعدائك ، فقال (عليه السلام) :

(أهوى أخيك كان معنا؟ فقال: نعم) : يريد إذا كان أخوك يحبنا وموالياً لنا ، فلما قال [له] (١) : نعم

(قال: فقد شهدتنا والله) : يعني أن أمره إذا كان على ما قلناه من المحبة والولاية فهو كمن شهدنا في عسكرنا ونصرنا ، وفي هذا دلالة على أن الولاية توجب الكون من الجمعة ، كما قال تعالى : ﴿وَمَنْ يَقُولْهُمْ مِنْكُمْ فَلَا يَنْفَكُ مِنْهُمْ﴾ [البقرة: ١٣٥]

(ولقد شهدنا في عسكرنا هذا قوم في أصلاب الرجال ، وأرحام النساء) : أراد أن من كان موالياً لنا ، وكانت عقيدته في حرب هؤلاء كعقيدتنا فهو في الحقيقة كأنه موجود معنا ، وإن كان غير موجود الآن بأن يكون منبأ في أصلاب الرجال ، ونظماً في قرارات (٢) أرحام النساء.

(سير عي بهم الزمان) : الرعاف: الدم الخارج من الأنف ،

(١) زيادة في (ب)

(٢) في (ب) في قرار

ورعف القلم إذا سال منه المداد ، وهذه استعارة رشيقة ، وهي من لطائف (١) استعاراته المعجبة.

(ويقوى بهم الإيمان) : لما يقع بهم من نصره الدين ، وتقوية قواعده.

(١) في (ب) : لعيف

(١٣) ومن كلام له عليه السلام في ذم البصرة وأهلها

(كنتم جند المرأة): أراد بالمرأة عائشة، وفي هذا الكلام تعريض بصعف أحلامهم وركعة عقولهم في انقيادهم لحكمها، وذلك من أوجه:

أما أولاً: فلما ورد عنه صلى الله عليه وآله أنه قال: «لن يفلح قوم ولو أمرهم امرأة»^(١).

وأما ثانياً: فلأنه إذا كن لا ولاية لها في بعضها فكيف يكون لها ولاية في غيره

وأما ثالثاً: فلما يختصن به من ضعف العقل، ولهذا جعل الله شهادة امرأتين بمزلة شهادة رجل واحد، فمن هذا^(٢) حاله كيف^(٣) يستحق أن يكون أهلاً للمتابعة أو يواط به شيء من الأمور الدينية، ونظير هذا في التعريض قوله تعالى: «وَأَمَّنْ يَنْتَابِ الْغُلِيَّةَ» [الرعد ١٨] أي لا يزال متحلياً بأنواع الزينة «وَالْهَوَىٰ فِي الْخَنَامِ غَيْرَ مُبْتَغَىٰ» [الرعد ١٨]، أي أنه لا يبين وجه

(١) هو في موسوعة أطراف الحديث السوي ٧٢١/٦، وعزه إلى البخاري ١٠/٦، ٩، ٧٠، وسنن الترمذي رقم (٢٢٦٢)، وسنن النسائي (المتجيب) ٢٢٧/٨. وعزه أيضاً إلى غيرها من مصادر، انظرها هناك

(٢) في (ب): هذه

(٣) في (ب): فكيف

حجته ولا يفهم له احتجاج، فمن هذه حاله كيف يجعل الملائكة الذين هم أكرم المخلوقات عند الله وأقربهم إليه وأعظمهم منزلة عنده بمنزلة الإناث.

(وأتباع البهيمة): يريد الجمل، فجعله متبوعاً^(١) لما ركبه، وأجابوها واحتكموا لأمرها في مخالفته، والدعاء إلى توهين أمره في خلافته، وهذه أخف من الأولى^(٢)، وكل هذا منه مبالغة في قبح ما توسموه من مخالفته، وشق عصا المسلمين، فتركهم في عدم البصيرة فيما أتوه بمنزلة من بايع بهيمة لا عقل لها.

(رغا فاجبتم): يريد أنما بينكم وبين الإجابة [ولانقياد]^(٣) إلا أنه رغا أي صاح فاجبتم، والرغاء في الإبل بمنزلة الخور في البقر، والصهيل في الخيل، والنهاق في الحمير، والبعاء في الماشية.

(وعقر قهربتهم): أراد^(٤) أنه لم يكن السبب في اجتماعهم إلا الجمل فلما عقر تفرقوا شذر مذر، وفيه تعريض مه بطلحة والربير في اتباعهما لعائشة ونكثهم لبيعتهم.

وأقول: لقد هلكوا جميعاً واستحقوا الوعيد من جهة الله تعالى بمخالفته وشقاقه، لولا تداركهم الله برحمته بالتوبة والإنابة والرجوع إليه.

(اخلاقكم دقاق): الدقة من التراب هو: السحق الذي جمعه^(٥)

(١) في (أ): مسرعاً، وهو تحريف.

(٢) في (ب): وهذه أسحق من الأول

(٣) سقط من (ب)

(٤) في (ب): يريد

(٥) في (أ): جمعه

الريح والغرض أن كل ما كان دقيقاً فإنه ضعيف، لا يعتمد عليه لأنه بطل ويتلاشى، ومعا أن آراءكم وشيكم لا يعتمد عليها

(وعهدكم شقاق): الشقاق هو: الخلاف والعداوة، فالعهد من حقها اوفاء والحفظ، وأنتم نقضتم حكمها بأن جعلتموها شقاً حيث نكثتم البيعة وحالقتهم أمري.

(ودينكم نفاق): ليس الغرض أنهم صاروا بمخالفتهم كفاراً منافقين فإن سيرته فيهم تحالف ذلك، وإنما الغرض هو أنكم تدعون أنكم باتون على الدين، ومستمرون عليه، مع ما يظهر منكم من مخالفتي وشقاقي ونصب العداوة لي، فظاهر دينكم لا يوافق بواطنكم، وهذه هي صفة المنافق لأنه يظهر خلاف ما بيطنه في قلبه ونفاق ما يبدو من لسانه.

(وماؤكم زعاق): شديد الملوحة، لا يمكن لشدة ملوحته شربه، وكنتي بذلك عن حالهم فإبهم مع شدة المخلفة والمعداة له، لا تكون موالاتهم سائنة لأحد من المسلمين

(المقيم بين أظهركم): المخالط لكم والراضي بأعمالكم والمنخلق بهذه الطباع فيكم

(مرتبهن بذنبه): وافع في الخطايا رهين بالذنوب، لما يلحقه بالإقامة بين أظهركم، كما قال تعالى: ﴿كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ وَهْتُهُ﴾ [الطور ٢١] شبهه بالرهن؛ لأن الإنسان إذا قرف^(١) المعصية فإنه يكون مرتبهاً بنفسه، حتى يتخلصها بالتوبة.

(١) في (أ): فرق، وهو نصيب.

(والشاخص عنكم): والمفارق لكم، والبعيد عنكم.

(متدارك برحمة من ربه): الرحمة: هي ما يكون من الألطاف الحقة من جهة الله تعالى، يشير إلى أن حصول الألطاف [الحقية]^(١) إنما تكون بالمفارقة لهم، ووقوع الخذلان يكون بالإقامة بين أظهرهم^(٢).

(كأنني بمسجدكم هذا): يعني مسجد البصرة، وإنما قال هذا أي الذي تجتمعون فيه للآراء الفاسدة والأقاويل الباطلة في عداوتي وشقاقي.

(كجوجو سفينة^(٣)): جوجو الطائر وجوجو السفينة هو: الصدر منهما، وإنما شبهه بالجوجو لأمرين:

أما أولاً: فلما يبعث الله عليه من العذاب بالشرق، ولهذا قال في رواية أخرى.

(وايم الله، لتفرقن بلدكم^(٤) هذه): يعني بالبصرة

(حتى كأنني أنظر إلى مسجدك كجوجو سفينة أو نعامة حافة): وأما ثانياً: فلأنه أشار بهذا إلى أنه لا يبقى منه إلا أثر

(١) زيادة في (ب)

(٢) في (أ): أظهركم، وما أثبت من (ب)

(٣) بدله في شرح النهج (٢٥١/١): (قد بعث الله عليها العذاب من فوقه ومن عنده، وعرف من في صمها)

وفي رواية أخرى: (كجوجو طير في حة بحر)

وفي رواية أخرى: (بلادكم من بلاد الله رب، أفرق من الماء، وأبعد من السماء، وبها سعة أعتار الشر، انحبس فيها بدسه والخارج بمغوا الله، كأنني أنظر من قريبكم هذه قد طلقها الماء، حتى ما يرى منها إلا شرف المسجد، كأنه جوجو طير في حة بحر، انتهى)

(٤) في شرح النهج: بلدكم

أَوْ طَلَّ^(١) أَي يَخْرُبُ وَلَا يَبْقَى مِنْهُ إِلَّا مَا ذَكَرْنَاهُ، وَمَا^(٢) قَالَهُ **(غُلِبَ)** يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ قَدْ وَقَعَ أَوْ أَنَّهُ سَيَقَعُ بَعْدَ هَذَا.

(أَرْضُكُمْ قَرِيبَةٌ مِنَ الْمَاءِ) : كَتَبَ بِمَا ذَكَرَهُ عَنْ رَكَةِ أَحْوَالِهِمْ وَنَزُولِ هَمِّهِمْ حَتَّى صَارَتْ فِي أَسْفَلِ سَافِلِينَ، وَلِهَذَا يُقَالُ : أَنْفٌ فِي السَّمَاءِ، وَقَدْ فِي الْمَاءِ، يُضْرَبُ مَثَلًا لِمَنْ يَدْعِي الْحِلْمَ وَالْوَقَارَ، وَهُوَ يَنْعَلُ أَفَاعِيلَ^(٣) السَّفَهَاءِ، فَيُقَالُ لَهُ ذَلِكَ.

(بَعِيدَةٌ عَنِ السَّمَاءِ) : أَرَادَ إِمَّا بَعِيدَةً عَنِ الرَّحْمَةِ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى ؛ لِأَنَّهَا تَرُلُ مِنَ السَّمَاءِ، وَإِمَّا أَنَّ أَحْلَامَهُمْ بَعِيدَةٌ عَنْ عَادَةِ أَهْلِ الدِّينَانَةِ وَأَهْلِ الْوَرَعِ وَالنَّفَاسَةِ.

(خَفَّتْ عَقُولُكُمْ) : فَلِهَذَا تَسْتَفْزِ بِأَدْنَى شَيْءٍ لَارْزَانَةٍ فِي حَصَاتِهَا^(٤) وَلَا مَلَائِكَةَ لِأَمْرِهَا.

(وَسَفَهَتْ خُلُومَكُمْ) : أَي صَارَتْ تَشْبَهُ أَخْلَاقَ السَّفَهَاءِ فِيمَا ثَلَبْتُمْ بِهِ^(٥) مِنَ الْمُخَالَفَةِ.

(فَانْتَمِ غَرَضُ لِنَابِلٍ) : الْغَرَضُ : مَا يَرْمَى مِنْ قُرْطَاسٍ أَوْ غَيْرِهِ، وَالنَّابِلُ : صَاحِبُ النَّبَالِ، وَمُرَادُهُ أَنَّ كُلَّ أَحَدٍ يَرْمِيكُمْ بِنَالِهِ، وَيَسُدُّ إِلَيْكُمْ سَهَامَهُ.

(١) الطَّلُّ : مَا شَحَصَ مِنْ أَثَرِ النَّارِ، وَالْجَمْعُ أَطْلَالٌ وَطُلُولٌ (مختار الصحاح ص ٣٩٦).

(٢) فِي (أ) : وَمَا، وَفِي (ب) : كَمَا أَتَتْهُ

(٣) فِي (أ) : اِقْتِمَالٌ، وَمَا أَتَتْهُ مِنْ (ب).

(٤) فِي (ب) : حَصَاتِهَا.

(٥) فِي (أ) : فِيهِ.

(وَأَكَلَةٌ لَاكُلٍ) : الْأَكَلَةُ بِالضَّمِّ هِيَ : مَا يُؤْكَلُ، وَلِهَذَا قَالَ **(غُلِبَ)** : «فَضَّلَ مَا بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الْيَهُودِ أَكَلَةُ السُّحُونِ»^(١). وَالْأَكَلَةُ بِالْفَتْحِ : وَاحِدَةُ الْأَكَلَاتِ، وَبِالْكَسْرِ : الضَّرْبُ مِنَ الْأَكْلِ، وَهِيَ الْحَالَةُ كَالرُّكْبَةِ وَالْجُلُوسَةِ، وَمُرَادُهُ أَنَّهُمْ صَارُوا أَكَلَةً لِأَيِّ أَكَلٍ [كَانَ]^(٢)، وَإِنَّمَا نَكَّرَ الْأَكْلَ لِمَا فِيهِ مِنَ الْفَحَامَةِ مَا لَا يَفِيدُهُ التَّعْرِيفُ لَوْ عُرِّفَ.

(وَفَرِيسَةٌ لَصَانِلٍ) : الصَّائِلُ : مَا يَصُولُ مِنْ سَعٍ أَوْ جَمَلٍ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ، وَمُرَادُهُ مِنْ ذَلِكَ هُوَ أَنَّهُمْ صَارُوا يَأْخُذُهُمْ كُلُّ مَنْ اسْتَطَالَ عَلَيْهِمْ بِمَنْزِلَةِ الْفَرِيسَةِ الْمَأْكُولَةِ، لَا يَنْتَصِرُونَ مِنْ أَحَدٍ لَدَنَّهُمْ وَرَكَةُ أَحْوَالِهِمْ

(١) لَهُ شَاهِدٌ ذَكَرَهُ فِي مُوسَمَةِ أَطْرَافِ الْحَدِيثِ أَبُو ٥/٥٦٧ بَلَعَطُ : «فَضَّلَ مَا بَيْنَ صِيَامِكُمْ

وَصِيَامِ أَهْلِ الْكِتَابِ أَكْلَ السُّحُونِ»، وَغَرَاهُ إِلَى مَصْفُوفِ أَبِي شَيْخَةَ ٨/٣

(٢) سَقَطَ مِنْ (ب)

فلهذا مثله بما ذكرناه، يريد فلو صرف في هذه المصارف مع حلها وقلة النعمة فيها.

(لرددته): عن مصرفه هذا، ولصرفته في مصرفه الذي أمر الله بصرفه فيه.

(فإن في العدل سعة): في الدنيا راحة القلب عن مظالم الخلق، وضيق النفس منهم بكثرة المطالبة والمحاصرة.

وأما في الآخرة فإن فيه خلاصاً عن الحساب والوقوف بين يدي الله

(ومن ضاق عليه لعدل فاجور عليه أضيق): فيه وجهان:

أحدهما: أن يريد ومن ضاق عليه العدل مع ما فيه من السهولة والخفة على النفس بترك التبعات، فاجور عليه أضيق لما فيه من الصعوبة وضيق النفس.

وثانيهما: أن يريد ومن ضاق عليه العدل فلم ييسر يده في الأخذ، بل يحتاط ويتحرج في ذلك، فالأولى أن يعمل ذلك في الجور ويكف نفسه عنه.

(١٤) ومن كلام له عليه السلام فيما رده على المسلمين من قطاع عثمان

القطاع ولقطاع بالكسر والفتح هو: المال الحرام. وأقطعت الرجل نظيفة أي طائفة من مال الخراج، وذلك أنه قد كان جرى في خلافته أحداث عظيمة وأمور مكرة من أخذ الأموال من غير حلها، وصرفها في غير وجهها، وإيثار أقاربه بها، مع عدم الاستحقاق منهم لها، فلما كان الأمر فيها كما قلناه، وانتهت النوبة إلى أمير المؤمنين ردها عن تلك المصارف، وقال:

(والله لو وجدته قد تزوج به النساء): أراد جعل مهوراً لهن.

(وضلت به الإماء): بأن جعل ثمناً لهن، وإنما مثل بهذين الأمرين لأنهما أحق الأمور المباحة بالبدل، والزيادة فيهما لا تكون تبذيراً، ولهذا قال تعالى: ﴿وَأَتَيْتُمْ إِخْدَانَكُمْ قِطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا﴾ [س: ٢٠]، وقال في آية أخرى: ﴿فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُمَا مَكْلُوفٌ فَخَبْرًا﴾ [س: ١٠].

وعن أمير المؤمنين أنه قال: (إذا مس الإنسان وجع في بطنه، فليأخذ من مهر امرأته شيئاً، وليشتري به عسلاً، ويعمل عليه شيئاً^(١) من ماء السماء؛ ثم يشربه فيجمع بين الهنيء والمريء ولشفاء والماء المبارك).

(١) في (ب) شيء.

قال المختل الهذلي^(١):

تَعْلُو أسبُوفُ بِأَيْدِيَا جَمَاعَتِهِمْ

كَمَا فُلَّقُ مَرَوْ الْأَمْعَزَ الصَّرْحِي^(٢)

أى الخالص، ومنه المثل: صرَّح الحق عن محضه، أي: بان وانكشف،
والعبرة: جمع عبرة وهي الاسم من الاعتبار، واشتقاقها من عرت عينه
إذا بكت، ومراده من ذلك هو أن من كشفت له الأمور المعبر بها والمجموعة
عبرة عما تقدمه من العقوبات النزلة بالأمم الماضية والقرون الحالية.

(حجزه^(٣)) أى منعه، ومنه اخاجر، وهو: الحائل بين الشيئين

(التقوى): التوقي، وهي مصدر كالدعوى.

(عن تقحم الشبهات): [عن^(٤)] اقتحام المهالك والوقوع فيها.

(ألا وإن بليتكم هذه قد عادت كهينتها يوم بحث الله نبيه) - البلية
والبلوى والبلاء واحد، وهي مصادر كلها، والبلية: الناقة التي تحبس عند
قبر الرجل إذا مات، وعرضه من هذا الكلام هو أنني قد ابتليت بكم

(١) هو مالك بن عويمر بن عثمان بن حيش الهذلي، من مشرقي بني أمية، شاعر من مواسم

هذيل، قال الأصمعي: هو صاحب أخود فعبيدة طائفة قالها العرب (الأعلام ٢٦٢/٥)

(٢) في (أ): كما يعلق مره والأمعز الصرحي، وما أثبت من (ب)، والمرو: حجارة بيض رداى

براقة تقذف منها النار، والأمعز: الأرض الحرة المليحة ذات الحجارة، (انظر المعجم الوسيط

ص ٨٦٥، ٨٧٧)، والبيت ورد في لسان العرب ٤٣٥/٢ يلفظ

تعلو السبوف بأيديهم جماجمهم كما يُلَّقُ مرو الأمعز الصرح

(٣) في شرح الهج: حجره


(٤) زيادة في (ب).

(١٥) ومن خطبة له عليه السلام لما بويع في المدينة

(ذمتي): الذمة هي: العهد والميثاق

(عما أقول): ما ها هنا إما موصولة أى بالذي أقوله، وإما مصدرية
أى بقولي من صدق المقالة، ولو فاء بالذم والعهود كلها.

(رهينته): أى مرتته، فلا تخلص إلا بالوفاء بها.

(وانابه زعيم): أى كفيل، والكفيل: زعيم، كما ورد عنه :
(الزعيم غارم)^(١) وأراد به الكفيل.

(إن من صرحت له العبر عما بين يديه من المثالات):
صرح الحق وانصرح، أي بان وطهر، والصرح بالتحريك: الخالص من
كل شيء.

(١) قوله: ومن زيادة في (ب)

(٢) أخرجه الإمام أحمد بن عيسى بن زيد (رحمهم الله) في أماله في الجزء الرابع ص ٢٤٠ بسند

إلى شرحه بن مسلم، قال: سمعت أبا أمامة يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

(العارية مؤداة، والمحة مردودة، والزعيم غارم)، وأورده ابن الأثير في النهاية ٣/٣٦٣،

وهو في مختار الصحاح ص ٢٧٢، ورواه السيد العلامة أحمد بن يوسف رتبة رحمه الله في

أنوار التمام ٤/٤٩٣ وعراه إلى شرح التحرير وأصول الأحكام والشفاء.

في الاعوجاج، ومقاسات الأمور الشدائد مثل ما ابتلي به رسول الله ﷺ^(١) من قومه من ذلك.

(والذي بعثه بالحق) : إقسام بالله جل جلاله، وإنما خص البعثة لما فيها من مريد الاعتناء^(٢) بحاله صلى الله عليه وآله ورعى مكانه عند الله.

(لَتُبْلِيَنَّ بَلِيلَهُ) : البلية : التحراء والاضطراب، يقال : تبليت الألسنة إذا احتطت، جعله هاهنا كناية عن تغير أحوالهم، وتبدلها عما هي عليه الآن.

(وَلَتُغْرِبَنَّ غَرْبَهُ) : أي لتنحلن^(٣) نخلاً بالغربال، وهو المنخل، وهو كناية عن القتل والاستتصال.

(وَلَتُسَاطِنَنَّ سَوَاطِنَ الْقَدَرِ) : السوط : اختلط، ساطه يسوطه سوطاً إذا خلطه بغيره، والمساوط : عود يحرك به القدر ليخلط ما فيها بعضه ببعض.

(حتى يعود أسفلكم أعلاككم، وأعلاككم أسفلكم) : من كثرة الاضطراب واختلاف الأهواء وتفرق الآراء كالشيء المسوط في القدر فإن هذه حاله.

(وَلَيَسْبِقَنَّ سَبَاقُونَ^(٤) كَانُوا قَصَصُوا) : أي وليتقدم إلى نصرتي ومتابعي أقوام كانوا قصروا في أول الأمر من خلافتي بالتأخر عني.

(وَلَيَمُصِّرَنَّ سَبَاقُونَ كَانُوا سَبَقُوا) : أي وليتأخرون عن مناصرتي

ومعاضدتي أقوام كانوا سبقوا إليها في أول الأمر كما كان من طلحة والزبير وغيرهما، وكل ما ذكره من هذه الأحوال دلالة على الفشل وكثرة الاضطراب في أمورهم^(٥) كلها.

(والله ما كتمت وصمة^(٦)) : الوصمة بثلاث من أسفل هي : الأثر.

يقال^(٧) : وصمه يسمه سمة إذا أثر فيه، والوصمة بثلاث من أعلى هي : القطرة، يقال : ما أصابت اعام وصمة.

قال ابن السكيت^(٨) : ما عصبته رصمة أي كلمة، وكلامها جيد هـ ها، أي ما كنتم أثراً^(٩) ولا كنتم كلمة

(ولا كذبت كذبة) : أي واحدة من الكذبات، واختلفت الريدة والإمامية في قوله هل يكون حجة أم لا؟ فمن قال [منهم]^(١٠) بعصمته من الخصا وهم لأقل قال : إن قوله حجة فيما قاله، إلا أن يكون الخطأ في تلك المسألة يكون صغيراً فإنه لا يكون حجة، ومن قال منهم : بأن قوله لا يكون حجة قال : إنه غير معصوم وهم الأكثر، وهذا هو الصحيح، لأن الدليل إنما دلل على عصمة جماعتهم أعني علياً وفاطمة والحسن

(١) في (ب) الأمور.

(٢) في شرح النهج، وصمة

(٣) في (ب) ويقال

(٤) ابن السكيت هو يعقوب بن إسحاق، أبو يوسف ١٨٦١-٢٤٤هـ، إسم في اللغة ولاز

تعلم بعداد، له مصنفات منها : إصلاح المطلق وغيره (الأعلام ١٩٥/٨)

(٥) في (أ) : أثره وهو خطأ.

(٦) زيادة في (ب).

(١) سقط من (أ)

(٢) في (أ) : الاعتبار

(٣) في (أ) : لتجلى، وهو مصحف

(٤) في شرح النهج، سابعون.

والحسين، فأما على أفرادها فلا دلالة على ذلك^(١).

(١) أقول والله لتولين استدلال القائلين بعصمة أمير المؤمنين علي (عليه السلام) على انفراده وحجية قوله بعدد من الأدلة، فمن ذلك قول النبي (ﷺ): «علي مع الحق، والحق مع علي» رواه الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين (عليه السلام) في كتاب معرفة الله عز وجل ص ٥٣ من مجموع رسائله، والإمام المرتضى محمد بن الهادي عليهما السلام في كتاب الأصول من مجموع كتبه ورسائله ٧١١/٢، وأخرج الإمام أبو طالب يحيى بن الحسين الهاروني (عليه السلام) في أماليه ص ٩٣ برقم (٥٠) بسنده عن شهر بن حوشب قال: كنت عند أم سلمة إذ استأذن رجل فقيل له: من أنت؟ قال: أنا أبو ثابت مولى علي، فقالت أم سلمة: مرحباً بك يا أبا ثابت ادخل، فدخل فرحمت به، ثم فدت له: يا أبا ثابت، أين طار قلت حين طارت لقلوب مطايرها؟ فقلت: تبع علي بن أبي طالب (عليه السلام) فقالت: ومقت، والذي نفسي بيده لقد سمعت رسول الله (ﷺ) يقول: «علي مع الحق والقرآن، والحق والقرآن مع علي». ولئن يتفرقا حتى يردا علي (الحوض)» وأورد العلامة المجهت محمد بن إسماعيل الأمير رحمه الله في الروضةندية ص ١٥٦ عدد من الأحاديث السنية نقضية بدوران الحق مع أمير المؤمنين علي (عليه السلام) حيث دار، ومن ذلك حديث عن علي (عليه السلام) قال: سمعت رسول الله (ﷺ) يقول: «رحم الله عبداً، اللهم أدر الحق معه حيث دار»، وعزاه إلى البخاري، قال: وفي بعضها الإخبار بأنه مع القرآن، والقرآن معه، كما أخرج الطبراني في الأوسط، ومالك في الموطأ من حديث أم سلمة قالت: قال رسول الله (ﷺ): «علي مع القرآن، والقرآن مع علي، لن يفترقا حتى يردا علي (الحوض)» انتهى. ثم سبق عدداً من الروايات الواردة في الباب، والمؤدية إلى المعنى نفسه حتى قال ص ١٥٧: فهذه قطرة من حديث الباب فيها الدلالة على أنه (عليه السلام) لا يمارق الحق والحق لا يمارقه، وقد دعا له (عليه السلام) بذلك، ثم أخبر أنه مع القرآن والقرآن معه، فأما أن الله استجاب دعوته (عليه السلام) فيه (عليه السلام)، وفيه دليل وأصح على عصمته (عليه السلام) أرفع من أدلة عصمة الأمة، وفيه دليل أيضاً على حجية قوله: لأنه لا يقول إلا الحق، والحق هو ما أمر الله عباده باتباعه، فدل على أن قوله صحيح، وهي مسألة مشهورة وفي كتب الأصول مسطورة. انتهى.

قلت، ومن القائلين بعصمة أمير المؤمنين (عليه السلام) وحجية قوله الإمام عز الدين بن الحسن (عليه السلام) ذكره في كتابه انصراح، حكاه عنه العلامة المولى محمد لدين الميمني في لوامع الأنوار ٢٥٢/٢، ومن القائلين بالعصمة أيضاً لأمر الحسين بن صدر الدين رحمه الله ذكره في يسابيع النصيحة واستدل على ذلك بحجري الموالات، والمنزلة، ومهم القاضي العلامة المجهت أحمد بن يحيى حبيب الصعدي رحمه الله ذكره في كتابه الإيضاح شرح المصباح ص ٣٢٥، واستدل على عصمة أمير المؤمنين علي (عليه السلام) وحجية قوله، يقول النبي (ﷺ): «علي مع الحق...» الحديث =

وبحسب عمار، وهو قول السي (عليه السلام) لعمار بن ياسر: «إذا سلك الناس وادياً وعلي وادياً فعليك بعلي، وحل الناس جانباً»، ومهم أيضاً السيد العلامة أحمد بن محمد بن محمد بن رحمه الله ذكره في كتابه الكاشف لدوي لعقود من ١٣٨-١٣٩. واستدل على ذلك بحسب (عليه السلام) مع الحق»، وبحسب (عليه السلام) مدنة العلم وعلي بها».

هذا ومن القائلين بحجية قول أمير المؤمنين علي (عليه السلام) الإمام أحمد بن سيبان (عليه السلام) ذكره في كتاب أصول الأحكام في كتاب الإجازات من باب ضمان الأجير، ومهم الإمام المصنوع بالله عبد الله بن حمزة (عليه السلام) في كتابه الشافي حيث دل وكلام علي (عليه السلام) حجة إجماع، حكاه عنه العلامة المجهت محمد الدين الميمني في كتابه لوامع الأنوار ١٤٧/١، ومهم العلامة عبيد بن الحسين رحمه الله في كتابه المحيط حيث قال: ومن حصائص علي (عليه السلام) أن قوله حجة يجب التصبر إليه، وذلك إجماع أهل البيت لا يخفون فيه، حكاه عنه العلامة الميمني في لوامع الأنوار ١٤٧/١، وقال المولى العلامة المجهت لكبير محمد الدين بن محمد بن مصور الميمني رضي الله عنه في لوامع الأنوار ١٤٣/١-١٤٤ ما لفظه: وأعلم أنا ندين لله تعالى ما دانت به جماعة العترة الأحمديّة، واصفوة المعنوية ومن اهتدى بهداهم من عباده الأمة المحمديّة، أن إمام المتقين، وسيد الوصيين، وأخا سيد المرسلين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، الإمام وخليفة رسول الله (ﷺ) على الخاص والعام، وحجة الله بعد بيته على جميع الأنعام، وأنه مربوب مولته إلا النبوة كما نطق به صلوات الله عليه وآله عن الله تعالى في جميع الأحكام، فتقوى صلوات الله عليه حجة ومنهجه في كل شيء أعظم محبة أما في الأصول فلا خلاف بين آل محمد صلوات الله عليهم وأساعهم في ذلك الحكم ما جعل له تعالى له من العصمة، وكون الحق معها واحداً كما قصت به الأدلة السانعة المعلومّة (قلت انظر الجزء الأول من كتاب لوامع الأنوار) قال حفظه الله تعالى: وأما في فروع الأحكام فلكذلك عند جمهور أهل البيت وأتباعهم لما سبق من الجرح المبين، انتوثة الشهيرة وغيرها من الكتاب والسنة، وقد جمع في ذلك المقام السيد الإمام الحسين بن اقسام عليه السلام ما كثر وطاب، وأعم وطاب، وفيه كفاية لأولي الألباب، ولم تفصل الترهيب القاصية بكون الحق معه وكونه على الحق، وما شاكها بين أصول وفروع، ولا بين معقول ومسموع. انتهى. ثم ساق الكلام في ذلك وأورد أدلة كثيرة شبيهة في ذلك الموضوع من كتب أهل البيت عليهم السلام وشيعتهم رضي الله عنهم، ومن كتب غيرهم، قدم بها الحجة وأوضح بها الحجّة رضي الله عنه وأرضاه، وحجراً عن الإسلام وأهله خير الخراف (انظر المصدر المذكور ١٤٣/١-١٥٧) هذا ومتابعة هذا العرص بطول، ومن أراد المزيد فليبحث عن الموضوع في كتب الأصول والله ولي الهداية والتوفيق، وهو نعم المثل.

(ولقد ثبتت بهذا المقام وهذا اليوم) : أراد بالمقام، ما موضع الإقامة،
وأما الإقامة نفسها وهو المصدر، أي موضع إقامتي فيكم بما كان منكم
من التشتت والتفرق^(١) واختلاف الأهواء، وأراد باليوم ولايته عليهم، فإن
رسول الله ﷺ قد كان أعلمه بأيام خلافته، وبما يكون عليه من التفرق
والخلاف، وهذا من حملة الأمور العسرة التي عهد إليه فيها ونباه بها.

(ألا وإن الخطايا خيل شمس) : الأشمس من الخيل : الذي يمنع
صاحبه الركوب.

(خمل عليها أهلها) : أي حملتهم الأهواء والشياطين بالتزيين^(٢) من
جهنم وغلبة الهوى واستحكمه.

(وخلع^(٣) لجمها) : أزيلت وأبعدت عن أفواهاها.

(فتقحمت بهم النار^(٤)) : قحم الفرس بفارسه وتقحم وانتقم إذا لم
يملك رأسه، ولم يقف على مراده.

(ألا وإن التقوى مظايا ذلل) : المظايا : جمع مظية وهو الواحد من
الإس مذلة لصاحبها، يفعل فيها كيف أراد من إقدام وإحجام

(خمل عليها أهلها) : أعينوا عليها بالأطاف والصبر، وبإمداد من
جهة الله تعالى.

(١) في (أ). ولتفرق.

(٢) قوله : وسلم زيادة في (ب).

(٣) في (أ). بالبر، وما أنته من (ب).

(٤) في (أ) : وجمعت، وما أثبت من (ب) ومن شرح النهج

(٥) في شرح النهج : في النار

(فأعطوا^(١) أزمته) : يعني مكثوا منها في أيديهم، وأملك ما يكون
الإنسان للدابة إذا كان آخذاً برمامها يُصرّفها كيف أراد.

(فأوردتهم الجنة) : على سهولة ومشى سجع.

واعلم : أن في كلامه هذا من لطيف^(٢) الاستعارة وغريبها ما لا يقوم
بوصفه لسان، ولا يطلع على سره لسان، ومن يدع ذلك وعجيبه هو أنه
لما استعار ذكر الخيل والمظايا، عقب كل واحد منها^(٣) بما يصلح فيه من
الاقتحام في حق الخيل؛ لأنه هو الغالب عليها، والتذلل في المظايا؛ لأنه
هو الغالب عليها، وهذا يسمى توشيح الاستعارة لأنه يزيد لها عذوبة
وحلاوة، ويكسيها^(٤) رونقاً وطلاوة

سؤال : لم استعار للحصايا الخيل، وللتقوى المظايا من الإبل، ثم قال :
في الخطايا خلعت لجمها، وقال في الطاعة : أعطوا أزمته، وقال في
الخطايا : تقحمت بهم النار، وقال في الطاعة : أوردتهم الجنة؟

وجوابه : أن في كل واحد من هذه الأشياء المختلفه معنى يوافق ما هو
بصدده، وما جيء به من أصله، فلما كانت المعاصي لا تفعل إلا عمادة
وكد وإتعب الخاطر^(٥) في تحصيلها، استعار لب الخيل، لما فيه^(٦) من الشدة
وشكاسة الأخلاق، بخلاف التقوى فإنها تحصل على سهولة لما يحصل من
المراد بالألطف الحفية من الله تعالى، فلهذا استعار لب المصايا لما فيه

(١) في (ب) وشرح النهج : وأعطوا

(٢) في (ب) : لطائف.

(٣) في (ب). مهما.

(٤) في (ب) : ويكسيها

(٥) في (ب) : الخواطر

(٦) في (ب) : به

من التذلل وسهولة الانقياد، وإنما قال في الخيل؛ خلعت^(١) لجمها إشارة إلى أن الفرس مع اللجام لا يأمن راكبها التفحم عليه فضلاً عن خلع اللجام، فإن ذلك أيسر للتفحم وأدعى له، وغرضه بذلك تشبيه أهل المعاصي في الإسراع إلى الخطايا بالخيل إذا خلعت^(٢) لجمها، بخلاف أهل التقوى فإنهم قضوا وملكوها، والإبل ربما ساعدت في الانقراض بغير زمام فضلاً عن حالها مع قبض الزمام، فإنها تكون أطوع لا محالة، وإنما قل في حق الخيل؛ تفحمت بهم؛ لأن التفحم إنما يكون في المكروه وخلاف المراد.

وقل في المطايا؛ أوردتهم؛ لئن الورود أكثر استعماله في المحبوس، كما يقال؛ ورد عسى الأمير^(٣) بعادته وعطيته، وطابق في هذا^(٤) الاستعارات كلها لغرض المقصود، وجاء في كل شيء بما يليق به، وما ذاك إلا لأنه قد جعل على البلاغة أميراً، وصار لمعانيها وأسرارها ترجماناً وسفيراً.

(حق وباطل): أي أمرنا وما نحن فيه حق وباطل، فالحق ما أنا عليه، والباطل ما خالفه وهذا من علم البديع يسمى الطباق، ويقال له؛ التكافؤ أيضاً، وهو أن يأتي بالشئ ونقضه، وهذا كقوله تعالى: ﴿لَيَبْصُرَنَّ كَثِيرًا مِّنْ أَهْلِ الْبَيْتِ وَمَن لَّهُم فِيهِ حَقٌّ مُّبِينٌ﴾ [سورة آل عمران: ٨٢].

ومنه قوله:

أيأ عجباً كيف اتفقاً فاصح وفي مطوي على العلى غادر

- (١) في (أ): حملت، وهو تحريف.
- (٢) في (أ): حملت، وهو تحريف.
- (٣) في (أ): الأمر، وهو تحريف.
- (٤) في (ب): هذه.

(ولكل): من ذلك.

(أهل): يريد أن الحق له أقوم، يقيمون حده، ويشدون أركانه، وأن الباطل له أقوام، يحيون معاملة، ويرفعون ستائره^(١)، ونظير هذا قوله صلى الله عليه وآله: «إن للدنيا أبناء، وللآخرة أبناء، فكونوا من أبناء الآخرة، ولا تكونوا من أبناء الدنيا»^(٢).

(فلئن أمر الباطل): أمر الشئ إذا كثر وفشا، يقال: أمر ماله إذا كثر. (لقدما فعل): انتصاب قديماً على الظرفية أي لزماناً قديماً فعل، لكه طرح موصوفه، وأقيم مقامه فانتصب انتصابه، ومن هذا قولهم: ستر عليه طويلاً وقديماً وحديثاً. للام في قوله لئن أمر، هي الموطبة للقسم. مثلها في قوله تعالى: ﴿لَئِن لُّغِيَتْ لَحُجُجُكُمْ لَخَرِجْتُمْ مِمَّا كُنْتُمْ فِيهَا﴾ [سورة النمل: ١١] واللام في قوله: لقدماً هي جواب انقسم، ومراده أن الباطل إذا كثر فهذا هو العال من أحواله؛ لأن أنصاره كثيرون، وأعوانه جم غفير.

(ولئن قل الحق لربما^(٣) ولعل): لأن أنصاره قليلون، ومتبعوه في غاية الندرة، ومتعلق رب محذوف أي ربما كان ذلك^(٤)، ولعل اسمها وحبره محذوفان، أي ولعل ذلك حاصل، وحذفه إنما ساغ للعلم به، وهو واقع في كلام الفصحاء كثيراً.

- (١) في (ب): شاره، وهو مصحف، ولعل الصواب؛ شاره.
- (٢) أخرجه من حديث عن أبي هريرة الشريفة زيد بن عبد الله السلفي رحمه الله في الأربعين السابقة ص ٨٤ الحديث رقم (٣٩).
- (٣) في النسخ: لمربما.
- (٤) في (ب): ذلك.

ويحكى عن عمر بن عبد العزيز، وكان بليغاً، ذكر له أعرابي حاجة فقال: لعل ذاك، أي لعل ذلك حاصل.

(ولقلما أدبر شيء فأقبل^(١)): هذه^(٢) من الحكم العجيبة، والآداب الحسنة، يريد أن الإنسان إذا كان في صحة ونعمة فليعمر ما هو فيه من لصحة والنعمة بالطاعة والشكر، ولا يعقل عن ذلك حتى إذا فاتت طلب ذلك وسأله وعوّل فيه، فقلّ ما أدبر شيء فعاد، كما كان من قبل، ويصلح أن تكون مفيدة لمعاني غير ما ذكرناه، وأشرنا إليه، وهي من حكمه القصير، مشتملة على المعاني الجمّة، والكثيرة.

(١) بعده في شرح النهج: قال الرضي (رحمته): وأقول: إن في هذا الكلام الأدنى من موافق الإحسان ما لا نعلمه مواقع الاستحسان. وإن حظ العجب منه أكثر من حظ العجب به، ولبيد مع الحال التي وصفنا زوائد من القصد لا يقوم بها لسان، ولا يطبع لبيد إنسان، ولا يعرف ما أقول إلا من صرب في هذه الصاعدة بحق، وجرى فيها على عرق: ﴿وما ينقها إلا الصبور﴾

(٢) في (ب): هذا

(١٦) ومن خطبة له عليه السلام

(شغل من الجنة والنار أمامه!): يريد أنه لا شغل أعظم حالاً من كانت الجنة أمامه طالباً لها، ولا من^(١) كانت النار أمامه محاذراً عنها، والأمام في قوله: أمامه، يحتمل أن يكون حقيقة؛ لأن الجنة والنار لا بد من مشاهدتهما، ولا يشاهدان إلا مع المراقبة، بأن يكونا أمام كل مصر، ويحتمل أن يكون مجازاً، والغرض أنهما إذا كانا نصب عينيّه واطب على الطاعة ليحرز الجنة، وكف عن القبائح وسائر المحظورات ليسلم عن النار

(ساع سريع لحا، وطالب بطيء رجا، ومقصر في النار [هوى]^(٢)): يعني أن الناس بالإضافة إلى إحراز رضوان الله تعالى والانكفاف عن محرّماته على هذه الأصناف الثلاثة: فمنهم من سعى سعياً عظيماً بجهد واجتهاد، وأعرض عن الدنيا، وكان همه الآخرة، فهذا قد حاز النجاة لا محالة وأحرزها^(٣) بجهد، ومنهم من يطلبها طلباً بطيئاً يتسهّل وتهاون من غير إخلال بواجب ولا إقدام على قبيح، ولكنه يتساهل في أمور، فهذا يرحى له المغفرة من الله تعالى والتجاوز بالعفو عن التقصير، ومنهم مقصر

(١) في (ب): ولا من.

(٢) سقط من (أ).

(٣) في (أ): وإحرازها، وما أتته من (ب).

في النار بإقدامه على القبائح، وإخلاله بالواجبات، ونظير هذا التقسيم قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا خَاتَمُ الْيَمِينِ﴾ [الرواس: ٨]، ثم قال: ﴿وَأَمَّا خَاتَمُ الْمَشْأَمَةِ﴾ [الرواس: ٩]، ثم قال: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ﴾ [الرواس: ١٠]، وفي هذا دلالة على نجاة اثنين^(١) دون الثالث.

(اليمين والشمال مضلة، والطريق الوسطى هي الجادة): يريد أن^(٢) طريق النجاة هي الوسطى، ومن حاد عنها يميناً فهو هالك أو شمالاً فهو هالك أيضاً، وكل واحد منهما أعني اليمين والشمال مضلة، والمضلة بكسر الفاء هي: موضع الضلال، ويفتحها هي: المصدر أي ذات ضلال، والجادة: معظم الطريق، وفي المثل: من سلك الجواد أمن من العثار.

(عليها باقي الكتاب): الضمير للجادة، وهي: عبارة عن الاعتراف بالإلهية والإقرار له بالوحدانية، والباقي هو: المستمر الثابت، والكتاب يحتمل أن يكون عاماً لجميع ما أنزل الله من السماء فإنها مستمرة ثابتة على التصريح بالتوحيد والإلهية، ويحتمل أن يكون خاصاً للقرآن فإنه ملأ من الأدلة على وحد الصانع وإثبات توحيده.

(وآثار النبوة): الآثار: جمع أثر بالتحريك، وهو: عبارة عما يبقى من رسم الشيء، وسير الرسول: آثاره، وغرضه من ذلك هو أن آثار النبوة حاصلة للجادة^(٣)، ويحتمل العموم في النبوة إذ لا نبوة حاصلة لأحد من الأنبياء إلا وهي متضمنة لتوحيد الله وإلهيته، ويحتمل أن تكون خاصة في نبوة نبينا ﷺ فإنها متضمنة لما ذكرناه.

(١) في (ب): الإثنين، وقال في الهامش: في نسخة: اثنين.
(٢) قوله: (أد)، سقط من (ب).
(٣) في (ب): على واحدة.

(ومنها): يعني الجادة.

(مصدق السنة): نفذ أمره إذا كان ماضياً، ونفذ السهم من الرمية، ومراده من ذلك هو: أن مضي السنة واستمرارها على ما ذكرناه من الحكم بالتوحيد والقضاء به.

(وإليها): يعني الجادة.

(المصير): مصدر من صر يصير وهو خرج عن قياس بابه وقياسه المصير^(١)، وهكذا المرجع فإن قياس بابه بالفتح، ولكهما خرجاً عن القياس كما ترى، وهما مستعملان جميعاً في كتاب الله تعالى مع خروجهما عن قياس بابهما

(مصير العقبة): والعاقبة من كل شيء: آخره، وفي الحديث: «أنا العقبة»^(٢) أي أنا آخر الأنبياء، وغرضه من ذلك هو أن إليها ترجع عاقبة كل أمر على الحقيقة، فإن كل أحد لا عذر له عن معرفة الله تعالى والعلم بإلهيته وحكمته.

(هلك^(٣) من ادعى): خلاف ما تقضي به العقول من الاعتراف بوجود الله وإثبات وحدانيته، أو هلك من ادعى ما ليس حقاً له^(٤)، لأن ذلك يكون ظلماً منه بادعائه له.

(١) في (أ): المصادر، وهو محريف.

(٢) أخرجه من حديث السيد أبو العباس الحسني رضي الله عنه في المصباح ص ١٦٦ بسند عن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه. والحديث في مختار الصحاح ص ٤٤٣ بلفظ: «أنا العبد والعاقبة»، وفي لسان العرب ٨٣١/٢، وفي النهاية لأبي الأثير ٢٦٨/٣، وانظر تخرجه الحديث في المصباح لأبي العباس الحسني.

(٣) في (ب): وهلك.

(٤) قوله: له سقط من (ب).

(وخاب من افترى): خب الرجل حيلة إذا لم ينل ما طلب، وفي المثل: الهيبة خيبة، وفترى الكذب إذا اختلقه وأوجده، وافترى على الله كذباً ومراده من ذلك هو أن من افترى فقد خاب ظنه، ولم ينل ما طلبه في كل شيء.

(من أبدى): بدا الشيء إذا ظهر، وبدأ خفقه أي بتدأه.

(صفحته بلحق): صفحة كل شيء: جانبه.

(هلك عند جهلة الناس^(١)): فسد وبطل، ومراده من هذا هو أن من أذى جانبه لمدافعة الحق وإكراهه صل سعيه وبطل أمره.

(كفى بالمرء جهلاً أن لا يعرف قدر نفسه^(٢)): يريد أن معرفة الإنسان بأحوال نفسه سابقة على معرفته بحال غيرها، فإذا^(٣) كان لا يعرف قدر نفسه من جميع الوجوه فهذا هو نهاية الجهل وقصاراه وعابته، أو يريد أن معرفة الإنسان نفسه هو من جملة العلوم الضرورية بل هو أقواها وأوضحها، فإذا كان لا يعرف حال نفسه مع وضوحه وقوته فكيف يرجى فلاحه في غيرها.

(لا يهلك على التقوى سينخ أصل): السنخ: أصل الشيء، وسنخ السن: أصله، والتقوى هو مصدر كالاتقاء، ومراده من هذا هو أن من كان ملازماً على تقوى الله تعالى، وحوفه ومراقبته في كل أحواله فإنه لا يضعف أمره، ولا يفسد شيء من أحواله، والفرض بالأصل ما هنا

(١) قوله: عند جهلة الناس، سنط من شرح الهج

(٢) في شرح الهج: ألا يعرف قدره

(٣) في (أ): قد

هو الشيء أي لا يهلك على ملازمة التقوى أصل شيء أصلاً، بل يكون مع التقوى إلى نحو وزيادة.

(ولا يظما عليه زرع قوم): الضمير في قوله: عليه، للتقوى؛ لأنها بمعنى الانقاء، وهذا من الاستعارات العجيبة، ومراده أن من كان همه ملازمة التقوى لله تعالى والخوف منه^(١) فإن زرعه لا يتغير بالظماً، وإن أصله لا يتطرق إليه الهلاك، وكيف لا والتقوى جوهر نفيس، وقد ورد القرآن بالثناء على أهل التقوى في غرابة:

أما أولاً: فالمصاحبة بالإعانة، كقوله تعالى: ﴿لِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ [الحج ١٢٨].

وأما ثانياً: فتيسير المخرج من كل هم، كقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً﴾ [العنكب ٢٠].

وأما ثالثاً: فتكثير السيئات، كقوله تعالى: ﴿لِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا اللَّهُ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَاناً وَكَثَّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾ [الأعد ٢٩].

وأما رابعاً: فالتذكر والإبصار، كقوله تعالى: ﴿لِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا سَأَلُوا ظَافِتٍ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا إِذَا لَهُمْ مُبَعِرُونَ﴾ [الأعراف ٢٠].

وأما خامساً: فالصدق، كقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ [هود ١١٩]، وغير ذلك من الحاصل الشريفة التي تحصل بملازمة التقوى ودوامها.

(١) ي (أ): به.

(٢) ي (أ): فوره.

(فاستترؤا ببيوتكم): السترة: ما يستر به، وأراد اجعلوها غطاء لجميع عوراتكم، أما في الدين فلو ارتكب الإنسان محظوراً في بيته وتستر به^(١) ستره الله، كما ورد في الحديث: «من تضمخ بشيء من هذه القاذورات فليستتر بستر الله تعالى»^(٢).

وأما في الدنيا فلائه لو كان فقيراً أو عرباناً فقي الست [ستره]^(٣)، ستره عن إظهار هذه الأشياء وانكشافها.

(وأصلحوا ذات بينكم): خصها عليه [السلام]^(٤) بالإصلاح، كما خصها الله تعالى^(٥) في قوله: ﴿وَأَصْلَحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾ [الاسد ١]، والمراد حال ذات بينكم، أي الأحوال اسي بينكم، حتى تكون أحوال إلفة ومحبة واتفق على ذلك، ولما كانت تلك الأحوال خافية ملاسة لهم، قيل لها: ذات البين، كما قيل: ذات الصدور، أي بالأحوال التي بالصدور.

(والتوبة من ورائكم): وراء يستعمل بمعنى خلف، ويستعمل بمعنى قدام، [قال الله تعالى]^(٦): ﴿وَكَانَ وَرَاءَهُم مِّبْلَكُ﴾ [الكه ٧٩] أي قدامهم،

(١) في (ب). وسده

(٢) الحديث روه في نهاية ابن الأثير ٢٨/٤ يلمط: (من أصاب من هذه القاذورة شيك فليستتر بستر الله)، وهو يلمط أنه في لسان العرب ٣٩/٣، ولي موسوعة أطرف الحديث ٩٢/٨ يلمط: (من أصاب من هذه القاذورات شيئاً)، وعراه إلى نصب الراية ٣٢٣/٣، وتفسير القرطبي ١٥٧/٦، ١٠٤/١٩، وهو فيها أيضاً ٢١/٨ يلمط: (من أتى من هذه القاذورات شيئاً فليستتر) وعراه إلى تبيين الحسير لابن حجر ٥٧/٤، وله فيها أيضاً شواهد أخرى أطرف هناك

(٣) سقط من (ب)

(٤) سقط من (ب)

(٥) قوله: تعالى سقط من (ب).

(٦) سقط من (ب)

وهو من الأضداد، وكلامه ها هنا محتمل^(١) للأمرين جميعاً، فيحتمل أن تكون التوبة قدامهم لتكون خاتمة لأعمالهم وتكملة لها، ويحتمل أن تكون التوبة من خلفهم لتكون حائنة بهم على فعلها وعلى التلبس بها.

(ولا يَحْمَدُ حاصداً إلا ربه): يريد انحصار الحمد في حق الله تعالى فلا يُحمد سواه؛ لأنه [هو]^(٢) لمتدئ بالنعمة أوائلها وأواخرها وأصولها وفروعها، فكما^(٣) أنه لا نعمة إلا منه فهكذا لا يحمد أحد إلا هو.

(ولا يلم لائم إلا نفسه): إذ لا يحصل عليه شر إلا من جهة نفسه: ﴿مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ يَدَاكَ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ يَدَاكَ﴾ [الشع ١٠].

وكلامه (عليه) في هذه الخطبة قد اشتمل على أنواع من الاستطراد. وهو من علم الديق بمكان محوط رفيع، وهو خروج من كلام إلى كلام آخر، لا مناسبة بين الأول والثاني، فيينا هو يتكلم في الحنة والنار إذ خرج إلى وصف الطريق الجادة، وبيبا هو يتكلم في لطريق إذا حرح إلى وصف التقوى وإصلاح ذات البين، وبيبا هو يتكلم في ذلك إذ خرج إلى الحمد لله والملامة للنفس، وهذا من بديع البلاغة وغريبها، وغرضنا من ذلك هو النسيه على إحاطته بفنون البلاغة.

(١) في (ب): محتمل

(٢) سقط من (أ).

(٣) في (ب): وكما.

(بكلام بدعة): البدعة: ما ابتدع، وهو ما كان مناقضاً للسنّة، وهو لضلالة بعينها، فإن جعلنا الكلام مضافاً إلى البدعة فمعناه يكلام صاحب بدعة أي ضلالة، وإن جعلناه مضافاً فمعناه يكلام ذي بدعة، أي ذي ضلالة يضل لأجله من سمعه.

(ودعاء ضلالة): أي وهو مشغوف بدعاء ضلالة، إما بأن يكون داعياً إليها وإما أن يكون مدعواً، وإذا كان على الحال التي وصفها (فهو فتنة): محنة، وبلى.

(لمن افتتن به): لمن أراد الرغب والضلال عن الحق بسببه ومن أحله. (ضال): من قولهم: ضل عن الطريق إذا مال عنها، ولم يصبها، ومنه قوله تعالى: ﴿وَسْتَلُوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ [البقرة: ١٧٧].

(عن هدي من كان قبله): منحرف عن هدي الأنبياء والأئمة واصالحين من العلماء.

(مضل لمن اقتدى به): من أضله يضلّه إذا أراده عن الطريق لمن كان متابعاً له.

(في حياته): بقوله وأفعاله التي يشاهدها من كان مقتدياً به (وبعد وفاته): بأخباره التي تؤثر عنه، كما ورد عنه (عليه السلام): «من سرّ سنة سيئة كان عليه»^(١) وزرّها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة»^(٢)

(١) في (أ) - له

(٢) الحديث إلى قوله: «ووزر من عمل بها»، في موسوعة أطراف الحديث السوي ١٣٩٩/٨، وعراء إلى مصنف ابن أبي شيبة ١٠٩/٣، وهو يلمع: «ومن سر في الإسلام من سبّ فعمل بها كان عليه وزرّه ووزر من عمل بها من غير أن يقص من أوراخهم شيء».

(١٧) ومن كلام له عليه السلام في صفة من يتصدى للحكم بين الأمة وليس أهلاً لذلك

(إن أبغض الخلق إلى الله تعالى رحلان): البعض من جهة الله تعالى إنما يكون حقيقته^(١) إنزال المضار بالمغرض لا غير، كما أن المحبة من جهته إنما هي إرادة إنزال المنافع بالمحبوب، والمحبة له هي إرادة الطاعات لوجهه وإحلاصها به، والبغض له يكون هو ملازمة المعصية وإتيان المحظورات التي نهى عنها، فإذا قيل: فلان يبغيض الله، فالعرض به إتيان معاصيه التي حظرها ونهى عنها.

(رجل وكسه الله إلى نفسه): أي أحوجه إليها، وتركه عن الإعانة بالأنطاف وسائر الاستصلاحات من جهته، من قولهم: فلان وكّله أي بكل أمره على غيره، ومن كانت هذه حاله.

(فهو جائر): بالجيم أي مائل.

(عن قصد السبيل): القصد: العدل، ومعناه عن الطريقة العادلة.

(مشعوف): الشعاف: علاق القلب، يقال: شغفه الحب، أي بلغ شغافه، ومنه قوله تعالى: ﴿قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا﴾ [سعد: ٢٠] أي دخل حبه تحب شعافها.

(١) في (أ): إنما يكون حقيقته

(حَالِ حَاطَايَا غَيْرِهِ): بما كان من إضلاله وإغوائه له، كما قال تعالى: ﴿يُخَلِّلُوا أَتَزَارِعُمُ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمَنْ أَوْزَارَ الَّذِينَ يُضِلُّوهُمْ﴾ [سجدة ٢٥]، ولا يحمل إلا على ذلك ليطبق: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ [الأنعام ١٦٤].

(رهن بحطينته^(١)): أي بما كسبت نفسه من الخطايا، فحاصل كلامه فيما قلناه أن من وصف حاله معرور بكلام البدعة، مشغوف بالدعاء إلى الضلالة، وهذا كثير ما يعرض لأقوام، فإذا وجد واحد منهم كلاماً وحشياً أو تهويلًا في عبارة عول عليه واعتمده واستند إليه، وهذا كم^(٢) يعثر بما يقرع سمعه من وحشي كلام الفلاسفة وتهويلاتهم كإضافة هذه الآثار إلى الحركات الفلكية بعناية العقول لسماوية، وبما يظهر من التفاعل في المواد العنصرية بالوسائط^(٣) الفلكية، وغير ذلك من التهويلات، ونحو تعبيرهم عن الخالق بالمتحرك^(٤) وعن الشريعة بالناموس، وعن النبوة بالقوة القدسية، وما شاككه مما ليس ورء طائل، ولا ثمرة له ولا حاصل، فتعوذ بالله من غلبة الجهل واستحكام الضلالة.

(ورجل قمش جهلاً): قمش الشيء إذا جمعه من جهات متفرقة.

(موضع): أي مسرع، من قولهم: أوضع الجمل في سيره إذا أسرع فيه.

(في جهال الأمة): أي أنه أسرع فيهم بالدعاء إلى الضلالة وأنواع كل

أخرجه من حديث برقم (٤١٥) الإمام أبو طالب في أماليه ص ٣٦٣ بسند عن جرير بن عبدالله الجلي، ورواه في مستند شمس الأحرار ٤١/٢ في الباب العاشر والمائة وعراه إلى أبي طالب (راطر ترجمه فيه).

(١) في (أ): بحطيته

(٢) في (أ): كما، وفي (ب): كما ثبت.

(٣) في (أ): بالرسائط

(٤) في (أ): بالمتحرك.

جهالة، ويحتمل أن يكون موضع بتشديد الضاد، من قولهم: رجل موضع إذا كان غير كامل الخلق، ومعناه ناقص في خلقه دعاء في جهال الأمة.

(غار): إما بمعنى غر أي جاهل ليس له حبرة بالأمور ما يأتي منها وما يذر، وإما غار لغيره مدلس عليه

(في اغباش الفتنة): الأغباش: جمع غش، وهو ما يكون من الضلام آخر الليل، ومراده أنه غر وغار لغيره، ومع ذلك فإنه حاصل في ظلام الفتنة ودجائها

(عم): من قولهم: رجل عم إذا كان غير مبصر، والمراد هنا إم عمى القلب فلا بصيرة له، وإما عمى العين^(١) فلا يصر بعينه ما هو المعول عليه في الأمور كلها.

(بما في عقيد الهدنة): الهدنة: الاسم من المهادنة، وهي السكون والدعة، ومنه قولهم: هدنة على دجر أي سكون على^(٢) غل، والمهادنة: المصالحة، ومراده من ذلك هو أن من هذه حاله فإنه في غطاء عما يوجب الهدنة والمصالحة، وعما يوجب خلاها.

(قد سماه أشباه الناس): لقبه من لا يشابه الناس إلا في الشح والصورة الإنسانية، فأما^(٣) المعاني الحمودة والصفات العالية فلا حظ لهم فيها.

(١) في (ب): العين

(٢) في (أ): غل غل، وفي (ب): كما أثبت

(٣) في (ب): وأما.

(عالمًا): سموه عالمًا بزعمهم وجهلاً منهم.

(وليس به): أي ليس بالعالم؛ لأن من كانت هذه حاله فليس معدوداً من العلماء ولا محسوباً منهم.

(بكر): كل من بادر إلى تحصيل الشيء بسرعة وعجلة، يقال له: بكر، وأبكر، واستبكر.

(فاستكثر): فطلب الكثير.

(من جمع ما لو قل منه خير مما كثر): وهذا صحيح؛ لأن كل ما جمعه فهو جهالات وصلالات، والزيادة من الجهل زيادة من العمى، ولهذا^(١) كان نقصانه خيراً من الريادة فيه.

(حتى إذا ارتوى من آجن): حتى ها هنا حرف ابتداء، مثلها في قوله تعالى^(٢): «حَتَّى إِذَا لَعَنَّاهُمْ بِالنَّارِ» [البقرة: ٦٤]، والإرتواء هو: الشرب الكامل، والآجن هو: المتغير الريح والطعم من الأمواه، واستعاره ها هنا للإكثار من الجهل.

(وأكثر من غير طفل): ازداد^(٣) من شيء ليس فيه فائدة، ولا له ثمرة، يقال^(٤): هذا أمر لا طائل فيه، إذا لم يكن فيه غنى ولا فائدة تعود على صاحبه، ولا يستعمل إلا في الشيء كما قاله (عليه السلام) ها هنا.

(١) في (ب): ولهذا.

(٢) قوله: تعالى سقط من (ب).

(٣) في (أ): أراد.

(٤) في (ب): فقال.

(جلس): تمكن في مجلسه.

(بين الناس): والناس من ورائه، ومن خلفه وأمامه محدقون به، يطلبون مثل ما يطلب من العلماء.

(قاضياً): يقضي الخصومات والمسائل المعقدة^(١) بزعمه.

(ضامناً): متكفلاً.

(لتحليص): لإبانة الغامض من غيره وإزالة المشتبه.

(ما التبس على غيره): على من هو أوثق منه بحشاً، وأصلب ديانة، وأشد ممارسة للعلوم، وهذا منه تهكم واستهجان لمن وصفوا حاله.

(فإن فزلت به): حدثت وحصلت، من قولهم: فزلت به المنية، ونزلت به الحادثة، وقوله: به أي لاصفته وحالطت قلبه.

(إحدى المبهمات): واحدة من المسائل التي لا يعرف لها باب، أخذاً من قولهم: باب مبهم، إذا كان مغلقاً.

وفي نسخة أخرى: (المهمات) أي الشدائد، من قولهم: أمر مهم إذا كان شديداً صعباً.

(هيئاً لها): أعد وأصلح من أجلها ومن سببها.

(حشواً من رايه^(٢)): والحشو: أضعف الشيء، استعارة له من ضعف

(١) في (ب): المعقدة.

(٢) في (ب) وشرح المحج: حشواً من رايه.

الداحية، فإنها تسمى حشواً لضعفها، استمدته من رأيه، وعول عليه، وصار إماماً له.

(رثاء): والرث هو: الشيء البالي، ولرثة: ما يسقط من متاع البيت من الأخلاق^(١)، استقواه زعماً منه أنه على بصيرة.

(ثم قطع به): فعل الأكياس والأفضل من أهل البصائر من العلماء. (فهو من تبس الشبهات): من ها هنا لا ابتداء الغاية، والمعنى فهو من اختلاط الأشياء المشبهة، وارتباكها عليه.

(في مثل نسج العنكبوت): في ضعف أمره، وهو أن رأيه وحكمه مشبه بنسج^(٢) هذه الناسجة، فإنه لا ضعف مثل ضعفه، فإنه يقطع بتحريك الهواء فضلاً عما وراء ذلك من الأمور لشديدة، فجعل ما ينسجه مثلاً في الضعف لما يحصل من فكرة هذا الجاهل، فمن هذه صفة في عدم البصيرة.

(لا يدري أصاب أم أخطأ): لأن التمييز بين الخطأ والصواب إنما يكون لمن يعرف الصواب فيأتيه، ويعرف الخطأ فيجتنبه، فأما من لا يميز بينهما فهذا الذي وصفنا حاله، فإنه لا يمكنه معرفة واحد منهما بحال، فهو في لسن من أمره.

(إن^(٣) أصاب): إن قدر الإصابة فيما هو فيه.

(خاف أن يكون قد أخطأ): فهو على إشفاق من أن يكون مخطئاً.

(١) الأخلاق: أشياء البالية

(٢) في (ب): نسج

(٣) في (أ): بأن، وما أثبت من (ب) وفي شرح النهج، فإن

(وإن أخطأ): قدر الخطأ فيما فعل.

(رجا أن يكون قد أصاب): جوز أن تكون الإصابة حاصلة في فعله.

سؤال: لم جعل متعلق الخوف الخطأ، وجعل متعلق الرجاء هو الإصابة، وهو في كل واحد منهما على غير قطع ويقين؟

وجوابه: هو أن الخوف إنما يكون في الأمور المكروهة، والخطأ من جملتها، والرجاء إنما يكون في الأمور المحبوبة، والصواب من جملتها، ولهذا يقال: أخاف الأسد، وأرجو الفرح، ولا ينعكس الأمر لما قررناه.

(جاهل): قد صار من جملة الجهال

(حباط جهالات): قد تميز مهم^(١) بأن زاد عليهم حتى خبط في كل ود من أودية الجهالة^(٢).

(عاش): العاشي هو: الذي لا يبصر في الليل لصعف في بصره، واستعاره ها هنا لمن يقدم على الأشياء بغير بصيرة.

(رثاب عشوات): العشوة: أن تركب أمراً من غير بيان، يقال: أوطاني عشوة أي أمراً ملتبساً، وقد جعلت المبالغة في قوله: رثاب، على أن معناه أن ركوبه كثير بمنزلة ضرب لمن يكثر ضربه، وفي قوله: عشوات، يعني أنها ليست عشوة واحدة، وإنما هي عشوات كثيرة

(لم يعرض على العلم): يريد أنه ليس على الحقيقة في أمره في متواه

(١) في (أ): عملهم، وفي (ب): كما أنت

(٢) في (أ): الجهال، وما أثبت من (ب)

(بضرس قاطع): بصيرة نافذة، والعرض بالضررس من الاستعارات الحسنة.

(يذري الروايات إذراء الريح): ذرت الريح التراب، وأذرته إذا أذهبت وطيره ذرواً وذرياً، قال الله تعالى: ﴿وَالذَّارِيَّاتِ ذُرُوءًا﴾ [الذريات: ١] أراد به الريح، والإذراء مصدر أذرت، وذرواً وذرياً مصدران للذرت.

(المشيم من النبات): المتكسر البالي، ومراده من ذلك أنه نشر الروايات، ويذيعها كذاً وافراء وتقولاً كنشر الريح لهشيم النبات ودققه ويابس من غير ورع^(١) يحجر^(٢)، ولا بصيرة نافذة، وأبلغ مما ذكرته أنه:

(لا ملبية والله بإصدار ما ورد عليه) ولا هو أهل لما فوض إليه^(٣): أملي: الحقيق بالشيء، يقال: فلان ملىء بكذا، إذا كان حقيقاً به، والإصدار هو الرجوع، يقل: أصدرته فصدر أي أرجعته فرجع، ومراده من ذلك أنه لجهله^(٤) ليس حقيقاً بأن يرجع ما ورد عليه من الفتاوى على وجهها لما هو عليه من الغباوة.

(لا يحسب العلم في شيء مما أنكره): حسب الشيء يفتح العين يحسبه بضمها، إذا عدّه وقدره، وحسبه بكسرهما يحسبه بكسرهما وفتحها إذا ظنه، قال الله تعالى: ﴿فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ﴾ [برسم: ٤٧] بالكسر والفتح جميعاً،

(١) في (ب): ورع

(٢) سقط من (أ).

(٣) في (ب): بمجه.

وسماعنا فيه بالضم ههنا، ومراده أنه لم يقدر جهله وتهالكه في الإعجاب بنفسه، لا يعد ما أنكره علماً بل يعتقد أن ما معه هو العلم بعينه وأن ما عداه جهل.

(ولا يرى أن من وراء ما بلغه منه مذهباً لغيره): إذا فتحت حرف المصارعة من يرى فهو يعني يعلم، وإن ضممتها فهو بمعنى يضمن، والمعنيان متقاربان، والمعنى فيه هو أنه [لا يعلم و]^(١) لا يعلب على طه أن من وراء ما يبلغه ويصل إليه رأياً غيره قد سبق إليه فيقطع برأيه اعتماداً عليه، وغرض أمير المؤمنين تعويله على رأي نفسه، وترك الالتفات إلى ما سواه، وهذا إنما يكون منكراً على أحد وجهين:

أما أولاً: فبأن تكون المسألة اجتهادية، فيوجب على الناس الترام قوله جهلاً منه، والمسألة خلافية وهو ظاهر كلامه، ولهذا قال: إن من وراء ما بلغه مذهباً لغيره.

وأما ثانياً: فبأن يكون خلاف ما قاله قد وقع عليه الإجماع، فتكون فتواه بعد ذلك^(٢) خطأ لمخالفته للإجماع القاطع، فالإنكار عليه لا يليق إلا على ما ذكرناه.

(وإن اظلم عليه أمر اكتتم به): كتم الشيء وأكتمه إذا أصرره وستره، يقول: إذا وقع في معضلة، وانسدت عليه جميع مسالكها أصررها في نفسه، ولم يذكر بها العلماء ولم يطلب فيها وجه الحق من جهة غيره، وإنما أصررها.

(١) سقط من (أ).

(٢) في (ب): فيكون فتواه بذلك.

(لما يعلم من جهل نفسه): لأن جهله بوجهها وجهه بمعرفة نفسه، هو ضم جهل إلى جهل، فلو جهل وجهها وعرف حال نفسه في القصور عن إدراكها وفزع إلى من هو أفضل منه في حلها لكان قد سلم من أحد الجهلين.

(تصرخ من جور قضائه الدماء): الصراخ هو: الصوت، من جوره: من حيفه وظلمه، أي من أجل جور قضائه الدماء إما بالزيادة فيكون ظمناً، وإما بالقصان فيكون فيه إمدار للدماء وإبطال لحقها.

(وتعج منه الموريت إلى الله): العجيج - رفع الصوت، وهو أبلغ من الصراخ، وعجيجها إنما يكون بإعطاء من لا يستحقها أو بحرمان من يستحقها، وهذا أنهى^(١) ما ذكره من الإنكار على مسألة قد وقع فيها الإجماع ثم حكم بخلافه، وإما أن تكون مسألة احتيادية، وليس أهلاً للاحتياد، ولا حاز مصبه فعلى أحد هذين الوجهين يتوجه إنكار حكمه، وإبطاله^(٢)، إسناد الصراح إلى الدماء، وإسناد العجيج إلى المواريث وإد من أودية الاستعارة، والغرض المبالغة في حيفه في المواريث والدماء، ومن يبلغ الاستعارة قول ابن المعتز^(٣) يمدح امرأة:

أثمرت أغصاناً راحتها لجنتاً الحسن عاباً

(١) في (ب)؛ وفي (ب) أنهى، وما أنته من (ب).

(٢) في (ب)؛ وإبطال، وفي (ب) ما أنته.

(٣) هو: عبد الله بن محمد المعتز ابن المتوكل بن المعتصم العباسي، أبو العباس ٢٤٧١ - ٢٤٩٦ م، الشاعر المبدع، حبيبة يوم ولية، ولد في بغداد، وأولع بالأدب، فكان يقصد فصحاء الأعراب ويأخذ عنهم، وصنف كتباً منها: الزهر والرياض، والديع وغيرهما (انظر الأعلام ١١٨/٤ - ١١٩).

يريد أن أنامل هذه التي هي كالأغصان أثمرت لطالبي الحسن شه لعناب من أطرافها.
ومنه قوله:

إذا أصبحت بيد الشمال زمامها فهذا يدعى أن للشمال يدا وهو الريح، وأن للسحابة زماماً، وغير ذلك من بديع الاستعارة وغيرها.

(من معشر^(١)): أي هذا الذي قمش جهلاً.

(يعبشون جهلاً): لا بصيرة لهم في حياتهم بالعلم.

(وموتون ضللاً): عن الحق يزيغهم عنه، وإضلالهم لغيرهم بتلييسهم عليه وجه الصواب.

(ليس فيهم سلعة أبور من الكتاب إذا تلى عليهم حق تلاوته). بار المتاع يبور بوراً إذا كسد، وفي الحديث: «نعود بالله من بوار الأيم»^(٢) يريد أن هؤلاء يكون كتاب الله بينهم كالسلعة البائرة التي لا يريدونها أحد؛ لكثرة إغفالهم وإطراحهم لأحكامه وعلومه.

(ولا سلعة أنفق بيعاً، ولا أغلى ثمناً من الكتاب إذا حُرّف عن موضعه). يريد أنهم يعرضون عند تلاوة الكتاب، وإظهار أحكامه، ويقولون إذا غُيّر عن موضعه بالتأويلات الكاذبة والتخيلات الباطلة التي توافق آراءهم وتطمئن بها قلوبهم، وتكون فسحة لهم فيما هم فيه من ارتكاب

(١) في الصحيح: إلى الله أشكو من معشر.

(٢) النهاية لابن الأثير ١١١/١

الفواحش، والانهماك في اللذات المحرمة.

(و^(١) لا عندهم أنكر من المعروف): إذ لا يعرفونه بفعله، ولا يأمرؤن به فهو مكر عندهم.

(ولا أعرف من المنكر): لكثرة وقوعهم فيه، وتلسهم به، وأمرهم به فلا ينكروته لأنسهم به، وفي كلامه هذا هز للأعطاف، وتحريك للهمم في إدراك العلم وتحصيل البصائر النافذة، وتحذير عن الفتوى بغير بصيرة.

(١٨) ومن كلام له [عليه السلام]^(١) في ذم اختلاف العلماء في الفتيا

الفتوى والفتيا مصدران، كلاهما من اباء؛ لأن^(٢) فعلى بصم لفاء تنقى ياؤها من غير قلب كالقضاء من قضيت، وفعلى بفتح الفاء تغلب ياؤها واواً كالدعوى من دعيت، فلهذا تقول: الفتيا فتبقيها ياءاً على حالها، وتقول: الفتوى فتغلبها واواً كما ذكرناه فرق بينهما.

(ترد على أحدهم القضية في حكم): واحد:

(من^(٣) الأحكام فيحكم فيها برأيه): أراد أنه إذا نزلت بأحدهم إحدى النوارل واحتيج إلى معرفة حكمها، فأعمل فيها رأيه، وراجع في حكمها خاطره، ثم حكم فيها بحكم.

(ثم ترد تلك القضية بعينها على غيره): ثم يستفتي ويطلب فيها رأي غيره كما طلب منه.

(فيحكم فيها بخلاف قوله): بحيث لا يجتمعان على حكم واحد فيها.

(١) زيادة في شرح النهج

(٢) في (ب) - لكن

(٣) قوله: من سقط من (ب)

(ثم يجمع الفضاة بذلك عند الإمام الذي استقصاهم): أراد ثم تعرض تلك القضية بعينها على الإمام، لأنه هو الغاية في ذلك كله، من حيث كان بيده الحل والعقد والأمر والهي والإثبات والتفني، وهذه منه حكاية لحالهم في الفتوى وتعجب من حالهم لما كان على هذه الصفة.

(فيصوب آراءهم جميعاً^(١)): فلا ينكر على أحد منهم مقالته، ولا ينهيه على خطيئه.

(والهم واحد): فكيف يختلفون في حكمه من تحليل أو تحريم.

(ونبيهم واحد): فكيف يختلفون في شرعه، وقد ذم الاختلاف إليهم، وفهموا قبحه من جهته.

(وكتابتهم^(٢) واحد): فكيف يختلفون في معناه.

واعلم: أن إنكاره هذا إنما يكون على أحد وجوه ثلاثة:

أولها: أن تكون هذه المسألة التي فرض وقوع الخلاف فيها بين الإمام والقضاة فيها حكم قاطع ثم اختلفوا فيه، وإذا كان الأمر فيها كما قلناه فالحق فيها واحد وما عده خطأ، فيكون تصويب الإمام لهم خطأ، واختلافهم فيها أيضاً خطأ.

وثانيها: أن يكون الإمام وقضاته ناقضين عن مرتبة الاجتهاد كلهم، والمسألة اجتهادية، لكنهم ليسوا أهلاً للاجتهاد، فهم إذا حكموا فيها برأيهم فهو خطأ، وإذا صوبهم الإمام فهو خطأ أيضاً لمصورهم عن ذلك.

(١) في (ب): يصوب فيها آراءهم جميعاً.

(٢) في (ب): وكتابتهم.

وثالثها: أن تكون المسألة اجتهادية، ويكون مذهب أمير المؤمنين أن الحق في المسائل الاجتهادية واحد كما لمسائل القاطعة، والوجهان الأولان اللذان عليهما التعويل في تأويل كلامه هاهنا؛ فإن القول بأن الحق واحد في المسائل المجتهدة ليس مأثوراً عنه، ولا حكاية أحد من أئمتنا (عليه السلام) عنه، ولا أثره عنه أحد من العلماء، ولو كان لقله الأصوليون [فيما نقلوه]^(١) من^(٢) المسائل الخلافية الأصولية، وكيف يقال: بأنه مذهب له، وقد كانت مجالس الاشتوار للصحابه رضي الله عنهم في الأقضية والأحكام والفتاوى تفرق بهم على الاختلاف فيما بينهم في هذه الأشياء من غير كبير ولا ذم، ومرة يخالفهم أمير المؤمنين، ومرة يوافقهم، ولم يسمع من^(٣) أحد منهم إنكار على صاحبه فيما ذهب إليه ولا ذم له، بل يعتذرون [في]^(٤) المخالفة بأن يقولوا: هذا رأيي وهذا رأيك، فعلى هذا يكون تأويل كلامه فيما ذكره من اختلاف الفتوى.

(أما مذهبهم الله بالاختلاف فأصاعوه! أم نهاهم عنه فعصوه^(٥)): أراد فكان اختلافهم الواقع عن أمر من جهة الله تعالى إذا وقع كانوا ممثلين لأمره كسائر الأوامر الشرعية؟ وهذا الاستفهام وارد على جهة الإنكار.

(أم أنزل الله ديناً ناقصاً فاستعان بهم على إتمامه!): أراد أو كان سبب الخلاف هو أن الدين لم^(٦) يتم أمره فوكل بعضه إلى رأيهم فأنعوه؟

(١) سقط من (ب).

(٢) في (ب): في.

(٣) في (ب): عن.

(٤) سقط من (أ).

(٥) سقط من (أ)، وهو في (ب) وفي شرح النهج.

(٦) في (أ)، لا يتم. وفي (ب): لم يتم، وما أثبت من (ب).

(أَمْ كَانُوا شُرَكَاءَ لَهُ، فَلَهُمْ أَنْ يَقُولُوا، وَعَلَيْهِ أَنْ يَرْضَى^(١)) : يريد أو شاركوه في الإلهية ومعرفة المصلحة، فلم أن يقولوا من جهة أنفسهم لما عرفوا المصلحة، وعليه أن يرضى بأقوالهم لما كان كأحدهم؟

(أَمْ أَنْزَلَ اللَّهُ دِينًا تَامًا فَقَصَرَ الرَّسُولُ [صلى الله عليه وآله] ^(٢) عَنْ بَلِيغِهِ وَأَدَانَهُ؟) : فلا جل هذا استغنى بهم في إبلاغهم^(٣)، فإذا كانت الاحتمالات هذه لا وجه لها، ولا يمكن حصول واحد منها بطل الاختلاف في الدين، ولن يكون الحمل مستقيماً إلا على ما ذكرناه وتأولناه، ثم أورد آيات من القرآن مستدلّاً بها على عدم الاختلاف في القرآن، كقوله تعالى^(٤) : ﴿مَا مَرْطَبًا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٣٨] : ووجه الاستدلال بها أنا نقول : إذا كان القرآن مشتملاً على كل شيء في البيان فمُس أين يقع الخلاف؟

وقوله تعالى : ﴿تَبَيَّنَ لَكُلِّ شَيْءٍ﴾ [الحمل: ٨٩] وإذا كان موضحاً لجميع الأشياء استحال وقوع الخلاف فيه لأن الاختلاف أمانة الاضطراب والارتباك، وهو منقضى لكونه بياناً فيجب نفي الخلاف بدلالته.

وقوله تعالى^(٥) : ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَّهُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢] : ووجه الدلالة من هذه الآية هو أن طاهرها يؤذن بأنه لو كان من جهة غير الله لكان فيه الاختلاف، وقد تقرر

(١) زيادة في النهج

(٢) في (ب) - إبلاغه

(٣) في شرح النهج : والله سبحانه يقول : ﴿مَا مَرْطَبًا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾ وفيه تبيان كل شيء

(٤) منه في شرح النهج : (وذكر أن الكتاب يصدق بعصا، وأنه لا اختلاف فيه، فقال سبحانه : ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَّهُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾

بالبرهان القاطع أنه من جهة الله تعالى فيجب بطلان الاختلاف فيه، وهذا هو مقصودنا، ويجب حمل ما ذكره (عليه السلام) في ذم الاختلاف على ما كان فيه مخالفة للأدلة القاطعة، فأما ما عدا ذلك [من] ^(١) وقوع الاختلاف في المسائل الاجتهادية فلا وجه للإنكار على ^(٢) الاختلاف فيها بحال، ما أوضحناه، من أنه (عليه السلام) قد خالف وخولف في المسائل الاجتهادية، ولم ينكر على الصحابة فيما حالفوه ولا أنكروا عليه، ولهذا قال : (اجتمع رأيي ورأي عمر على تحريم بيع أمهات الأولاد، وأنا الآن أرى بيعهن) ^(٣) من غير تكير لأحدهما على الآخر، وهكذا القول في سائر الصحابة، فإن الاجتهاد فيهم مشتهر من غير تكير ولا مخالفة، وتقرير قاعدة القياس، والرد على منكبيه، قد ذكرناه ونصرناه في الكتب الأصولية، وأوردنا مقاتلتهم في ذلك.

(وإن القرآن ظاهره^(٤) أنيق) : الأنيق : المعجب، يقال : أنق الشيء : بأنق أنقاً، إذا أعجب، وإنما كان ظاهره^(٥) معجباً لما فيه من الدلالة على الأسرار الدقيقة، والمعاني المعجبة، التي لا تزال غضة طرية على وجه الدهر باستتباط العلماء، وأهل الفطنة في كل زمان.

(وباطنه عميق) : بئر عميق إذا كان قعرها بعيداً، ومراده أن كس

(١) سقط من (أ)

(٢) في (أ) - في.

(٣) انظر الرواية ومناقشة ذلك في كتاب أصول الأحكام للإمام أحمد بن سليمان (رحمته الله)، انظر ذلك في كتاب البيوع، وكتاب أصول الأحكام تحت الطبع بتحقيق الأستاذ عبد الله بن حمود العري.

(٤) في (أ) : طاهره وفي (ب) كما أثبت.

(٥) في (أ) : طاهره، وما أثبت من (ب).

ما يستخرج من بواطن القرآن وأسراره فإنه بعيد غوره لا يستخرج إلا بالقرائح الذكية والفطن الألمعية.

(لا نفى عجائبه): فني الشيء إذا عدم وذهب، أي لا تزول عجائبه.

(ولا تنقضي غرائبه): تنقضي الشيء إذا زال، فغرائبه لا راول لها بحال.

(ولا تكشف الظلمات إلا به): كما يستعار النور للدلالة والحجة فقد تستعار الظلمة للجهل والبدعة، ومراده أن كل مجهول من الأحكام التي نصمها لا ينكشف عماه إلا بوساطته، ولا يرفع حجابها إلا بدلالته.

(١٩) ومن كلام له عليه السلام قاله للأشعث بن قيس^(١)، وهو على منبر الكوفة يخطب

فمضى في بعض كلامه شيء اعترضه الأشعث [فيه^(٢)] فقال له: يا أمير المؤمنين، هذه عليك لا لك. فخفض بصره إليه: أي قبضه من التطلع إليه تصغيراً من قدره وحقارة له، ثم قال له:

(وما يدريك ما عليّ مالي): أراد أن قوله: هذه عليك لا لك، إنما هو كلام من يميز بين الأمور ويتفطن لها ببصيرة نافذة، وبعض على العلم يضرس قاطع، فأما من هو معدود في الأغمار وفي اختلالات^(٣) أهل الجهل، دائم السقوط والعتار.

(عليك لعنة الله ولعنة الالعينين): اللعن هو: الطرد والإبعاد

(١) هو الأشعث بن قيس بن معدني كرب، الكسبي، أبو محمد، أمير كندة، التوفي سنة ٨٤١هـ، قال في (أعيان الشيعة): أعدان على قتل أمير المؤمنين، وكتاب معاوية في خلافة الحسن وابنه جعدة سميت الحسن، وابنه محمد أعدان على قتل مسلم وهانئ، وحضر قتل الحسين مع ابن سعد، (يد لنا من مناقبه)، وقال ابن أبي الحديد في شيوخ النهج: وكان الأشعث من المنافقين في خلافة علي (عليه السلام)، وهو في أصحاب أمير المؤمنين (عليه السلام)، كما كان عبد الله بن أبي بن سلول في أصحاب رسول الله ﷺ كل واحد منهما رأس النفاق في زمانه (انظر معجم رجال الاعتقار ص ٥٢، وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢٩٧/١).

(٢) زيادة في شرح النهج

(٣) في (أ): وفي حيالات الجهل، وفي (ب) كما أثبت

عن رحمة الله، والبعة هي الاسم، والمصدر منه اللعن، كما قال تعالى في الاسم: ﴿وَإِنْ عَلَيْكَ اللَّعْنَةُ﴾ [سجدة: ٢٥٠] وقال في المصدر: ﴿وَاللَّعْنَةُ لَنَا كَثِيرًا﴾ [الأحراب: ٦٨] إنما أنت.

(حائك ابن حائك) - أرد بالحائك هاهنا التمام الذي يحمل الكلام بين الخلق لإدخال البغضاء

(منافق ابن كافر^(١)): يريد أنك تظهر الإسلام من لسانيك، وبطنتك مشتمل على خلافه، وأنت أيضاً كاذب لنعمة الله تعالى بما يظهر منه من المخالفة في الدين، أو أراد أنه كافر حقيقة لاحتمال الردة في حاله

(والله لقد أسرك الإسلام مرة والكفر أخرى^(٢)): يريد أنه قد أسر في الكفر مرة وفي الإسلام مرة أخرى، وأخذك الكفار والمسلمون إلى أيديهم، وكنت فينا لهم وطعمة لرماحهم.

(فما فداك^(٣) من واحد منهما مالك ولا حسبك): يريد أنه بعد ما أسره ما استخلصه من أيديهم مال فيطمع فيه، ولا حسب فيهاب ويخاف سطوته؛ لأن الأسير في العادة إنما يطلق لأحد [هذين]^(٤) الأمرين، وما فيك واحد منهما، وما أطلقت بعد الأسر إلا متاً عليك بجز النصية، إذ لا يرجى منك^(٥) واحد منهما.

(وإن امرأ دل على قومه السيف): يعني أعان عليهم فتك الأعداء،

(١) في شرح النهج: والله لقد أسرك الكفر مرة والإسلام أخرى

(٢) في النهج وفي (ب). ما فداك، كما أثبت، وفي (أ): فما دالك.

(٣) سقط من (أ)

(٤) قوله: منك سقط من (ب)

بأن دلهم حتى قتلوهم بالسيف^(١)

(وساق إليهم الحصف): الخفف: الموت، وأرد بما ذكره [في ذلك]^(٢) حديثاً كان للأشعث مع خالد بن الوليد غرّ فيه قومه، حتى أوقع يوم اليمامة فيهم خالد وقعة عظيمة، وحدهم، ومكر بهم^(٣).

(خليفة^(٤) أن يفتقه الأقرب): فلان خليفة بكذا إذا كان حقيقاً به.

وفي نسخة أخرى: (خري) والخري بالشيء هو الأحق به، والمقت: البفض، فيفضه القريب بخدعه^(٥) ومكره.

(ولا يأمنه الأبعد): لإساءته إلى قريبه.

سؤال: لم أضف المقت إلى الأقرب، وأضف عدم الأمان إلى الأبعد، ولم يعكس الأمر في ذلك؟

جوابه: هو أن الغصص أمر خاص، وهو إنما يكون لمن تعرف خلائقه في الرداءة فلماذا خصه بالقريب، وأما الأمان فهو أعمام، وقد يكون حاصلًا في حق من لا يعرف حاله، فلماذا خصه بالأبعد.

(١) نص العدة من أولها في (أ): يعني أعان عليهم الأعداء بأن دلهم بملزمهم بالسيف، وبها تحريف، والصواب ما أثبت من (ب)

(٢) سقط من (ب)

(٣) حديث الذي ذكره المؤلف (ص ١١٠) ما للأشعث بن قيس مع خالد بن الوليد يوم اليمامة، ذكره لشريف الرضي في نهج البلاغة، وهناك رواية أخرى في ذلك انظرها في شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢٩٤-٢٩٦، وشرح نهج البلاغة بشرح الشيخ محمد عبده رحمه الله ص ١١٢، طعة دار البلاغة - بيروت - لبنان - الطبعة الثانية ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م

(٤) في شرح النهج: خري

(٥) في (ب). لخدعه

إن هذه الكلمة أعني قوله: وقريب ما يطرح الحجاب، مع اختصاصها بالجزالة في اللفظ، والبلاغة في المعنى لبالة في الموعظة والزجر كل غاية، و(ما) إما زائدة، وإما مصدرية.

(ولقد بصرتم): بما نصب لكم من الأدلة، وتخويف الرس من عقاب الله باقتحام محارمه.

(إن أبصرتم): إن كان لكم من أنفسكم زاجر.

(واسمعتم): الوعيدات كلها، والقوارع العظيمة.

(إن سمعتم): إن أصغيتم آذانكم بها، ونجعت فيكم

(وهديتكم): بنصب الأدلة وإيضاح الحجج، وبما ركب في عقولكم من احتساب ما يردي، وحسن اتناع ما ينحي.

(إن اهتديتكم): إن ظهر لكم^(١) على أنفسكم الهداية بتأدية الواجب عليكم، والانكفاف عن المحرمات

(الحق أقول لكم^(٢)): أطلق بالحق الذي لاوصم^(٣) به، وبالجدة الذي لا هزل يتطرق إليه، ويحتمل أن يكون قسماً بصدق قوله، ولهذا جاء جوابه باللام^(٤).

(لقد جاهر بكم العبر): يريد أعلنت، من قولك: جهر برجل بكلامه

(١) سقط من (ب)

(٢) في شرح النهج: وبحق أقول لكم.

(٣) في (ب): لاوصم

(٤) في (أ): بالامر، وهو تعريف.

(٢٠) ومن خطبة له عليه السلام

(فإنكم لو قد^(١) عاينتكم ما قد عاين من مات منكم): المعاينة من رؤية العين، كالمناصرة من البصرة^(٢)، أراد أنكم لو شاهدتم ما شهدته الأموات من رؤية الملائكة، وهول الموت، وتحقق الأحوال كلها، والتحفظ على الأعمال.

(لحزعتكم): لقل صبركم عن احتمالها.

(ووهنتكم^(٣)): الوه: الفرغ، وفرعتكم مما ترون من شدة الأحوال.

(وسمعتم وأطعتم): أحبتم إلى تحصيل الواجبات، وترك المحرمات بالسمع والطاعة لشاهدة الأمور العظيمة الموجبة للإحياء، وفي ذلك بطلان التكليف.

(ولكن محجوب عنكم ما عاينوا^(٤)): من الأحوال لما يريد الله من بقاء التكليف عليكم، ولمصلحة استأثر الله بعلمها، والإحاطة بها.

(وقريب ما يطرح احجاب): بهجوم^(٥) الموت، ومعاينة ما عاينوا، ثم

(١) قد، زيادة في (ب) وشرح النهج

(٢) في (أ): البصر، وما أثنه من (ب)

(٣) في شرح النهج: ووهنتكم

(٤) في النهج: ما قد عاينوا.

(٥) في (أ): بهجوم من، وفي (ب) ما أثنه

إذا أعلنه، أو أبدأب لكم حالها من قولهم: جاهر بالعداوة إذا أنداها فهي معلنة أمرها لهم^(١)، مبدية أحوالها في الوعظ والتذكير.

(وزجرتم): منعتهم عن رنكاب المحارم

(بما فيه مزهجر): بما فيه نهاية الازدجار، وغاية الاتعاظ من الموارد والتخويفات على ألسنة الرسل والعلماء.

(وما يبلغ عن الله بعد رسل^(٢) السماء إلا البشر): أراد أنه لا يبلغ عن الله تعالى ما فيه مصالح لعباد إلا الملائكة أو الرسل^(٣)، فأما الملائكة فهم مخصوصون بإبلاغ ذلك إلى الأنبياء، والأنبياء يبلغونه إلى الخلق فهم مبلغون عن الله تعالى بواسطة الملائكة، فلهذا قال: لا يبلغ عن الله بعد رسل السماء إلا لشر، وهو يشير إلى نفسه أيضاً فإنه مُبَلِّغ عن رسول الله ﷺ، ما حمل من هذه المواعظ.

(٢١) ومن خطبة له عليه السلام

(فإن الغاية أمامكم): العابة هي، منقطع الشيء وحده، وأراد بذلك الجنة والنار، فإنهما الغايتان لكل مخلوق، فإن مصيره لا محالة إما^(١) إلى جنة وإما إلى نار، كما ورد عن الرسول ﷺ: «وما بعد الدنيا من دار إلا الجنة أو النار»، وهما أمام لكل واحد^(٢) بأمرهما^(٣).

(وإن وراءكم الساعة): أراد أن الجنة والنار فائدتان لكم بالأزمة، وأن الساعة سائقة لكم من ورائكم

(تحذوكم): مأخوذ من حدو الإبل وهو سرقها، وقد حدوث الإبل أحذوها حدوا إذا سقتها، ويقال: لريح^(٤) الشمال حدوء؛ لأنها تحذو السحاب أي تسوقه، فمن كان مقوداً بزمامه، مسوقاً من خلفه فخلق بأن يكون مسرعاً به، واصلاً إلى غايته.

(تحففوا تلحقوا): معناه: ليكن همكم التخفف من الأوزار،

(١) سقط من (أ).

(٢) في (أ). (ع)

(٣) في (ب). أحد

(٤) أورده في موسوعة أطراف الحديث النبوي ٨١/٩، وعراه إلى السر المنتور للسيوطي ٢٢٢/٦.

وتفسير القرطبي ١٠٦/١٨

(٥) في (أ): الريح

(١) سقط من (أ)

(٢) في نسخة: بعد رسول الله إمامش في (ب).

(٣) في (ب). والرسول

وطرح أثقال الدنيا تلحقوا بأهل النجاة، فإن الناجي من سبق، وإن الهالك من تأخر.

(فإنما ستظر بأولكم آخركم): يريد أن من سبق فهو في مهلة الانتظار لمن تأخر عنه حتى يكمل الكل، فلينظر الناظر ما اشتملت عليه هذه لخطبة من الكلام الذي^(١) قصرت أطرافه، وطالت به بلاغته، وقلت كلماته، وكثرت معانيه، وعظمت فصاحته، حتى مال راجحاً بكل كلام، وصدر إماماً به وأي إمام^(٢).

(٢٢) ومن خطبة له عليه السلام يذكر فيها أصحاب الجمل

(ألا وإن الشيطان قد ذمر حزبه): ذمر أي حث أعوانه واستلحقهم.
(واستجلب خيله^(١)): أي طلب الإجلال بها والانتصار، وما قصده بذلك إلا

(ليعود). ليرجع.

(الجور): الظلم، ونما سمي جوراً: لأنه يعدل به عن طريق العدل والإنصاف.

(إلى أوطانه): إلى أماكنه التي يستوطنها، ويجعلها مقاماً له.

(ويرجع الباطل إلى نصابه): النصاب هو: الأصل، يريد ليعود إلى أصله ومستمره من الإغواء والدعاء إلى الصلابة.

(والله ما أنكروا عليّ منكراً): أي ما وجدوا منكراً فيكروته، وما غرضهم إلا البغي والصد عن الدين.

(ولا جعلوا بيني وبينهم نصفاً): النصف بكسر الفاء هو الاسم من الانتصاف، والمصدر هو الإصاف، أي ما أرادوا الانتصاف من نفوسهم فيقصدون أخذ الحق وإعطاءه.

(١) في شرح النهج: جليه.

(١) سقط من (أ)

(٢) قوله: وأي إمام، هو في (أ) كلمات غير واضحة، رسمها الناسج هكذا: وأي اصمعارف، ولها غموض كما يرى، وما أنه من (ب)

(وإنهم ليطلبون حقاً): وهو المطالبة [لقتلة] ^(١) عثمان بدمه ^(٢):

(هم تركوه): تصيحاً لحقه، وإمهالاً لما يلزم من الذب عنه.

(ودمأ هم سفكوه): يعتلون عبيّ بدم عثمان، وهم على الحقيقة سفكوه بالخذلان له، والتأليب ^(٣) عليه، وهو يحاطب بذلك طلحة والزبير، لأنهما تأخرا عن نصرته عند حصره وألبا عليه.

(فلئن كنت شريكهم فيه): أراد إن كنت قد ^(٤) شاركهم في قتله وكان رأيي معهم في ذلك.

(فإن لهم لصيبهم منه): فنحن شركاء في ذلك، فما بالهم يضيفون قتله إليّ على انفرادي، وهم قد شاركوني فيه.

(وإن ^(٥) كانوا ولوه دوني؛ فما السعة إلا عندهم): وإن كانوا استندوا هم بقتله والدعاء إلى ذلك والتجميع [عليه] ^(٦) فما السعة من الإثم وسائر التبعات في القتل إلا مستقره عندهم دوني، وعلى كلا الحالين فلم ينصفوا من نفوسهم الحق في ذلك، ولا أدلوا بحجة فاطمة يعذرون فيها، ولا قصدوا بذلك إلا أنهم

(يرتضعون أما قد فطمت): الأم إذا فطمت ولدها تقلص ما في ثديها من اللبن وزال، وأراد بذلك أنهم يجعلون قتل عثمان وطلب ثأره بزعيمهم

(١) سقط من (أ).

(٢) في (ب). مهم.

(٣) في (ب): والتألب.

(٤) قوله: قد سقط من (أ).

(٥) في النهج: وثن.

(٦) سقط من (أ).

وصلة وذريعة إلى ما لا يصلون إليه أبداً، وطلب ارتضاع الأم بعد قظامها، جعله استعارة لاستحالة ما طلبوه من ذلك.

(ويحيون بدعة قد أميتت): أراد بإحياء البدعة الميتة هو أن أهل الجاهلية كانوا يأخذون البريء بذنب المجرم، فمطالنتهم لي بدم عثمان إحياء لهذه ^(١) البدعة وقد أماتها الله تعالى، وأزال آثارها بالإسلام.

(وإن أعظم حججهم ^(٢)): فيما يأتون به، ويدلون من أباطيلهم.

(لعل أنفسهم): يريدون بها الانتصار، وهي في الحقيقة نصرة عليهم؛ لأن الحجة التي يأتي بها المحتج تقريراً لمذهبه وإثباتاً له، ثم تكون حجة عليه فهذا هو الغاية في إدحاضه، وإبطال رونقه، وإدهاب جماله.

(يا خيبة الداعي!): خاب الرجل إذا لم يبل مطلوبه، والخيبة المصدر، ونارة تكون مرفوعة على الابتداء كقولك: خيبة لزيد، ونارة تكون منصوبة على المصدرية ^(٣)، متصلاً بها حرف النداء كقولك: يا خيبة زيد، ويا خيبة الداعي، والمنادى محذوف، أي يا قومي، كقوله تعالى: **يَا بَنِي إِسْرَءِيلَ** ^(٤) عَلَى الْعِمَادِ [بر ٣٠] وغير مصدر كقولك: خيبة لزيد، كقولهم: صدعاً له وعقراً.

قال الكسائي: ويقال: وقعوا في وادٍ يُخَيَّب بضم الياء والخاء المعجمة أي في الباطل ^(٥)، وأراد بالداعي معاوية وأهل الشام

(١) في (أ): أحياء هذه.

(٢) في شرح النهج: حججهم.

(٣) في (ب) المصدر.

(٤) في لسان العرب ٩٢٦/١: وقع في وادٍ يُخَيَّب على نُفْعَل بضم التاء والهاء وكسر العين غير مصروف، وهو الباطل.

مصرف، وهو الباطل.

(من دعا): من الأجلاف وأهل الغباوة الذين لا بصيرة^(١) لهم.

(والى ما^(٢) أجيب!): من البدع والضلالات، وإقامة عمود الفتنة، ومن وما استفهام وارد^(٣) على جهة التعجب، ومن في موضع نصب بدعا، وما في موضع جر بالحرف قبلها.

(واني لراض^(٤) بحجة الله عليهم) سرهته الذي احتج به عليهم. حيث قال: ﴿اقْتُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾ [سجدة ١] ولا تقوى ولا إصلاح مع البغي والفساد

(وعلمه فيهم): أراد حكمه، حيث قال: ﴿وَإِنَّ طَائِفَتَيْنِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ إِتَّخَذُوا مَصَلِحُو بَيْنَهُمَا﴾ [مجادل ٤] فإن أعطيت هذين الأمرين قتلتهما، لما يكون فيهما من المصلحة.

(فإن أبوا): أي^(٥) كرهوا ما قلته، وحالفوا أمر الله في ذلك.

(أعطيتهم حدة السيف): حدة السيف: شبته^(٦)، وحدة الرجل: بأسه، يقول: ملهم عدي بعد الإذبار عما قلته إلا القتل بالسيف^(٧)، وهو من الكنايات الرفيعة.

(١) في (أ): لا نصرة، وما أثبت من (ب)

(٢) في الهج والام

(٣) في (أ): وأراد

(٤) في (أ): الراضي، وما أثبت من (ب) ومن شرح الهج

(٥) قوله: أي زيادة في (ب)

(٦) في (ب): شبته، وشبته كل شيء: حد طرفه، والجمع الشبا والشوات. (مختار الصحاح ص ٣٢٨).

(٧) في (ب): عما قلته إلا حد السيف يقتل بالسيف.

(وكفى به شافياً من الباطل): لما فيه من هدم مناره.

(وناصراً للحق): لما فيه [من]^(١) إشادة معاملة.

(ومن العجب بعثهم^(٢)) إلى أن أبرز للطعان!): من هاهنا دالة على التبعيض، والمعنى أن بعض ما ينجب منه ويكثر منه العجب أنهم أرسلوا [الرسول]^(٣)، والبعث: الإرسال، قال الله تعالى: ﴿فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيَّ﴾ [البرق ١١٣] أي أرسلهم أن أبرز للرماح للطن

(وإن اصبر للجلاء): وأن أكره نفسي على الصبر لجلاء السيوف، والمجالد: هي المصارعة بالسيف، يقال: احتلد القوم وتحالدوا، إذا فعلوا ذلك.

(هبلتهم الهول): الهول [جمع هل و]^(٤) هي: المرأة التي لا يعيش لها ولد، وهبته أمه إذا ثكلته، وهذا وارد على جهة الدعاء عليهم، أي ثكلتهم أمهاتهم، ويحتمل أن يكون الهول من أسماء الداهية، وهبلتهم الهول^(٥) أي ركبهم الداهية [من قولهم]^(٦): هبله^(٧) اللحم إذا ركه وعظم فيه.

(لقد كنت): يحتمل في كان أن تكون هي الناقصة، ويكون معناه: لقد

(١) سقط من (أ)

(٢) في شرح الهج: بعثهم

(٣) زيادة في (ب)

(٤) سقط من (أ)

(٥) في (أ): هبلتهم الهول وهو تصحيحه

(٦) سقط من (ب).

(٧) في (أ): هبله، وهو تصحيح، وانظر لسان العرب ٧١٥/٣

كنت على ما أنا عليه من الشدة والبسالة، ويحتمل أن تكون هي التامة، ويكون معاهها: لقد وجدت وحصنت^(١).

(وما أهدد بالحرب): لشدة ممارستي لها وولوعي بها

(وما أرتب^(٢) بالضرب): بالصوارم؛ لكثرة^(٣) اشتياقي إلى الموت، فقد قال في كلام قد شرحه من قبل: إنه^(٤) أنس به^(٥) من الصبي بشدي أمه.

(واني لعلى يقين من ربي): فأنا مشتاق إلى لقائه.

(وفي غير شبهة من ديني): فأحب الانتقال إليه

(١) في (ب): ولقد حصنت.

(٢) في شرح النهج: ولا أرتب، وكذا في نسخة ذكره في هامش (ب).

(٣) في (ب): لشدة

(٤) في (أ): إن، وفي (ب) كما أنه.

(٥) في (ب): الموت.

(٢٣) ومن خطبة له عليه السلام، يحض فيها على صلاة الرحم

(أما بعد؛ فإن الأمر ينزل^(١) من السماء إلى الأرض): أما بعد كلمة يستعملها المصحاء في الخطب والرسائل، وبعد فيها تستعمل مصافة، كقولك: أما بعد حمد الله، ومقطوعة عن الإضافة كقولك: أما بعد فإن الأمر كذا، والأمر في قوله (ع) إن الأمر ينزل^(٢) من السماء، فإنه عبارة عن التقدير والقضاء، ونفوذ الحكم والإمضاء من جميع الكائنات^(٣) في العالم كله، فإنه ينزل من أسماء على حسب المصلحة، كما قال تعالى: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُرْعَوْنَ﴾ [الدرياب: ٢٢].

(كقطر المطر): المطر: جمع قطرة كتمر وتمر، وإنما شبهه بالقطر لما فيه من الكثرة، وتراكم العدد وانتشاره.

(إلى كل نفس ما قدر لها^(٤)): المراد يصل إلى كل نفس ما قدر بها، وسبق به العلم في الأزل.

(من زيادة): في أجل أو رزق أو جسم أو غير ذلك مما يكون مصلحة.

(١) في (أ): ينزل، وفي (ب) كما أنه، وكذا في شرح النهج.

(٢) في (أ): ينزل.

(٣) في (أ): الكائنات وما أنبته من (ب) فهو الصحيح

(٤) في شرح النهج: إلى كل نفس بما قسم لها

(أو نقصان): من هذه الأمور كلها، فإن كل شيء عنده بمقدار معلوم، وأمر مقدر محتوم: «وَكُلُّ شَيْءٍ لَّحِيشَةٍ بِي إِثَامٍ مُّحِبٍّ» (س ١٠٢).

(فإذا^(١)) رأى أحدكم لأخيه غفيرة: الغفيرة: الزيادة والكثرة، والرؤية هاهنا يحتمل أن تكون من رؤية العين، ويحتمل أن تكون من رؤية العلم

(في أهل أو مال أو نفس^(٢)) فلا يكون^(٣) له فتنة: أراد أن لواحد إذا رأى غيره زيادة في النفس بكثرة لأولاد، والريادة في الأجسام^(٤) أيضاً بأن تكون كملة عظيمة، أو زيادة في الأهل بكثرة العشائر والتكثر بالأصهار وسائر القربات، أو زيادة في الأموال: لعقارات، والدور، والحيوانات، وغير ذلك من الأموال، فلا يكون^(٥) الضمير للأخ فتنة بأن يحسده على ما أوتي، فإن شغله بذلك شغل بما لا فائدة فيه، ولا ثمرة له، مع ما فيه من الوعيد والتعرض للأثمة من جهة الله تعالى، وذلك يكون على وجهين:

أحدهما: أن يريد وصول تلك النعم بعينها إلى نفسه، وهذا هو الحسد بعينه، فيريد وصولها إليه وزوالها من أخيه، وقد ورد ذم الحسد في كتاب الله تعالى، وعلى لسان رسوله صلى الله عليه وآله، كقوله صلى الله عليه وآله: «ما دثان ضارين في زريبة أحدكم بأسرع من الحسد في حسنات المؤمن»، وهو منموم على كل حال.

(١) في شرح النهج، فإن

(٢) في (ب): في مال أو أهل أو نفس

(٣) في (ب): فلا يكون، وفي شرح النهج: فلا تكون

(٤) في (ب): بالأجسام.

(٥) في (ب): فلا يكون.

وثانيهما: أن يريد مثل ما لأخيه ولا يريد زوالها منه، فهذه هي الغبطة وليست حسداً، ومنه قولهم: اللُّهُمَّ، غَبْطاً ولا هَبْطاً، أي نسألك الغبطة، ونعوذ بك أن نهبط عن حالتنا^(١)، وهي محمودة.

(فإن المرء المسلم): السالم في إيمانه عما يشونه^(٢).

(ما لم يغش دناءة): ما شرطية، وغشي الشيء إذا تلبس به واختلط، ومنه قولهم: غشيهم الليل، وقد دأ الرجل دناءة ودبوة أي سقط في فعله، والدنيئة: القبصة، ورجل دنيء إذا كان سافلاً خبيثاً، ومعناه تعشاها، أي يتلبس بها ونكون فعلاً^(٣).

(تظهر): تكون مكشوفة، من ظهر لشيء إذا كان مكشوفاً.

(فيخشع لها إذا ذكرت): الخشوع: هو الذل والخصوع من أحلها إذا ذكرها ذاكر، يريد بذلك بقصه، وهو بالخاء المعجمة، ورويته بالجيم تصحيف لا معنى له: «تَشَعُّعٌ» هو: الحرص، ولا وجه له هاهنا.

(ويغزى بها): غزى بالشيء إذا ألصق^(٤) به، ومنه الغزى للإصاقه بما يعزى به.

(لنالم الناس): جمع لائم كقائم وقيام، وهم: سفلة الناس، ونازلوا الهمة منهم

(١) انظر مختار الصحاح ص ٤٦٨، وقوله ها: (ولا هبطاً، فيه، لا مبطاً)

(٢) في (أ): سوله، هكذا بدون تقييد، وما أثبت من (ب)

(٣) سقط من (أ)

(٤) في (ب): لصق به

(كان): هو جواب الشرط.

(كالغالب): الظافر الفائز بفلجه^(١).

(الياسر): اليسر، والياسر واحد، وهو: اللاعب بقداح اليسر.

(الذي ينتظر أول فورة من قداحه): انتظرت فلاناً إذا ترقبته ليأتي، وفاز فلان يقوز فوزاً إذا نجا، والفوز: الهلاك أبصاً، وهو من الأضداد، والفوز إنما يظهر من أحل القداح، ومن هاهنا لابتداء الغاية، مثلها في قوله تعالى: ﴿أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَأَمْتَهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾ [س: ٤١].

(توجب له المغنم): وهو النصب المسماة بهذا لقداح^(٢).

(ويرفع عنه بها المغرم): ويرول عنه ويحاوره بهذه القداح المانحة غرم الجرور الذي يحصل بالقدح الآخر.

سؤال: هذه مه (ع) إشارة إلى قداح اليسر، وأقلامه^(٣) والاستقسام بها، فلا بد من بيانه وصفته؟

جوابه: هو أن اليسر عبارة عن القمار وهو مصدر من يسره يسره، واشتقاقه من السر؛ لأنه أحد ما من الرجل يسر وسهوله، والأرلام: جمع زلم كصرد^(٤) وهو الواحد من القداح، وجمعتها عشرة: القد، والتوهم، والرقب، والنافس، والجلس، والمسبل^(٥)، والمعلّى، والمنيح، والسفيح،

(١) في (أ): بعنجه، وهو تحريف، والصواب كما أثبتته من (ب).

(٢) في (أ): لهذا القدح.

(٣) 'اقرأ أقلامهم' أجالوا أرقامهم (انظر أسس البلاغة ص: ٣٧٦).

(٤) في النسختين: كصردح، وهو خطأ. والصواب كما أثبتته.

(٥) في (أ): والمسبل، وهو تحريف.

والوغد^(١)، لكل واحد من هذه نصيب معلوم من جزور نتحرونها ويجزؤونها عشرة أجزاء، وقيل: ثمانية وعشرين إلا لثلاثة منها وهي:

المنيح، والسفيح، والوعد، فلفظ سهم، وللتوهم سهمان، وللقب ثلاثة، وللنافس^(٢) أربعة، وللجلس^(٣) خمسة، وللمسبل ستة، والمعلّى سبعة، يجعلونها في الرابطة^(٤)، وهي خريطة^(٥) ويضعونها على يدي عدل مهم ثم يخلخلها ويدخل يده، فتخرج باسم كل رجل منهم قدحاً، فمن خرج له قدح من ذوات^(٦) النصب المقدرة أخذه، ومن خرج له قدح م لا نصيب له لم يأخذ شيئاً، وعزم الحزور كلها بدفع قيمتها، وقوله (ع) لا نصيب له لم يوجب له المغنم، إشارة إلى القدح التي لها السهام المقدرة، وقوله: ويرفع عنه المغرم^(٧)، إشارة إلى القدح التي لا نصيب لها، وهي توجب المغرم وهو دفع قيمة الجزور.

(وكذلك): الإشارة إلى ما تقدم ذكره.

(المرء المسلم البريء من الخيانة): الخالص من الخيانة، وهو ما ذكره من الحسد لأخيه المسلم.

(١) انظر مختار الصحاح ص ٤٩٤، ولسان العرب ١٠٦٤/٤.

(٢) في (ب): ولدوين، وهو تحريف.

(٣) في (ب): ولجيس، وهو تحريف.

(٤) الرابطة: سُلْمَة - أي جلد رقيقة - يعصب بها على يد الرجل الذي تدفع إليه الأيسار للقدح.

(لسان العرب ١١٠١/١).

(٥) الخريطة بالفتح: وعاء من آدم وغيره تشرح على م فيها (مختار الصحاح ص ١٧٣).

(٦) في (أ): دون، وهو خطأ.

(٧) في (أ): الغرم.

(ينظر من الله^(١) إحدى الحسنين): يتقرب^(٢) إحدى الخصلتين
الحسين تثنية الحسنى، كالفضلين تثنية فضلى، يريد أنه يتقرب أحد
أمرين حسين من جهة الله تعالى:

(إما داعي): من جهة:

(الله^(٣)): وهو الموت، والانتمال إلى رحمة الله الواسعة

(فما عند الله خير وأبقى^(٤)): من الثواب العظيم والدرجات العالية
أفضل وأجل وأدوم وأكثر استمراراً.

(وإما رزق الله): وهو النفع الذي يأتي من جهته.

(فإذا هو ذو أهل): أولاد، وعشيرة.

(ومال): من العقارات، وأنواع الدخائر كلها.

(ومعه دينه): بترك^(٥) الحسد، والتلصص به

(وحسبه): أصله، لأن من كان له أصل شريف وحسب فاخر فإنه
يألف عن^(٦) الحسد والتصمخ برذائله.

(إن المال وابن حث الدنيا): متاع الدنيا وزينتها، كما قال تعالى:
﴿زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ﴾ [آدم ١٥] إلى آخر

(١) قوله: من الله، رده من شرح النهج

(٢) في (ب): يرقب

(٣) في شرح النهج: إما داعي الله

(٤) في شرح النهج: فما عند الله خير له.

(٥) في (أ): فترك، وما أئنه من (ب).

(٦) في (ب): من

جملهما^(١)، ثم قال بعد ذلك: ﴿مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [آدم ١٥].

(والعمل الصالح حث الآخرة): فيحصل منه الموز بالجنة ونجاة نفسه
من النار من حث الآخرة، ويحصل من حث الدنيا متاع أيام قلائل،
والناس مقيمون، فمنهم من يحث للدنيا، ومنهم من يحث للآخرة، كما
قال (عليه السلام): «إن للدنيا أبناء، وللآخرة أبناء، فكونوا من أبناء الآخرة».

(وقد يجمعهما الله لأقوام): فيعطيهما الدنيا وزينتها، ولا ينقصهم من
أجورهم في الآخرة، وكل ذلك مصححة استأثر الله تعالى بعلمها
والإحاطة بها.

(فاحذروا من الله): خافوه، وتحذروا عن مواقف سخطه،
وملابسة غضبه.

(ما حذركم من نفسه): الذي أبلغه^(٢) إليكم على ألسنة الرسل من
جهة نفسه، من لقيام بما أوجب وأمر، والكف عما نهى عنه^(٣) وحذر.

(واخشوه خشية ليست بنعذير): عذر في الأمر إذا كان مقصراً فيه،
ومرادها هنا أن يحافوا الله خوفاً لاتقصير فيه من جهتهم، ولا تهاون
بحاله، وترك التقصير فيه القيام بحقه

(واعملوا في غير رياء ولا سمعة): واعملوا^(٤) الأعمال الصالحة سراً

(١) في (ب): إلى آخرها

(٢) في (أ): أبلغ

(٣) سقط من (أ).

(٤) في (ب): وآتوا

بيكم وبين الله، ولا تظهروها على أعين الخلق طلباً للرياء، ولا تحدثوا بها بألستكم فتكون سمعة.

(فإنه من يعمل لغير الله) : وهو أن يقصد به الرياء والسمعة اللتين ذكرهما

(يَكَلِّه الله إلى من عمل له) : يجعل ثوابه إلى الناس الذين عمل من أحلهم، والمعنى يكن أمره إلى من لا يقدر على إعطائه الأجر.

(نسال^(١) الله منازل الشهداء) : التي أعدها الله تعالى لهم بما كان^(٢) من استشهدهم في سبيله وصبرهم على ذلك، فإن لهم منازل عند الله لا يستحقها إلا هم.

(ومعايشة السعداء) : المعايشة : مفاعلة من العيش، وهي غير مهموزة ؛ لأن الياء فيها أصبية، بخلاف رسائل، وإسعاد^(٣) المعيشة هو تيسيرها وتسهيلها، وهو المراد من قوله تعالى : ﴿وَمَنْ رَزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا﴾ [سج، ٧٥]

(ومرافقة الأنبياء) : فإن مرافقة من هذه^(٤) حاله حظوة عظيمة، ومنزلة رفيعة، أما في الدني فيهتدي بهديهم، وأما في الآخرة فالكون معهم في الجنة، وإنما خص الدعاء بهذه الأمور الثلاثة ؛ لأن من رزقه الله رزقاً هنيئاً في دنيه من غير كلفة بناله في طلبه، ورافق الأنبياء وكان معهم، ورفع الله

(١) في (ب) : نسال

(٢) في (ب) : لما قد كان...إيج

(٣) في (أ) : وسعد، وفي (ب) ما أثبت

(٤) في (ب) : هذا

في منزل الشهداء فقد حاز الخير بأسره في الدين والدنيا، وأحرزه بمخافته في الآخرة والأولى.

(أبها الناس، [إنه]^(١) لا يستغني الرجل وإن كان ذا مال) : لا يزعم جهلاً منه وطناً بخلاف^(٢) الصواب، وإن أحرز المال، وكان في سعة منه أن ذلك يغنيه

(عن عشيرته^(٣)) : أهله وبنو عمه لأقربون إليه، وإنما سموا عشيرة أخذاً من التعاشر، وهو : التخالط لاشتباك أنسابهم.

(ودفاعهم عنه بأيديهم والسنتهم) : أراد معهم له بالأيدي عمن أراد البطش به، وبما يكون من ألسنتهم من الدفع لمن أراد ثلم عرضه

(وهم أعظم الناس حيطة من ورائه) : حاطه حيطة وحياطة، إذا كلاه ورعاه، والحيطة مصافة إلى من، والمعنى في ذلك أن القراءة هم^(٤) أشد الناس رعاية وكلاسة لئس وراءه من الأولاد، وحفظ ما يتعلق به في حال الغيبة والموت ؛ لأن قوله : من ورائه يحتمل الأمرين جميعاً.

(والمهم لشعته) : وأجمعهم لما تفرق من ذلك، والشعث : انتشار الأمر وتفرقه، يقال : لم الله شعئك أي جمع أمرك المنتشر.

(واعطفهم عليه عند نازلة إن نزلت به) : العطف هو : الرجوع،

(١) سقط من (أ)

(٢) في (ب) : بخلافه

(٣) في (ب) : عشيرته

(٤) قوله : هم سقط من (أ)

من قولهم: عطقت الناقة على ولدها إذا رجعت لإرضاعه، والنازلة: الواحدة من شدائد الدهر، يقال: نزلت بهم نازلة، إذا أهمهم أمر عظيم، وأراد أنهم أرجع^(١) الناس لتفريج ما يرل عليه من الشدائد والأهوال لمكان الرحم ووشيج الفراة.

(ولسان الصدق يجعله الله للمصرء في الناس): لسان الصدق يحتمل أن يكون من باب إضافة الموصوف^(٢) إلى صفته نحو مسح الخامع على تأويل لسان القول الصدق، فيكون المعنى اللسان الصادق وهو الشاء الحسن والحمد ابعالي، وعرّ باللسان عما يوجد به كما عبر باليد عما يكون فعله باليد، وهي لعطية، كما قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا لَهْمَ لِسَانِ صَبْتِي عَلِيًّا﴾ [مريم: ٥٠]، وقوله: ﴿وَلَجَّلَ لِي لِسَانَ صَبْتِي فِي الْآخِرِينَ﴾ [نمر: ٨٤].

(خبر له من المال يورثه غيره): وإنما كان خيراً من المال لأموال ثلاثة:

أما أولاً: فلأن نفع المال عائد إلى غيره بعد موته، ونفع اثناء راجع إليه نفسه.

وأما ثانياً: فلأن المال يزول ويتغير، بخلاف الشاء فإنه لا يزول ولا يتغير، ويبقى على وجه الدهر.

وأما ثالثاً: فلأن لسان الصدق لشرفه جعله الله ميراثاً للأنبياء كما حكيناه، والمال لحقارته جعله الله ميراثاً للفراغة، فلا جرم كان ما قاله (عليه السلام) حقاً لا قرناً.

(١) في (ب): كتب فوقها: أرجى

(٢) في (أ): أن يكون بإصافه الموصوف إلخ، وفي (ب) كما أثبت

(ألا لا يعدلن أحدكم عن القرابة يرى بها الخصاصة): [الخصاص]^(١) والخصاصة: الفقر، قال الله تعالى: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَهْلِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [النسر: ٩] ومراده هو النهي عن العدول عن القرابة إذا رأى بهم خصاصة.

(أن يسدّها): أن يصلحها، من قولهم: سدّدت الثلمة إذا أصلحتها.

(بأنذي لا يريده إن أمسكه): بالمال أو بالنفع الذي لا يزيده غنى إن هو تركه لنفسه.

(ولا ينقصه إن أهلكه): ولا يؤثر في حاله بالنقصان، إذ ما نقص مال من صدقة، إن أهلكه بإعطائه إياهم.

(ومن يقبض يده عن عشيرته): ومن يقبض عطاءه ونعمته؛ لأن اليد عبارة عن النعمة، عن أناربه وأهل خاصته من أهله

(فإنما نقبض [منه]^(٢) عنهم يد واحدة): فحقيقة حاله أنه قبض يده لا غير وهي يد واحدة، وهم إذا قصوا أيديهم بالتأخر عن نصرته، وإعانتة على الأمور، ومرافدتهم له تقصوه وقلوه.

(وتقبض منهم^(٣) عنه أيد كثيرة): إذ هم آحاد وأشخاص عدة فلهذا كثرت أيديهم

(ومن تلن حاشيته): لبس الحاشية، جعلها (عليه السلام) كناية عن حسن

(١) سقط من (أ)

(٢) سقط من (أ)

(٣) قوله: منهم سقط من (أ).

الخلق ولين الجانب، كما جعلوا قولهم: فلان يقدم رجلاً ويؤخر أخرى، كناية عن تحيره.

(نستدرك^(١) من قومه المودة). لأنهم إذا ألقوه بخفض جناحه وسهولة أخلاقه دام الودد؛ لأن سببه لا يزال متجدداً، فلهذا وجب دوامه وبقاؤه، وما أحسن ما ضمّه هذه الخطبة من الحكم الوافية، وحشاه في ثنائها من المواعظ الشافية، وما يعقلها إلا العالمون

(٢٤) ومن خطبة له عليه السلام

(ولعمري ما عليّ من قتال من خالف الحق، وخابط الغي): العمر إذ كان مجرداً عن اللام جاز في عينه الفتح والضم. تقول: عمرك طويل، وعمرك طويل، فإذا أدخلت للام فليس فيها إلا الفتح، فلهذا تقول: لعمرك ولعمري، وهو متداً مخدوف الخبر أي لعمرك قسماً، ما عليّ من حرج في قتال من خالف الحق بفسق وتمرد، وخابط الغي بمجهل وضلالة، والخاط هو: الذي يسير على غير الجادة.

(من إدهان ولا إيهان): الإدهان هو: المصنعة، والإيهان هو: الضعف، وقوله: من إدهان ولا إيهان، بعد قوله: عسى من خالف الحق وخابط الغي من باب اللف والنشر في علم النبيع، والمعنى في ذلك ما عليّ من قتال من خالف الحق من إدهان أي مصنعة، ولا عليّ من خابط الغي من إيهان أي ضعف، فلف أولاً ثم نشر ثانياً بإلحاق كل واحد ما يليق به، أي لا يمنعني من^(٢) قتال محالفي الحق المصانعة له في ذلك، ولا يمنعني من قتال الخابط ضعفي عنه.

(فاتقوا الله عباد الله): فمن حق من كان متسماً^(٣) بسمة العبودية

(١) في (ب): عن

(٢) في (أ): مقسماً، وهو تحريف.

(١) في (ب) وفي شرح اسهح: يستدرك

أن يكون ملازماً لتقوى سيده ومولاه، ومراقبة أحواله في السر والجمهور.

(وفروا إلى الله): إلتجأوا إليه بالأعمال الصالحة.

(من الله): من عذابه وسخطه وأليم عقوبته.

(وامضوا): أي استمروا، من قولهم: فلان ماضى على طريقته، أي مستمراً عليها.

(في السبي نهجه^(١)): أي أوضحه وبينه، ونهج الطريق إذا بيّنها وأوضحها^(٢)

قال المصدي^(٣):

ولقد أضأ لك الطريق وأنهجته

سئل المسالك والهدى يغدى^(٤)

أي تعين وتقوي

(وقوموا): أي انهضوا، من قولهم: قام بالأمر إذا نهض به.

(١) في النهج في السبي نهجه لكم

(٢) (ب): إذا أوضحها وبينها

(٣) المصدي هو: يزيد بن خنّاق الشنّي المصدي من بني عبد القيس، شاعر جاهلي، كان معاصراً لعمر بن عبد العزيز (الأعلام ١٨٢/٨)

(٤) في (أ): بعدد، وهو نصحيح، والبيت ورد في أساس البلاغة ص: ٤٧٤، ونسبه إلى يزيد بن خنّاق الشنّي، قلت: وهو المصدي، وقوله: سئل المسالك، في أساس البلاغة: منه المسالك، والبيت أورده صاحب لسان العرب ٧٢٧/٣، ونسبه إلى يزيد بن خنّاق المصدي ورواياته.

ولقد أضأ لك الطريق وأنهجت سئل المسالك والهدى تعدي

(بما عصبه): أي ربطه من الأوامر والنواهي وأنواع التكاليف كلها.

(بكم): أي^(١) بنفوسكم وذواتكم.

(فعلين): أي المشهور بالصفات والسمات، لقائم بين أظهركم، مدعوكم إلى الله.

(ضامن): أي متكفل

(بفلاحكم^(٢)): فوزكم ونجائكم.

(أجلاً): في الآخرة بالثواب وإحراز المراتب العالية.

(إن لم نمننخوة عاجلاً): في الدنيا بالنصر على الأعداء، ونظفر بهم، والمنحة: العطية.

(١) قوله: أي سقط من (أ)

(٢) في شرح النهج: لفلاحكم، والمفح: هو العوز والظفر.

(٢٥) ومن خطبة له عليه السلام، وقد تواترت عليه الأخبار باستيلاء أصحاب معاوية على البلاد

وقدم عليه عامله^(١) على اليمن، وهما: عبيد الله بن العباس^(٢)، وسعيد بن غران^(٣)، لما غلب عليهما سر بن أرطاة^(٤)، فقدم^(٥) إلى المنبر

(١) في (أ): عاملان

(٢) هو: عبيد الله بن العباس بن عبد المطلب الهاشمي القرشي، أبو محمد (١٦-٨٨٧هـ)، ول: كان أصغر من أخيه عبدالله بسنة، وأبى النبي ﷺ، ولم يرو عنه شيئاً، واستعمله الإمام علي (عليه السلام) على اليمن، ففتح باليس سنة ٣٦هـ، وسنة ٣٧هـ، وكان على معدة الحسن بن علي (عليهما السلام) إلى معدية ومات باندية. وكان سحياً جواداً، يحر كل يوم حزوراً، من هو أول من وضع الموائد على الطريق، وله أخبار حسان في الجود، وفيه يقول أحد شعر: شربة

وأنت ريم لليتامى وعصمة إذا دخل من حو السماء تطعنا

(الأعلام ١٩٤/٢)

(٣) هو: سعيد بن غران البغدادي ثم الساعطي، المتوفى نحو سنة ٧٠هـ، تابعي، كان سيد همدان، شهد اليرموك، واستكتبه الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)، ثم صممه إلى عبد الله بن العباس حين ولأه اليمن. (نظر الأعلام ١٠٣/٣)

(٤) هو: سر بن أرطاة (أو ابن أبي أرطاة) العامري القرشي، المتوفى سنة ٨٦هـ، قائد قتال من حبارين، ولد بمكة قبل الهجرة، وكان من رجال معاوية بن أبي سفيان، وجهه معاوية سنة ٣٩هـ في ثلاثة آلاف إلى اندية فأحصمها، وإلى مكة فاحتلها، وإلى اليمن فدخلها، وكان معدية قد أمره بأن يوقع بين يواه من أصحاب علي فقتل منهم جمعا، وعاد إلى الشام فولاه معاوية البصرة ثم ليحمر، ثم أصيب في عقه فلم يزل معدية مقرباً له، مدنياً منزله وهو على تلك الحال إلى أن مات (الأعلام ٥١/٢).

قلت: وبسر هذا هو الذي دعا عليه أمير المؤمنين علي (عليه السلام) بعد بعث معدية ليرسل على حجاز واليمن، وفعل الأنابيل المنكرة، وقتل أبي عبيد الله بن العباس بن عبد المطلب فقم =

ضجراً بتناقل أصحابه عن الجهاد، ومخالفتهم له في الرأي، فقال:

(ما هي): الضمير للقصة^(١)، كقوله تعالى: ﴿لَئِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا﴾ [الأعام: ٢٩]، وقوله تعالى ﴿لَئِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا﴾ [الأعراف: ١٥٥]: وقد يرد مذكراً، ويؤيد به الأمر كقوله: ﴿لَئِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا﴾ [الأنعام: ٢٥] وقوله تعالى: ﴿لَئِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا﴾ [الأنعام: ٢٥] وهو ضمير يفسره^(٢) ما بعده، ويستعمل في الأمور التي عظم شأنها وفخم أمرها.

(إلا الكوفة): أي القصة^(٣) المعجبة، وهي ولاية الكوفة وأمرها.

(أقبضها وأبسطها): لا أمر لي في بلدة سواها بالقبض، والبسط، والحل، [والعقد]^(٤)، والإبرام، والنقض، فوضع انقضض والبسط فيها موضع اقهر والسلطنة لما كانا من فوائدهما

(إن لم تكوني^(٥) أنت): إن لم يكن شأنك وأمرك في نفسك

وعند لرحمن، وهما صبيان صغيران في قصة مشهورة، فدعا الإمام علي (عليه السلام) عليه من قوله: (اللهم، إن يسرا باع ديه بالدنيا، وانتكح محرمك، وكانت طاعة مخلوق فاجر أثر عنده مع عبدك، اللهم، جلا ثني حتى تسلب عقله، ولا توجب له رحمتك ولا ساعة من نهار، اللهم، احسن يسراً وعمراً ومعاوية، ويحل عليهم عصيك وتزل بهم نقتك، وليصمهم بأذنك ورجرك الذي لا تروى عن القوم المحرمين)، فلم يلبث يسراً بعد ذلك إلا يسيراً حتى وسوس وذهب عقله، فكان يهدي باليس، ويقول: «عطوني سبعا أقليل به، لا يزال يردد ذلك حتى أخذ له سيف من خشب، وكانوا يدسون منه الرقعة - أي وعاء الخبز - فلا يزال يصريها حتى يعشى عليه، فلبث كذلك إلى أن مات، (انظر شرح ابن أبي الحديد ١٨/٢)

(١) في (ب): لمصية

(٢) سقط من (أ)

(٣) في (ب): تفسيره.

(٤) في (ب): القضية.

(٥) سقط من (ب).

(٦) في شرح النهج: إن لم يكن إلا أنت

(تَهْبِثُ أَعْصَارُكَ): هبت الريح إذا هاجت، والأعاصير: جمع
إعصار، وهي ريح تثير الغبار، وترتفع [إلى السماء] ^(١) كالعمود. قال الله
تعالى: ﴿فَأَصْنَأْنَا إِيَّاهُ أَصْوَارًا فَتَرَى الْفَخْرَ فِيهِ تَافُوتًا﴾ [سجدة: ١٦٦] والمراد بذلك نهوض أهل
الكوفة في نصرته والإقبال إليه، والريح قد ترد عبارة عن النصر، كما قال
تعالى: ﴿وَرَتَّبْنَا رِيحَكُمْ﴾ [الأنعام: ٣] والمعنى في هذا إن لم يكن أمرك
وشأنك نصرتي وإعانتني.

(فَقَبْحُكَ اللَّهُ!): الفاء جواب الشرط في قوله: إن لم تكوني ^(٢) أنت،
وقبحه الله أي نحاه [الله] ^(٣) عن الخير، قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ ^(٤) هم من
الْمَقْبُوحِينَ [نفسه: ٤٢].

ثم تمثل بقول الشاعر:

(لَعَمْرُ أَتَيْتُ الْخَيْرَ يَا عَمْرُو إِنِّي عَلَى وَضْرٍ مِنْ ذَا الْأَلَاءِ) ^(٥) (قليل)

ولندكر إعرابه، وموضع الشاهد منه:

أما إعرابه: فالعمر مبتدأ، وهو مقسم به، وخبره محذوف وتقديره:
عمر أهلك فسمي، والمعنى: أقسم بعمر أهلك وبقائه.

والخير يحوز فيه الجزء صفة لأبيك أي صاحب الخير، والرفع على إحصاء

(١) سقط من (ب)

(٢) في (أ): إن لم يكن أنتي، وقوله: أنت، سقط من (ب).

(٣) سقط من (ب)

(٤) وردت الآية في النسخ هكذا: (وي الآخرة هم من المقبحين)، وهو وهم من النسخ،
وصواب الآية كما أنت.

(٥) في شرح النهج، من ذا الإباء.

متدأ، والتصب على المدح، كآله قال: أمدح صاحب الخير، إنني هو
جواب القسم.

والوضر بالضاد المعجمة: ما يجده الإنسان من الرائحة في يده من
طعام فاسد.

ذا: اسم إشارة.

الألاء: شجر خيث الرائحة والطعم، وهو محرور صفة لذا، وقليل
محرور صفة لوضر، ويروى: (من ذا الإباء)، وعلى هذا يكون ذا بمعنى
صاحب، أي من صاحب الإباء أي الوضر من صاحب الإباء، وهو عبارة
عما يوضع فيه.

وأما موضع الشاهد منه فإنما أورده مثلاً، على معنى أنه لم يبق معه
من ^(١) الولاية إلا أمر قليل فاسد ردي، ولهذا كسى عه بالوضر لقلته
ورداءته وفساده.

ثم قال [عليه السلام] ^(٢).

(أَبْنَيْتُ بَسْرًا قَدْ أَطْلَعَ عَلَى الْيَمَنِ) - أعلم بسرٍ مطلعاً على اليمن،
وأطلع افعل من قولهم: أطلعت على باطن أمره، قال الله تعالى:
﴿أَطْلَعَ النَّبِيُّ﴾ [بريق: ٧٨] ومراده إشرافه على اليمن بالقهر والاستيلاء.

(وَإِنِّي وَاللَّهِ لَا ظَنُّنَ أَنَّ هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ): معاوية وأصحابه من أهل الشام

(١) قوله: من سقط من (ب)

(٢) سقط من (أ)

(٣) أن: زيادة من النهج

(سيدالون منكم): الإدالة: الغلبة، أي يعلونكم و يقهرونكم، لما
أرى فيكم من التخاذل وفساد الآراء، وأدالنا الله من عدونا أي نصرنا
عليه، وما ذاك إلا.

(يا جماعهم^(١) على باطلهم): إتفاق كلمتهم على نصرة
الباطل الذي أتوه.

(وتفرقكم عن حقكم): وتشتت آرائكم عن الحق الذي دعيتم إليه.

(ومعصيتكم^(٢) إمامكم في الحق): وترككم طاعة إمامكم فيما
يأمركم به من إتيان الحق وفعله.

(وظاعتهم إمامهم في الباطل): وانقيادهم لما يأمرهم إمامهم من إتيان
الباطل وفعله.

(وبادانهم الأمانة): وبإبصاليهم الأمانة كل ما أئتمنهم عليه.

(إلى صاحبهم): من يقوم بأمرهم ويتولى تدبير حالهم.

(وخياننكم): لي في كل ما أمسكم عليه.

(وبصلاحهم في بلادهم): من ترك الغي والظلم، والاحتكام
لأمر صاحبهم.

(وفسادكم): بالبغي والتظالم، ومحافة أمري.

(١) في شرح النهج - بجماعهم

(٢) في شرح النهج: ومعصيتكم

(قلو التمنت أحدكم على قعب تخشيت أن يذهب بعلاقته): القعب:
إناء من خشب له علاقة، ومراده أن مصداق مقالتي فيما قلت من هذه
الصفات الذميمة أنني لو أئتمنت أحدكم على شيء حقير لم يؤده على
حاله، وخان فيه، وإعلاقة بالكسر هي: ما يحمل به القوس والقدح،
والعلاقة بالفتح هي: علاقة الحب وعلاقة الخصومة، فالأول هو اسم،
والثاني مصدر.

(اللهم، إني قد مللتهم وملوني، وسئمتهم وسئمونني، فأبدلني حيراً
منهم، وأبدلهم بي شراً مني^(١))

(اللهم): أصبه يا الله، لكن طرح حرف النداء، وعوضت الميم
المشددة منه.

(امت^(٢) قلوبهم): بفرقتها وتشتت أمرها.

(كما يماث الملح في الماء): ماث الملح يميته إذا فُتته، وأذهب أجزاءه.

(والله لو ددت^(٣)): تمنيت.

(أن يكون لي بكم): عوضكم وأنتم ألوف مؤلفة وعدد جم.

(ألف فارس): هذه العدة عوضاً عن تلك العدة.

(١) ما بين المقوفين سقط من (أ)، وهو في (ب) وشرح النهج

(٢) في (ب) وشرح النهج: اللهم مت قلوبهم

(٣) في شرح النهج وفي نسخة: ما والله

(من بني فراس بن غنم^(١)): قبيلة من قاتل العرب محتصون بالشجاعة وحمولة الفروسية، ثم تمثل؛

(هَذَاكَ لَوْ دَعَوْتَ أَتَاكَ بِهِمْ
فَوَاسٌ مِثْلُ أَرْمِيَةِ الْحَمِيمِ)^(٢)

ونذكر إعرابه، وموضع التمثيل:

أما إعرابه فاللام في هنالك للبعد كما في ذلك، والأرمية: جمع أرمي، وهو السحاب

والحميم: المطر الذي يأتي في شدة الحر، والمراد بالسحاب: سحاب الصيف، لأنه يكون أكثر ملائمة لما أراد من حيث كان أشد جفولاً^(٣)

(١) وهو فراس بن غنم بن مالك بن كنانة، حي مشهور بالشجاعة، منهم: علقمة بن فراس وهو جنيل الطعاب، ومنهم: ربيعة بن مكدم بن خثران بن جديمة بن علقمة بن فراس الشجاع المشهور. حامى الطغس حياً وميتاً، ولم يحرم الخريم وهو ميت أحد غيره. عُرض له فرسان من بني سليم ومعه طعنان من أهله يحميهم وحده، فطاعهم، فرماه نيشة بن حبيب بسهم أصاب قلبه فمضب رحمه في الأرض، واعتمد عليه وهو ثابت في سرجه ولم يزل ولم يزل، وأشار إلى الطعنان بالروح، فسرى حتى بلغ بيوت الحبي، وبنو سبم قسام إرانه، لا يعمرون عليه ويطلبونه حياً، حتى قال قاتل منهم: بني لا أراه إلا ميتاً، ولو كان حياً لتحرك، به وابته مائل راتب على هيئة واحدة لا يرفع يده، ولا يحرك رأسه فلم يقدم أحد منهم على لدنو منه حتى رموا فرسه بسهم فشب من تحته فوقع وهو ميت وفاتهم الطعنان. (شرح بهج البلاغة ١/٢٤١-٢٤٢)

(٢) البيت هو من أبيات أبي جندب الهذلي، أولها:

ألا يا أم ربيعة أقيمى

صدور العيس نحو بني تميم

(انظر شرح نهج البلاغة ١/٣٤٨)، والبيت الذي تمثل به أمير المؤمنين (عليه السلام) أورده صاحب لسان العرب ١/١٢٣٢

(٣) يقال: أجل النيم أي أقشع (انظر أساس البلاغة ص ٦١)

وأعظم حركة؛ لأنه لا ماء فيه فينقل به، لأن ذلك إنما يكون في أيام الشتاء والربيع.

وأما موضع التمثيل: فأراد وصفهم بالسرعة إذا دعوا والإغاثة إذا ستغيث بهم.

(٢٦) ومن خطبة له عليه السلام

(إن الله بعث محمداً صلى الله عليه وآله^(١)) : اصطفاؤه واختاره عما أيده^(٢) من المعجزات.

(تديراً للعالمين) : بما أبلعه من الوعيد.

(وأميناً على التنزيين) : فلا يكتم شيئاً منه، ولا يغيّره بتحريف ولا تدليل.

(وأنتم معشر العرب) : العشر : جماعة الس، والمعاشر هي : الجماعات، وانتصبه على الاحتصاص، أي أخص معشر العرب.

(على شر دين) : مقيمون على عادة الأوثان والأصنام، وهي شر الأديان لما فيها من تعظيم غير الله وعبادته.

(وفي شر دار) : لا ظلال يظلكم إلا كهوف الجبال وأوراق الشجر.

(مسيخون) : من قولهم : أنحت الحمل فاستاخ، أي أبركته فرك.

(بين حجارة خشن) : غلاط.

(١) في شرح الصحيح : صلى الله عليه، وفي (ب) ﷺ

(٢) في (ب) : لما أيده الله بالغ

(وحيات صم) : أي لا تسمع، يشير بذلك إلى أنهم أجلافة جفافة لا يسكنون إلا القفار، وموضع الوحش^(١) وأماكن الحشرات.

(تشربون الكدر) : المتغير من الأمواه.

(وأنأكلون الخشب) : الخشب بالجيم هو : الطعام الغليظ، وقيل : هو الذي لا إدام^(٢) معه، وسماعنأله بالجيم لاغير، ومنه الحديث : «أخشوشوا وأجشوشوا»^(٣)، من قولهم : طعام خشب بالياء إذا كان جرداً، وأجشوشوا بالجيم من الخشب، وهو نقيض اللين.

(وتسفكون دماءكم) : أورد إهراقها من غير حقها على غير وجهها

(وتقطعون أرحامكم) : لأن التواصل والتوادد^(٤) إنما يكون بالإيمان ولا إيمان هناك، وأراد بقطع الأرحام عدم التوارث إذ كان لاميراث هناك [بومئذ]^(٥).

(الأصنام فيكم منصوبة) : أراد الأحجار وغيرها مما لا حياة فيه ولا تميز له بين أظهركم منصوبة للعبادة من جهنكم.

(والأثام بكم معصوبة) : الأثام جمع إثم، وهو : الذنب، وأراد أن الذنوب ملتصقة بكم لتلسكم^(٦)، بها، لازمة لكم لروم العصابة.

(١) في (ب) : ومواقع الوحوش

(٢) في (ب) : لا أدم معه.

(٣) في (ب) : أجشوشوا وخشوشوا

(٤) في (ب) : والتوادد.

(٥) سقط من (ب)

(٦) في (أ) : لتلسكم، وما أنته من (ب)

(فطرب): ففكرت في أمري، وتدبرت عاقبة حالي في الحرب والإقدام عليها

(فإذا لبس لي معين إلا أهل بيتي): ناصراً إلا من يختص بي من ولادي وأقاربي وأرحامي

(فضننت بهم): من الصفة وهي: البخل، وهي بالضاد، وظننت من التهمة وهو بالظاء، ولا وجه له ها هنا

(عن الموت): عن أن أقاتل بهم فيقتلوا فتركت الحرب.

(وأغضيت على القذى): الإغضاء هو: إدناء الجفون على القذى وهو ما يؤذي العين، وهو كناية عن ترك الأمر على صعوبة ومشقة.

(وشربت على الشجا): الشجا: ما يعترض^(١) في الخلق من عود أو غيره؛ ومراده فشربت على مكابدة^(٢) الشجا في حقيقي

(وصبرت على أحد الكظم): يقال: أخذ بكظمه أي بمخرج نفسه.

(وعسى أمر من طعم العلقم): العلقم: شجر مر، ويقال أيضاً لسحنظل، ولكل ما أمر من الشجر: علقم

(ولم يبايع): يريد عمرو بن العاص حين بايع لمعاوية.

(حتى شرط): لا بشرط.

(أن يؤتية على البيعة ثناً قليلاً): من حطام الدنيا لا يدوم في يده ولا يبقى هو له.

(١) في (ب): ما يمرض

(٢) في (أ)، مكابدة

(هلا ظفرت يد المبايع، وخزيت أمانة المتناع): المبايع يحتمل أن يكون سم فاعل، وأن يكون اسم مفعول، وهكذا المتبايع^(١) فإنه صالح على لفظه بهما^(٢) جميعاً، وسياق الكلام وارد على وجهين.

أحدهما: أن يكون وارداً على جهة الدعاء^(٣)، والمعنى فلا أظفر الله يد كل واحد منهما؛ لأن المبايع مفاعلة فهي حاصلة منهما جميعاً، وأخرى الله أمانة كل واحد منهما أيضاً.

وثانيهما: أن يكون وارداً على جهة الإخبار، ويكون المعنى أن يد كل واحد منهما غير ظافرة مرادها، لما في ذلك من بيع الآخرة بالدنيا، وأن أمانة كل واحد منهما خازية؛ لما في ذلك من البغي والإعانة على الفسوق محالفتي^(٤) وشقاقي.

(فخذوا للحرب أهبتها): من السلاح والكراع

(وأعدوا لها عدتها): من الصبر والشجاعة، واحتمالات^(٥) المكاره.

(فقد شب لظاها^(٦)): حمى جمرها^(٧).

(وعلا ساهان واستشعروا الصبر، فإنه أدعى إلى النصر^(٨)): وارتفع

(١) في (ب): المتناع

(٢) في (أ): لهما، وفي (ب) كما أثبت

(٣) في (ب): على وجه

(٤) في (ب): محالفتي

(٥) في (ب): واحتمال

(٦) في (ب): فقد شبها لظي

(٧) في (أ): حتى جمرها، وهو تحريف، وما أثبت من (ب)

(٨) زيادة في (ب)، وفي شرح الهج.

ضوؤها، والنار تستعار للحرب، لما فيها من الشدة والتوقد، قال الله تعالى: ﴿حَكَّمْنَا أَوَّلَهُمْ نَارًا لِلْعَرْبِ أَطْمَأَنَّ اللَّهُ﴾ [البقرة: ٦٤].

وهذه الخطبة على تقارب أطرافها، قد اشتملت على فنون متفرقة وأنواع مختلفة، لا تناسب بينها، فبينا هو يتكلم في ذكر الرسول، إذ خرج إلى ذكر حال العرب قبل العثة، إذ خرج إلى ذكر ضيقه^(١) بأهله، إذ خرج إلى ذكر بيعه عمرو، إذ خرج إلى أهبة الحرب، وهذا كله يسمى الاستطراد، وهو في كلامه واقع كثيراً، وقد نبهنا عليه

(١) في (ب) منه.

(٢) سقط من (ب).

(٢٧) ومن خطبة له عليه السلام في ذكر الجهاد

(أما بعد، فإن الجهاد باب من أبواب الجنة): أراد أنه نوع من أنواع التكاليف الشرعية، بل هو أشرفها وأعلاها وأعظمها أجراً يستحق عليه الدخول من أبواب الجنة، فتجوز^(١) فيه بأن جعله باباً للجنة لما ذكرناه، كما قال (عليه السلام): «الجنة تحت أقدام الأمهات»^(٢) و«الجنة تحت ظلال السيوف»^(٣) إشارة إلى ما قلناه.

(ففتح الله لخاصة أوليائه): لأهل اقرب من محبة.

(وهو لباس التقوى): شعار الخائفين من الله.

(ودرع الله المحصية): الواقية لكل من لساها عن كل سوء،

(١) في (أ): فتحرر هكذا، وهو تحريف، وما أثبتته من (ب).

(٢) رواه القاضي العلامة علي بن حبيب القرشي رحمه الله في مسند شمس الأخبار ١٧٠/٢ في الباب (١٤١) وعزاه إلى مسند الشهاب، وله شاهد أخرجه الإمام المرشد بالله في الأمالي الخميس ١٢١/٢ بسنده يبلغ به إلى محمد بن طلحة بن معاوية السلمي، عن أبيه، قال: أثبت السي (عليه السلام)، قلت: يا رسول الله، إني أريد الجهاد في سبيل الله، قال: «أملك حية؟ قلت: نعم، فقال النبي (عليه السلام): «إلرم رجلها ثم الجنة»، والحديث بلفظ: «الجنة ياتوها أقدام الأمهات»، أورده في موسوعة أطراف الحديث ٥١٣/٤، وعزاه إلى المستدرک للحاكم النيسابوري ٧٠/٢، وكشف الخفاء ٤٠١/١، والمرر المنتثر ٦٨/ وعزاه إلى غيرها من المصادر.

(٣) رواه القرشي في مسند شمس الأخبار ١٤٨/٢ في الباب (١٣٦) وعزاه إلى مسند الشهاب، وهو في موسوعة أطراف الحديث ٥١٣/٢، وعزاه إلى مسلم في الجهاد ٢٠، وكنز العمال برقم (١٠٤٨٢)، وفتح الباري ١٠٠/٤، وغيرها.

استعارة من درع الحديد

(وجنته الوثيقة): الجنة بالضم: ما استترت به من سلاح أو غيره،
ومنه المَجَنَّة لأنها نواري من فيها، ومراده من ذلك أنها هي الحصينة
المعطية لكل عيب.

(فمن تركه^(١)): الضمير للجهاد.

(ألبسه الله ثوب الذل): استعارة له من لبس الثوب، كما قال [الله]^(٢)
تعالى: ﴿فَأَذَنَّا لِلَّهِ لِيَأْسَ الْجُوعَ وَالْخَوْفَ﴾ [الح. ١١٢].

(وشمله البلاء): أراد استولى عليه، والبلاء مصدر بلاء الله، والبلية
واحدة البلايا.

(وذئبت بالصغار والقماء^(٣)): [ذلل]^(٤) بالامتهان، والتحقيق.

(وضرب على قلبه بالأسداد): ضرب أي جعل، من قولهم:
ضرب بينهم الحجاب، ومنه قوله تعالى: ﴿مُضْرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ﴾ [عبس: ١٣]
الأسداد: جمع سد، وهو ما يجعل حاجز بين الشيئين، ومنه قوله تعالى:
﴿عَلَى أَنْ تَحْلَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا﴾ [النكح: ٩٤] على قراءة الفتح.

وفي بعض النسخ: (على قلبه بالإسهاب)^(٥)، والإسهاب هو:
فساد العقل، يقال فيه: أسهب الرجل مسياً على ما لم يسم فاعله إذا
ذهب عقله

(١) في النسخ: من تركه رعه عنه

(٢) زيادة في (ب)

(٣) في النسخ والقراءة

(٤) سقط من (٢)، وهو في (ب): ذئب، وهو تحريف والصواب كما أنه

(٥) وكذا في شرح النسخ (١/٧٤).

(وأدبل منه الحق^(١)): هو من المداولة أي غلبه الحق، وانتصر عليه.

(وسيم الخسف): أولي القص، وفلان رضي بالخسف أي بالانتقاص
في أمره.

(ومنع النصف): النصف هو: الاسم من الانتصاف، ومراده حيل بينه
وبين الانتصاف.

(الا واني قد دعوتكم): ناديتكم وصرخت في أذانكم.

(إلى قتال هؤلاء القوم): معاوية وأحزابه من أهل الشام.

(لبلا ونهاراً وسراً وإعلاناً): في جميع الأوقات من الليل والنهار،
وعلى جميع الحالات في السر والإعلان.

(وقلت لكم): أشرت عليكم.

(اغزوهم قبل أن يغزوكم): ابدأهم بالوصول إلى بلادهم قبل أن
يصلوا إلى بلادكم.

(فوالله ما غزي قوم قط في عقر دارهم): قصدوا إلى وسط دارهم،
والعقر^(٢) هو: وسط الدار، قط لاستغراق الأزمنة الماضية

(إلا دلووا): أصيبوا بالذل ورموا به إذ لا يرجى لهم فلاح بعد
ذلك أصلاً.

(١) في النسخ: وأدبل الحق من بتضييع الجهاد.

(٢) في (ب): والعقر.

(فتواكلتم) : روكل^(١) كل واحد منكم أمره إلى الآخر، ومنه قولهم^(٢) : فلان وكلة أي يكل أمره إلى غيره.

(وتخاذلتهم) : هذا يتخذل هذا وهذا يتخذل ذلك أي لا يقوم على نصرته.

(حتى شئت عليكم الغارات) : شئت الغارات : إتيانها من جهات مختلفة، ومنه الحديث : «أن رسول الله شئت الغارات على بني المصطلق» أي وجهها عليهم من جهات شتى.

(وملكت عليكم الأقطار) : استولي على أنواحى من بلادكم وأطرافها

(هذا^(٣) أخو غامد قد وردت خيله الأنبار) : أمير من أمراء معاوية، قد أعار على الأنبار، وهي من أعمال أمير المؤمنين وأهل ولايته

(وقتل حسان بن حسان) : هو العامل على الأنبار فلما دخلوه قتلوه.

(وأزال خيلكم عن مساكنها) : وأزال أخو غامد : أبعد خيلكم عن الثغور، والمراقب التي تحفظ الأقطار، يقال لها : مسالخ.

(ولقد بلعني) : وصل إلي العلم.

(بأن الواحد منهم كان يدخل عسى من في القرية من المسلمين كالمرأة المسلمة ومن أهل الذمة كالمرأة المعاهدة فينتزع^(٤)) : يأخذ بعنف وشدة.

(١) في (ب). وكل

(٢) في (أ). قوله

(٣) في شرح النهج : هذا، وأخو غامد هو سعيان بن عوف بن المعلل الأردني العاملي المتوفى

سنة ٥٢ هـ من ولاية معاوية بن أبي سفيان

(٤) في شرح النهج : وقد يعني أن الرجل منهم كان يدخل على المرأة المسلمة والأخرى

المعاهدة، فينتزع ما بها

(حجّلتها) : وهو الخللخال.

(وقلبنها) : وهو السوار في اليد.

(وقلاندتها) : وهو ما في الحلق من الحلي.

(ورعائها) : جمع رعثة، وهي : الأقرط في الأذن.

(ما تمنع منه) : بشوكة ولا قوة ولا تمنع منه^(١) إلا.

(إلا بالاسترجاع) : وهو أن تقول^(٢) : إنا لله وإنا إليه راجعون

(والاسترجاع) : [و]^(٣) هو طلب الرحمة ممن أخذها، وفعل به هذه الأفاعيل.

(ثم انصرفوا وافرین) : ثم من جهد البلاء أنهم فعلوا ما فعلوه، انصرفوا رجعوا إلى أوطانهم وافرین، إما ذوي وفر لما أصابوه من الغنائم وأحدوه من بلاد المسلمين من نسائهم وأهل^(٤) العهد بين أظهرهم، وإما وافرین ما خدش لأحد منهم جلد

(ولا نألمهم كلم^(٥)) : ولا أصابهم جرح.

(ولا أريق لهم دم) : ولا حرح واحد منهم جرحاً فخرج منه دم.

(قلو أن امراً مسلماً) : قلوا أن واحداً ممن تلحقه عرة الإسلام وأنفة الدين.

(١) في (ب) : ولا يمنع عنها. إلا بالاسترجاع

(٢) في (ب) : أن تقول له

(٣) سقط من (أ).

(٤) في (ب) : ومن أهل العهد.

(٥) في شرح النهج : ما نال رجلاً منهم كلم

(مات من بعد هذا): امطع روحه من بعد رؤية هذا وإبصاره.

(أسفاً ما كان به ملوماً): الأسف هو: شدة الحزن، لم يلحقه بالموت
لؤم من أحد أي ذم

(بل كان به جديراً): بل لا يبعد الأمر فيه أن يكون حقيقاً، والجدير
هو: الحقيق، من قولهم: فلان جدير بكذا أي حقيق به

(عيا عجباً): إما يا عجب، وإما يا عجباً أعجب [عجباً وطرح
فعبه، ولم يذكر معه لاستعنائهم بالمصدر عنه، فلا يجوز أن يذكر معه،
فلا تقول: عجبت عجباً، وإي يقال: عجباً لا غير^(١).

(عجباً والله يميت القلب): لامتلاء^(٢) الصدر منه.

(ويجلب الهم): لتعذر الانتصار منه.

(من اجتماع هؤلاء): من لابتداء العاية وهي متعلقة بعجب، ولا عبرة
بالماصل لأنه نازل منزلة الفعل وقائم مقامه، ويجوز تعلقها بفعل مضمر،
ي أعجب من اتفاق كلمة هؤلاء واجتماع آرائهم.

(على باطلهم): على الباطل الذي اقترحوه من غير بينة، ولا قيام
برهان عليه، وإنما أضافه إليهم لما لهم به من مزيد الاختصاص.

(وبفرقكم عن حقكم!): ونشتت كلمتكم عن حقكم الذي تدعون
إليه وقامت عليه البراهين.

(١) في (أ): المحب، وهو تحريف، وما أثبت من (ب).

(٢) ما بين المعرفين سقط من (أ) وهو في (ب)، والسخة (أ) كما ترى كثيرة السقط والتحريف
والتصحيف والأخطاء المعوية والإملائية

(٣) في (أ): لاملاء، وفي (ب) كما أنه

(لقبحاً): بعداً عن الخير

(وترحاً): أي حزناً، وهما من المصادر التي أضمرت أفعالها فلا ينطق
بها معها.

(لكم): لأفعالكم هذه

(حين صرتم غرضاً يرمى): الغرض هو: الذي يقصده الرماة بالإصابة
قرطاساً كان أو غيره، أراد أن الفصح والترج متعلق^(١) بكم زمان كنتم على
هذه الصفة.

(بغار عليكم): تقصدون إلى بلادكم وتعلوكم العساكر.

(ولا تُغيروا): [ولا^(٢) تفعلون مثل ما فعلوا بكم.

(وتُغزّون): إلى عقر دوركم

(ولا تُغزّون): من عزاكم، أقل أحوالكم واحدة بواحدة فواحدة
بواحدة قصاص^(٣).

(ويعص الله): بمخالفة أمره، وارثكاب مناهيه، وظهور الجور في
الأرض والفساد فيها.

(وترضون): بترك التكبر بمجاهدة من أتى ذلك^(٤) وتظهر مخالفتكم لي
وتكوصكم عن امثال أمري بما أقوله الآن.

(١) في (أ): متعلقاً، وهو خطأ.

(٢) سقط من (ب)

(٣) في (أ): نصاء.

(٤) في (ب): بذلك.

(فإذا أمرتكم بالسير إليهم في أيام الحر): فإذا أوجبت عليكم قتلهم وقتالهم وجهادهم في أيام الصيف اعتذرتهم [إلى] (١) و:

(قلتم: هذه حمارة القيظ): الحمارة بتشديد الراء هي: شدة الحر وأعظمه

(أمهلنا): اجعل لنا مهلة

(حتى يسبّخ عنا الحر): بسين منقوطة بثلاث من أسفل، وبياء بواحدة من أسفل، وحاء بواحدة من أعلى، والباء مضاعفة، وسبّخ الحر إذا فتر.

(وإذا أمرتكم بالسير إليهم في أيام الشتاء): التي يكثر بردها.

(قلتم: هذه صبارة القر): معظم البرد، بصاد مهملة، والراء مشددة.

(أمهلنا): اجعل لنا مهلة غيتها

(حتى ينسلخ عنا البرد): يزول ويقطع (٢).

سؤال: ثم قال في الحر: حتى يسبّخ أي يفتر، وقال في البرد: حتى ينسلخ، وكل واحد منهما مانع على زعمهم في الاعتذار؟

وجوابه: هو أنه يحمل (٣) أن يكون البرد في بلادهم شديداً، وإذا كان الأمر كما قلناه فلعزوا لا يمكن في أيام الشتاء، حتى ينسلخ البرد ويزول بالكلية، بخلاف الحر فإن قليله لا يمنع من الغزو وإنما يمنع كثيره،

(١) سقط من (أ).

(٢) في (ب) - ويقطع.

(٣) في (ب) - يحتمل.

فلماذا قالوا: حتى يسبّخ أي يفتر عنا الحر فهذا قال في البرد: [حتى] (١) ينسلخ أي يزول، وفي الحر [حتى] (٢) يسبّخ أي يفتر، وإن لم يزل بالكلية.

(كل هذا): الإشارة إلى هذا الجنس من الاعتذار الذي لا يعذر صاحبه، يفعلونه.

(فراراً): أي من أجل الفرار، وانتصابه على المفعول له.

(من الحر والقر) (٣): القر بضم القاف هو: البرد، فإذا كان هذا حالكم في الفرار من الحر والبرد مع سهولة الحال فبهما (٤).

(فأنتم والله من السيف أفر): لألمه وشدة مقدساته.

(يا أشباه الرجال): في الخلقة الإنسانية.

(ولا رجال): في الهمم العالية، والعزائم الطامحة.

(حليوم الأطفال): الحلم هو: الأناة والتؤدة في الأمور، وأراد (٥) أن أناتكم في الأمور كأناء الطفل؛ لأنه لا يتمالك في الشيء وتناول له على أي وجه كان، مصلحاً كان أو مفسداً.

(وعقول ربات الرجال): أي النساء؛ لأن عقولهن ضعيفة جداً، ولهذا يقال: قل ما أرادت امرأة أن تحتج لنفسها إلا كانت تحتها عليها،

(١) سقط من (أ).

(٢) سقط من (أ).

(٣) بعده في النهج: فإذا كنتم من الحر وانقر معرو.

(٤) في (ب) - فيها.

(٥) في (ب) - أراد بدون الوو.

والجبال. جمع حَجَلَة بفتح الحاء بيت يجعل للمروس من النساء، يزين بالثياب، وشارته إلى ضعف الأحلام والعقول في وصفهم^(١).

(فأتاكم الله!) : تعجب من حالهم في كل ما ساقه من أمرهم واستظراف^(٢) من سوء صنيعهم معه.

(لقد ملأتم قلبي فيحاً) : لقد جرحتم صدري بشقاقكم وامتلأ قبحاً، والقيح : عبارة عما يخرج من الجرح عند فساد.

(وشحنتم صدري غيظاً) : ملأتموه من الغيظ، وانتصاب الغيظ على التمييز بعد المفعول، كقوله تعالى : ﴿وَجَزَا الْأَرْضَ غِيظًا﴾ [الم: ١٢].

(وحرعتموني) : أسقبتموني

(نُفِبَ اتِّهَامُ أَنْفَاسٍ) : النُفَة بضم الفاء وغين معجمة هي : الجرعة، وقد يفتح أيضاً، وجمعها نُفَب، والتهام مصدر همَّ بهمَّ تهاماً كقولهم : ذكر يذكر تذكراً، وأنفاساً جمع نفس، وانتصابه على الحال من نُفِبَ أي متتابعات.

(لوددت) : تمنيت، وهذه اللام لتؤكد الجملة وتحقيقها، كقوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا﴾ [الأنبياء: ٢٦] : وقولهم : ولنعم حشو الدرع أنت.

(أبي لم أركم) : بعيني.

(ولم أعرفكم) : بقلبي، عرفتكم.

(١) و (أ) في حقهم، و (ب) كما أنت

(٢) في (ب)، واستطرف.

(معرفة والله) : حقيقتها وشأنها وفائدتها أنها

(جزت ندماً) : إليَّ منكم، وكان منقطعاً قبل معرفتي لكم.

(واعقبت سدماً) : السدم : الحزن والهم، ومراده أنه كان عاقبة أمري بعد معرفتكم هو الندم والحزن.

(واقسدم عليَّ رأيي) : وغيرتم ما رأيته صواباً وتجتته فكرتي من لمصلحة في أمر الجهاد وإقامة عمود الدين

(بالعصيان) : فيما أمر

(والخذلان) : بالتقاعد عن نصرتي إذا دعوت.

(حتى قالت قريش) : حتى كن عاقبة الأمر في ذلك أن تحدث أهل الرأي والتجربة من قريش، وأهل الحكمة في الحروب على جهة الانتقاص بحالي.

(إن ابن أبي طالب رجل شجاع) : يجريء عند المارلة للأقران، ومبارزة الشجعان.

(ولكن لا علم له بالحرب) : بمكائدها وأخذ الفرص فيها، وإحكام أمرها بالرأي الصائب، وربما قيل : الحرب خدعة^(١).

(١) الحرب خدعة، يروي حديث ذكره ابن الأثير في النهاية ١٤/٢، وقال ما لمطه : فيه : «الحرب خدعة» يروي بفتح الحاء وصمها مع سكون الدال، ويصمها مع فتح الدال، فالأول معتاد أن الحرب يقضي أمرها بخدعة واحدة من الخداع : أي أن القتال إذا خدع مرة واحدة لم تكن لها إفادة، وهي أفصح الروايات وأصحها، ومعنى الثاني، هو الاسم من الخداع، ومعنى الثالث : أن الحرب مخدع الرجال وتغيبهم ولا يفي لهم، كما يقال : فلان لُغِبَ وشُحِكَ : أي كثر النعم والتضحك. انتهى

وقال آخر:

الرأي قتل شجاعة الشجعان هو أول وهي المحل الثاني^(١)

فقد أحرز الشجاعة، ولكنه لا يحسن تدبيرها بزعمهم.

(لله أبوهم): تعجب مما قالوه من ذلك، وإنكار^(٢) لما زعموه، مثل قولهم: لله درهم.

(وهل أحد منهم): من فريش الذين زعموا^(٣) أنني لا أحسن تدبيرها.

(أشد لها مراساً): المراس والممارسة واحد، وهي: المعالجة والاختبار بحالها مرة بعد مرة.

(واقدم فيها مقاماً مني): وأسبق فيها قدماً من أحد غيري.

(لقد نهضت فيها): قمت بأعبائها، من قولهم: نهض بالأمر إذا كفي فيه.

(وما بلغت العشرين): من عمري وهو سن البلوغ، وما زلت أمارسها وأعجلها من ذلك اليوم إلى الآن.

(وما أنا^(٤) الآن قد ذرفت على الستين): ذرف أي زاد، ومن هذه حاله في معالجة الحروب وممارستها من زمن البلوغ إلى وقت الهرم والشيخوخة، كيف يقال: بأنه غير ممارس، فما قلتموه في ذلك غير صحيح.

(١) البيت لأبي الطيب المتنبي

(٢) في (أ): وإنكاراً

(٣) في (ب): يزعموا وهو خطأ، والصواب: يزعمون.

(٤) في شرح النهج: وما أنا، وقد ذرفت... إلخ.

(ولكن لا رأي لمن لا يطاع): ولكن السبب في ذلك هو أنني أشرت فلم يقل رأيي وحالفوه، فكان سبباً في تغيير الأمر واختلاله، لا ما زعمتموه من عدم ممارستي للحرب، وهذا الكلمة جارية مجرى المثل، ولم يسمع^(١) من أحد قبله، وهي^(٢) من بديع الأمثال، وغرائب الحكم، والمعنى أن كل من لا يطاع في رأيه فكأنه في حكم المعدوم^(٣).

(١) في (ب): ولم تسمع

(٢) في (ب): وهو.

(٣) في (ب): المعدم.

يضمّر فيهما الخيل، وايوم منصوب بكل حال، فإن خرج عن الظرفية كان اسماً، لأن وما بعده الخبر، وإن بقي على الظرفية فما بعدها يكون اسماً لها منصوباً.

(وغداً السباق): أي المسابقة

(والسبقة المجتة): السبقة بفتح الفاء هي: الاسم من الاستباق، وقد تكون للمرة الواحدة من الفعل، والسبقة بالضم هي: اسم لما يقع عليه اسباق، وهو الخطر بين المتسابقين^(١)، وكلاهما صالح ها هنا.

(والغاية النار): غاية الشيء: آخره ومنقطعه.

سؤال: لم خصّ السبقة بالجنة، وجعل الغاية للنار، وكل واحد منهما موصول إليه؟

جوابه: أن الاستباق إنما يكون في أمر محبوب، وغرض مطلوب فلهذا خصه بالجنة، وجعل الغاية للنار لأن الغاية هي منقطع الشيء، وقد ستهي إليها من يسره الانتهاء، ومن لا يسره الانتهاء، فلهذا خص الغاية بالنار كالمصير والمآل، فلا جرم حالف^(٢) بين اللفظين لما يرى من اختلاف المعنيين.

(أفلا تائب من خطيئته): أفلا يوجد مقلع من عمل^(٣) الخطايا.

(قبل منيته): قبل موته، والمثية: الموت، ومراده قبل حضور وقت موته فتقطع نوبته

(١) في (ب): المتسابقين، والخطر هو: السبق الذي يتراهن عليه

(٢) في (أ): خلاف وهو تحريف، والصواب كما أثبت من (ب).

(٣) في (ب): أعمال

(٢٨) ومن خطبة له عليه السلام

(أما بعد، فإن الدنيا قد أدبرت): تولت وانقضت أثرها، لأن ما مضى من الدنيا بالإضافة إلى ما بقي كلاً شيئاً، ولهذا قال الرسول (ﷺ): «بعثت أنا والساعة كهاتين»^(١)، يعني الوسطى والمسحة، وأراد بذلك قرب اساعة وانقطاع الدنيا.

(وإدنت بوداع): الأذان: الإعلام، ومنه قوله تعالى: ﴿فَأَذِّنُوا بِحُزْبٍ مِنْ اللَّهِ﴾ (البقرة: ٢٧١)، وأذان الصلاة: الإعلام بهاء والوداع: الاسم من التوديع بفتح الفاء، وإنما يكون عند الرحيل، والمراد أنها أعلمت بالارتحال

(وإن الآخرة قد أقببت وأشرفت باطلاع): الإشراف والإقبال: عبارة عن الإسراع في الشيء، وقوله: باطلاع هو افتعال، من قولهم: اصلعت عسى الشيء والباء فيه للحال أي مطلعة

(ألا وإن اليوم المضمار): المضمار: عبارة عن لزمان والمكان الذي

(١) أورده في موسوعة أطراف الحديث ٢٦٤/٤، وعزاه إلى مصادر كثيرة منها: البخاري

١٣٢، ١٣١/٨، ومسلم في الفتن ١٣٥، وسنن النسائي (المجتبى) ١٨٩/٣، وسنن الترمذي

٢٢١٤، وسنن ابن ماجة ٤٥، ٤٠٤٠، وغيرها كثير. اطرها هناك.

(ألا عامل لنفسه): بالاغتمام من الأعمال الصالحة.

(قبل يوم رمسه): قبل أن يكون مموراً، والرمس: القبر.

(ألا وإنكم في أيام أمل): وهو ما تستقبلونه^(١) فيما يأتي من أعماركم.

(من ورائها أجل): عيبتها ومقطعها آجال مقدرة بعدها ينتهي^(٢) إليه.

(فمن عمل في أيام أملة^(٣)): فمن عمل في هذه الأيام التي هي

مضروبة للإمهال.

(قبل حضور أجله): وهو في سعة من عمره قبل حضور الموت، وإنما

قال: قبل حضور أجله، لأن ما يكون من التوبة في حال الموت فهي غير

مقبولة، لما كان الإلحاح بمشاهدة الملائكة وتحقق أحوال الآخرة، ولهذا سوى

الله بين من يموت كافراً وبين من يتوب هذه التوبة، حيث قال: ﴿وَلَيْسَتْ

التَّوْبَةُ...﴾ إلى آخر الآية^(٤) [١٨، ١٩]

(نفعه عمله): لما بلاقي من ثوابه الذي يكون عليه

(ولم يضره أجله): لكونه جاء وهو على الأهبة وأخذ العدة.

(ومن قصر في أيام أملة): ومن هوّن في طلب الأعمال

الصالحة وفعها.

(١) في (ب) تستقبلوه، وهو خطأ

(٢) في (ب) تنهي

(٣) في (أ)، أجله، وما أثبت من (ب) ومن شرح النهج

(٤) لمظ الآية الشريفة: ﴿وَلَيْسَتْ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَصَرَ أَحَدُهُمُ الْمَوْتُ قَالَ

إِنِّي تبت الآن ولا الذين يؤمنون وهم كمار أولئك اعتدنا لهم عذاباً أليماً﴾ صدق الله

العلي العظيم.

(قبل حضور أجله): وهو في سعة من أمره ولم يحضر موته.

(خسر عمله): أي انتقص حيث لم يعمل^(١) خيراً لنفسه.

(وضره أجله): لموافاته له وهو على غير أهبة وعدة^(٢)، ولا ضرر

أعظم من ضرر لا يمكن تلافيه.

(ألا فاعملوا في الرغبة): بحمد واجتهاد وتأهب واستعداد.

(كما تعملون^(٣) في الرهبة): مثل ذلك

سؤال: لم جعل العمل في الرغبة^(٤) مُشَبَّهاً للعمل في الرهبة، وكلاهما

في الوقوع على سواء؛ لأن الواحد منا كما يعمل الأعمال فراراً من

العقوبة فقد^(٥) يعملها طلباً للمنافع، فمد وجه التفرقة بينهما؟

وجوابه: هو أن المراد بالرهبة هو القسر والإلجاء، والمراد بالرهبة هو

الاختيار والإرادة، فشبّه ما يقع بالاختيار والداعية^(٦) في تجيز حصوله

وتوفره^(٧) بما يقع بالقسر^(٨) والإلجاء في وجوب حصوله؛ لما كان ما يقع^(٩)

بالإلجاء والقسر لا يتفك عن الحصول لا محالة.

(١) في (ب): يعمل

(٢) في (ب): وعد

(٣) في (أ): تعملوا وهو خطأ، وما أثبت من (ب) ومن النهج

(٤) في (أ): بالرغبة

(٥) في (ب): قد

(٦) في (أ): والرافعة، وما أثبت من (ب)

(٧) في (أ): وتوجيه، وفي (ب) كما أثبت.

(٨) في (ب): بما يقع في القسر

(٩) في (أ): لا يقع.

(ألا وإنني لم أر كاخنة نام طالبتها): أراد المألعة في طلبها، لأن من بالغ في طلب شيء امتنع منه اليوم، فهذا تعجب عن يطلبها وهو يحدث نفسه باليوم، وقوله: كالجثة في موضع المفعول لأرى؛ أي لم أر مثل الجثة لما فيها من قرة العين

(ولا كالنار نام هاربها): لأن من يهرب من شيء مبالغاً في الهرب منه [١] فإنه يمتنع نومه ويشد لما أعد الله [٢] فيها من أنواع النكال، أعاذنا الله منها برحمته.

(ألا وإنه من لا ينمعه الحق يضره الباطل): أراد من لا ينفعه الحق تركه له [٣] والإعراض عنه، فإنه لا محلة يضره [٤] الباطل بالانقياد له ويدخول تحت أمره.

(ومن لم يستقم به الهدى يجز الضلال [٥]): يعني أن كل من لم يتفقه الهدى في استقامة حاله وصواب أمره فإن الضلال يجربه أي يعدل به، من قولهم: جار يجور عن كذا إذا عدل عنه ومال [٦]، قال الله تعالى: ﴿وَمِمَّا جَاءَكُمْ﴾ [٧] أي عادل ما تل

(ألا وإنكم قد أمرتم بالظعن): الأمر هو: الله على السنة الرسل

(١) سقط من (ب)

(٢) زيادة في (ب).

(٣) في (ب): تركه الحق

(٤) من هـ في (ب) مصرر اسطل ل لم يقاد له وللدخول تحت أمره

(٥) في المسح: يجربه الضلال إلى الهدى

(٦) في (أ). وما بدون كلام، وما أثبت من (ب)

بالصدور عن الدنيا والإقبال إلى الآخرة، والظعن: السير، يقال: ظعن يظعن ظعنًا [٨] ووظعنًا [٩] بتحريك العين وسكونها.

(ودللتم على الزاد): الدال هو الله تعالى، حيث قال: ﴿وَمَنْزَلْنَاهُ فَرِّقَ خَيْرَ الزَّادِ الْقَوَى﴾ [البره ١٩٧].

(وإن أخوف ما أخاف عليكم: اتباع [١٠] الهوى، وطول الأصل): وهذا كلام أخذ من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم [١١] فوضعه في أحسن مواضعه، وأوحى فيه غاية الإنجاز، فإنه قال فيه ﷺ: «إن شر ما أخاف [١٢] عليكم اتباع الهوى وطول الأمل، فاتباع الهوى يصدف بقلوبكم عن الحق، وطول الأمل يصرف هممكم إلى الدنيا، وما بعدهما لأحد خير في دنيا ولا آخرة» [١٣] فأخذ مقدار حاجته، وأهمل باقيه، وجعله طرازاً لكلامه وعلامة لكمالته وتمامه.

(١) سقط من (ب)

(٢) سقط من (أ).

(٣) زيادة في (ب)

(٤) في (ب) ما أخوف

(٥) أخرجه الشريف السبلي في الأربعين أسبقية عن أبي هريرة ص ٤٨، الحديث رقم (٣٩) مع

اختلاف يسير في بعض ألفاظه، وقريباً منه أخرجه الإمام المرشد بالله في الأمالي الحسية

١٦١/٢ مع اختلاف في بعض ألفاظه يستند عن علي بن أبي طالب (عليه السلام) أن رسول الله ﷺ

قال: «إن أشد ما أخوف عليكم حصلتاد: أن أحدهما فاتباع الهوى، وأما الأخرى بطول

الأمل، فأما اتباع الهوى فإنه يعدل عن الحق، ومن عدل عن حق فهو صاحب هوى، وأما

طول الأمل فإنه حب الدنياء، وكما في المرشد بالله روه في شمس الأخبار ٢٩١/٢ في الباب

السبعين وأما ما وعزّه إلى المجلس برواية السمعان عن علي (عليه السلام)

(تزوّدوا^(١) في الدنيا من الدنيا): أراد [أن] ^(٢) موضع الزاد ومكانه هو الدنيا، وأخذ الزاد إنما يكون منها بفعل الأعمال الصالحة وادخارها.

(تحرزون^(٣) به أنفسكم غداً): عن عذاب الله تعالى وأليم عقابه، وكفى بكلامه هذا في قطع علائق^(٤) الاغترار ولقدح لزيادة الاتعاض والانزجار، وتحذيراً عن العفلة، وترغيباً في عمل الآخرة

(٢٩) ومن خطبة له عليه السلام

(أيها الناس، اجتمعوا أبايهم^(١)): لما يظهر في مرأى العين لاجتماعهم^(٢) على بعض الحوادث إما لهواً وطرباً، وإما فرقاً وحزناً.

(المختلفة أهواؤهم): لكل واحد منهم غرض، لا يجمعهم جامع الدين في نصرته، ولا تنفق خواطرهم وقلوبهم على رفع مناره، وتشبيد معلمه.

(كلامكم): قولكم بألسنتكم.

(يوهي الصم الصلاب): الوهي: الضعف، ومراده أنه يضعف الأحجار الصلبة لما تضمنه من الإبراق والإرعاد والوعيد الشديد لمن حالكم.

(وفعلكم يطمئ فيكم^(٣) الأعداء): لما فيه من التخاذل وقلة التناصر بحيث لو رآكم الرائي لطمع في أخذكم وتقمّكم، وعلامة ذلك وأمارته أنكم.

(١) في (أ): أيديهم، وما أنته من (ب) ومن النهج

(٢) في (أ): لإجماعهم.

(٣) قوله: ليكم سبط من (ب)

(١) في شرح النهج: فتزودوا

(٢) سبط من (أ).

(٣) في شرح النهج: ما تحرزون

(٤) في (أ): غرائر

(تقولون في المجالس: كبت وكبت): وهما عبارتان عن الأحاديث المهمة، ومراده أنكم في المجالس تذكرون أنكم تفعلون الأفاعيل من الجهاد، ومواجهة الأعداء، والقيام بشار الدين، وتدمير من يريد مخالفته طعناً بالرماح وضرباً بالسيوف، ورشقاً بالنال، إلى غير ذلك من الكلمات

(فإذا جاء القتل): حضر وقته، وصدق حصوله

(هلتهم: حيدي حياء): حاد عن الشيء إذا مال عنه، والحيد: الميل، وهذه كلمة تقولها العرب عند اشتداد الأمر وعظم حاله، كقولهم للذاهية صمي صمام، وفيحي فياح، وهو اسم للغارة^(١).

(ما عزت دعوة من دعاكم): عز الرجل إذا صار عزيزاً، وعز إذا عظم، وعز إذا حق واشتد، والمعنى في هذا ما عظم ولا انتصر ولا صار عزيزاً نداؤه إذا ناداكم لبصرته لتخاذلكم وتفرق آرائكم.

(ولا استزاح قلب من قاساكم): قاسيت الأمر إذا كابدت شدائده، ومراده أنه لا يطمئن قلب من كابد بكم^(٢) الشدائد والحروب، وخاض بكم غمرات الموت لقلّة ثقته بكم، وإشفاقه^(٣) منكم، وحذره على نفسه معكم.

(أعالييل بأضاليل): جمع أغلولة وأضلولة كأضحوكة وأخبولة^(٤)،

(١) انظر الهابة لابن الأثير ١/٢٦٦، وشرح النهج لابن أبي الحديد ٢/١١١-١١٢

(٢) في (أ). كابدكم، وما أنه من (ب)

(٣) في (أ). وإشفاقه، وفي (ب) كما أنه.

(٤) و (ب) وأخولة

واشتقاقهما من التعلل والضلال، وغرضه أنكم تتعللون بمعاذير فاسدة وأقويل كاذبة لا يصدق قائلها، ولا يعذر صاحبها

(دفاع ذي الذئير المطول): دفعته عن حقه إذا منعه وفاء، ومطلت الحديد إذا طولتها ومددتها، ومطلته دينه إذا مددت وفاءه إلى مدة. والدفاع: جمع دافع كتاجر ونجار، والمعنى أنكم تمنعون وفاء ذي الدين الذي قد مطل به، وطالت مدته على صاحبه، وإنما قال: ذي الدين المطول؛ مبالغة في ركة أحوالهم حيث منعوا وفاء دين قد تقادمت أزماته، وطال عهده بالقضاء، فكان من حق^(١) ما هذا حاله المعالجة بقصائنه.

(لا يمنع الضيم الدليل): الضيم: الظلم، قال الشاعر:

وَأَبَى عَلَى الْمَوْلَى إِنْ قُلَّ نَفْعُهُ دَفْعٌ إِذَا مَا ضَيِّمٌ غَيْرُ صَوْرٍ^(٢)

لأن ذله يمنع عن الأنفة، واستحصار الشهامة في الانتصار عن الظلم

(ولا يدرك الحق إلا بالجد): الجد: تقيض الهزل، ومراده أن الحق في الأمور كلها إنما ينال بالاجتهاد وتعب خاطر لا بالتواني وراحة النفس.

(أي دار بعد داركم ممنعون): أراد أي حطة بعد حطتكم تمنعونها عن الظلم، وأن ينار عليها؛ فإذا كنتم لا تمنعونها فأنتم عن غيرها أعجز وأقصر

(ومع أي إمام بعدي تفاتلون): لعلمي وبصيرتي ومكاني

(١) العارة في (ب): فكان مرجو ما هذا حاله، وقيل: المعالجة بقصائنه

(٢) البيت أورده في لسان العرب ٤/٥٦٣، بدون نسبة إلى قائله، وقوله: (إذا ما ضيم) في

اللسان - (إذا ما ضمت)

من رسول الله، وانعقاد الإجماع على صحة إمامتي ووجوب متابعتي.
(المعروف والله من غررهموه): المغرور على الحقيقة من كان سيئة^(١) لكم
وتبعاً لأقوالكم.

(ومن فاز بكم): ومن طفر بكم

(فقد ظفر^(٢) بالسهم الأخيب): حاب سعيه إذا لم ينل مقصوده،
واستعار ما ذكره في السهام من سهام الميسر وقداحه لأن بعضها به نصيب
وبعضها لا نصيب له^(٣)، فأراد ما هنا أن من ظفر بكم فقد طمر بغير شيء
وفاز بغير مطلوب^(٤)

(ومن رمى بكم فقد رمى بالأفوق الناصل^(٥)): الأفوق من السهام:
الذي كسر فوقه، وهو ما يلي وتر القوس، والناصل: الذي خرج نصله،
وما هذا حاله فلا نفع فيه لرامي^(٦) بحال، وأراد المبالغة في بطلان النفع بهم
فيما يريد منهم.

(أصبحت والله لا أصدق قولكم): لما عاينته من كذبكم ومحلكم.

(ولا أطمع في نصرتكم^(٧)): لما أنعمته من تخاذلكم وتقاعدكم عني

(١) في (ب). سمي

(٢) في شرح النهج: فقد فاز والله بالسهم الأخيب

(٣) نص الحارة من أولها في (ب) لأن بعضها له نصيب لا نصيب له، وفيها تحريف وسقط كما
تري، وما أنه من (ب).

(٤) في (ب): المطلوب

(٥) في شرح النهج: بأفوق ناصل.

(٦) في (ب): لرام

(٧) في (ب): نصرتكم.

(ولا أوعذ العدو بكم): لما يظهر لي من صفكم وهوانكم وركبة
أحوالكم في جميع أموركم.

(ما بالكم): البال: الحال، ومراده ما الذي عرّض لأحوالكم حتى
كانت على هذه الصفة.

(ما طبكم): الطب: بكسر الفاء: العادة

قال الكمي:

فما إن طيّا جبن ولكن ماينا ودولة آخرينا^(١)

وهذا مراده ما هنا، أي ما جراؤكم على هذه العادة التي تعودتوها،
ورجل طبّ بفتح انفاء إذا^(٢) كان عالمًا ماهرًا، والحركات الثلاث في
علم الطب.

(ما دواؤكم): أي شيء يكون فيه الشفاء لما أصابكم من هذا الداء.

(القوم رجال أمثالكم): أراد أن لإنسان لا يستوحش من شكه ولا

يجن عن كان مساوياً له^(٣)، فما سبب ذلكم ونكوصكم عنهم؟

(١) البيت أورده صاحب لسان العرب ٥١٥/٢ من أبيات ثلاثة نسبها إلى فروة بن مسك

المرادي وهي:

فإن نعلنا فعلايون قداماً وإن نعلنا فغير منليننا

فما إن طيّا جبن ولكن ماينا ودولة آخرينا

كذلك الدهر دولته محال نكرو صروقه حيناً فحيناً

(٢) في (ب): أي.

(٣) في (ب): عن كان به مساوياً

(أقولاً^(١) بغير علم^(٢)): أراد أنكم تقولون قولاً لا تعرفون حقيقته،
فأنتم تصرحون باللقاء لمدوكم، ولا تصدقون في هذه المقالة، ولا
تعملون^(٣) بها أصلاً.

(وغفلة من غير ورع): وتركون قتالهم وتغفلون عنه دلاً وجناً
لا ورعاً وتعقفاً.

(وطمعا^(٤) في غير حق): وتضعون في القعود، وتركون إلى الدعة
وراحة القوس، وهو خلاف الحق لما فيه من إسقاط أمر الجهاد وتركه

قوله (عليه): (أي دار بعد داركم...) إلى آخر الخطبة، من أنواع البديع
يسمى التحامل، وهو أن يستفهم عن شيء يجهله موهماً أنك^(٥) لا تعرفه،
وأنت مطلع على حقيقة الأمر فيه، كقول زهير^(٦)

وما أدري وتـوفـاً إخال أدري

أقوم آل حصن أم ساء^(٧)

(١) في (أ): أقولاً، وما أثبتته من (ب) ومن شرح الهج

(٢) في نسخة: بغير علم، ذكره في هامش (أ)، وفي (ب): أقولاً بغير علم عمل.

(٣) في (ب): ولا تعملوها

(٤) في (أ): وطمع، وفي (ب) وفي شرح الهج كما أثبت

(٥) ظن فوقها في (ب) بقوله: ظ: أنه

(٦) هو: زهير بن أبي سلمى ربيعة بن رباح العربي، المتوفى سنة ١٣٠ هـ، من مصر، حكيم

الشعر، في المحاملة من أصحاب المعاني السبع، ومن أئمة الأدب من يعضله على شعره

بمعرب كافة أشهر شعره معلقة لثي مطلعها

أمن أم أوفى دمة لم تكلم بمجواناة الدراج والثلثم

له ديوان شعر مطبوع (الأعلام ٥٢/٣).

(٧) أورد البيت في لسان العرب ٦٥٥/١، ونسبه إلى زهير أيضاً، وآل حصن يريد حصن بن

حذيفة الفراري

ومنه قول آخر:

أيا ظيعة الوغساء بين جلالجل^(١)

وبين النقاء أنت أم أم سالم

[يجهل نفسه حيث لم يفرق بين الظيعة والوحشة وبين أم سالم^(٢)]

ومنه قول آخر:

إذا ما غيممي أثراك مفاخرأ

لنقل^(٣) أعر عن ذا كيف أكلك للصب

ويسمى الهزل أيضاً وهو كثير.

ويكسب المعنى بلاغة، ويكسوه ديباجة، ولقد أبلغ في الوعظ ما كان
ثم أحلام، وأوقع في الزجر لو كان لهم أفهام، وأسمع في النداء ولكن
القوم نيام!

(١) في (ب): جلالجل، والبيت هو لذي الرمة (انظر لسان العرب ٤٨٩/١)

(٢) ما بين المقومين زيادة في (ب)

(٣) سقط من (أ)

وجوابه، أن ذلك محتمل لأمرين:

أما أولاً: فيحتمل أن يشير بذلك إلى ضعف في أمر عثمان لما جرى في خلافته من الأحداث المتكررة بمحذلان أهل البصائر له كطلحة والزبير، ونصرة من لا بصيرة له مثل مروان.

(٣٠) ومن كلام له عليه السلام في قتل عثمان

لو أمرت [به] ^(١) لكنت قاتلاً؛ أراد لو صدر من جهتي أمر بقتله لكنت مشاركاً لمن قتله في حكم القتل، وهو الإثم؛ لأن الدال على الخير كفاعه، والدال على الشر كفاعه.

(أو بهت [عنه] ^(٢) لكنت باصراً)؛ أو بهت بالقتال والمجاهدة لقاتليه لكان في ذلك أبلغ اسصرة له، لكنني أرمز لكم إلى من نصره وخذله حقيقة، وأكني عنه بقول لطيف.

(غير أن من نصره لا يستطيع أن يقول: خذله من أنا خير منه، ومن خذله لا يستطيع أن يقول: نصره من هو خير مني)؛ وأراد بهذا أن مروان نصره، وطلحة والزبير خذلاه، فليس لمروان أن يقول: أنا خير من طلحة والزبير، وليس لطلحة والزبير، أن يقولوا: مروان خير منا.

سؤال: أي غرض لأمر المؤمنين في هذه الكناية؟ ولم لم يصرح بالمقصود، ويقول: طلحة والزبير خير من مروان من غير حاجة إلى هذه الرموز؟

وأما ثانياً: فيحتمل أن يكون تعريضاً بمروان ^(٣) لركة حاله، ورفعاً لحال طلحة والزبير لما لهما من السابقة، فكفى بهذه الكناية اللطيفة عما ذكرناه، وهو أبلغ من التصريح.

(وأنا جامع لكم امره)؛ أختصر لكم حاله وحال من أنكر عليه وأضبطه وأقول لكم فيه:

(استأثر فأساء الأثرة)؛ الأثرة بالتحريك هي: الاسم من الاستئثار وهو الاستبداد، ومراده بذلك الإشارة إلى ما كان منه من إثارة أقرابه من بني معيط بالأعمال على الأقاليم، وإعطائهم الأموال النفية التي فيها حقوق غيرهم مع عدم استحقاقهم لها، وكان شديد الحمية عليهم والأنفة لهم.

(وجزعتم فأساءم الجزع)؛ الجزع: نقيض الصبر، وإساءة الجزع، هي الزيادة على مقدار الاستحقاق في التجاوز إلى القتل، والعقوبة تكون على مقدار الجناية من غير زيادة وتجاوز حد.

(ولله حكم واقع)؛ قول فصل وأمر عدل يوم القيامة.

(في ^(٤) المستأثر والجازع)؛ عثمان وقاتليه، وكلامه ^(٥) ما هنا دال

(١) في (ب): لمروان

(٢) في (أ). بين، وفي (ب) وشرح النهج ما أثبت

(١) سقط من (أ)

(٢) سقط من (أ).

على خطأ قاتليه والإنكار عليهم فما فعلوه من ذلك.

وحكى قاضي القضاة عبد الجبار بن أحمد^(١)، عنه عليه السلام أنه قال .

(لَلْهُمَّ، العن قتلة عثمان في البر والبحر والسهل والجل)^(٢). وهذا هو اللاتق بمثله لعلوه في الدين وشهامة نفسه في الورع؛ لأن إراقة دم امرئ مسلم حرام فضلاً عن من له مزية الصفة وحرمة الإسلام.

وفي الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «من أعان على قتل مسلم ولو بنصف كلمة، كان حقاً على الله أن يعذبه»^(٣).

وفي حديث آخر: «لقتل مؤمن أعظم عند الله من زوال الدنيا»^(٤).

(١) هو: أبو الحسن عبد الجبار بن أحمد من عبد الجبار بن أحمد بن الحنبل البغدادي الأسترايضي قاضي نقضاة [٢٢٥-٤١٥هـ] أحد أعلام الفكر الإسلامي، عالم، فقيه مفسر، متكلم، مصنف في شتى العلوم، مولده في ضواحي همدان ينقسم خراسان، ورحل في طلب العلم إلى أقطار عديدة، وهو شيخ الإمامين الأخوين مؤيد بالله حمد بن الحسين الهاروني وأخيه لإمام أبي طالب يحيى بن الحسين الهاروني، ودع الإمام المؤيد بالله الهاروني الريدي. وله مصنفات منها: الأمالي في الحديث المسمى (نظم العوائد وتقريب المرد لبراند) ومنها (تست دلائل نوة سيد محمد عليه السلام)، ومنها (تنزيه القرآن من المطاعن) ومنها: (شرح الأصول الخمسة)، ومنها: (فصل الاعتزال) و(طعنات المعتزلة)، وغيرها (ع) وعن مؤيدته ومصادر ترجمته انظر أعلام المؤلفين الريدي ص ٥٣٢-٥٣٥.

(٢) المعنى الجزء المتمم العشرين ٤٣/٢

(٣) ورد الحديث يلفظ: «من أعان على قتل مسلم ولو بشطر كلمة»، في موسوعة أطراف الحديث ١٠٤/٨، وعراه إلى تنحصر الخبر لابن حجر ١٤/٤، وله فيها شواهد عدة، وقريباً منه بلفظ: «من أعان بشطر كلمة على قتل امرئ مؤمن بغير حق لقي الله عز وجل مكتوباً بين عبيده ليس من رحمة الله»، رواه العلامة أحمد بن يوسف ريدرة في نوار التمام ١٥٧/٥-١٥٨ وعراه إلى الجامع الكافي لأبي عبد الله العلوي واطر الكشف ٥٨٣/١-٥٨٤. (٤) أورده في موسوعة أطراف الحديث ٦/٦٠٨، وعراه إلى الكامل لابن عدي ٤٥٤/٢، ومسئ لسنائي (باب المحاربة) (ب ٢)، ورواه السيد العلامة أحمد بن يوسف زبارة في أوار التمام ١٥٩/٥ وعراه إلى النسائي عن بريدة

(٣١) ومن كلام له عليه السلام قاله لابن عباس لما أنفذه إلى الزبير ليستفنيه إلى طاعته قبل حرب الجمل

(لا تلقين طلحة): لا تروده بكلام، ولا تفتاحه في مخاطبته^(١).

(هناك إن تلقه): تخاطبه وتشاهده.

(عده كالشور عاقصاً قرنه): العقص هو: اللي، ومنه قولهم: تيس أعقص، إذا التوى قرناه على أذنيه من خلفه، وعقص الشعر: صقره، وجعله معقوصاً في قفاه

وفي الحديث: «نهى رسول الله صلى الله عليه عن عقص الشعر في الصلاة».

(يركب الصعب ويقول: هو الذلول): يأتي الأمور الصعبة على حد إتيانه للأمور السهلة، وجعل ما ذكره مثلاً يحاله في لجأه وتكبره وشكاسة طمعه وشرس خليقته.

(ولكن الق الزبير): فاتحه في الكلام وعاتبه.

(هناك أين عريكة): يقال: فلان لين العريكة، إذا كان سلساً مقداً والعريكة هي: الطبيعة.

(١) في (ب). مخاطبه

(فقل له): أبلغه عني رسالة.

(يقول لك ابن خالك): لأن الزبير أمه صفيّة بنت عبد المطلب عمّة أمير المؤمنين.

سؤال: لم قال ها هنا: يقول لك ابن خالك، ولم يقل: يقول^(١) لك أمير المؤمنين فيخاطبه بإمرة المؤمنين، التي هي علامة الإمامة وأمارتها، والشأن في تقرير الإمامة وثبوتها؟

وجوابه: هو: أنه وإن كان الأمر كما قلناه من إثبات الإمامة، لكن العرض ها هنا هو تقريبه واستعطاف حاله وفيه إلى الحق وتعريفه البصيرة، فلهذا كان ذكر الرحم التي بينه وبينه أقرب إلى الإصغاء وأدعى إلى الإقبال والانصراف عما هو فيه من البعي والشقاق.

(عرفتني بالحجاز): في المدينة حيث دفعت البيعة، والحال يومئذ حال مسألة.

(وانكرتني بالعراق): البصرة وما يليها وهو عرق العرب، وخوارزم ونواحيه وهو عراق العجم، وإنما قال بالعراق يذكره مكان^(٢) البغي ومواضع المشاقة، لأنها كانت هناك.

(فما عدا متابدا): أي ما أبعدك من قولهم: بعداً عن كذا إذا بعد عنه، أو ما جاوزك من عدا يعدو إذا جاوز مما ظهر منه من أمر البيعة، وما الأولى استفهامية، والثانية موصولة، ومن لا ابتداء الغاية،

(١) سقط من (أ)

(٢) في (ب): مكان.

وهذه الكلمة لم تسمع^(١) من أحد قبل أمير المؤمنين، فهو أبو عدريتها وابن نجلتها، وقد جرت مجرى الأمثال، ولقد بلغت هذه الكلمة في العتاب وحسن الاستعطاف وقطع المَعذرة^(٢) له ملفاً لا أمد له ولا غاية وراءه.

(١) في (أ): يسمع، وفي (ب) ما أثبت

(٢) في (ب): المصدر.

(٣٢) ومن خطبة له عليه السلام

(أيها الناس، إنا أصبحنا في دهر عنود) : أي مائل عن الحق، من قولهم : عند عن الطريق، إذا مال عنها، والمراد بذلك أهله، وإنما أضافه إليه لأن خلائق الناس وطبائعهم تابعة لأزمانهم التي هم فيها.

(وزمن شديد) : لما فيه من مكابدة الشدائد، ومعاناة الفتن.

(يعد فيه المحسن مسئناً) : المسيء كما يكون مسيئاً بفعل الإساءة فقد يكون مسيئاً بترك الإحسان، ومراده هاهنا هو أن يكون المحسن بمنزلة من ترك الإحسان لما يظهر من كمران نعمته

(ويزهده الظالم فيه عتواً) : تمادياً فيما هو فيه من الظلم لعدم من ينكره عليه، يقال : عتا يعتو عتواً وعتياً

قال محمد بن السري^(١) : مصدر عتا يكون بالو، فقول فيه : عتواً، وأما عتياً جمع عاتي فقياسه الباء ؛ لأن الجمع أثقل من المفرد فلهذا قلبوه إذا كان جمعاً، قال الله تعالى : ﴿وَعَتَوْا عُتُوًّا كَبِيرًا﴾ [الغراء، ٢١].

(لا نستفتح بما علمنا) : أي لا نعمل بما علمنا، وذلك هو النفع

(١) هو : محمد بن السري بن سهل، أبو بكر، المعروف بابن السراج، المتوفى سنة ٣١٦ هـ، أحد ثقة لأرب والعربية، من أهل بغداد، له مصنفات، منها : الأصول في النحو، وشرح كتاب سيويه وغيرهم (انظر الأعلام ١/ ١٣٦)

(ولا نسال عما جهلنا) : بل نعمل بالجهل ولا نبالي.

(ولا نتخوف قارعة) : ولا نتوقى حصول قارعة ولا نخذرها.

(حتى نحمل بنا) : تكون واقعة بنا، ولا ينفع الحذر بعد ذلك ؛ لأن الحذر من الشيء بعد وقوعه وحصوله لا فائدة فيه ولا جدوى له، وعسى عما ذكره أهل زمانه.

(فالناس) : بالإضافة إلى إقبالهم إلى الدنيا وإعراضهم عن الآخرة.

(على أربعة أصناف : فمنهم^(١) من لا يجمع الفساد في الأرض إلا مهانة نفسه) : أي لا يمنع خوف الله وتقواه، وإنما منعه ذل نفسه وحقارتها وهونها.

(وكلالة حده) : أي لا شوكة له لقلّة الأتباع والعشيرة.

(ونضيض وفره) : مال نضيض إذا كان قليلاً، وهو يائتون والضاد المعجمة، والوفر : المال ؛ لأنه يفر^(٢) ويجتمع.

(ومنهم المصلت لسيفه) : صلت سيفه إذا جرده عن عمده.

(والمعلن بشره) : أعلن الشيء علانية إذا ظهر، وأراد المظهر بشره.

(والمجلب بخيله وزجلته) : والمجلب هو الجالب، والخيل هم : الخيالة، والرحل هم : الرحالة.

(قد اشرط نفسه) : اشرط نفسه بكذا إذا علمها بعلامة، ومنه اشرط

(١) في شرح النهج : منهم.

(٢) أي يكثر ويتسع.

الساعة أي علاماتها، وأصله الشرط، وهو: العلامة للشيء.

(وأوبق دينه): أي أهلكه، والإيقاق: الإهلاك.

(بخطام^(١)): أشرط نفسه وأربقها من أجل خطام، وهو عرض الدنيا.

(ينتهزه): أي يستعجبه ويفتنمه، ومنه الحديث: «من فتح الله له باب حير ليعتبره؛ فإنه لا يدري متى^(٢) يغلق عنه»

(أو مبقي يقوده): المقنب: ما بين الثلاثين إلى الأربعين من الخيل.

(أو منبر يقرعه^(٣)): من قولهم: قرعته بالعصا، لأن العادة ممن يعلو المنبر أن يتوكأ على سيف أو قوس يقرعه بها، ومن هذه حاله فهو خاسر الصفقة.

(ولبس المتجر أن ترى الدنيا لنفسك ثمناً): اللام هذه في لبس هي المحقة للجملة بعدها، ولمعنى ولبس التجارة أن تكون الدنيا مع انقطاعها وحقارة عيشها ثماً لأنفس الأشياء عندك وهي نفسك.

(وئماً لك عند الله عوضاً): وأن ترى الدنيا عوضاً عما أعد الله لك من

لثواب الجزيل

(١) في شرح النهج، خطام.

(٢) في (أ) ما، والحديث بلفظ: «من فتح له باب من الخير ليعتبره» في موسوعة أطراف الحديث، ٤١٦/٨ وعزه إلى كثر العمال (٤٣١٣٤) وكتاب الزهد لأحمد بن حنبل ٣٩٤، وموارد الضمان ٣٨، والمغني للعراقي ٣/٣٢٩، والحديث بلفظ المؤلف ها رواه العلامة علي بن حميد القرشي رحمه الله في مسند شمس الأحبار ١/١٦٦ في الباب السادس والتماني وعزه إلى مسند الشهاب (واظر تحريجه فيه)

(٣) في شرح النهج: يقرعه، أي يملؤه

(ومنهم من يطلب الدنيا بعمل الآخرة): فتظهر من نفسك السك وتستعمل أنواع الزهاده توصلاً إلى زينة الدنيا وخطامها.

(ولا يطلب الآخرة بعمل الدنيا): وليس كدحه في طلب الدنيا من أجل صلة الأرحام واصطناع المعروف، وإنما يريد بذلك الفخر والرياء وطلب المحمدة من اللثام، فصار حاملاً بين محذورين: طلب الدنيا بعمل الآخرة فيصير مرثياً، ولا يطلب الآخرة بعمل الدنيا فيصير مخادعاً لنفسه.

(قد طامن [من]^(١) شخصه): أي سكن نفسه عمل الأبرار وأهل الصلاح

(وقارب من خطوه): عمل أهل السكينة والوقار.

(وشتر من ثوبه): نقشاً وزهاده.

(وزحرف من نفسه): زين قوله بالوعظ والمواظبة على الذكر.

(للامانة): من أجل أن يؤتمن على الأمانات فيخون فيها.

(واتخذ ستر الله): جعل ما كان من إسلامه وزهده الساترين لما

في ضميره^(٢).

(ذريعة): وسيلة يتوصل إليها^(٣).

(إلى^(٤) المحصية): كالحياة في الودائع والشهادة الكاديه.

(١) سقط من (أ)

(٢) في (ب): صمير بدون الهاء، وما أثبتته من (ب).

(٣) سقط من (أ)

(٤) في (أ): أتى وهو تحريف، وفي النهج وفي (ب) أنته.

النُّهْمُ: إِنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنَ الْإِقْدَامِ بِسُتْرِكَ، وَالْإِقْدَامِ عَلَى مَعْصِيَتِكَ لِمَا كَانَ حَلْمِكَ.

(وَمِنْهُمْ مَنْ أَقْعَدَهُ^(١) عَنْ طَلَبِ الْمَلِكِ): الْأَمْرُ وَالنَّهْيُ وَالْحُلُّ وَالْعَقْدُ وَالتَّسْلُطُ عَلَى رِقَابِ النَّاسِ وَغَيْرَ ذَلِكَ لَا يَجْعَلُهُ إِلَّا.

(ضَنُوءَةٌ نَفْسِهِ): حَقَارَتُهَا وَصَغَرُهَا، مِنْ قَوْلِهِمْ: ضَالَ جَسْمُهُ إِذَا صَغَفَ.

(وَنَقْطَاعٌ سِسِهِ): مِنَ الْأَمْوَالِ وَالتَّكْثُرِ بِالْعَشَائِرِ وَأَنْوَاعِ الْقُوَّةِ.

(فَقَصَّرَ بِهِ^(٢) الْحَالُ): الْحَالُ يَذْكُرُ وَيُؤَيِّسُ، وَأَرَادَ قَصْرَهُ التَّقْدِيرَ وَالْقَضَاءُ وَمَا سَبَقَ فِي عِلْمِ اللَّهِ لَهُ.

(عَلَى حَالِهِ): الَّتِي هُوَ عَلَيْهَا مِنْ غَيْرِ زِيَادَةٍ وَلَا نَقْصَانٍ فَلَمَّا عَجَزَ عَنْ ذَلِكَ أَظْهَرَ حَالَهُ أُخْرَى.

(فَتَحَلَّى): أَيِ اتَّصَفَ، مِنْ قَوْلِهِمْ: حَلَيْتُ لِرَجُلٍ إِذَا وَصَفْتَهُ

(بِاسْمِ الْقِنَاعَةِ): أَيِ صَارَ مُتَّصِفًا بِهَا، وَإِنَّمَا قَالَ بِاسْمِهَا تَنْبِيْهُاً عَلَى أَنَّهُ لَيْسَ لَهُ مِنَ الْقِنَاعَةِ إِلَّا الْإِسْمُ وَالْعِبَارَةُ دُونَ الْحَصَقَةِ وَالْمَعْنَى، وَالْقِنَاعَةُ هِيَ الرِّضَى بِالْأَشْيَاءِ

(وَتَزَيَّنَ): تَفَعَّلَ مِنَ الزَّيْنَةِ

(بِلِبَاسِ أَهْلِ الزَّهَادَةِ): لِيُقَالَ: هُوَ مِنْهُمْ وَمُنْدرَجٌ^(٣) فِي غَمَارِهِمْ.

(١) في شرح البهج أبعده

(٢) في شرح البهج: فقصرته

(٣) في (أ): ومندرج

(وَلَيْسَ مِنْ ذَلِكَ): الْإِشَارَةُ إِلَى مَا تَقْدَمُ ذِكْرُهُ مِنَ الزُّهْدِ وَالْقِنَاعَةِ.

(فِي مَرَاخٍ وَلَا مَغْدَى): الْمَرَاخِ وَالْمَغْدَى كَمَا يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَا مَصْدَرَيْنِ، كَمَا يُقَالُ^(١): لَيْسَ مِنَ الْأَمْرِ فِي وَرْدٍ^(٢) وَلَا صَدْرٍ، فَهُمَا أَيْضاً يَحْتَمِلَانِ الْمَوْضِعَ، وَالْغَرَضُ مِنْ ذَلِكَ هُوَ أَنَّهُ لَا نَصِيبَ لَهُ فِي شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ، (وَبَقِيَ رَحَالٌ): غَيْرُ مَنْ تَقْدَمُ ذِكْرُهُ.

(غَضُ أَبْصَارِهِمْ): خَفَضُهَا، مِنْ قَوْلِهِمْ: غَضَّ طَرَفَهُ إِذَا خَفَضَهُ.

(ذَكَرَ الْمَرْجِعَ): مَا يَتَذَكَّرُونَهُ مِنَ الرَّجُوعِ إِلَى اللَّهِ، وَكَانَ قِيَاسُ الْمَرْجِعِ الْفَتْحُ، وَلَكِنَّهُ خَرَجَ عَنْ قِيَاسِ يَابِهِ كَمَا لِلْمَصِيرِ

(وَأَرَاقُ دِمُوعِهِمْ): صَبَّهَا مِنْ أَرَقَّتِ الْمَاءُ إِذَا صَبَّتْ

(خَوْفُ الْمُخْشَرِ): الْوَرُودُ^(٣) إِلَى اللَّهِ تَعَالَى وَالْوُقُوفُ بَيْنَ يَدَيْهِ.

(فَهُمْ بَيْنَ شَرِيدٍ): مَطْرُودٍ.

(نَادٍ): النَّادِ هُوَ: النَّامِرُ

(وِخَانُفٍ): مُشْفِقٍ

(مَقْمُوعٍ): ذَلِيلٍ.

(وَسَاكِتٍ): صَامِتٍ.

(مَكْهُومٍ): مُشْدُودٌ^(٤) عَلَى فَيْهِ عَنْ أَنْ يَنْطِقَ.

(١) في (ب): قال.

(٢) في (أ): ورود

(٣) في (ب): الوارد.

(٤) في (أ): مشدود.

(وداع): إلى الله متصرع إليه.

(مخلص): لا يرجو غيره، ولا يخاف سواه.

(وشكلان): فاقده لولده، من الثكل وهو: فقد الولد.

(موجع): لما أصابه من ألم الثكل.

(قد أحلهم): أسقطت ذكركم، ومنه فلان خامل الذكر إذا كان ساقطاً.

(التقية): وهي التقوى وخوف الله تعالى في كل الأحوال.

(وشملهم^(١)): عمهم.

(الذلة): الهوان لأنفسهم.

(فهم في بحر اجاج): الأجاح هو: لماخ الرعاق، الذي لا يستطيع شربه، وأرد أنهم في أمر هائل وخطب عظيم، كمن يكون في البحر المالح لا يستطيع أن يشرب منه فهو في فلق وإشفاق.

(أهواهم): من شدة الخوف والقلق.

(ضامرة^(٢)): جافة، لأن الإنسان إذا اشتد خوفه وإشفاقه، جفت الرطوبة من فيه ويقلصت عنه.

(وقلوبهم): من ذكر الحنة والنار.

(فرحه): مجروحة، والفرح: هو الحرج.

(١) في شرح السمع وشملهم

(٢) في شرح السمع صمرة بالرائي، أي سكرة

(قد وعظوا): كررت على آذانهم الموعظة فوكت في قلوبهم

(حتى ملوا): من ذكرها في قلوبهم، وجعلها نصب أعينهم.

(وفهروا): فما لأحد منهم أمر ولا سطوة في شيء.

(حتى ذلوا): اعتراهم الذل وسلط^(١) عليهم.

(وفتلتوا): على إقامة حدود الله، وإعزاز كلمته وإظهار دينه.

(حتى قتلوا): فلا يوجد منهم إلا النادر القليل.

(فلنكن الدنيا اصغر في أعينكم): أذل وأحقر وأهون^(٢) في مرآتي بصائركم:

(من حثالة القرظ^(٣)): الحثالة من كل شيء هو: أردؤه وأهونه، والقرظ: شجر يدغ به، وحثالته: ما بقي^(٤) منه بعد الدبغ به.

(وفراضة الجلم): وهو ما يثبت عند القطع بالجلم وله شفرتان

(واتعظوا^(٥) من كان قبلكم): انظروا في أحوالهم وسيرهم، فالتسعيد من وعظ بغيره.

(قبل أن ينعض بكم من بعدكم): أراد قبل أن تموتوا فتصيروا موعظة لمن يأتي خلفكم.

(وارفضوها): اتركوها من قولهم: رفضه إذا تركه

(١) في (ب): وسلط.

(٢) في (أ): وهون، وما أثبت من (ب).

(٣) في شرح السمع: القرظ كما أثبت، وفي السخيت: القرص، بالصاد المعجمة وهو غريب.

(٤) في (ب): وحثالة ما يبقى منه إلخ.

(٥) في (أ): وتعظون، والصواب كما أثبت من (ب).

(ذميمة): مذمومة لغادها، ونقطع لذتها، وكثرة ما يكون من بيعتها^(١).

(فقد^(٢) رفضت): تركت.

(من كان أشغف منكم بها): ناس بلغ حبه شغاف قلوبهم، والشغاف: حجاب القلب.

وهذه الخطبة لم تترك لزاهد علة إلا شفتها، ولا حاجة لعابد إلا كفها، وقد نسها من لا عزم له باليلاغة، ولا عهد له بأساليب الفصاحة إلى معاوية، ولقد نقصها فيما قال وظلمها، وأزال عنها برهاها وعلمها، وهيات ثم هيات! أين الإبريز عن الأرزيز^(٣) وشان ما بين الدر المنضد والخشب المعقد! وقد دل على ذلك أستاذ البلاغة وسفيرها وحاكمها وأميرها عمرو بن بحر الجاحظ^(٤)، فإنه ذكر هذه الخطبة في كتاب (البيان)، وذكر من نسها إلى معاوية، ثم قال:

إنها بكلام أمير المؤمنين أشبه، وبمذهبه في تصنيف الناس وتقسيمهم إلى ما هم عليه أحق وأليق، ثم أقول: لست شعري متى وجدنا معاوية يرد هذه الموارد الصافية، ويقرع القلوب بهذه المواعظ الشافية، وأين عهدناه بحث على وظائف العبادة، ويحضر على مسائل الزهادة.

(١) في (ب) تنبه

(٢) في شرح النهج: ما كان قد رفض من كان أشغف بها منكم

(٣) الإبريز: الذهب الخالص، والأرزيز: نرّة صغار كالثلج (انظر القاموس المحيط)

(٤) هو عمرو بن بحر بن محبوب الكندي بدارلأب اللبي، أبو عثمان، المشهور بالجاحظ (٢٥٥-١٦٣هـ)، من أئمة الأدب العربي، ورئيس المرقعة الجاحظية المعتزلية، من أهل البصرة مولداً ورواة، وتعلم بها وبغداد، فبه في علوم الأدب واللغة، وتقرب من الخلفاء والوزراء في عصره، وله مؤلفات كثيرة، منها: البيان والتبيين، والحيوان، والحل والحلاء وغيرها (انظر معجم رجال الاعتبار ص ٢١٤)

(٣٣) ومن خطبة له عليه السلام عند خروجه لقتال أهل البصرة

قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: دخلت على أمير المؤمنين (عليه السلام) (ذي قن)^(١) وهو يخصف نعله، فقال لي:

(ما قيمة هذه النعل)، فقلت: لا قيمة لها

فقال (عليه السلام): (والله هي أحب إلي من إمرتكم هذه^(٢))، إلا أن أقيم حقاً، أو أدفع باطلاً).

ثم خرج (عليه السلام) فخطب الناس، فقال:

(إن الله سبحانه بعث محمداً صلى الله عليه وآله): اصطفاً واحتراره.

(وليس أحد من العرب يقرأ كتاباً ولا يدعي نبوة): أراد ذكر عظم موقع^(٣) النعمة على الخلق ببعثة الرسول، حيث كانوا قبل مبعثه في جاهلية جهلاء وضلالة عمياء، لا كتاب بين أظهرهم يرشدهم إلى الخير، ولا رسول فيهم يدعوهم إلى الدين.

(١) ذو قن، موضع قريب من البصرة، وهو المكان الذي كانت فيه الحرب بين العرب والعصر، وصارت العرب على لفرس قبل الإسلام (شرح ابن أبي الحديد ١٨٦/٢)

(٢) قوله: هذه، سقط من شرح النهج

(٣) العبارة في (أ): أراد عظم ذكر النعمة، وفيها سقط وغموض، وما أثبت من (ب).

(فَسَاقِ النَّاسِ): أراد أنه كان لهم منزلة السائق من ورائهم.

(حتى يوافهم محللتهم): مكهم في أماكنهم، وأنزلهم منازلهم، والمحلة بالكسر في قائتها: موضع الخلو، كما أن المنزلة موضع النزول.

(وبلغهم منحاتهم): أوصلهم، من قولهم: أبلغته مأمنه أي أوصلته، قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ أَلَفْنَا مِائِمَةً﴾ [البقرة: ١٠٠] والمنجاة^(١): مصدر من نجا ينجو منحة كالمسعاة والمرضاة.

(فاستقامت قفائهم): بحمد سعيه، واستعاره من استقامة الرمح، وهو أن لا يكون فيه اعوجاج.

(واطمأنت صفائهم): أي استقرت ورسخت، والصفاء: صخرة ملساء واستعاره منها، وفي المثل: فلان لا تبدى صفاته إذا كان بخيلاً، وإنما استعده منها^(٢) لما فيها من الرسوخ والاستقرار في مقرها.

(أما والله إن كنت لفي ساقنتها): الصمير في ساقنتها للصفاء والقامة، والساقنة: مزحر الجيش، وإن هاهنا هي المخففة من الشديدة، واللام جيء بها للفرق بينها وبين النافية، واسمها محذوف وتقديره: إني لفي ساقنتها.

(حتى تولت بخذافيرها): أراد حتى استقر الإسلام وتأييد الدين ورسخت أصوله، والحدافير: أطراف الشيء وأعالیه، والمراد بأسرها.

(ما عجزت): العجز: تقيض لقدرة.

(١) في (أ): ولجاء

(٢) ما بين المعنويين سقط من (أ)

(ولا جبنيت): ذلت عن ملاقات الأعداء ومنازلة الشجعان من أهل الشرك وعبدة الأوثان.

(وإن مسيري هذا): أراد أن مغاري هذا وحربي لأهل الشام.

(لمثلها): الضمير للساقة التي تقدم ذكرها، وأراد أن قتال هؤلاء معي كقتالي لأولئك^(١) مع رسول الله.

سؤال: كيف قال: إن قتال هؤلاء معي^(٢) مثل قتال من كان في زمن الرسول، والمعلوم أن هؤلاء من أهل القلعة، وأقصى ما في ذلك أنهم فساق تأويل فكيف قال: إن قتالهم مثل أولئك؟

وجوابه: أنه لما أراد المماثلة في كونه حقاً مقطوعاً بقتالهم وواجب عليه، لا في كونهم كفاراً، فالمعلوم من حاله أنه ما عاملهم معاملة الكفار في السي وسائر الأحكام الكفرية، وإنما عاملهم معاملة البغاة.

(فلأنقين الباطل): نقب الشيء إذا حرقه.

(حتى يخرج الحق من جنبه): وهذا منه تمثيل: لأن يكون الحق^(٣)

مغطى عليه فلا يخرج إلا بالقب والخرق، والجنب هو الجانب للشيء.

(هائي ولقريش): تعجب منه [من]^(٤) اعتراضهم له، وتأنيبهم عليه في بصرة الباطل وإشادته.

(١) في (أ): كقتال أولئك. وما أثبت من (ب)

(٢) قوله: معي سقط من (ب)

(٣) سقط من (أ).

(٤) سقط من (أ)

(والله لمد قتلهم^(١) كافرين): عابدين للأصنام والأوثان، منكرين للنبوّة، وأرد ما كان في أيام الرسول ﷺ من معارضة قريش له.

(ولاقناهم^(٢) مفتوبين): يعني وأنا الآن قاتلهم على بغيتهم وفستهم، وقاتلهم بالتأويل الذي لا يدفعهم عن حربي وقتالي.

(وإني لصاحبهم): الذي يعرفونه من قبل.

(بالأصم): أيام قتالي مع الرسول للكفار منهم.

(كما أنا اليوم صاحبهم^(٣)): كما أنا اليوم أقاتلهم فأقتل الناكثين والمارقين والفاستين كما قتلت الكافرين.

(٢٤) ومن خطبة له عليه السلام في الاستنفار إلى أهل الشام للجهاد^(١)

(أف لكم): أراد أنضجر من أفعالكم، وأنسخر من شيعتكم، وأستقدر صيغكم^(٢) في ترك الجهاد وإهماله، وهو منون دلالة على تنكيره، وفيه لغات ست، حكاهما الأخفش: ثلاث مع الحركة، وثلاث مع التنوين^(٣).

(لقد سئمت عتابكم): العتاب هو: الاسم من المعتبة، وهي مصدر عاتبه معاتبة.

قال الخليل بن أحمد^(٤): العتاب: مخططة الإدلال وذكر الموحدة، وأنشد:

أُعَاتِبُ دَا الْمَوَدَّةِ مِنْ صَنِيْقِي إِذَا مَا رَأَيْتَنِي مِنْهُ اجْتِنَابُ
إِذَا ذَهَبَ الْعِتَابُ فَلَسَ وَدَّ وَيَقِي الْوُدَّ مَا بَقِيَ الْعِتَابُ

(١) في (ب): بالجهاد

(٢) الصيغة في (أ) من أولها هكذا: تصجر من أفعالكم، ونسخر من صيغكم، واستقرر صيغكم، وفيها كما ترى سقط وتحريف، وما أثبت من (ب)

(٣) الثلاث التي مع الحركة هي: أف، أف، أف، والتي مع التنوين هي: أف، أف، أف.

(٤) هو: الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم التميمي الأزدي البجلي، أبو عبد الرحمن (١٠٠-١٧٠هـ) من أئمة اللغة والأدب، وواضع علم العروض، وهو أستاذ سيويه الحوي.

ولد ومات في البصرة. وهو مؤلف كتاب (العين)، أبو معجم يعوي رتب فيه كلام العرب على أبوابه، (انظر الأعلام ٢/٢١٤)

والستان اللذان أوردهما المؤلف ههنا، هما أيضاً في لسان العرب ٢/٦٧٤-٦٧٥، بدون نسبة إلى قائلهما

(١) في شرح النهج: قاتلهم

(٢) في (ب) وشرح النهج: ولأقاتلهم، كما أثبت، وفي (أ): ولأقتلهم

(٣) بعده في شرح النهج (١٨٥/٢): والله ما تنضم منا قريش إلا أن الله اختارنا عليهم، فأدخلناهم في حيرنا، فكانوا كما قال الأول:

أدعت لعمرى شريك المحض صديحاً

وأكلت بالرّيب المفسدة لجراً

ومحس وهالك الغلاء ولم تكن

عنباً، وخطنا حولك الحرّة والسمر

أنهى

(٤) في (ب): أي

ويقال: أصلح بينهم العتاب، ولسامة هي: الملالة، من سئم الشيء إذا مله، ومراده لقد كررت العتاب عليكم حتى ملته لكثرتة.

(أرصنم باحياة الدنيا من الآخرة عوضاً): أراد ترصون بعيشة منقطعة عوضاً عن ثواب دائم في الآخرة.

(وبالذل): بترككم^(١) الجهاد وإعراضكم عنه.

(من العز): بجهد عدوكم

(خيفاً): يحلفه ويقوم مقامه

(إذا دعوتكم إلى جهاد عدوكم): إذا ناديتكم وحييتكم إلى قتال هؤلاء لغاة أعدائي وأعدائكم في الدين.

(دارت أعينكم): فشلاً وحرعاً وتحيراً

(كانكم من الموت في عمرة): النمرة هي: شدة الموت وكرهه، مثل حالهم عند الدعاء إلى الجهاد بمنزلة من يقشاه الموت وتغمره شدائده، فلا^(٢) يكون من جهه إلا دوران العين في وجهه، ولا ينطق بحلوة ولا مرة.

(ومن الذهول في سكرة): ذهل عن الشيء إذا غفل عنه فلم يذكره؛ منزلة السكران الذي عليه السكر وغطى على قلبه.

(يوتج عليكم حوارى): أرتج عليه الكلام إذا ختم على فيه فلا ينطق، مبنياً لما لم يسم فاعله، وياث مرتج إذ كان مغلقاً، والحوار والمحاورة هي: المجاورة.

(١) في (٢): ترككم

(٢) في (ب)، ولا

(فتعمهون): العمه: التحير والتردد، يقال: عمه الرجل يعمه فهو عامه أي منحير، ومراده أخاطبكم فتستغلّق عليكم مجاويتي تحيراً وذهاباً في التردد كل مذهب.

(وكان^(١) قلوبكم مالوسة): الألس: ذهاب العقل واختلاطه، والمألوس: المجنون.

(فأنتم لا تعقلون): ما يراد منكم، مثل حالهم في قلة تمييزهم وتحيرهم في مسالكهم بمنزلة من اختلط في عقله فلا عهد له بالتمييز.

(ما أنتم لي بثقة): فأتكل عليكم في جميع أموري بالنصح والمودة.

(سحبس اللئالي): أبد الدهر وعمره.

(ما أنتم^(٢) بركن): ركن الشيء: جانبه الأقوى

(عال^(٣) به): يعتضد به ويستند إليه، وفلان يأوي إلى ركن شديد أي عز ومنعة، وأراد أنكم لستم أهلاً لمن يعتز بكم ويلوذ إلى جابكم.

(ولا زواهر عز): زفر البحر [يزفر]^(٤) إذا اشتد موجه وعلا، والزافرة هي: النار، والزافرة هي: عشيرة الرجل.

(يفتقر إليكم): يحتاج إليكم عند النوائب، وتكونون ملجأ عند وقوعها.

(١) في شرح النهج: مكان

(٢) في شرح النهج: وما أسم

(٣) في شرح النهج: يقال بكم،

(٤) سقط من (أ)

(ما أنتم إلا كإبل ضل رعاتها؛ فكلما جمعت من جانب انتشرت من جانب^(١))؛ ما مثلكم فيما أدعوكم إليه من أمر الجهاد ومنازمة من حالف الحق في تفرقكم عما أقول، وتشت أرائكم فيما أريد، إلا كإبل تجتمع مرة وتفرق أخرى، تجتمعون عند سماع كلامي، ثم تفرقون^(٢) بعد ذلك عن مخالفة وتحاذل.

(بنس^(٣) لعمر الله): بنس كلمة ذم، ولعمر الله قسم، وقد قرنا^(٤) تفسيره من قبل.

(سعر [نار]^(٥) الحرب أنتم): سعر النار: لها وهجائها، وسعر الحرب: شدته وحميه، وهو مأخوذ من استعار^(٦) النار وهو تلهبها: قال الله تعالى: ﴿إِنَّ التَّجْرِمَ مَثَىٰ فِي صَلَالٍ وَنُفَرٍ﴾ [نفر: ٤٧] والسعر^(٧) هو: اسم من أسماء جهنم، ومراده أنكم بنس قوماً يستصربهم في الحرب، ويستعان بهم عند شدتها ولتهاها.

(تكدؤن): يكر بكم، وتخدعون في الحرب.

(ولا تكبدون): ولا تفعلون كما فعل بكم^(٨) عجزاً منكم ونزولاً

(١) في نسخة وفي شرح النهج: نشرت من جانب آخر

(٢) في (أ)، ثم تفرقون بعد ذلك بمخافة وتحاذل

(٣) في شرح النهج: لنس

(٤) في (ب)، حرنا،

(٥) سقط من (أ)

(٦) في (ب)، إسماع، وهو لها

(٧) في (ب)، والسعر

(٨) في (أ)، لكم، وما أنه من (ب)

في هممكم^(١)، ويحتمل أن يكون مراده محاربون ولا يكون^(٢) منكم حرب بغيركم، والمكيدة هي: الحرب. وفي الحديث: «خرج رسول الله فلم يلق كيداً»^(٣) أي لم يصادف حرباً.

(وتنتقص أطرافكم): أراد بقص الأطراف إما أخذ بعض البلدان، وإما قتل بعضهم، وفي قوله تعالى: ﴿وَأَلَّوْكُمْ يَزَوَّجُوا أَنَا نَأْتِي الْأَرْضَ نَقُصُّهَا مِنْ أَطْرَافِهَا﴾ [الرعد: ٤١] إما يموت لعلماء، وإما يخراب أطرافها.

(فلا تمتعضون): بالعين المهملة والضاد بنقطة من أعلاها^(٤)، والعض: العضب، يقال: معضت من الأمر أعضض معضاً إذا غضت منه، فأما المنقص بالصاد المهملة والعين بنقطة من أعلاها فهو تقطيع في المعاء وهو محتمل ها هنا أيضاً، وسماعنا في الكتاب هو الأول.

(لا ينام عنكم): أراد [أن] أعدائكم قد أبطأهم السهر في إرصاد الحرب وطلب المكائد لكم

(وأنتم في غفلة ساهون): غافلون عن مكيدة^(٥) الحرب ومراصدها.

(غلب والله المتخاذلون): لأن مع التخاذل ذهاب الاجتماع والألفة

(١) في (أ): همكم

(٢) في (ب): ولا يكن.

(٣) هو: في نهاية ابن الأثير ٤/ ٢١٦ من حديث ابن عمر بلفظ: «وأن رسول الله ﷺ عزا عزوة

كدا فرجع ولم يلق كيداً» وهو من حديث ابن عمر أيضاً وبلغت النهاية في لسان العرب

٣/ ٣٢٠.

(٤) في (أ): أعلا.

(٥) سقط من (أ)

(٦) في (ب) مكيد

وحصول لفشل، وهذه لأمر كلها مظنة الغلب، ولهذا قال تعالى:
﴿وَلَا تَأْخُذْهُمْ أَصْحَابُهَا فَكَلِمَتُكَ أَوْ كَلِمَتُكَ﴾ [١٦]

(واييم الله): هي كلمة تستعمل في القسم، وفيها لغات كثيرة^(١)، وهي مرفوعة على الابتداء، وخرها محذوف تقديره: ايم الله قسمي.

(إني لآظن بكم): ليعلب على طني، وتصديق فيه فراستي لما أرى من تحذلكم

(أن لو خش^(٢) الوعى^(٣)): اوعى: الحرب، وقوله: خمش بالخاء نقطة من أعلاها، وشين بثلاث من أعلاها أي توقدت الحرب وتلهبت، من قولهم: أخمشت القدر إذا تسعت وقودها، فأما حمس بالخاء المهملة وبسين^(٤) بثلاث من أسفلها، فهو: عبارة عن الشدة في الأمر، لكن الأول هو الأولي، وهو من^(٥) سماعاً في الكتاب، وأن ها هنا هي المخففة من الشديدة، وهي سادة مسد مفعولي ظنت، ولا بد من اللام في خبرها جواب للو، لكن لفظه قد^(٦) قامت مقامها في جوابها، وحالها ها هنا مثلها في قوله تعالى: ﴿وَأَلْوِ اسْتَأْمَرُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْتَبَاقَهُمْ﴾ [١٦].

(١) يقول المحويون: يم الله، بفتح الهمزة وكسرها، ويرى أموي الميم وحدها فقالوا: م الله، بضم الميم وكسرها، وربما قالوا: م الله بضم الميم والنون، ومن الله بفتحهما، ومن الله بكسرهما، (انظر بحر الصالح ص ٧٤٥)

(٢) في شرح النهج: حمس بالنون المهمة، أي اشتد.

(٣) بعده في شرح النهج واستخرج الموت

(٤) في (ب): وسين

(٥) سقط من (ب) قوله: من

(٦) في نسخة لرو، (هامش في ب)

(قد انفرجتم عن ابن أبي طالب): فرجت الأمر أفرجه فرحاً إذا كشفت، وانفراج إذا انكشف، والفرج بالتحريك هو: الاسم، والمصدر منه فرجاً يسكون عينه.

(انفراج الرأس): انفراجاً يشبه انفراج الرأس، وأراد انفصلاً لا اتصال بعده أصلاً، إما بانفراج الرأس عن قبل المرأة فإنه لا يرجع إلى مكانه أبداً عند الولادة، وإما انفراج الرأس عن العنق بالقطع فإنه لا يرجع أيضاً؛ ب كله محتمل كما ترى، وأراد أنهم عند اقترانهم عنه لا يرجعون إليه كما يفعل الأبطال عند اللقاء.

(والله إن امرأ يمتن عدوه من نفسه): بالسكون عنه، وانتفاقل عن مكافاته

(يعرق لحمه^(١)): يأخذ اللحم الذي فوقه.

(ويهشم عظمه): يكسره، من قولهم: هشم العظم إذا كسره

(ويفري حله): يقده.

(لعظيم^(٢) عجزه): لقد بلغ في العجز وخساسة النفس وركة الطبيعة مبلغاً لا حد له ولا نهاية وراءه

(ضعيف ما تضمنت^(٣) عليه جوانح صدره): من الغيرة على ما فعل به والألفة، وكل ذلك تأباه الطباع الشريفة، وبكرهه النفوس الأبية، وكل ما ذكره^(٤) مبالغة في سقوط همه من هذه حاله وسحق طبعه.

(١) في (أ): يعرق عظمه، وما أثبت من (ب)

(٢) في (أ): لعظم، وما أثبت من (ب).

(٣) في شرح النهج: ما صحت.

(٤) في (ب): ما ذكر

(وَأَمَّا^(١) فَكُنْ ذَلِكَ): الصمير بقوله: أنت خطاب لبعض من يخاطبه من أصحابه، والإشارة بقوله: ذاك إلى من تقدم ذكره، وهو الموصوف بالعجز، وتمكين نفسه من عدوه

(إِنْ شِئْتَ): المشيئة هي: الإرادة، وأراد إذا شئت أن تكون مثل من وصفت حاله [في]^(٢) اعجزر والتمكين فكن، فعاره عليك ونقصه على نفسك.

(فَأَمَّا أَنَا فَوَاللَّهِ): فهمتي أعلا وأشرف، ونأى طباعي وتكره خلائقي أَن أَكُونَ كَذَلِكَ

(دُونَ أَنْ أُعْطِيَ ذَلِكَ): دون تقيض فوق، وهو تقصير عن العاية، والمعنى أنه يحول بين إعطائي لذلك، يريد التواضع للعدو والتصاغر ليقضي في أعراضه وينفذ في أحكامه.

(ضَرْبٌ): نكره لما فيه من المباغة، كأنه قال: ضرب وأي ضرب.

(بِالْمُشْرِفِيَّةِ): وهي السيوف، قال أبو عبيدة:

نسبت إلى مشارف وهي قرى تدنو من الريف للعرب^(٣).

(تَطِيرُ): أي^(٤) تذهب.

(مَنْهُ): من أجله وبسببه

(١) في شرح النهج: أنت بغير راو

(٢) سقط من (أ)

(٣) في (أ): المعرت، وما أثبت من (ب).

(٤) قوله: أي سقط من (ب).

(فَرَأَشَ الْمَامَ): عظام رفاق تلي قحف الرأس.

(وَتَطْيِحُ): أي تسقط.

(مِنْهُ السَّوَادُ وَالْأَقْدَامُ): شدته وعظم وقعه، فهذا هو الذي تدعو إليه نفسي وتقضي به عزيمتي.

(وَيَفْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ ذَلِكَ مَا يَشَاءُ): من الأقضية والمقادير في الخلق من العز والذل والنصر والخذلان وغير ذلك مما يريد.

(أَيُّهَا النَّاسُ، إِنْ لِي عَيْبِكُمْ حَقًّا): لكوني إماماً لكم وحليفة عليكم.

(وَلَكُمْ عَلَيَّ حَقٌّ): لكونكم رعية لي، «وكلكم راع، وكلكم مسئول عن رعيته»^(١).

(فَأَمَّا^(٢) حَقَّكُمْ عَلَيَّ): وإنما قدم ما لهم على حقه لما في ذلك من الاهتمام بأحوالهم، والمواظبة^(٣) على ما يكون متعلقاً بهم.

(فَالنَّصِيحَةُ لَكُمْ): [في]^(٤) الأمور الدينية والدنيوية فإن رأس الدين هو النصيحة، كما قال صلى الله عليه وآله: «أَلَا إِنَّ الدِّينَ النَّصِيحَةُ»^(٥) قالها ثلاثاً.

(١) احدث شهيراً ومصادره كثيرة انظر مصادره في مطمح الآمال ص ٦٣، وفي موسوعة أطراف الحديث السوي ٤٥٣/٦.

(٢) في (أ): فما، وهو غريب

(٣) في (أ) و(ب): المواظبة

(٤) سقط من (أ)

(٥) حديث الدين النصيحة، حدث شهيراً أيضاً ومصادره كثيرة، رواه في مسند شمس الأحيار ١٣٥/١ في الباب السادس عشر وعراه إلى أمالي السمان، وهو في مطمح الآمال ص ٣٩٦. وأورده في موسوعة أطراف الحديث البيوي ٤٤/٥، وعزاه إلى مصادره كثيرة منها البحري ٢٢/١، ومسلم (الإيمان) ب ٢٣ رقم (٩٥)، والترمذي ١٩٢٦، وابن السائي (المجنى) ١٥٧/٧، ومجموع الروائد ٨٧/١، وغيرها

(وتوفير فينكم عليكم): لفيء: ما يغنم، ومراده أقسمه عليكم من غير حيانة مني فيه، ولا نقص لأحد منكم من نصيبه.
(وتعلمكم كيلا تجهلوا): معالم الإسلام^(١) والدين كلها كيلا تجهلوا شيئاً منها.

(وتاديبكم): بتعريف الآداب الحسنة.

(كيما نعملوا)^(٢): بها فهذا ما يتوجه من حقكم عليّ.

(وأما حقي عليكم): ما أوجب الله عليكم، وفرصه من أمري.

(فالببيعة^(٣)): بيان^(٤) أكون منكم على ثقة فيما أورد وأصدر من أفعال الإمامة وإيالة السياسة.

(والنصيحة في المشهد والغيب): عند حضوري وغبتي لا يفترق الحال في ذلك، كما قال (عليه السلام) حين ذكر «أن الدين النصيحة» ثلاثاً، فقالوا: لمن؟ فقال: «لله، ولرسوله، ولأئمة المسلمين».

(والإجابة حين أدعوكم): للجهاد وقتال من يتبني قتاله من مخالفني الحق.

(والطاعة حين أمركم): بشيء من الأوامر الدينية المصلحة لكم في دينكم ودنياكم.

(١) في (ب): في الدين.

(٢) في شرح النهج: كيما تعلموا

(٣) في شرح النهج: فالوفاء بالبيعة

(٤) في (ب) في أن.

(٣٥) ومن خطبة له عليه السلام بعد التحكيم

اعلم أن ما كان من أمر التحكيم، وما جرى فيه^(١) من الفتنة، فأمر المؤمنين معذور فيه لأمرين:

أما أولاً: فلأنه لم يصدر عن رأيه ولا كان منه رضى به بل قد نهى عنه، كما سيأتي في [بعض]^(٢) كلامه.

وأما ثانياً: فلأنه لو قدرنا أمره به فإمّا أمر لما فيه من المصلحة من الاحتكام لأمر الله وأمر كتبه، وحصول الخديعة من بعد لا تمنع من حسن أمره^(٣) به، والسبب في ذلك هو أنه لما استنجر^(٤) القتل في أيام صفين من أصحاب معاوية، وكان النصر لأمير المؤمنين وأصحابه، وهموا باستئصال شأفتهم وقطع الدابر فيهم؛ أعملوا الحيلة مكرراً وخديعة في رفع المصاحف والتحكيم، فكان من أمرا الحكمة أبي موسى وعمرو بن العاص ما كان من المكر [والخديعة]^(٥) والخيانة والخلع لأمير المؤمنين، وتقرير أمر معاوية، فقات الخوارج: أبعد أن قتلنا معك بشراً كثيراً، وقتل منا معك بشر كثير

(١) في (ب): عليه

(٢) سقط من (ب).

(٣) في (أ): أمرته، وما أثبت من (ب)

(٤) في (أ): استنجر، وهو غرّف

(٥) سقط من (أ).

[حكمت^(١)] في دين الله، فهل كنت شاكاً في أمرك؟ قال: (لا)، قالوا: فهلا قاتلت على الحق، ولم تحكم، قد أخطأت وكفرت فتب^(٢) إلى الله تعالى: فقال لهم:

(أبعد^(٣)) إيماني بالله، وجهادي مع رسوله، أشهد على نفسي بالكفر قد ضللت إذا، وما أنا من المهتدين)، ثم حثف في لتحكيم، فقالت خوارج: كان كفراً، وفيل: كان خطأ، ولكن أمير المؤمنين أكره عليه، وفيل: كان صواباً لاختلاف أصحاب أمير المؤمنين فيه، والحق ما قلبه أولاً من أنه كان كارهاً له في أول الأمر ناهياً عنه، ثم لو أمر به فإنما أمر به لما فيه من ظن المصلحة الدينية والافتقار لأمر الله وأمر كتابه^(٤)، فلما انقضى أمر التحكيم على ما اشتمل من المكر والخديعة، قال (عليه السلام) بعد ذلك

(الحمد لله وإن أتى الدهر بالخطب): أعظم الأمور وأشدّها.

(الفادح): فدحه الأمر^(٥) إذا بهظه^(٦) وأثقله، لا تنقل الهمزة فيقال: أفدحه.

(والحدث جليل): الحدث: الأمر الحادث، الجليل: العظيم حاله، يشير بذلك إلى ما كان من عواقب أمر التحكيم من الخطوب العظيمة والأحداث الجليلة.

(١) سقط من (ب)

(٢) في (ب): تب بدون اللام

(٣) في () بعد، بدون همزة لاستخدام، وما أثبت من (ب)

(٤) انظر المعنى للعاصي عند آخر الجزء المسموع العشرين ٩٥/٢-١١١

(٥) سقط من (ب)

(٦) في السج: بهضمه، بضم الصاد المعجمة وهو محريف، والصواب كما أثبت

(وأشهد أن لا إله إلا الله، ليس معه إله غيره): ﴿إِذَا لَقِبَ كُنُ إِلَهَ بِمَا خَلَقَ وَلَمْلاَ يَتَّخِذْهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ [سورة ٩١].

وقوله: ليس معه إله غيره بعد قوله: (أشهد أن لا إله إلا الله) استحضاراً للجملة الأولى وتأكيداً لها ونظيره قوله تعالى: ﴿أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا﴾ [سورة ٢١: ٢٢]، فإنها استحضار لما تقدمها من قوله تعالى: ﴿إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا﴾ [سورة ٢٠: ٢١] وهذا من أسرار علوم البيان، ورمزه الدقيقة.

(وأن محمداً عبده ورسوله): شهادتان أثقل ما وزن، وأفضل ما خزن.

(أما بعد، فإن معصية الناصح): مخالفة السادل للصيحة لله تعالى وللرعية.

(الشقيق): المحب، من الشفقة، وهي: المحبة

(العالم): بما يكون صلاحاً لهم في الدين والدنيا.

(المحرب): للأمور، المحنك بالتجارب

(تورث الحسرة): الحسرة: أشد التلهف.

(وتعقب الندامة): ويكون عقباها لما فيها من المخالفة له الندم على ما فات^(١) من موافقة رأيه.

(وقد كنت أمر تكلم في هذه الحكوة): التي كانت سبباً للحدع والمكر.

(١) في (أ): على مات، وفيها سقط، وما أثبت من (ب)

(أمري): الأمر الذي أرجو أن يكون صلاحاً لكم^(١) في دينكم.

(ومحلتكم^(٢) لكم): أعطيتكم من الحلة وهي: العطية، يقال: غلته ومحلت له يتعدى ولا يتعدى

(محزون رأيي): رأياً كنت خزنته لكم وحررتك من أحلكم.

(لو كان يطاع لقصير أمر): هذا مثل مشهور، وكان ها هنا هي الناقصة، وفيها ضمير الشأن والقصة، وسبب ذلك هو أن جذية الأبرش قد كن قتل أبا الزباء عمرو بن الظرب، فأرسلت إليه الرباء تستدعيه إلى كاحها وزينت له ذلك بانضمام ملكها إلى ملكه فاعتر جذية بذلك، وعزم على المسير إليها، واستصوب ذلك نصحاؤه إلا قصيراً مولاه فإنه بهاء عن ذلك فعخاله جذية، وسار نحو الزباء، فلما قرب من بلد الزباء استقبله جودها مع الأسلحة وأحاطوا بجذية، فقال له قصير: انصرف فلم يقبل جذية قوله، وقتلوه، فقل قصير: لا يطاع لقصير أمر، قصار مثلاً

(هأببتم علي): فكرهتم ما قلته، ورددتكم رأيي علي.

(إباء المخالفين الجفافة) الذين دأبهم المخالفة لأمرائهم فيما يقولونه من مصحتهم، والجفافة: خلاف البر، يقال: جفاه إذا لم يبره.

(والمناذبين العصاة): المنازعين له في الرأي عصياناً وتمرداً منهم، واستمرت بهم هذه المنازعة والمخالفة

(١) سقط من (ب)

(٢) في شرح النهج: ومحلت لكم

(حتى ارتاب الناصح بنصحه): خالطت الريبة وهي الشك من كن ناصحاً، وأدخلت عليه الشك في قتاله معي والنصح لي.

(وضن الزند بقدره): الضن من الصنة، وهي البخل، والزند: عودان أعلى وأسفل، فالأعلى منهما^(١) زند، والأسفل زنده يوربان^(٢) النار، والقدر: ما يخرج منهما من النار، واستعاره ما هاهنا هو فيه من عدم قبول رأيه وبذله للنصح

(فكنت أنا): فيما بذلته للنصيحة.

(وانتم^(٣)): فيما خالفتكم.

(كما قال أخو هوازن): دريد بن الصمة^(٤):

(أَمَرْتُكُمْ أَمْرِي بِمُتَعَرِّجِ اللَّوَى

فَلَمْ تُسْتَبِيحُوا الصَّحَّاءَ إِلَّا صَحَّى الْعَدِي^(٥))

(١) في (أ): هبما، وهو تحريف

(٢) في (أ): يوربان، وهو تصحيف، والصواب ما أنه من (ب)

(٣) في شرح النهج: وياكم

(٤) هو: دريد بن الصمة الحشمي البكري، المتوفى سنة ٤٨ هـ، من هوازن، شجاع من الأبطال الشعراء المعمرين في الجاهلية، كان سيد بني جشم وفارسهم وقائدهم، وعرا نحو مائة غزوة لم يهزم في واحدة منها، وأدرك الإسلام ولم يسلم، فقتل على دين الجاهلية يوم حى (الأعلام ٣٣٩/٢).

(٥) البيت الذي غنث به أمير المؤمنين علي (عليه السلام) لسريد بن الصمة، هو من جملة أبيات أوردها ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة ٢/٢٠٥ وهي:

تصحت عارض وأصحاب عارض	وربط بنى أسوداء واقوم شهدي
فعلت لهم: ظنوا بألقى مدحج	سراهم في العارسي، سرور
أمرتهم أمري بمعرج اللوى	فلم يستبيحوا الصم إلا ضحى العدي
فلما عصوني كنت منهم وقد أرى	عويتهم وأنتى غير مهتدى
وما أنا إلا من غربة إن عبرت	غويت وإن ترشد عزبة أرشد

وكان من قصته أن أحماء عبد الله بن الصمة غزا قوماً، وغنم منهم، وساق إبلهم وأقام بمنعرج اللوى فنهاه دريد عن المقام بذلك الموضع، وقال له: إن القوم سيطلقونك ويتبعونك فليح أخوه وأقام، ثم ظعن دريد، ولحق القوم أخاه فقتلوه وأفلت دريد، فقال هذا البيت، فتمثل به أمير المؤمنين، فحصل من مجموع ما ذكرناه أن إعرابه وموضع التمثيل منه طهران، فلا حاجة بنا إلى شرحه.

(٣٦) ومن خطبة له عليه السلام في تخويف أهل النهر^(١)

هولاء قوم كانوا في معسكر أمير المؤمنين فتأخروا عن متابعتهم بغياً وعناداً، وهم القرأء، وكان عددهم إلى زهاء أربعة آلاف فأبلغ إليهم في الإعذار والتخويف، فأبوا فقال لأصحابه:

(اقتوهم، فوالله ما يقتل مكم عشرة، ولا يبقى منهم عشرة) وكان فيهم ذو النُدبة، وكان من حملة ما خاطبهم به من التخويف والإبلاغ في المعذرة.

(فإني^(٢) نذير لكم): الذير هو: المعلم، والإنذار هو: الإعلام، وهو لا يكون إلا في الأمور المخوفة، قال تعالى: ﴿نَذِيرٌ لَّكُمْ يَوْمَ تَدْعَىٰ عَذَابِي شَدِيدًا﴾ [س.١٦].

(أن تصبحوا صرعى): مقتولين في مصارعكم، وهي: أماكن القتل.

(بأثناء هذا النهر): جوانبه ونواحيه.

(واعضام^(٣) هذا الغائط): الأعضام: جمع هضم بكسر الفاء،

(١) في شرح النهج: الهروان

(٢) في شرح النهج: فأنا

(٣) في شرح النهج: وباهضام.

وهو: ما اطمأن من الأرض واستدق، والأهضم من الخيل: ما استدق أعلاه^(١) حنيه

قال ابن السكيت: ما استدق^(٢) أهضم، وهو عيب فيها، والغائط: ما اطمأن من الأرض وكان واسعاً.

(على غير بيئة من ربكم): من غير حجة وضحة أخذتموها من كتاب الله أو سنة رسوله

(ولا سلطان مبین معكم): ولا برهان صاحبكم وأدليتم به في مخالفتكم هذه وبغيتكم في تأخركم عن معسكري نعباً وعناداً.

(قد طوّحت بكم الدار): أذهبتكم حالتكم هذه في داركم إلى مذهب من الخيرة، والتطويح: التحير.

(واحتبلكم المقدار): الاحتمال افتعال، واشتقاقه من الأجبولة، وهي: شرك الصائد، والمقدار هو: التقدير، قال الله تعالى: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَ بَيْتِنَا﴾ (الرحمن) ولعني: واصطدكم التقدير بسوء آرائكم^(٣).

(وقد كنت نهيتكم عن هذه الحكومة): بلغت جهدي في المنع عنها لما فيها من افتنة، ووقوع اشك والريبة، والفت في أعضاء المسلمين عن قتل عدوهم، وقطع دابره، واستئصال شأفته

(فأبيتكم علي): ففلموني وعلا رأيكم على رأيي حيث كان سبباً لفسكم بتأخركم عني

(١) كذا في السحتين، ولعل الصواب: أعلاه

(٢) في (أ). ما سبق

(٣) في (ب). لسوء رأيكم

(إساء المخالفين المناهدين): فعل من يريد انشقاق العصا لمخالفه، ومنارعتي لما أنا فيه، فكان لكم الغلبة في أمر هذه الحكومة.

(حتى^(١) صرفت رأيي إلى هواكم): انقدت^(٢) لما قلتموه، وساعدت إلى ما أردتموه من ذلك، وإنما ساعد إلى التحكيم لأمرين:

أما أولاً: فلما يرجوه من الصلاح، والتسامح^(٣)، وقصده^(٤) المتابعة لأمر الله وحكمه لما يذلوه.

وأما ثانياً: فإنما أجاب إليه ضرورة لما رأى من انفاق الأكثر من عسكره عليه.

قال أبو جعفر الإسكافي^(٥): ورسد على أن أمير المؤمنين كان غير راض بهذه الحكومة أنه قال: (لقد أمسيت أميراً وأصبحت اليوم مأموراً، وكنت أمس ناهياً واليوم^(٦) منهيّاً) كل هذا دلالة على عدم رضاه، وإنما كان لما^(٧) ذكرناه.

(١) قوله: حتى سقط من (أ)

(٢) في (ب): ابعدت

(٣) حكى في السحتين، ولعل الصواب: الشعث

(٤) في (أ). وقصد

(٥) هو: محمد بن عبدالله، أبو جعفر الإسكافي المتوفى سنة ٢٤٠هـ، من متكلمي المعتزلة، وأحد أئمتهم، نسب إليه الطائفة (الإسكافية) منهم، وهو بغدادى أصله من سمرقند، له كتاب (نقص العثمانية) للبحار ط (الأعلام ٢٢١/٦)

(٦) في (ب). فأصبحت منهيّاً، وانظر كلام أمير المؤمنين الذي أورده المؤلف هنا لأبي جعفر الإسكافي في المفسر ١٠٧/٢/٢٠، وفي شرح ابن أبي الحديد ٢١٩/٢، وانظر أمير التحكيم كاملاً فيه ٢٠٦/٢-٢٦٤ وفي المعنى

(٧) في (ب). كما

(وأنتم معاشر [العرب] ^(١)) : جمع معشر، أي أقوام من جهات كثيرة قد اجتمعتم.

(أحفاء الهام) : يشير بذلك إلى ما يعتريهم من كثرة الطيش والفشل وعدم الاتئاد في الأمور كلها، والهام هو : موضع الدماغ ^(٢) وجعله ^(٣) كناية عن دهاب الوقار عنهم

(سفهاء الأحلام) : والسفه : نقيض الحلم، وأصله من سفهت ^(٤) الريح الشحر إذا مالت به، والمعنى أن الجهل مال بهم عن الحق والاستقامة.

(ولم أت لا أبا لكم بخراً) : البجر بضم الفاء هو : الشر ^(٥) والأمر الأعظم، قل :

أرمني عليها وهي شرء بجر ^(٦)

أي عظيم، وقوله : لا أبا لك ^(٧) كلمة تستعمل تارة في المدح، والغرض به أنك مفرد ^(٨) لا يلد أب مثلك، وتارة في الذم ومعناه لا أبا لك تفر عينه بك، وغرضه هاهنا ذمهم بما ^(٩) فعلوه

(١) سقط من (ب)، ومن شرح الهج

(٢) قوله : الدماغ، في (أ) مسح وغير واضح

(٣) في (ب)، وحملها

(٤) في (أ) تسفهت

(٥) في (أ)، السد، وهو خطأ، وما أنشئه من (ب)

(٦) أورده في اللسان ١٦١/١ بدون نسبة إلى قائله، وعجزه فيه

والقوس فهـ ونـر حجر

(٧) في (ب)، لا أبا لكم

(٨) في (ب) : مفرد

(٩) في (ب) : بما

(ولا أردت بكم ضرراً) : ولا قصدت فيما أشرت به من ترك التحكيم مصارة بكم ولا إضراراً، وفي بعض السح : (ولا أردت بكم غراً) والغر بالضم : قروح تصيب مشافر الإبل، تكوى غيرها فتراً، وفي المثل :

كذي الغر يكوى غيره وهو راتم ^(١)

واستعاره ههنا للشر، فحصل من كلامه هاهنا أنه (عليه السلام) لم يرض بالتحكيم لما ذكرناه، ثم إن رضي به فإنما رضي به لما يرجو فيه من الصلاح واستداد الأمر، ثم إذا رضي به فإنما رضي بأن يكون الحكم هو ابن عباس، ولهذا قال : (قد رموكم بحجر الأرض) ^(٢) : يعني عمرو بن العاص : (فدعوني أرميهم بفتى من قريش ابن عباس)، قالوا : لا نرضى إلا برجل من أهل اليمن، فقال :

(هذا الأشر ^(٣) من أهل اليمن)

فقالوا : لا، فقال : (من ترضون؟)، قالوا : نرضى بأبي موسى،

(١) هو من بيت شعر وصدره

وحملنى دس امرئ ونركته

تمت حاشية في (١)

قلت : والبيت هو لسابعة، أورده ابن أبي الحديد في شرح الهج ٣٨٦/١٩.

(٢) قال في لسان العرب ٥٧١/١ : ويقال : رمي فلان بحجر الأرض إذا رمي بدهاية من الرجال

(٣) هو : مالك بن الحارث بن عبد يعوث النخعي، المعروف بالأشر، التوفي سنة ٣٧هـ، أمير من

كبار الشجعان، وكان رئيس قومه، شهد اليرموك وذهبت عينه فيها، وشهد يوم الحمل وأيام

صفين مع الإمام علي (عليه السلام)، وولاه الإمام علي مصر فمات في الطريق بحيلة من معاوية،

فقال الإمام : (رحم الله مالكا، فلقد كان لي ما كنت لرسول الله - ﷺ - وبعد الأشر من

الشجعان الأجواد العلماء المصحاء، (نظر الأعلام ٢٥٩/٥).

وإنما رضوا به ؛ لأنه كان واقفاً عنه متخلفاً عن مبايعته^(١) مع سعد بن أبي وقاص ، ومحمد بن مسلمة ، وأسامة بن زيد ، وعبد الله بن عمر^(٢) ، ثم إنما رضي بأبي موسى إذا كان حاكماً بكتاب الله ، فأما إذا حكم برأيه فلا ، فلما ساعدتهم إلى ما قالوه من أمر التحكيم ، وحُدِثَ أبو^(٣) موسى بما كان من عمرو ، وردوا اللائمة على أمير المؤمنين ، وقالوا له : أخطأت وكفرت ، وتحزب^(٤) هؤلاء ، وجعلوا لهم أميراً واعتزلوه واعترضوا الساس بالسيف ، واجتمع إليهم أحزاب حتى يلعبوا اثني عشر ألفاً ، وكانوا يقتلون الأطفال فصلاً عن السالغين فقاتلهم بعد إسلاخ العذر^(٥) إليهم وقتلهم عن أحرهم^(٦) ، ولهذا قال (عليه السلام) :

(م رأيت إلا قتالهم أو الكفر بما أنزل على محمد) فهذا منه دلالة على توحه الأمر عليهم في قتالهم لما كان مهم من البغي والفسوق والتمرد بمخالفته وحره^(٧) .

(٣٧) ومن كلام له عليه السلام يجري مجرى الخطبة

(فقمتم بالأمر) : أراد ما كان من إمامته واجتماع الناس إليه بعد قتل عثمان ، قام بالأمر إذا بهض واستقل بأعبائه .

(حين فشلوا) : وقت اعتراهم الفشل ، وهو عارة عن عدم الثبوت ، وكثرة الانزعاج في تلك الحال ، ومرج أمرهم مروج الخاتم في اليد

(وتطلعت) : تطلع للأمر وطالعه إذا أشرف عليه ، وكان متحققاً له .

(حين تعتصوا^(١)) : تعص في كلامه إذا تردد فيه ، وتعتصت الرحل إذا أقلقته وأزعجته عن حاله .

(ومضيت) : مضى في الأمر إذا نفذ فيه ، من قولهم : سيف ماضي المضارب إذا كان نافذاً

(بنور الله) : بحجج الله ، وما أعطاني من البصيرة النافذة .

(حين وقفوا) : تحيروا ، وغرضه بذلك حكاية ما وقع من الاضطراب قبل البيعة ، والاستقرار بعد تقرير إمامته .

(وكنت أخفضهم صوتاً) : أخفاهم كلاماً ؛ لأن خفض الصوت أمانة

(١) في شرح النهج : وتطلعت حين تعصوا ، وبطقت حين تعصوا

(١) في (١) : متابعته
(٢) انظر المعني ١٠٦/٢/٢٠
(٣) في نسخة : وخدع أبي موسى (مامش في ب)
(٤) في (١) : وصبرت ، هكذا ، وما أثبت من (ب)
(٥) في (ب) : - بعدة
(٦) انظر المرجع السابق ١٠٩/٢/٢٠ - ١١١
(٧) في (أ) : بمحلله وجوبه ، وما أثبت من (ب)

صادقة على عظم اليقين وتحقق البصيرة، ورفق الصوت أمانة على الفشل والارعاج.

وحكي عن الأصمعي أنه كالم المفضل بن سلمة^(١) في مسألة فطالت أصوات المفضل وعلت، فقال له الأصمعي: لو نفخت في الشؤم تكتم كلام النمل وأضرب^(٢).

(وأعلامهم فوتاً): أرفعهم سبقاً إلى معالي الأمور الدينية كلها.

(قطرت بعثانها): الضمير للإمامة، والعنان هو: ما يمسك به الراكب يملك به رأس الفرس، واستعاره هاهنا لاستحكامه في الأمر وإتقانه لأحواله.

(واستبددت برهانها): الاستبداد هو: الإيثار، والرهان: جمع رهن، وهو ما يجعل من العوض عد السباق، وصرت في أمري كله واستقراري على الدين.

(كاجبل لا تحركه القواصف): مثل الجبل في الرسوخ فلا يضطرب، والقواصف: جمع قاصفة وهي الريح الشديدة، قال تعالى: ﴿فَبَرِّسْ عَلَىٰكُمْ قَاصِفًا مِّنَ الرِّيحِ﴾ [٢٩:٥٧].

(ولا تزيله العواصف): ومستقراً في موضعه لا يزول عنه، والعواصف: جمع عاصف وهي الريح عند المطر.

(١) هو: المفضل بن سلمة بن عاصم، أبو طاب، المتوفى نحو سنة ٢٩٠ هـ، لعوي عالم بالأدب، له مؤلفات منها: البارع في اللغة، ولما خزن لأمثال، وم يحتاج إليه الكاتب وغيرها (لأعلام ٢٢٩/٧).

(٢) يقال: أضرب إذا تكلموا متتابعين، وقال الأصمعي: أضرب فلان على ما في نفسه أي أخرج (نظر لسان العرب ٥٠٥/٢).

(لم يكن لأحد في مهمز، ولا لقائل في مخمز): العزم والهمز واللمز أمور واحدة، وهو: عبارة عن نقص الإنسان والعض فيه، ويكون بالعين^(١)، كما قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامِرُونَ﴾ [المائدة: ٣٠]، ويكون باليد كقوله:

ركت إذا غمرت قاة قوم كسرت كعوبها أو تستخيم^(٢)

وأراد أنه (عليه السلام) على نهية الكمال في خصال الإمامة واستنهاض آله للإيالة^(٣) والسياسة.

(الذليل عندي عزيز حتى أخذ الحق له): أراد أن من كان^(٤) عاجزاً لا يقدر على أخذ حقه فهو عندي بمنزلة العزيز في أخذ حقه والانتصار له.

(والقوي عندي ضعيف حتى أخذ الحق منه): يعني ومن كان قوياً فلا تمنعني قوته عن أخذ الحق منه وإنصاف غيره منه.

(رصينا عن الله قضاءه): طابت نفوسنا عن كل ما قضى الله فيا مماً يسر النفوس ويكرها.

(وسلمنا له أمره): في كل ما حكم به وأنفذه عن رسول الله صلى الله عليه وآله، حاكياً عن الله: «من لم يرض بقضائي، ويصبر على بلائي، فليتخذ راءً سواي»^(٥).

(١) أي بحاسة النظر وهي العين.

(٢) البيت هو لربما الأعجم (ذكره محمد محي الدين عبد الحميد في تعليقه على شرح نظر الدي ص ٧٠).

(٣) الإيالة: السياسة، يقال: آل الأمير وعيته من باب قال، وإيلاً أيضاً أي ساه وأحسن رعايتها (انظر مختار الصحاح ص ٣٣).

(٤) في (ب): يكون.

(٥) أورده في موسوعة أطراف الحديث النبوي ٥٤٦/٨: وعراه إلى تخاف السادة المثنين ٦٥١/٩.

(أتراني أكذب على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم) ^(١) فوالله لأنا أول من صدقه ^(٢): أترى إذا كان منياً لما ^(٣) لم يسم فاعله فهو يفيد لظن، وإذا كان مبياً لما يسمى فاعله فهو بمعنى الرؤية، وقد يكون مستعملاً في العلم، أني أكذب على رسول الله في كل ما أجبرني به وحكيته أنا عنه، فأنا أول من آمن به؛ لأن الرسول ^(ص) بعث يوم الإثنين، وأسلم أمير المؤمنين يوم الثلاثاء ^(٤)، فمن كان أول من آمن كان أبعد من الكذب لا محالة.

(١) زيادة في شرح النهج

(٢) عنه في شرح النهج: فلا أكون أول من كذب عليه

(٣) في (ب): على ما سم يسم بالخ

(٤) حر إسلام أمير المؤمنين علي ^(ص) وأنه أول من أسلم

أخرجه الإمام أبو العباس الحسبي في المصباح ص ١٤٧ برقم ٣١: عن زيد بن أرقم قال:

علي ^(ص) أول من أسلم، وص ١٤٨ برقم ٣٣ عن ابن عباس قال: لعلي ^(ص) أربعخصال ليس لأحد من العرب غيري: أول عربي وعجمي صلى مع النبي ^(ص)، وأخرجه من

حديث طويل الإمام محمد بن سليمان الكوفي في مناقب ج ١ ص ٢٧٧ برقم (١٩١) بسنده

عن أبي زرارة عن أبي سماعة عن رسول الله ^(ص) وهو يقول: «أنت أول من آمن بي... الخ»

وهو منه أيضاً برقم: ١٩٣، ١٩٤، ١٩٥، ١٩٦، ١٩٧، ١٩٨، ١٩٩، ٢٠٠، ٢٠١،

٢٠٤، ٢٠٦، ٢٠٧، ٢٠٩، ٢١٠، ٢١١، ٢١٣، وغيرها، انظرها في ج ١/ ٢٧٦-٢٩٩

وأخرجه الحاكم الحسبي في تيه العادلين ص ١٣٢ عن البصر الأتروش بإساده عن سلمان

عن أبي ^(ص) بلغة: «أولكم ورود علي الحوض أولكم إسلام علي بن أبي طالب»

وأخرجه ابن المغازلي في مناقب ص ٢٧ برقم (٢٢)، ونظر حر إسلام أمير المؤمنين وأنه أول

من أسلم فيه ص ٢٥-٢٧، وانظر ترجمة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب من تاريخ

ابن عساکر ص ٤١-١٠٥ من الرقم (٥٩) إلى لرقم (١٤٠)، فقد روى حديث إسلام أمير

المؤمنين علي ^(ص) وأنه أول من آمن بالله ورسوله بأسايد وطرق عديدة انظرها هناك مع

تخريجها لمؤسسة

وما حديث أن النبي ^(ص) بعث يوم الإثنين وأسلم الإمام علي يوم الثلاثاء فقد أخرجه

الإمام محمد بن سليمان الكوفي في مناقب ج ١ / ٢٧٨ برقم (١٩٢) بسنده عن علي قال:

بعث النبي ^(ص) يوم الإثنين وأسلمت يوم الثلاثاء، ويرقم (٢٧١، ٢١٥) بسنده عن

أس بن مالك.

قلت: وأخرجه الحاكم الحسبي في تيه العادلين ص ١٣٢ عن أبي رافع

- ٤١٨ -

(فنظرت في أمري ^(١)): تدبرت أمري وأعملت فكرتي.

(فإذا طاعتي قد سبقت بيعتي): فيه تأويلان:

أحدهما: أن يكون مراده أن إمامتي ووجوب طاعتي كنت قبل البيعة
بما كان من النص من جهة رسول الله علي باستحقاقي للإمامة، وجعله
لإيائي وصياً وولياً، فلماذا كانت طاعتي سابقة لما كان من أمر البيعة،
ولهذا قل: أتراني أكذب على رسول الله في ادعائي للإمامة بالنص منه.

(وإذا الميثاق في عنقي لغيري): يريد أن الرسول قد كان أخذ عليه
الميثاق في أنه يفعل أموراً ووقفه عليها لما جعله إماماً للأمة، فالميثاق
للسرور في عنقه

وثانيهما: أن يكون مراده أن طاعتي للخلفاء قلبي قد سبقت بيعتي،
ويكون مراده بأن الميثاق في عنقه لغيره أنه صار تحت حكم غيره تابعاً له،
ولهذا قال: فنظرت إشارة إلى ما كان منه في أول الأمر من إزالته عما
كان مستحقاً له والاستئثار بما هو أولى به من غيره وأحق به لا محالة.

(١) في أمري، زيادة في شرح النهج

(٣٨) ومن خطبة له عليه السلام

(وإنما سميت الشبهة شبهة لأنها تشبه الحق): أراد أن من أدلى بشبهة ونصر مذهبه بها فإنه يروجها ترويحاً، ويقربها تقريباً تشبه الحق، ولهذا يلتبس حالها على ضعفاء الأفهام، ومن قعد به العجز عن إدراك البصيرة. (فأما أولياء الله): الذين اصطفاهم للولاية، ونور بصائرهم، وصفى أدهانهم للتمييز بين الحق والباطل.

(فضيؤهم): فنورهم

(فيها): الضمير للشبهة.

(اليقين): التحقق والقطع بهدية الله تعالى وحسن إطفائه لهم باتباع الحق.

(ودليلهم): رائداهم^(١).

(سمت الهدى): طريق الهدى وقصده، ويحتمل أن يكون مراده الهدى المقطوع بصحته؛ لأن السمت عبارة عن السير بالحدس^(٢) والظن، فلهاذا قال: دليلهم سمت الهدى

(١) في (ب): راميه

(٢) في (أ): بالخير، وهو خطأ، وما أثبت من (ب)

(وأما أعداء الله): الذين أراد إنزال^(١) الضرر بهم.

(فدعائهم فيها^(٢) الضلال) أي هو ديبهم لانهماكهم فيه وإكبابهم عليه

(ودليلهم العمى): لانغرافهم عن الحق وانصرافهم عنه.

سؤال: لم قال في حق الأولياء: فضيؤهم اليقين، وقال في حق الأعداء: فدليلهم العمى، ولم يعكس الأمر في ذلك؟

وجوابه: أن الغرض الأهم للأولياء التوير لقلوبهم بنور الحق، واستيقان الأدلة الواضحة والقطع بها، والأهم الأعظم لأعداء الله هو الحص لمن اسعهم على الضلالة وسلوك طريق جهالة، فلهذا خصهم بالدعاء، وخص الأولياء بالضيء لما ذكرناه.

(فما ينحو من الموت من حافه): وضع الخوف مكان الهرب؛ لأنه سبب فيه، والمعنى لا ينجو من الموت من هرب منه.

(ولا يعطى البقاء من أحبه): وليس يكون البقاء واقفاً على اختيار مختار، وإنما هي آجال مقدره وأمور مقضية في الموت والبقاء عند علامها: ﴿وَمَا يَمُتُّ مِنْ مُّعْتَرٍ وَلَا يُنْقِصُ مِنْ عُنْهِ إِلَّا بَى كِتَابٍ﴾ [نظر ١١]، وقوله فما ينجو من الموت، بعد قوله في صفة الأولياء والأعداء ما قاله، من باب الاستطراد، إذ كان لا ملائمة بينهما.

(١) في (ع): فأما، وما أثبت من (ب) وشرح الهمج

(٢) في (أ): إنزل، والصواب كما أثبت من (ب)

(٣) قوله: فيها سقط من (أ)

(٢٩) ومن خطبة له عليه السلام

(منيت بمن لا يطيع إذا أمرت): أراد يليت، من قولهم: منيته إذا ابتليته بكذا، ثم لا يريد طعنتي إذا أمرته بها

(ولا يجب إذا دعوت): ولا يلبي دعوتي بالإجابة إذا ما ناديت.

(لا أبا لكم): قد قررنا شرحه، والمراد ما هنا فهم بتأخيرهم عن الإجابة عن النداء ونكوصهم عن أمثال مراده عند أمره لهم.

(ما تنتظرون بنصرتكم^(١) لربكم): ما ترتقبون في القيام بأمر الله وانهوض للجهاد في سبيله؛ حيث قال: ﴿لَنْ تَعْمُرُوا اللَّهَ بِنَصْرِكُمْ وَأَنْتُمْ تَقْتُلُونَ﴾ [٧].

(أما دين يجمعكم): أراد أن الهوى وإن كان مختلفاً من حيث كان لكل واحد غرض؛ لكن الدين وهو أن تكون كلمة الله هي العليا، هو الجامع للأعراض وهو جامع المختلفات لما في أهله من الغيرة والحمية والعزة.

(ولا حمية): الحمية هي: الاحتماء.

(تحمسكم^(٢)): بالسین والحاء المهملين^(٣) أي تغضبكم.

(١) في شرح النهج: بنصركم

(٢) في شرح النهج: تحمسكم، بالسين بثلاث من أعلاه

(٣) في (ب): المهملتين

(اقوم فيكم): أنادي في أمكنتكم.

(مستصرخاً): طالباً لمن ينصرني، ويكون عوناً لي على ما أريده

(واناديكم): وأهتف بكم.

(منغوثاً): مستجيراً في أنديتكم

(فلا تسمعوني قولاً): ليلكم إلى التخاذل، وجنوحكم إلى الراحة.

(ولا تطيعوني^(١) لي أمراً): لعركم على المخالفة، وحدكم على المعارضة.

(حتى تكشف^(٢) الأمور): اتضح، من كشفه إذا أوضحه

(عن عواقب الإساءة): إساءتكم لي لمخالفكم^(٣) لأمري، فكان عاقبة ذلك المذلة والهوان.

(فما يدرك بكم ثار): فأنتهى بكم الذل إلى أنكم لا تدركون ذحلاً لأحد منكم، والثار: الدحل، والثار: الذي لا يترك ذحله حتى يأخذه

(ولا يبلغ بكم مرام): ولا ينتهي نجاتكم إلى مقصد من المقاصد الدينية والدنيوية.

(دعوتكم): وأماراة ما قلته فيكم من الهوان والذل أي ناديتكم.

(إلى نصر إخوانكم): إلى الإعانة لمن كان أخاً لكم في الدين.

(١) في (أ): ولا تطعموني، وما أثبت من (ب)، ومن شرح النهج.

(٢) في شرح النهج: تكشف

(٣) في (ب): إساءتكم إلي مخالفتكم لأمري

(فجر جرحه): الجرحرة: صوت يردده العير في حنجرتهم ضجراً به وكراهة للجسم.

(حرجرة الجمل الأشهر^(١)): الأشر بلشين المثلثة فوقانية هي: ابطر، ومنه أشر الرجل إذا بطر، والأسر بالسين المثلثة التحتانية: احتقان البول، ومنه قولهم: أسر الرجل إذا أصابه هذ الداء، وكله محتمل ها هنا؛ لأن الجرحرة تحتمل أن تكون من الطرا ومن شدة هذا الداء، ومراده المبالغة في تخادلهم.

(ونثاقلنم): ونثاقلنم إلى الدعة من الثقل، وهو نقيض الخفة.

(تثاقل النضو الأدبر): النضو هو: البعير المهزول فإنه بطيء الحركة لهراله وضعفه.

(ثم خرج إلى منكم جنيد متدايب^(٢)): ثم كان [في] عاقبة الأمر بعد مكابدة الشدة خرج إلي^(٣) جنيد، وإنما حقّره لضعفه وحقارته، ومن لتبعيض أي جنيد هو بعض منكم،

متدايب: مضطرب، من قولهم: تدايب الريح إذا اضطرب هبوبها، وسمي الذئب ذئباً لا اضطراب مشيه.

(١) في شرح النهج: الأسر

(٢) في شرح النهج: ثم خرج إلي منكم جنيد متدايب ضعيف، كأنه يساقون إلى الموت وهم يطرون

(٣) زيادة في (ب)

(٤) قوله: إلي، سقط من (ب).

(٤٠) ومن كلام له عليه السلام في الخوارج لما سمع قولهم: لا حكم إلا لله

قال: (هذه كلمة حق يراد بها باطل): اعلم أن الخوارج لما طعنوا عليه في أمر التحكيم حاجّاه ابن الكوّاء^(١) وقال له: لِمَ حكمت الرجال في دين الله؟ فصرخ أمير المؤمنين بأعلى صوته، وقال:
(إني لم أحكم الرجال، وإنما حكمت كتاب الله فإن حكموا به قبلت وإلا رددت).

فقال له ابن الكوّاء: فلم حكمت أبا موسى الأشعري؟ فقال لهم:
(إنكم جئتم به مترعاً^(٢)، وقتلتم: لا نرضى إلا به) فقال ابن الكوّاء:
إنه قد ضل وأخطأ، فقال له أمير المؤمنين:
(أرأيتم لو أرسل رسول الله مؤمناً يدعو الكفار فارتد على عقبه كافراً

(١) هو: عبد الله بن الكوّاء، من بني يشكر بن بكر بن وائل، من رؤوس الخوارج، به أخبار كثيرة مع أمير المؤمنين علي (عليه السلام) (انظر معجم رجال الاعصار ٢٦٣، وشرح بس أبي الحديد ٢/٢٧٥).

(٢) كذا في السخيتين، وفي المصنف ١٠٩/٢/٢٠ (ووجتموني به مترعاً، وقتلتم: لا ترضى إلا به)، ومن رواية وردت في شرح النهج ٢/٢٣١ قال في آخرها ما لمعه: نقل علي (عليه السلام) (إن القوم أتوني بعد الله بن قيس مترعاً، فقالوا: امث هذا، رضي به، والله بايع أمره) انتهى.

هل كان يضرب رسول الله شيئاً؟

قلوا: لا

قل: (فما ذنبي إذا ضل أبو موسى)

قال ابن الكواء: فلم تترك اسمي بإمرة المؤمنين في كتابك، وكتبت سمك واسم أهلك؟ فقال أمير المؤمنين:

(أليس رسول الله قد فعل ذلك، فإنه لما انعقد صلح الحديبية بينه وبين سهيل بن عمرو، وكتب اسمي ﷺ: «هذا ما صالح عليه محمد رسول الله سهيل بن عمرو»، فقال سهيل: «إنا لو أقررنا أنك رسول الله»^(١) ما حاربناك، فاكتب اسمك واسم أهلك، فقال لي^(٢): «اكتب محمد بن عبد الله فإن ذلك لا يضرب بوتي شيئاً»^(٣) فهكذا أنا).

(١) زيادة في (ب)

(٢) في (ب): لا

(٣) أورد طرقاً منه وهو قوله: «هذا ما صالح عليه رسول الله» في موسوعة أطراف الحديث ٢٢٢/١٠، وعراه إلى سنن البيهقي ٦٩/٥، وللهديث فيها روايات عدة بصيغ مختلفة انظر الموسوعة، وأورد قريباً منه ابن أبي الحديد في شرح النهج ٢٧٥/٢، في رواية نقلها عن أبي العباس المبرد مؤلف (الكامل) ذكر فيها مناصرة أمير المؤمنين ﷺ للخوارج في قصة التحكيم، وحده فيها: «... فقالوا: فإن عمراً لما أنى عليك أن تقول في كتابك: هذا ما كتبه علي أمير المؤمنين، محو اسمك من الخلافة وكتبت: علي بن أبي طالب، فقد حبت نفسك، فقال: (لي في رسول الله ﷺ أسوة حين أنى عليه سهيل بن عمرو أن يكتب: «هذا كتب كتبه محمد رسول الله ﷺ وسهيل بن عمرو»، وقال له: لو أقرررت بأنك رسول الله فخالفتك، ولكي أقدمت لمصلحتك، فاكتب محمد بن عبد الله، فقال لي: «يا علي، اسم رسول الله»، فقلت: يا رسول الله، لا تشجمني نفسي على عمو اسمك من النوة، قال: فقصي عليه معناه سده، ثم قال: «اكتب محمد بن عبد الله» ثم نسم إليّ وقال: «يا علي، أم إلك مستام مثلها فتعطي»

فقال له ابن الكواء: خصمتنا ورب الكعبة^(١)

فلما قالوا: لا حكم إلا لله، وغرضهم إبطال إمامته بالتحكيم، فقال: هذه وإن كانت كلمة حق، فإن الخلق والأمر والقبض وابسط الله، ولكنكم قصدتم مقصداً فاسداً، وهو بطلان أمري بالتحكيم.

(نعم [إنه]^(٢) لا حكم إلا لله، ولكن هؤلاء يقولون: لا إمرة). ويطلبونها بما زعموه.

(وإنه لا بد للناس من أمير): مراعاة لمصالحهم، وإقامة لأمر دينهم.

(بر): عادل.

(أو فاجر): ظالم غشوم.

(يعمل في إمرته المؤمن): يفرغ للأعمال الصالحة عن شواغل لفتن

(ويستمتع فيها الكافر): ويفرغ لطلب المعيشة وإصلاحها، وهذه إشارة منه ﷺ إلى أن إمرة الفاجر فيها صلاح عام كما ذكر، وقد أشار إلى ذلك الرسول صلى الله عليه وآله بقوله:

«إمام ظلم غشوم خير من فتنة تسوم» لما في ذلك من كف البغاة وزم المتسلطين على الخلق بالفتن وإثارتها.

(ويُبتَغ الله فيها الأجل): أراد الأجل الذي قدره الله تعالى وحتمه بالموت دون ما يحصل بالقتل، فإن المقتول كان يجوز يقاؤه ويجوز موته،

(١) انظر الرواية بالتفصيل في المعنى ٢/٢٠ ص ١٠٩-١١١، وهي هنا باختصار

(٢) زيادة في شرح النهج.

وأما الميت فلا شك في كونه مستوفياً لعمره المقدر له، فأشار بذلك إلى ما قلناه.

(ويجمع الله فيها الفياء^(١)): الضمير في قوله: فيها راجع إلى الإمرة، وأراد بالفياء المغنم؛ لأن أمره إلى الإمام يقسمه في أهله كما أمر الله.

(ويقاتل به العدو): أراد الإمام، والضمير له، إما أهل الحق^(٢)، وإما أهل البغي والفسوق وأهل التمرد.

(وتأمن به^(٣) السبل): بقوته وشدة بسطته، وأراد الطرقات.

(ويؤخذ به): أراد بقوته ونفوذه سلطانه.

(للضعيف): حقه.

(من القوي): المتكبر عن أداء حقه بقوته.

(فيستريح بر^(٤)): في ظله وكنهه.

(ويستراح من فاجر): بكفه وزمه عما أراد من التسلط على غيره من الضعفاء.

ثم لما سمع ولوعهم بذكر الحكيم، قال:

(حكم الله أنتظر فيكم): ما يقدره لي ويقوي عليه عزيمتي

(١) في شرح النهج: ويجمع به «ي»،

(٢) في (١) - الحرب

(٣) به، زيادة في شرح النهج

(٤) في (١): براء وما أثبت من (ب)، وفي شرح النهج وفي نسخة أخرى: حتى يستريح بر.

من سلامتكم إن رجعت، أو قتلتم إن نكصتم على أعقابكم، ثم قال.

(أما الإمرة^(١) البرة): الصادرة على رضوان الله، والعاملة بأحكامه

(فيحصل فيها^(٢) التقى): فيفرغ ويُقبل على عمله للآخرة^(٣) وإصلاح دنياه.

(وأما الإمرة الفاجرة): المخالفة لأمر الله التي يكون مزاجها^(٤) انظلم.

(فيتمتع فيها^(٥) الشقي): فيكون فيه متاع لأهل الشقاء وبلغة لهم

(إلى أن تنقطع مدته): يبلوغ أجله.

(وتذركه منيته): يعني الموت.

سؤال: يَمَّ قال في الإمرة البرة: يعمل فيها التقى، وحصل للإمرة الفاجرة يتمتع بها^(٦) الشقي، وكلاهما [لا بد له]^(٧) من المتعة؟

جوابه: هو أن المؤمن ليس غرضه المتعة، وإنما غرضه التجارة بالأعمال الصالحة، المتاجر الراجحة بالجنة، وأما الشقي فأعظم أغراضه هو المتعة إذ لا همَّ له في الآخرة، فهذا حالف بينهما لما ذكرناه، فذكر ما هو الأهم من مقصد كل واحد منهما.

(١) في (أ) أما الإمرة والبرة. وهو خطأ، وما أثبت من (ب) ومن النهج

(٢) في (ب) - بها

(٣) في (ب): على عمل الآخرة

(٤) أي طمعها.

(٥) في (ب): بها

(٦) سقط من (أ)

(٧) سقط من (ب).

(٤١) ومن خطبة له عليه السلام

(إن الوفاء تنوع الصدق) : أتأملت المرأة إذا ولدت ولدين في بطن واحد، وأراد أن الوفاء والصدق أحوان، وهذا صحيح فإنه لا وفاء لكذب في كل ما قال أو عقد به، ويحمله الكذب على الغدر، والإحلال بقوله ووعد

(ولا أعلم جنة أوفر منه) الجنة بالضم : ما سترك^(١) من لباس وغيره، أوقى من الوقاية، والمعنى أن الصدق أعظم ما يستتر به الإنسان من العيوب

(وما غدر من علم كيف المرجع^(٢)) : أراد ويستحيل الخدع والمكر من علم المعاد إلى الآخرة، وتحقق حاله في المناقشة.

(ولقد أصبحنا في زمان) : صرنا إلى مدة، وأصبح من الأفعال التي يقرن^(٣) مضمون الجملة بأزمائها مثل كان.

(اتخذ^(٤) أكثر أهله الغدر كيساً) : الكيس هو : الظرف وحسن

(١) و (ب) ما يترك

(٢) العبارة في (أ) : وما غدر كيف المرجع، والصواب ما أثبت من (ب) والعبارة في النهج : (وما يندر من علم كيف المرجع).

(٣) في (ب) : التي يعون بها إلخ.

(٤) في شرح النهج. قد اتخذ.

التصرف، وأراد أنهم استعملوه وعدوه من الظرف، وحسن التصرف في أمورهم.

(ونسبهم أهل الجهل [فيه^(١)]) : وعزاهم من لا بصيرة له بذلك^(٢).

(إلى حسن الخيلة) : إلى جودة التصرف، والخيلة هي الاسم، والمصدر هو الاحتيا

([ما لهم^(٣)] قاتلهم الله!) : تعجب من جهلهم فيما زعموه من ذلك.

(قد يرى الخول الغلب) : أراد تكذيبهم فيما توهموه من ذلك بأنه يرى الخول الذي حوّل الأمر، والقلب الذي قلبها ظهراً لبطن، وحنكته^(٤) التجارب.

(وجه الخيلة) : الخديعة والمكر.

(ودوبه مانع من الله^(٥) ونهيته) : ويحول بينها وبينه الترغيبات بالأوامر بالكف عنها، والترهيبات بالنواهي بالوقوع فيها.

(فبئس عنها) : فيكف عنها ويتركها

(رأي عين) : رؤية ظاهرة مكشوفة كرؤية لمبصرات، وانتصابه على المصدرية، كقولك : ضرب السوط، ويجوز أن يكون مصدراً في موضع الحال أي متكشفة.

(١) سقط من (أ).

(٢) في (ب) : وعزاهم ولا بصيرة له بذلك

(٣) سقط من (أ)

(٤) في (أ) : وحنكته، وهو تصحيف

(٥) في شرح النهج وفي نسخة : ودوبه مانع من أمر الله وبه.

سؤال: أيما أوقع في البلاغة تنكير العين كما وقع في كلامه ههنا، وتعرفها كما وقع في التنزيل، في قوله تعالى: **وَيَرْزُقُهُمْ بِقُلُوبِهِمْ** رأى **لَمَّيْنِ** [أرعر ١٣]؟

وجوابه: أن كل واحد منهما لا غبار عليه في اللاغة والفصاحة، [و] لكن ما جاء به القرآن أبلغ؛ لأن اللام دالة على البلاغة، لأن اللام إن كانت للعهد فالغرض مثل رؤية ما تعهدون من أعينكم المبصرة، وإن كانت للجنس فالغرض مثل رؤية جنس الأعيان المبصرة في التحقق والقطع، وتنكير العين لا يكون معطياً هذه المعاني، فمن ثم كان التعريف أبلغ.

(بعد القدرة عليها): بعد تمكنه منها وقدرته على تحصيلها

(وينتهز فرصتها): ويفتتم نوبته منها، من الفرصة وهي: النوبة، يقال: أخذ قرصته من الرأي نوبته.

(من لا حرجه له في الدن): من لا يضيق صدره بترك الدين، ولا يحتفل به، من الحرج وهو: ضيق الصدر.

(٤٢) ومن خطبة له عليه السلام

(أيها الناس) ^(١) إن أخوف ما أخاف عليكم اثنتان: إن أعظم ما يقع منه خوئي عليكم حصلتان.

(اتباع) ^(٢) الهوى: وهو ما تدعو إليه النفوس وتحميه.

(وطول الأمل): وهو إبعاد مدة الآجال وتنفسها.

(فأما اتباع الهوى فيبصّد عن الحق): لأن النفوس أمارة بالسوء فاتباع هواها مجانبة للحق وأنصراف عنه.

(وأما طول الأمل فينسي الآخرة): لأن في طول الأمل اشتغالاً بالعاجل من الدنيا، ومن أقبل على الدنيا أدبر عن الآخرة لا محالة. (ألا وإن الدنيا قد ولت): أدبرت.

(جذاء) ^(٣): من الجذ وهو: القطع، والغرض إما تولية جذاء، وما مدبرة جذاء، فالأول وصف للتولية، والثاني وصف حال الدنيا، ويروى بالحاء المهملة أي سريعة، وسماعنا بالجيم وهو الأول.

(١) سقط من (أ).

(٢) سقط من (أ).

(٣) في شرح الحج - حذاء، أي سريعة.

(فلم يبق فيها^(١) إلا صباية [كصباية الإناء^(٢)]: اصباية: البقية القليلة لتوليها وإدبارها.

(اصطنها): افتعال من صنه إذا سكب وأمرقه.

(صائبها): المرید لصباها، وهذا الأسلوب من أنواع البديع يسمى الاشتقاق، وهو أن يأتي بالفاظ متعددة يجمعها أصل واحد، فإن الصباية والاصطياب والصاب مأخوذة من صبّ الإناء، ومن هذا قوله تعالى: ﴿نَأْتِيَنَّهُمْ وَخِفَتِ لِنُفُوسِنَا الْبَغْيُ﴾ [سورة الفرقان: ١٣]، وقوله (عليه السلام): «ذو الوجهين لا يكون وجهاً عند الله تعالى»^(٣).

(ألا وإن الآخرة قد أقبلت): جاءت مقبله.

(ولكل واحد منهما): أراد الدنيا والآخرة.

(بنون): استعاره من الأولاد والأمهات لأجل ولوعهم بها.

(فكونوا من أبناء الآخرة): مرديها ومبتغيها^(٤).

(ولا تكونوا من أبناء الدنيا): طليها ومرديها.

(فإن كل ولد سيلحق بأمه يوم القيامة): وهذا كله تمثيل بحال الأم والأولاد، وكل ما ذكره ترغيب عن الدنيا وترهيد عن اتباعها.

(١) في شرح النهج - منها.

(٢) سقط من (أ).

(٣) أورده في موسوعة أطراف الحديث بلفظ: «ذو الوجهين لا يكون عند الله وجهاً»، وعراه إلى

اشياء للقاضي عياض ١٧٥/١

(٤) في (أ): وسعيها، وما أثبت من (ب)

(وإن اليوم): ما نحن فيه من أيام الدنيا

(عمل): زمان عمل.

(ولا حساب): وليس زماناً للحساب.

(وغداً): عبارة عن زمن الآخرة.

(حساب): زمن حساب.

(ولا عمل): لانقطاع التكليف، ومشاهدة أمور الآخرة.

(٤٣) ومن كلام له عليه السلام وقد أشار عليه أصحابه
بالاستعداد للحرب^(١) بعد إرسال جرير بن عبد الله^(٢)
إلى معاوية

(إن استعدادي): تأهبي وأحذي لعدة^(٣) احرب.

(احرب أهل الشام): معاوية وإخوانه من أهل الفسق^(٤) والشقاق.

(وحرير عندهم): رسول من جهتي بين أظهرهم يدعوهم إلى الله تعالى وإلى طاعتي.

(إغلاق للشام): رد لأهل الشام، من أغلقت الباب إذا رددته.

(وصرف لهم^(٥) عن خير إن أرادوه): لأن في إظهار استعدادي وأحذي لأهبة الحرب تقوية لذلك وأمارة قوية [عليه]^(٦) فأنا لا أفعله

(١) في نسخة وفي شرح النهج: لحرب أهل الشام.

(٢) هو: جرير بن عبد الله بن حابر بن مالك بن نصر الجلي، المتوفى سنة ٥٤ هـ، أسلم في سنة عشر من الهجرة، وهو من المعارفين للإمام علي (عليه السلام). ويذكر أهل السير أن علياً (عليه السلام) هدم دار جرير ودور قوم من حرج معه، حيث قارق علي (عليه السلام). وتوفي جرير بالشرارة في ولاية نصحاء بن قيس على الكوفة (انظر شرح ابن أبي الحديد ١١٨/٣/١١٥).

(٣) في (ب): بعدة.

(٤) في (ب): الفسوق.

(٥) في نسخة وفي شرح النهج: لأهله.

(٦) سقط من (ب).

(ولكن قد وقت جرير^(١) وقتنا): ضربت له مدة معلومة، وأكدت عليه الحوائق، فهو:

(لا يقيم بعده): الضمير للوقت الذي وقته له.

(لا يندوعا): بالأكاذيب الباطلة، والأطماع الفاضحة^(٢).

(أو عاصياً): لمخالفته لي فيما أمرته به.

(والرأي عندي): والأصوب في حدسي ونظري.

(مع الأناة): مصاحبة الأناة ومراعاتها والوقوف عندها، وفي الحديث: «الأناة من الله، والعجلة من الشيطان»^(٣).

وفي المثل: «من تأنى في أمره أصاب أو كاد، ومن استعجل أخطأ أو كاد»^(٤).

(فأرودوا^(٥)): فخذلوا أمركم بالتؤدة والإمهال.

(ولا أكره لكم الإعداد): التأهب.

سؤال: ما التفرقة بين استعداده للحرب واستعدادهم، حتى أمرهم بالاستعداد، وأهمله في حق نفسه؟

(١) في (أ): للجرير، وهو خطأ، والصواب ما أثبت من (ب).

(٢) في (ب): الفاسد.

(٣) أورده في موسوعة أطراف الحديث النبوي ٢١٨/٤، وعراه إلى سبب الترمذي (٢٠١٢)، ومشكاة المصابيح (٥٠٥٥)، وشرح السنة للبخاري ١٧٦/١٣، والمعجم الكبير لطبراني ١٤٨/٦، والمعجم للمعري ١٧/٢، ١٨١/٣، وغيرها، وهو في مطمح الآمال ص ٨٣.

(٤) هو حديث ثيوي شريف، أخرجه الإمام أبو طالب (عليه السلام) في أماليه ص ٤٦١ برقم (٦٠٩) بسنده عن أس بن مالك أن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: «من تأنى أصاب أو كاد، ومن عجل أخطأ أو كاد».

(٥) أوردها أي أرفقوا.

وجوابه؛ هو أن استعداد الإمام مخالف لاستعداد الجند والرعية، فإن
ستعدده له شيار^(١) عظيم وأبهة كبيرة^(٢)، فيكون فيها الصرف الذي ذكره
لأهل الشام لما يعلمون من ذلك، بخلاف استعداد الرعية فإنه لا يؤبه له
فلأجل هذا أمرهم بالاستعداد وترك نفسه لما ذكرناه

(ولقد ضربت أنف هذا الأمر وعينه، وقلبت ظهره وبطنه)؛ أراد بذلك
إحاطته بمعرفة الخلافة واستيلاءه على كل أحوالها، وهو تمثيل لحاله بحال
من يضرب سبعا أو جملاً صئلاً في أنفه وعينه ثم يصصره فيقلب ظهره
وبطنه، ويستولي على جميع معانته كلها.

(فلم أر إلا القتال^(٣) أو الكفر)؛ أراد فما وجدت لي إلا أحد أمرين^(٤)،
إما القتال لهم على بغيهم وعيادهم، وإما ترك قتالهم والكفر، وإنما كان
ترك قتالهم كعراً لأمرين:

أما أولاً: فيحتمل أن يكون مراده أن القتال في سبيل الله واجب،
ومعدوية وإخوانه لا يخفى بغيهم وفسقهم فلو لم يحاربوا؛ لكان بمنزلة من
لا يصدق بأحكام الله ومقتضى واجباته التي أوجبها من ذلك.

وأما ثانياً: فيحتمل أن يكون مراده من ذلك أن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)

(١) أشار: الهيئة والحس والحسن والربنة

(٢) في (أ) وأبهة كثيرة

(٣) في (ب): فلم أر لي إلا القتال، إلخ، وفي شرح النهج: فلم أر لي فيه إلا القتال أو الكفر بحاء به محمد صلى الله عليه وآله.

(٤) في (ب): الأمرين

(٥) في (ب): (صلى الله عليه وآله وسلم)

قد قال: «إن علياً يقاتل القاسطين»^(١) فلو لم يقاتل معاوية، للزم من ذلك
تكذيب الرسول في ذلك فما ذكره في الكفر موجه على ما ذكرناه
من التأويل.

(إنه قد كان على الأمة والي)؛ أراد بذلك عثمان.

(أحدث أحداثاً)؛ وقع في سيرته أمور منكروه، أنكرها الخاص والعام.

(وأوجد الناس مقالاً)؛ أي أعرضهم، فوجدوا في قلوبهم عليه موجدة
عظيمة، والموجدة: الغضب، ومنه فلان يجد في قسه موجدة

(فقاموا^(٢))؛ عليه أظهروا الإنكار من قولهم: فلان يقوم حجته

(ثم نقموا)؛ أحداثه التي أحدثها

(وغيروا^(٣))؛ ما نقموا عليه، وانتهى الحال إلى ما كان من قتله، وما
كان من أمر الحمل وصفين وإثارة^(٤) الفتن من أجل ذلك.

(١) حدث أمر النبي ﷺ لأمر المؤمنين علي (عليه السلام) بقتال الساكنين والقاسطين ومارقين، انظره في مناقب الخافظ محمد بن سليمان الكوفي ٢/٣٢٣، تحت الرقم (٧٩٥-٧٩٦) وص ٣٣٨ برقم

(٢) (٨١٣)، وص ٣٣٩ برقم (٨١٤) وغيرها انظر المهرس

(٣) في شرح النهج: فقالوا

(٤) في شرح النهج: فغيروا

(١) في (أ) - وآثراء وما أثبت من (ب).

(حتى يكتفه) : التبكيت : التقريع والتعنيف ، أراد أن ما بين الأمرين [إلا] ^(١) زمان قريب.

(فلو) ^(٢) أقام) : فيما ولم يلحق معاوية.

(أخذنا ميسورة) : يسره على رأي غير سيبويه ^(٣) ، أو شيء تيسر به على رأي سيبويه : لأن اسم المفعول عنده لا يكون مصدرًا ، وإنما يكون صفة على حاله.

(وانتظرنا به) ^(٤) موفوره) : على الوجهين الذين ذكرناهما في الميسور.

(٤٤) ومن كلام له عليه السلام لما هرب مصقلة بن هبيرة الشيباني ^(١) إلى معاوية

وكان قد ابتاع سي بني ناجة من عامل أمير المؤمنين وأعتقهم ، فلما طاله بالمال حاس به أي غدر ، وهرب إلى الشام :

(فتح الله مصقلة) ^(٢) : أي أبعد ^(٣) ونجاه عن الخير

(فعل فعل السادة) : من اصطناع المعروف بالمنة بالعتق على من أعتقه

من لسبي

(وفر فرار العبيد) : من الإباق والغدر ؛ لأن لغالب من حال العبيد

هو الإباق.

(فما أبطو مادحه) : فلم ^(٤) ينطو مادحه بما فعل من المعروف.

(حتى أسكته) : لما كان من فعه المنكر.

(ولا صدق واصفه) : بالصفات الحمودة.

(١) هو مصقلة بن هبيرة بن شبل الثعلبي الشيباني ، التوفي نحو سنة ٥٠ هـ ، من بكر بن وائل ، كان من رجال أمير المؤمنين علي ^(عليه السلام) وأقامه عاملًا له في بعض كور الأهور ، ثم تحول إلى مدونية بن أبي سفيان فكان معه في صعيد (الأعلام ٧/٢٤٩)

(٢) في (ب) بقاء

(٣) في (ب) : وم

(حتى يكتفه) : التبكيت : التقريع والتعنيف ، أراد أن ما بين الأمرين [إلا] ^(١) زمان قريب.

(فلو) ^(٢) أقام) : فيما ولم يلحق معاوية.

(أخذنا ميسورة) : يسره على رأي غير سيبويه ^(٣) ، أو شيء تيسر به على رأي سيبويه : لأن اسم المفعول عنده لا يكون مصدرًا ، وإنما يكون صفة على حاله.

(وانتظرنا به) ^(٤) موفوره) : على الوجهين الذين ذكرناهما في الميسور.

(١) سقط من (أ).

(٢) في شرح النهج : ولو.

(٣) هو عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي ، بالولاء ، أبو بشر ١٤٨-١٨٠ هـ إمام النحاة ، وأول من بسط علم النحو ، ولد في إحدى قرى شرارة ، وقدم البصرة ، فلزم الخليل بن أحمد نفاه وصف كتابه المسمى (كتاب سيبويه) في النحو ، توفي بالأهواز ، وقيل : وفاته وقبره بشيرار (الأعلام ٨١/٥).

(٤) هكنا لفظ العبارة في (أ) و(ب) وهي في النهج : وانتظرنا بماله وبوره.

(منى لها الغناء): قدر لها العدم والزوال؛ لأنها بلغة ووصلة إلى الآخرة.

(ولأهلها): ولمن كان مخلوقاً فيها.

(منها): من هاهنا لا ابتداء الغاية، والضميران للدنيا.

(الجللاء): بالجيم هو: الخروج من الوطن، والحلاء بالخاء المنقوطة المكان لا شيء فيه، وكلاهما متوجه هاهنا، وسمعنا بالجيم والغرض أنهم خارجون عنها ومجلون^(١) عنها.

(وهي حلوة): المطعم لذائقها.

(خضرة): لمراى لمن ينظر إليها.

(قد^(٢) عجلت): جعلت عجلة.

(للطالب): لمن يطلبها.

(والتبست): اختلطت.

(بقلب الناظر): من ينظر إليها ويلاحظها وتكون نصب عينه.

(فارتحلوا عنها^(٣)): ارتحل إذا فارق وطه ومستقره، والغرض فارقوها

(بأحسن ما يحضركم^(٤) من الزاد): فخير الراد ما بلغ إلى الآخرة،

(١) في (أ): ومجلون لها، وما أثبت من (ب).

(٢) في شرح النهج: وقد

(٣) في شرح النهج: منها.

(٤) في (أ): يحضركم، وفي النهج: ما يحضركم، وفي (ب): يحضركم، كما أثبت.

(٤٥) ومن خطبة له عليه السلام

(الحمد لله غير مقنوط من رحمته): الفنط: اليأس، قال تعالى: ﴿لَا تَقْطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ﴾ (الر. ٥٣) أي لا تيأسوا

(ولا مخلو من نعمته): ومردّه من ذلك هو أن رحمة الله واسعة، فلا سبل لأحد إلى الإيأس منها، وأن نعمته شاملة للخلق^(١)، فلا يخلو أحد عنها.

(ولا مايوس من معفرته): الإيأس: عدم الرجاء، أي أن الله واسع المعفرة فلا ييأس منها مذنب

(ولا مستنكف عن^(٢) عبادته): الاستنكاف هو: التكبر والعلو، وأراد أن الله تعالى أهل لغاية الخضوع، لمكان الإلهية فلا ينكف أحد عن ذلك.

(الذي لا ترح منه رحمة): أي لا تزال دائمة متحددة على خلقه

(ولا تفقد له نعمة): فقدت شيء إذا عدته، ومراده أن الخلق لا يعدمون نعمة الله في حالة من الحالات

(والدنيا دار): مستقر.

(١) في (أ): يتخلق، هكذا بدون تعطف، والصواب ما أثبت من (ب)

(٢) في نسخة: عن (هناش لي ب).

أو أراد بالتقوى فهي أحسن لزود، كما قال تعالى: ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ الْقَوَى﴾ [البقرة: ١٩٧].

(ولا تسألوا): تصلبوا.

(ضها): الضمير للدنيا.

(فوق الكفاف): فوق ما يكفيكم منها.

(ولا تطلبوا منها أكثر من البلاغ): ولا تريدوا منها أكثر مما^(١) يبلغكم إلى الآخرة، ونه در من قال:

ما راؤ فوق الزاد خلف ضائع^(٢) في حادث أو وارث أو عار

(٤٦) ومن كلام له عليه السلام عند عزيمته على السير إلى الشام

(اللَّهُمَّ، إني أَعُوذُ بِكَ مِنْ وَعْثَاءِ السَّفَرِ): [عاذ]^(١) يعوذ عوداً وعبادة، إذا لجأ، ومراده أنني ألتجأ إلى الله، ووعث أسفر هو: مشقته وتعبه.

(وكأية المنقلب): الكأية: سوء الحال، والانكسار من الذل، والمنقلب هو: الانقلاب، وأراد بالمنقلب: إما المقلب إلى الآخرة، وإما المنقلب من السفر، فاستعاذ من الوعثاء في الورد والصدور من المطر والحواف، لأنهما كثيراً ما يستحان في السفر، وأراد الدعاء أن لا يرجع خائفاً من سفره بإحراز مقصوده.

(وسوء المنظر في النفس والأهل والمال^(٢)): أراد وأعوذ بك أن أرى في أهلي ونفسي ومالي منظر سوء يحزني، ويضيق به صدري وقلبي، والمنظر: هو النظر كالخروج بمعنى الخروج.

(اللَّهُمَّ، أنتَ الصَّاحِبُ فِي السَّفَرِ): المصاحب الكائن معنا أمره وإعانتة في كل جهة.

(١) سقط من (أ).

(٢) في شرح الهج: وسوء المنظر في الأهل والمال والولد.

(١) في (أ) ما

(٢) في (أ): ضائعا.

(والخليفة في الأثر^(١)): ولذي يخلفنا فيمن^(٢) بعدنا من الأهلين والأولاد، وهذه الدعوة مأثورة عن رسول الله صلى الله عليه وآله^(٣)، وقد أتمها (عليه السلام) بأحسن تمام، وقفاها بأكمل تقفية، حيث قال:

(لا يجمعها^(٤) غيرك): أي ذلك محال في العقول في سواك.

(لأن المستخلف^(٥) لا يكون مستصحباً): أراد أن الواقف لا يكون سائراً.

(والمستصحب لا يكون مستخلفاً): والسائر لا يكون واقفاً، وإنما الذي يكون^(٦) له هذه الصفة، هو الذي لا يكون في جهة ولا يحصل فيها هو الله تعالى، كما قل تعالى: ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَكُمْ آيُنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحديد: ٤]

(١) في النهج: وأنت خليفة في لأمل

(٢) في (أ) فيما

(٣) قال ابن أبي الحديد في شرح النهج ١٦٦/٣ ما لفظه: وصدر الكلام مروى عن رسول الله ﷺ في مسابرة الصحابة وختم أمير المؤمنين (عليه السلام) رحمه يموله (ولا يجمعها غيرك)، انتهى، وحديث: «اللهم بي أعوذ بك من وعناء (السنن)» أورده في موسوعة أطراف الحديث ٢١٩/٢، وعراء إلى مسلم (٩٧٩)، ورس النساء (المجتبى) ٢٧٢/٨، وستن ابن هاجة (٣٨٨٨)، وحلية الأولياء ١٢٢/٣، وإتحاف السادة المتقين ٣٢٥/٤،

٣٢٨، ٣٢٦، وعراء إلى غيرها

(٤) في شرح النهج: ولا يجمعها

(٥) في النهج وفي (ب): المستخلف، وفي (أ): المحلف، وما أثبت من (ب) وسهج

(٦) في (ب): تكون.

(٤٧) ومن خطبة له عليه السلام في ذكر الكوفة

(كأنى بك يا كوفة): الخطب للكوفة، كقوله تعالى: ﴿يَا جِبَالُ أَوْبَى مَعَهُ﴾ [س: ١٠] وأراد استقرب ما يصيبها من هذه الأحداث.

(تُمدِّين مد الأديم العكاظي): عكاظ: كان سوقاً في الجاهلية يجتمعون فيه للتفاخر، وإنشاد الأشعار، والبيع والشراء، قال أبو ذؤيب^(١):

إِذَا بُيِّنَ الْقِيَابُ عَلَى عُكَاظٍ وَقَامَ الْبَيْعُ وَاجْتَمَعَ الْأَلُوفُ^(٢)

وأديم عكاظي مسوب إليه، وأراد أنها تمد وتطوى^(٣)، جعله عبارة عما يكون فيها من الفن.

(تعتزكين^(٤) بالنوازل): عرك الأديم يعركه عركاً، إذا دلكه، والنوازل: جمع نازلة وهي شذائد الدهر وحوادثه.

(١) هو: خويدي بن خالد بن محرز، المعروف بأبي ذؤيب الهذلي، اتوفى سنة ٢٦٦ هـ وقيل نحو سنة ٢٧٠ هـ، من شعراء هذيل المعروفين، شاعر محضرم، كان رواية لسبعة من حويدة الهذلي، وله ديوان شعر مطبوع (انظر معجم رجال الاعيان ص ١٣٤)، والأعلام ٣١٥/٢

(٢) البيت أورده ابن أبي الحديد في شرح النهج ١٩٧/٣، وعكاظ: اسم سوق للعرب قبل الإسلام بادية مكة، كانوا يجتمعون بها في كل سنة، يقيمون شهراً، ويتبايعون ويتناشدون الأشعار وتعاخرون فلما جاء الإسلام هدم ذلك، وورد البيت في لسان العرب ٨٥٣/٢ ونسبه لأبي ذؤيب أيضاً، وقال في شرحه: أراد بعكاظ موضع على موضع الباء، وأديم عكاظي مسوب إليها، وهو مما حمل إلى عكاظ فيبع بها

(٣) في (أ): وتطوى

(٤) في شرح النهج: تمركين

(وتركبين بالزلازل): ركب^(١) الأمر إذا علاه وبهظه، والزلازل جمع زلزلة وهي: الشدة والاضطراب، وأراد بذلك ما يكون في أيامه، أو ما يحدث بعده.

(واضي لأعلم): أقطع وأتحقق، بما أعلمني رسول الله عمّا أعلمه الله.

(أيه ما أرادك^(٢)): قصدك.

(حبار): طالم متكبر.

(بسوء): ما تكرهه الفوس، وتنفر عنه من القتل والأخذ والخراب.

(إلا ابتلاه الله بشاغل): سهّل له بنوى تشغله عمّا يريد^(٣) من ذلك.

(ورماه الله بقائل): من قولهم: رمته قسيّ المنايا والمعنى سلط الله عليه قاتلاً يقتله.

(٤٨) ومن خطبة له عليه السلام عند مسيره إلى الشام

(الحمد لله^(١) كلما وقب ليل وغسق): كل هذه دالة على الشمول والإحاطة، وقب الليل إذا دخل، وغسق إذا أظلم، قال الله تعالى: ﴿وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ السَّيِّئُ﴾ أي ومن شر الظلام إذا دخل.

(والحمد لله كلما^(٢) لاح نجم وخفق): لاح النجم إذا طلع، وخفق إذا غاب.

(والحمد لله غير مفقود الإنعام): الفقد: هو العدم، يقال: فقد ولده إذا عدمه.

(ولا مكافئ الإفضال): وأراد أن الله تعالى مستحق للحمد، بحيث لا يعدم إنعامه، ولا يكافئ أحد فضله. وانتصاب غير على الحال من اسم الله، فله الحمد على هذه الحالة. وانتصاب كل في قوله: كل ما وقب^(٣) على الظرفية للزمان، وما زمانيه، أي: أن الحمد لله في هذه الأزمنة المخصوصة الشاملة.

(أما بعد): كلمة تستعمل لقطع كلام، وخروج إلى كلام آخر.

(١) في (أ): الحمد لله على كل الخ

(٢) في (أ): والحمد لله على كل الخ

(٣) في (أ): كل وقت، وهو خطأ، والصواب ما أثبتته من (ب).

(١) في (أ): ركب

(٢) في شرح المصحح: ما أراد بك جدار سوءاً

(٣) في (ب): يريد.

(فإني^(١) بحثت مقدماتي): طلبعة الجيش وأوله.

(وأمرتهم): عهدت إليهم

(بلزوم هذه الملقاط): وهو ساحل لبحر وشفير الوادي، قال رؤية:

نحن جمعنا الناس بالملطاط فأصبحوا في ورطة الإفراط^(٢)
أمرتهم بلوقرف فيه.

(حتى يأتبهم أمري): فيوردون ويصدرون^(٣) على حسه.

(وقد رايت): تحققت واتقدح لي من المصلحة.

(أن أقطع هذه النطفة): أرد به الفرات، وهو أحد الأنهار، التي يقال:
إنها من أنهار الجنة -سيحون وحيحون^(٤)، ودجلة، والفرات، وكنى بالنطفة
عن هذا النهر مع عظمه، وهو من عجيب الاستعارة ولطيفها أن يكنى^(٥)
بالأقل عن الأكثر كما يكنى^(٦) بدمع العين عن الحر، واستعاره فيه كقوله:

فعبني طورا تعرفان من اليكاء

فأعشو^(٧) وطورا تجزان فأبصر

(١) في شرح النهج: فقد.

(٢) أورد صدره ابن أبي الحديد في شرح النهج ٢٠١/٣، وهو في لسان العرب ٣٦٨/٣، ونسبه
لرؤية أيضا، وروايته فيه:

نحن جمعنا الناس بالملطاط في ورطة وأيماء إفراط

قال: ويروي: فأصبحوا في ورطة الأوراط

(٣) في (أ): فتوردون وتصدرون

(٤) في (أ): ومحقون وهو تحريف، والصواب كما أثبت من (ب)

(٥) في (ب): كنى

(٦) في (ب): كنى

(٧) في (ب): فأعشي، وقوله: تجزان أي تنضدن.

فاستعار النطفة للبحر كما استعار البحر لدمعة العين.

(إلى شروضة منكم): الشروضة: عدد قليل.

(موطنين أكثاف دجلة): اتخذوا أكثاف دجلة موطناً ومستقراً

(فأنهضهم معكم إلى عدوكم): فأمرهم بالنهوض مصاحبين لكم،
تجتمعون للانتصار على عدوكم.

(واجعلهم من أمداد القوة لكم): المدد: ما يد به الجيش من
الرجال، وجمعه أمداد، والاستمداد: طلب المدد.

قال أبو زيد^(١): مددنا القوم، أي صرنا لهم مدداً^(٢)، وأراد أنهم
يكونون أعواناً لكم في القوة والاستظهار على أعدائكم.

(١) حر: أبو زيد الأنصاري سعيد بن أوس بن ثابت الأنصاري ١١٩١-١٢١٥ هـ أحد أئمة الأدب
واللغة، من أهل البصرة ووفاته بها، وهو من ثقات العمويين، من تصانيفه: (الوادي في
اللغة) وغيره (انظر الأعلام ١٢/٣).

(٢) قول أبي زيد الذي ذكره المؤلف هنا، ذكره أيضاً في مختار الصحاح ص ٦١٩.

وله تأويلان^(١) :

أحدهما : أن يكون مراده أنه متقدم في الاستظهار والقهر والاستيلاء ،
فلا شيء أقهر منه ولا أقدر

وثانيهما : أن يكون مراده أنه سق^(٢) في الانكشاف والظهور بالأدلة
والبراهين ، فلا شيء أظهر من وجوده وثبوته.

(وقرب في الدنو فلا شيء أقرب منه) : يعني أنه قرب بالرحمة واللفظ
بالخلق ، فلا شيء يساويه في ذلك ، أو قرب في نفوذ الأمر وسرعته ، فلا
أمر يسويه في ذلك ويمثله.

(فلا استعلاؤه بأعده عن شيء من خلقه) : أراد أنه وإن بُعد بتعاليه
عن القرب والإدراك ، فإن ذلك لا يحجبه عن لإحاطة بأحوالهم
والتدبير لهم.

(ولا قربه ساواهم في المكان به) : ثم إن قربه منهم بالرحمة والأمر لم
يقتض أن يكون مساوياً أي لهم^(٣) في [جهته]^(٤) الأمكنة كالقرب في حقنا ؛
فإن من كان قريباً من غيره^(٥) اقتضى أن يكون مساوياً له في جهته
ليدنو منه.

(١) في (أ) : تأويلات ، وهو تصحيح

(٢) في (أ) : أن يكون مراده يسق ، ربما أثبت من (ب)

(٣) في (أ) : له

(٤) زيادة في (ب)

(٥) في (ب) : غير

(٤٩) ومن خطبة له عليه السلام

(الحمد لله الذي بطر^(١) خفيات الأمور) : بطن الخفيات ؛ أي علم
باطنها وأحاط بها علماً ، والخفيات هي : السرائر

(ودلت عليه أعلام الظهور) : الأعلام : جمع علم ، ومراده أن الأعلام
ظاهرة ؛ وهي المكونات من مخلوقاته دالة عليه فهي شاهدة على إثباته.

(وامتنع على عين البصير) : وفات بتعاليه على أعين البصراء بالامتناع
عن أن يكون متبركاً.

(فلا عين من لم يره تنكره) : أرد أن العين وإن لم تره بأحداقها فإنها
لا تنكره ؛ لما تراه من براهين وجوده ودلالاتها

(ولا قلب من أثبتته ببصره) : أراد أن القلوب وإن أثبتته ؛ فإن
إثباتها [له]^(٢) لا يكون عن رؤية منها له.

(سبق في العلو فلا شيء أعلى منه) : ليس الغرض من العلو هو
الفوقية فإن ذلك مستحيل على الله ، لما فيه من التشبيه والكون في الجهة ،

(١) في (أ) : طر

(٢) سقط من (أ).

(لم يطلع العقول على تحديد صفته): أراد أن العقول وإن دلت على كونه قادراً وعالماً وحياً وسائر صفاته؛ فإنها قاصرة عن الاطلاع على كنه حقيقة القادرية والعالمية، وغيرهما من الصفات؛ لأن حقيقة الذات إذا كان^(١) غير معلوم^(٢) للشيء^(٣)، فهكذا حالة الصفة أيضاً خلافاً للمعتزلة وأكثر المتكلمين، وقد رمرنا إلى ذلك في كتبنا العقلية، وذكرنا الحق فيه.

(ولم يجبها عن واجب معرفته): الضمير للعقول، وأراد أنها وإن لم تطلع على حقيقة الصفة فإنها غير محجوبة عن واجب معرفته بما أظهر لها من البراهين على ذلك.

(فهو الذي تشهد له أعلام الوجود): فهو المعهود بشهادة الأدلة الوجودية.

(على إقرار قلب ذي الجحود): على أن قلوب الجاحدين مقرة بوجوده وإن كانت ألسنتهم منكرة لوجوده عناداً وجحوداً وتمرداً وضلالاً.

(تعالى الله عما يقول المشبهون له): بالخلق في الحسمية، والأعضاء والجوارح، والكون في لأمكنة والحلول في المحال.

(والجاحدون له): بتفني وجوده، وإثبات أمور كاذبة، وخيالات باطلة كالعقول والأفلاك كما^(٤) تزعمه الفلاسفة، أو إثبات نجوم^(٥) مؤثرة

(١) طس فوقها في (ب) بقوله: ط: كانت

(٢) في نسخة: معلومه (هـ) مش في (ب).

(٣) في (ب): للشيء

(٤) في ('): عماء، والصواب ما أثبت من (ب).

(٥) في (أ): عم

في هذه العوالم كما يزعمه أهل التنجيم، وغير ذلك من المذاهب الرديئة والأقاويل المنكرة.

(علواً كبيراً): تعالياً^(١) يكبر عن أن ينال بمحد^(٢) وصفه.

(١) في (أ): تعالى، وهو خطأ، وما أثبت من (ب)

(٢) في (أ): بجر.

(انقطعت عنه السنن المعاندين^(١)): بتجلي^(٢) وتوضح، وعد^(٣) وضوحه وانكشافه يتقطع عنه السنة من عانده بالإنكار له واجحد.

(ولو أن الباطل خلص من مزاج الحق): أراد أن الباطل لو تميز عن أن يمازجه شيء من الحق.

(لم يحف على المرتادين): لم تلحقه خفية على الطالبين له، والمراد هو: الطائب، وفي الحديث: «إذا أراد أحدكم أن يول فليرتد لوله»^(٤) أي يطب له موضعاً ليناً

(ولو أن الحق خلص من لبس الباطل): امتاز عن تعلقه وشموله له (انقطعت عنه السنن المعاندين^(٥)): لأنه يصير واضحاً جلياً، لامطعن فيه لأحد ممن يخالف الحق ويعدل عنه.

سؤال: أراه في كلامه هذا سمي تعلق الباطل بالحق لساً، وسمى تعلق الحق بالباطل مزاجاً وكل واحد منهما له اتصال بالآخر، فما وجه التفرقة بينهما؟

جوابه: هو أن اتصال الباطل بالحق له تأثير عظيم، فله فيه موقع حبل

(١) في (أ): المعاندين.

(٢) في (ب): بتجلي

(٣) في (أ): وعبر، وقه غموض، وما أثبت من (ب)

(٤) أورده في موسوعة أطراف الحديث السوي ٢٣١/١، وعراه إلى سنن أبي داود، ومسد أحمد بن حنبل ٣٩٦/٤، والسنن الكبرى للبيهقي ٩٤/١، وشرح السنن للبيهقي ٣٧٥/١،

ومشكاة المصابيح للتبريزي ٣٤٥

(٥) في (أ): المعاندين، وقوله: (ولو أن الحق خلص من لبس الباطل) انقطعت عنه السنن المعاندين) ورد في المسحطين مكرراً مرتين، كما تراه، وهو في الهمج ليس مكرراً

(٥٠) ومن خطبة له عليه السلام

(إما بدء^(١) وقوع الفتن أهواء تتبع): أشار بما ذكره إلى الأسباب الموجبة لوجود الفتن ووقوعها فقال: هي أهواء تتبع أي: أنها أمور تفعل متابعة للهوى للنفوس، ويوافق بها مراداتها، والنفوس أماراة بالسوء.

(واحكام تبتدع): تختزع من غير دلالة عليها.

(بخالف [هيها]^(٢) كتاب الله): إما تخالفه بأن لا يكون فيه ما يدل عليها، وإما تخالفه بأن تكون منقضة لحكمه.

(ويتولى عليها رجال رحالا): أراد ويقهر فيها رجال لرجال آخرين بالاستيلاء والسلطة، وهذه البولية تكون منحرفة عن الحق.

(على غير دين الله): على غير مراده وقصده، وعلى مخالفة أمره وكتابه.

(ولو أن الحق خلص من لبس الباطل): أراد أن الحق لو تميز عما يشوبه من ابتباس الباطل به وتعلقه به [ر] من بعض وجوهه.

(١) في (أ): يبدو

(٢) سقط من (أ)

(٣) سقط من (أ)

بحيث يلتصق ويفطى عليه، فلهذا سمي اتصاله به لبساً، بخلاف اتصال الحق بالباطل؛ فإن حكمه ضعيف لا يكاد يوجد فيه^(١)، فلهذا سمي اتصاله بالباطل مزاجاً؛ لأن المزاج يكون أقله كمزاج الخمر بالماء والعسل فإنه يكون جزءاً قليلاً منها.

(ولكن يؤخذ من هذا ضعف ومن هذا ضعف): الإشارة بقوله من هذا ومن هذا إلى الحق والباطل، والضعف: قبضة من حشيش، وفي مثالهم: ضمت على إتيالة، والإتيالة هي: الحزمة الكبيرة، ومراده يؤخذ من هذا^(٢) نصيب ومن هذا نصيب.

(فيمرحان): يملطان بعضهما في بعض بحيث لا يتميز أحدهما من الآخر.

(فهناك): إشارة إلى موضع الامتزاج؛ لأن هذا موضوع للإشارة إلى الأمكنة، واللام دالة على البعد.

(يستولي الشيطان): يشتد أمره؛ ويستحكم سلطانه.

(على أوليائه): أتباعه وأعرانه، بإيثار الباطل والافتقار له، وغمص^(٣) الحق واجتنابه.

(وينجو الذين سبقتم لهم من الله المحسنين): بما كان^(٤) منهم من إيثار

(١) في (أ): بويه، وهو خطأ، والصواب ما أثبتته من (ب).

(٢) في (أ): يؤخذ منها، وما أثبتته من (ب).

(٣) غمص الشيء: استصغاره، وغمص النعم، أي: لم يشكرها.

(٤) في (ب): لما قد كان إلخ.

الحق [واتباع]^(١) آثاره، والإعراض عن الباطل وإهداره، وفي كلامه هذا من الحث على طلب البصائر، والتشهير على^(٢) ساق الحد في تحصيلها ما لا يحفى على الأدكياء.

اللَّهُمَّ، اجعلنا ممن أثر الحق على هواه، وترك الباطل وراء ظهره وتعدّاه.

(١) زيادة في (ب).

(٢) في (ب): عن.

الديباج الوصي . ومن كلامه (ع) لما غلب أصحاب معاوية أصحابه على شريعة الفرات

(أرووا^(١) السيوف من الدماء) : أوصلوها أكنافهم واقطعوا بها
أوصالهم ؛ لتكون السيوف شاربة من دمائهم راوية.

(برووا من الماء) : بقتلهم والوصول إلى ما حازوه من الماء فتروا منه .
(فالموت في حياتكم مقهورين) : أراد أن حياتكم بالتأخر عن القتال
وركوب المذلة هو الموت بعينه لما فيه من الخمول والنقص في الأعين .

(والحياة في موتكم قاهرين) : أراد أن موتكم بالقتل هي الحياة في
الحقيقة في الآخرة الدائمة لما فيه من العز ومشور^(٢) الذكر بقرهم لهم
وإذلالكم إليهم .

(ألا وإن معاوية قاذ لئمة من الغواة) : اللئمة : الجماعة ، حذف لامة
وعوض منها مثل كُرّة وقُلّة ، وإنما ذكره باسمه المعروف به ، ولم يقل : ألا
وإن صاحبهم ليدل بذكر لقبه على ما اشتمل عليه من لقب له في الصفات
الخبيثة ، والسمات السيئة ، وقوله : قاذ تعريض بجهلهم وأنهم لا يملكون
بصيرة لأنفسهم في مخالفته بهم ، عمّة عن الحق ، غواة عن طريقه ،
طغاة أجلاف .

ويصدق ذلك أن رجلاً من أهل الشام قاتل قتالاً شديداً ، فقال له
بعض أصحاب أمير المؤمنين : يا فتى ، أتدري من تقاتل ؟ قال نعم ، إن
أصحابي يخبروني أن صاحبكم هذا لا يصلي ، فقال له : فكيف تقول
ذاك ، وهو أول من صلى وأجاب الرسول إلى الهدى ، وأصحابه

(١) في شرح النهج ، أو رورا

(٢) في (ب) : مشور

(٥١) ومن كلام له عليه السلام لما غلب أصحاب معاوية
أصحابه على شريعة الفرات بصفين ، ومنعواهم من الماء

والشريعة : مشرعة الماء ، وهي : مورد من يشرب^(١) منه :

(قد استطعموكم القتال) : سأبوكم القتال وطبوه منكم ، من قولهم :
استطعمت فلاناً إذا سأله أن يطعمك ، يثير بذلك إلى بغيتهم وعنادهم .

(فأفروا على مذلة) : المذلة : الدل والهوان .

(وناخير محلة) : المَحَلّة بالفتح هو : المرل ، يقال : هذه مَحَلّة القوم
أي منزلهم ، والإقرار : من القرار ، وهو بقيض الظمور ، والتأخير : هو^(٢)
نقيض التقدم ، والمعنى في هذا هو أن القوم قد طلبوا منكم القتال ودعوكم
إليه ، فإن لم تعطوهم إياه وتمنحوهم الضرب بالصوارم والطعن بالرماح
فانعدوا في أمّاكنكم على الذل ، وتأخروا عن المراتب العالية ، وهذا
منه (ع) تهيج^(٣) لهم على القتال ، وإلهاب لأحشائهم في اقتحام موارد
الموت ، ولا يجوز أن يكون ، قوله : فأفروا^(٤) من الإقرار لأنه عذاه بعى ،
فلهذا كان من القرار .

(١) في (ب) : شرب

(٢) قوله : هو سقط من (أ) .

(٣) في (ب) : تهيج

(٤) في (أ) : وأفروا

أهل القرآن والفقهاء، فرجع الفتى وترك القتال، ثم عاد إلى أصحابه فقالوا: حذرك العراقي، فقال: لا والله، ولكنه نصح^(١) لي، وخلق المحاربة^(٢).

(وغض عليهم الغزير): غمّس بالسيف المثلثة التحتانية والغين والعين^(٣) جميعاً إذا لبس الأمر فلا يدري من أين يؤتى، وأراد أنه لبس عليهم أمورهم وأتى لهم من كل جهة.

(حتى جعل محورهم اغراض المنية): حتى أوردتهم حياض الموت، والغرض بنين مقطوعة هو: ما يرمى من قرطاس وغيره، وأراد أنه صير محورهم هدفاً للنبال ودرية^(٤) للرماح من أهل الحق.

واعلم: أن كلامه في هذه الخطبة مشتمل على نوعين من أنواع البديع: أولهما: قوله: (أرووا السيوف من الدماء^(٥) ترووا من الماء): وهذا يسمى التجنيس المزدوج، ونظيره قوله تعالى: ﴿وَمَكْرُوهٌ وَمَكْرُوهٌ أَلْفٌ﴾ [الرعد ٥١]، ﴿يَخَادِعُونَ اللَّهَ وَلَهُ خَادِعَاتُهُمْ﴾ [سجدة ١٠٢]، ﴿فَتَنِ الْحَدِيثَ عَلَيْكُمْ فَأَعَدُّوا عَلَيْهِ﴾ [البقرة ١٩٤] وهو كثير.

وثانيها^(٦): الصباق، وهو قوله: قاهرين، ومقهورين، وحقيقة الطبايق؛

(١) في (ب) نصيب

(٢) المسي، الجزء الثامن العشرين ٩٨/٢-٩٩

(٣) أي: غمّس

(٤) الدرية: لما يتعلم عليه الطعن (القاموس المحيط ص ١٦٥٥)، قال في اللسان: ٩٧٦/١: والدرية الناقة: والبقرة يستتر بها من الصيد فيحتل، وقال أبو زيد: هي مهموزة لأنها تسراً للصيد أي تدفع، إلى أن قال: الأصمعي: الدرية غير مهموزة: دابة يستتر بها الصائد الذي يرمى الصيد بيصيده، فإذا أمكه رمى، انتهى

(٥) في (أ): أورد، وهو خطأ، والصواب كما أنه من (ب)، وقوله: من، سقط من (أ)

(٦) في (ب): وثانيهما

أن يأتي بالشيء وضده، ومنه قوله تعالى: ﴿لَا تَعْتَكُوا قَلِيلًا وَتَعْتَكُوا كَثِيرًا﴾ [البقرة ٨٢] ومنه قول دعبيل^(١):

لَا تَعْتَجِبِي يَا سَلَمُ مِنْ رَجُلٍ صَحَكَ الْفَتَيْبُ بِرَأْسِهِ فَبَكَى
وقول الجعدي^(٢):

فَيَا عَجَبًا كَيْفَ اتَّفَقْنَا فَنَاصِحٌ وَفِي وَمَطْوِيٌّ عَلَى الْغَيْلِ غَائِرٌ
وهذان النوعان لهما موقع عظيم في البلاغة.

(١) هو دعبيل بن علي بن رزيس الخراعي [١٤٨-٢٤٦هـ] أبو علي، شاعر آل البيت، أحد الأعلام، شيعي، دت شعره عن آل البيت (عليهم السلام) وهما طالبهم، وهما هارون المسمى بالرشيد، والمأمون والمعتصم ولوثق من بني العباس، رطان عمره، وله ديوان شعر مطبوع (معجم رجال الاعتزاز ص ١٤٠).

(٢) هو الباعة الجعدي قيس بن عبد الله بن عدي بن ربيعة الجعدي العدناني، المتوفى نحو سنة ٥٠هـ، أبو ليلى، شاعر مفلح، صحابي من المعمرين، اشتهر في الجاهلية، وكان ممن هجر الآوثان ونهى عن الخمر قبل ظهور الإسلام، ووجد على النبي ﷺ فأسلم، وأدرك صفين نشدها مع الإمام علي (عليه السلام)، ثم سكن الكوفة فسيره معوية إلى أصبهان مع أحد ولاتهاء فمات فيها، وقد كتب بصره، وقد جاوز المائة، وأخباره كثيرة، وله ديوان شعر مطبوع. (انظر الأعلام ٢٠٧/٥)

(وكدر منها ما كان صفواً): فما يصفو منها شيء من نعيمها إلا وكان عاقبته الكدر من بؤسها.

(فلم يبق منها): لرواها وتقضي الأكثر منها.

(إلا ستملة كستملة^(١) الإداوة): السملة بالسین ثلاث من أسفلها هو: لبقية من الماء، والإداوة: إناء من آدم للماء.

(أو جرعة كجرعة المقلّة): والمقلّة بفتح القاف والميم: حجر صغيرة توضع في أسفل الإناء، لقسمة الماء، وذلك يكون عند^(٢) قلة الماء في المغاور.

(لو تمزّزها): بمصّها^(٣)

(الصديان): المتقطع جوفه من العطش.

(لم ينقع): بالقاف، من قوله: نقع الماء العطش نقوعاً إذا سكّه.

(فأزمعوا عباد الله الرحيل): الإزماع هو: الثبات في الأمر.

قال الكسائي^(٤): يقال: أزمعت الأمر، ولا يقال: أزمعت عليه^(٥)

وأراد اثبتوا على الانتقال.

(١) في (أ): كلمة، وهو تحريف.

(٢) في (أ): حه، وهو خطأ.

(٣) في (أ): لمصها، وما أثبتته من (ب).

(٤) هو: علي بن حمزة بن عبد الله الأسدي بالولاء الكوفي، أبو الحسن الكسائي، المتوفى سنة ١٨٩ هـ، إمام في اللغة والنحو والقراءة، من أهل الكوفة، ولد في إحدى قرأها وتعلم بها، وسكن بغداد، وثقفي بالري عن سبعة علماء، له تصانيف منها: معاني القرآن، وانصاف، والنراءات وغيرها (انظر الأعلام ٤/٢٨٣).

(٥) قول: الكسائي هذا ذكره أيضاً في مختار الصحاح ص ٢٧٤ بلمط وقال الكسائي يقال: أزمع الأمر، ولا يقال: أزمع عليه.

(٥٢) ومن خطبة له عليه السلام^(١)

(ألا وإن الدنيا قد تصرمت): التصرم هو: انزوال والفرق، أي ذهبت قليلاً قليلاً، كقوله تعالى: ﴿ذُرِّيَّتَا الذِّكْرِ﴾ [الحج ١٠].

(وأذنت بانقضاء): لإيذان: هو الإعلام، والانقضاء: هو الذهاب، ومه قولهم: انقضى الأمر أي ذهب.

(وتنكر معروفها): إما صار ما كان منها معروفاً منكراً لكثرة ما يعرض له من لتغيير، وإما صار المعروف فيها منكراً لقلة من يفعله ويأتيه.

(وأدبرت حذاء): أي أنها ولت بسرعة، واشتدقه من الخلد وهو خفة شعر الذنب.

(فهي^١ تحفز بالقضاء سكانها): لضمير للدنيا، أراد أنها تعجل بالموت من كان لاثاً فيها.

(وعندو): تسوق

(بالموت جيرانها): من كان معمرراً فيها.

(وقد أمر منها ما كان حلواً): يعني أن حلاوتها ممزوجة بمرارة، فما يخلو منها شيء من لذاتها إلا وأعقبه مرارة من ضرائها.

(١) بعده في شرح الشيخ: وقد تقدم مختارها، ونذكر ما ذكره ما برواية أخرى لتأبير لروايتين.

(٢) في (أ): وهي

(عن هذه الدار): دار الدنيا.

(المفذور على أهلها بالزوال): المحكوم على من كان فيها من أهلها والساكنين [فيها]^(١) بالذهاب والعدم.

(ولا يعليبتكم): ولا يقهركم، من غلبه إذ قهره.

(منها^(٢) الأمل): ما تأملونه من الحبة والميل إلى لذاتها المقطعة.

(ولا يطولن عليكم [فيها]^(٣) الأمد): ما نفس لكم^(٤) من هذه الآجال فهي حقيرة بالإضافة إلى انقطاعها.

(فوالله لو حننتم حنين الوله العجال): الحنين: هو شدة الشوق، والولّه: جمع واله وهو: الذي ذهب عقله من شدة الوجد والحزن، والعجال: جمع عجلة وهي الناقة التي تسرع إلى ولدها.

(ودعوته^(٥) بهديل الحمام): البديل بدل منقوطة من أسفل هو: صوت الحمام، يقال: هدى هديلاً مثل هدر هديرًا، وإنما قال (رحمه الله): بهديل الحمام؛ لأن العرب تزعم أنه كان على عهد نوح (عليه السلام) فرخ اصطادته جوارح الطير قالوا: فليس حمامة إلا وتبكي^(٦) عليه إلى الآن.

(١) سقط من (أ)

(٢) في شرح النهج: فيها

(٣) سقط من (أ)

(٤) في (ب) بهم.

(٥) في (ب): ودعهم

(٦) في (أ): وتبكي، وفي (ب) ما أثبتته. قال في لسان العرب ٧٨٤/٣ ما لفظه: وقال بعضهم تزعم الأعراب في البديل أنه فرخ كان على عهد نوح (عليه السلام)، فمات صبيحة وعطشاً، فيقولون: إنه ليس من حمامة إلا وهي تبكي عليه. انتهى، وقريب مما أورده المؤلف هنا في مختار الصحاح ص ٦٩٢، وانظر القاموس المحيط ص ١٣٨٢.

(وجارتم جوار متبئلي الرهبان): الجوار: هو اتضرع، والتبئل: هو الانقطاع من الدنيا وإهمالها إلى الله تعالى، والرهبان: جمع راهب، وهم هؤلاء الذين يكونون في الصوامع رغبة إلى الله وانقطاعاً إليه، وتخلياً عن الدنيا، فهم حاسبون لأنفسهم فيها.

(وخرجتم إلى الله من الأموال والأولاد): أما الخروج من الأولاد فهجرهم، والخروج من الأموال بإفراقها لله تعالى وفي سبيله.

(التماس القربة إليه): طلباً للزلفة.

(في ارتفاع درجة عنده): من رفيع المارل التي أعدها لأوليائه

(أو غفران سينة أحسنها كنبته^(١)): الملائكة الموكلون بالكتابة للأعمال.

(وحفظها^(٢) رسله): الملائكة الموكلون بالحفظ، كما قال تعالى: ﴿وَلَنْ عَلَيْكُمْ لِعَاطِطِينَ كِرَامًا كَاتِبِينَ﴾ [الإنطار: ١١].

(لكن قليلاً فيما أرحو لكم من ثوابه): اللام هي جواب القسم، وامتعى أن تلك العناية منكم والاجتهاد يكون قليلاً بالإضافة^(٣) إلى مثل ما أعد الله للأولياء من الكرامة وقرّة لأعين.

(واخاف عليكم من^(٤) عقابه): الذي أعدّ لأعدائه من النكال ولويل.

(١) في شرح النهج: كتبه.

(٢) في شرح النهج: وحفظها

(٣) في (ب): بإضافته

(٤) قوله من سقط من (ب)

(وناله): قسم ثاني، والأول^(١) عام لكونه جاء بالواو، والثاني خاص لكونه جاء بالتاء احتكاماً في البلاغة، وتوسعاً في الفصاحة، وقد جاء الأمران في كتاب الله تعالى: ﴿تَوَرَّكْ﴾ ﴿وَرَّكْ﴾.

(لو اغاثت قلوبكم اميئاً): ذابت أفئدتكم ذوباً.

(وسالت عيونكم): دموع أعينكم جارية على خدودكم من العرة.

(رغبة إليه): طمعاً فيما عنده من الثواب.

(ورغبة منه): لما عنده من أليم العقاب.

(دماء): انتصابه على التمييز أي سالت دماً، وما بينهما من الكلام عارض.

(ثم عمرتم في الدنيا): طالت أعماركم وأنتم على هذه الحالة من لرغة والرهة وذوب القلوب، وسيلان الأعين دماً خشية من الله.

(ما الدنيا): ما هذه هي: الظرفية، والتقدير مدة كون الدنيا.

(باقية لكم): دائمة لكم وأنتم فيها دائمون.

(ما جزت أعمالكم): ما هذه للنفي، وهي جواب القسم بالنفي، والأول كان بالإثبات، والمعنى ما كافت^(٢) أعمالكم.

(ولو لم يبقوا شيئاً من جهدكم-): ولو لم تتركوا غاية مما تقدرون عليه.

(١) في (س): دلاون

(٢) في (ب): ما كانت

(نعمته): منصوب على انفعولية بجزت^(١)، وما بينهما متوسط عارض

(عليكم^(٢)): الواقعة عليكم والشاملة لأحوالكم.

(وهده إياكم إلى الإيمان): ونعمته باللفظ إلى الهداية إلى الدين بما كان من إرسال الرسل، وبعث الأنبياء وغير ذلك من الألفاظ الخفية.

(١) في (ب): بجزت.

(٢) في شرح النهج: أنعمه عليكم العظام

الديباج الرضي .. ومن خطبة له (ع) في ذكر يوم النحر وصفة الأصحية

(تجر رجلها إلى المنسك): أراد ولو كانت عرجاء فلا بأس بذبحها، وهذا يدل على اعتبار حالة العين والأذن في الأصحية لا غير، من غير زيادة على ذلك، والمنسك: موضع النسك، وقياسه الفتح، وكسره هو المسموع وإن خالف القياس.

(٥٣) [ومن خطبة له عليه السلام في ذكر يوم النحر وصفة الأصحية]^(١)

ثم ذكر صفة الأصحية وهي ما يذبح في أيام النحر، يقال لها: إضحية وأضحية بكسر الهمزة وضمها، وضحية وأضحية:

(ومن تمام الأصحية): إكمالها لتكون مجزية عن السنة.

(استشرف أذنها): استشرف الشيء إذا رفع بصره إليه ووضع كفه على حاجبه^(٢) ليتحقق أمره وتفقنه بيطالع أذنها.

(وسلامة عينها): لا يعتريهما شيء من التغير الذي يطرأ عليهما.

(فإذا سلمت العين): من العوارض كالعمى والعمى وغير ذلك.

(والأذن): من القطع والشق والحرم والثقب.

(سلمت الأصحية): أجزت

(ومنها): السعة بذبحها.

(ولو كانت عضباء): قال أبو زيد: العضب كسر القرن الداخل، وهو المشاش^(٣).

(١) ما بين مقومين زيادة من النهج بشرح مفتي الديار المصرية الشيخ محمد عبده رحمه الله.

(٢) في (ب): جانيه.

(٣) في (أ): أساس، وهو تصحيف

(أو بعضهم قاتل بعض) : حيث [كان] ^(١) بعضهم على بعض.

(لدي) : في موضعي ومكاني وحوزتي ^(٢).

(وقد قلبت هذا الأمر بطنه وظهره ورأسه وعينه
[حسرت منعي النوم] ^(٣)) : إحاطة بأحواله ، واشتمالاً على جميع أموره في
الإقدام والإحجام.

(فما وجدت يسعني) ^(٤) : فما لقيت أمراً يكون لي ^(٥) فيه سعة عند الله
وفسحة يعذرني ^(٦) بها.

(إلا قتالهم أو الجحود بما جاء به محمد صلى الله عليه وآله) : إلا
أحد أمرين ^(٧) :

إما قتالهم لمخالفتهم الحق وبغيهم فيما جاءوا به ، وإما الكفر بما أتاني
به الرسول وأثرته عنه ، وأخبرني به حيث قال لي : «إنت تقاتل
الكاثين والقاسطين والمارقين عن الدين» ^(٨) ، فإن لم أقدم على قتالهم

(١) زيادة في (ب).

(٢) في (أ) : وحوزي ، وما أتته من (ب).

(٣) زيادة في (ب) وفي شرح السج.

(٤) في (أ) . سمعتي

(٥) في (أ) : له

(٦) في (أ) : لعذري ، وما أتته من (ب).

(٧) في (ب) : الأمرين

(٨) رواه قاضي القضاة في المعنى ٩٥/٢/٢٠ ، وأخرج قريباً منه ابن عساكر في ترجمة أمير
المؤمنين من تاريخ دمشق ٢٠٠/٣ رقم (١٢٠٦) بسنده عن الإمام علي بن أبي طالب (أمرني
رسول الله ﷺ بقتال الكاثرين والمارقين والقاسطين) ، ومع اختلاف يسير في بعض أفعاله
أخرجه في بعض الجوز أيضاً من الرقم (١٢٠٧) إلى الرقم (١٢٠٣) ، وروايات أخرى أخرجه
في بعض الجزأ أيضاً عن عبد الله بن مسعود ، وعن أم سلمة ، وعن أبي أيوب الأنصاري
وأبي سعيد الخدري ، من الرقم (١٢١٤) إلى الرقم (١٢١٩) ، وانظر تحريجهما الموسع هناك

(٥٤) ومن كلام له عليه السلام

(فتدأكوا علي) : تدافعوا علي أي دفع بعضهم بعضاً ، من الدك وهو :
الدفع . وقوله : علي ، أي : من فوقني .

(تدأك الإبل) : مثل مدافع الإبل .

(أهيم) : جمع أهيم وهي : العطاش ، قال الله تعالى :
﴿مُتَارِدُونَ شَرِبَ الْهَيْم﴾ [برس ٥٥]

(يوم وردها) ^(١) : وردها ^(٢) الماء لتشربه ، يقال : هذا يوم وردي ، أي يوم
ورود الحمى علي .

(قد أرسلها راعيها) : من غير ترتيب بينها ، ولا مناوبة في شربها .

(وخلعت) ^(٣) مثانيها) : حبالها التي تتنى ^(٤) عليها للإمساك لها .

(حتى ظننت) : حيل إلي من جهة الظن لكثرة ^(٥) ازدحامهم علي .

(أنهم قاتلي) : بالازدحام علي أخذ كفي

(١) في (ب) : ورودها

(٢) في (ب) : ورودها

(٣) في (أ) : وجعلت ، وما أتته من (ب) ومن السج

(٤) أي تعطف .

(٥) في (أ) : بكثر

كان ذلك رداً لما جاء به محمد صلى الله عليه وآله.

(فكانت معالجة القتال أهون علياً من معالجة العقاب): من حيث كان تعب القتال منقطعاً وتعب العقاب غير منقطع.

(وموتات الدنيا): [بما] ^(١) يكون من الجروح ^(٢) ومعاناة الحرب مونة بعد مونة.

(أهون علياً من موتات الآخرة): لأن موتات الآخرة لا أحر لها، وموتات الدنيا لها أحر، وهو الموت الحقيقي، فلأجل هذا تجرعت حربهم وصبرت عليه.

(٥٥) ومن كلام له عليه السلام وقد استبطأ أصحابه إذنه لهم في القتال بصفين

(أما قولكم أكل ^(١) ذلك كراهية الموت؟): أراد أنه ليس الأمر كما زعمتم من ذلك، وإنما كان لأمر سأكفيها لكم.

(قوله ما أبالي دخلت إلى الموت أو خرج الموت إلي): هذا كلام ^(٢) أورده على جهة الاستعارة، ومعناه: ما أبالي دخلت على الموت بالوقوع بين أسنة الرماح ونصال السيوف، أو خرج الموت إلي فأزهق روحي وأنا على فراشي، وراضع خدي على الوسادة، فاستعارة لما فيه من البلاغة والوفاء بالمطابقة، والتكافؤ بذكر الشيء ونقيضه.

سؤال: لِمَ أضاف الدخول إلى نفسه، وأضاف الخروج إلى الموت فقال: (دخلت على ^(٣) الموت أو خرج الموت إلي) ولِمَ ^(٤) لم يعكس الأمر في ذلك، فما وجهه؟

وجوابه: هو أن الدخول في الحرب تعريض بالروح ووقوع في خطر عظيم

(١) في (أ): كل، بدون عمرة الاستمهم، وما أثبت من (ب).

(٢) في (ب): الكلام.

(٣) هكذا في (أ-ب)، وقد سبق اللفظ: دخلت إلى... إلخ.

(٤) زيادة في (ب).

(١) سقط من (أ).

(٢) في (ب): الجرح.

ومهكة كبيرة^(١) فلما كان الأمران عنده مستويين أضاف إلى نفسه أعظمهما^(٢) وهو الدخول، لما فيه من الغرر وركوب الخطر والمساحة بالنفوس التي هي أعز الأشياء وأغلاها.

(واما قولكم: شكاً في أهل الشام): من أن^(٣) تاحري كان من أجل شكّي وأنا على غير بصيرة في حربهم

(فوالله ما دفعت الحرب يوماً): آخرتها وتفاعدت عن إنجازها

(إلا وأنا اطمع): أرجو وأؤمل.

(أن تلحق^(٤) بي طائفة): تتبعني فرقة من هذه الفرق الباغية والأحزاب المختلفة.

(فتهتدي بي): فأكون سبباً لها في الهداية، واتباع الحق والصواب، وأكون إماماً لها في ذلك.

(وتعشوا): لتستدل وتميل.

(إلى ضوء ناري): إلى هدايتي ونور بصيرتي، يقال: عشوت إلى النار أعشوا عشواً إذا استدلت بها^(٥).

(وذلك): إشارة إلى ما ذكره من الهداية واللاحاق به.

(١) ي (أ): كثيرة

(٢) ي (أ): أعظمها

(٣) قوله: أن، سقط من (ب)

(٤) ي (أ): يلحق

(٥) سقط من (أ)

(أحب إلي من أن أقتنها على ضلالتها): وهي ضالة بمخالفتي^(١) والبيغي علي ولو قتلها فليس علي في ذلك من جناح في قتلها.

(وإن كانت تبوء بائنها): أي يكون عليها وباله، ومنه قوله تعالى: ﴿وَتَأْتُوا بِنَعَصَبٍ مِنَ اللَّهِ﴾ [نور: ٦١]، ﴿فَتَأْتُوا بِنَعَصَبٍ عَلَى نَعَصَبٍ﴾ [نور: ٦٠].

قال الأخفش: صار عليهم وباله.

(١) ي (ب): لمخالفتي.

(٥٦) ومن كلام له عليه السلام

(ولقد كنا مع رسول الله نقتل اباؤنا وابنائنا وإخواننا وأعمامنا). أراد جميع الأقارب، كما كان في بدر [وغيره^(١)] وسائر الغزوات^(٢) مع لرسول (عليه السلام) تقرباً إلى الله تعالى وإرضاءً له.

(ما يزيدنا ذلك): القتل للأبء ولأبناء.

(إلا إيماناً): بالله وتصديقاً به.

(وتسليماً): وانقياداً لأمر الله وحكمه

(ومضياً): حرياً، من قولهم: مضى في طريقه إذا جرى فيها.

(على اللقم): أراد الطريق، وسمي لقماً؛ لأنه يلتقم الناس، كما سمي سراطاً^(٣) لأنه يسترطهم أي يتلغهم بسلوكهم له.

(وصيراً على مضض الألم): وجع لألم، من قولهم: أمضني الجراح إذا أوجعك.

(وحداً): الجدة: تقيض الهزل.

(١) سقط من (أ).

(٢) في (أ). وسائر العرب، وهو غير واضح، وما أثبت من (ب).

(٣) سوط بالسين المهملة، يقال: سوط الشيء: بلعه، واسترطه: ابتلعه، وفي المثل: لا تكن حلواً تسترط ولا مرا فتغنى أي ترمى من الفم للمرارة (انظر مختار الصحاح ص ٢٩٥).

(في جهاد العدو): استئصال شأفته وقطع دابره.

(ولقد كان الرجل منا): ممن يكون على ديننا

(والآخر من عدونا): ممن لا يدين ديننا

(يتصاولان): يتوالتان بالسلاح، يصول كل واحد منهما على صاحبه يريد قتله.

(تصاول الفحلين): أي مثل تصاول الفحلين، وصول السعير بالهمز إذا صار يقتل^(١) الناس ويعدو عليهم

(بتخالسان أنفسهما): يريد كل واحد منهما أن يختلس نفس صاحبه بالسيف.

(أيهما يسقي صاحبه كأس المنون): والمنون: هو الموت والسقي والكأس من باب الاستعارة، كما قال تعالى: ﴿وَأَشْرِكُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْمِثْلَ﴾ [البقرة: ٩٢].

(فمرة لنا^(٢)): تكون الريح^(٣) والدائرة والغلبة لنا عليهم في الأخذ والقتل والسبي، كما كان في بدر وحنين وغيرهما من المغاري.

(ومرة لعدونا): في الانتصار علينا كما كان في أحد ومزنة من الأخذ والقتل.

(منا): يقتل بعضنا وسلامة الآخرين، صبراً منا واحتمالاً.

(١) في (ب): إذا صاء الفحل... إلخ

(٢) في الهج. فمرة لنا من عدونا

(٣) في (أ): الريح، وهو محريف، والصواب ما أثبت من (ب)

(فلما رأى الله صدقنا): علم من باطن قلوبنا الصديق في نصرة دينه والصبر في جهاد عدوه

(انزل بعدونا الكبت): الإذلال والمهانة، ويمال: كينه لوجهه أي صرعه

(وانزل علينا النصر): عليهم والغلبة لهم.

(حتى استقر الإسلام): ثبتت قواعده، وقامت دعائمه.

(ملقياً جيرانه): الجيران هو: مقدم عنق البعير، وانتصاب ملقياً على الحال من الإسلام، يقال: ألقى محرانه إذا استقر به المكان.

(ومتبئنا أوطاننا): نوات المكان إذا اتخذته مباءة^(١)، وأرد أنه استقر في أماكنه لي يبغيها.

(ولعمري): هو مبتدأ محذوف الخبر أي لعمري قسمي.

(لو كنا نأتي ما أتيتم): من المخادلة وقلة التناصر.

(ما قام للدين عمود): استعارة^(٢) له من أعمدة الخيمة التي لا تنتهض إلا به

(ولا اخضر للآيمان عود): استعارة من عود الشجرة فإنه لا يورق ولا يثمر^(٣) إلا إذا اخضر.

(وايم الله): جمع يمين، حذف نونه لكثرة الاستعمال، وهو مستدأ

(١) ي (أ): ماء

(٢) في (ب): واستعاره.

(٣) في (أ): ولا يتم، وهو تحريف

وخبره محذوف أي قسمي.

(لتحتلبنها دماً): أي الأيام، والضمير يفسره^(١) شاهد الحال، ودماً انتصابه على التمييز بعد المفعول

(ولتثبطنها دماً): على خذلانهم لي وتأخرهم عن متابعتي، وليعلمن مكاني بعد استبدالهم لغيري، ولقد كان الأمر كما قال، أبدلهم الله بأمير المؤمنين مروان بن الحكم وبالحسن الأكبش الأربعة من أولاده فظفوا وبنوا وخالفوا وغيروا.

(١) في (ب): تفسيره.

فكانت هذه صفته، ويجوز أن يكون كنى بذلك عن كثرة أكله، كما قال الله تعالى: ﴿كَانَ يَأْكُلُ الطَّامَةَ﴾ [سائدة ٧٥]، جعله كناية عن قضاء الحاجة.

(ياكل ما يجد): يحضرم ما وقع في يده وقدر عليه

(ويطلب ما لا يجد): مما فات عن يده^(١) ولم يقدر عليه.

(فاقتلوه): فإنه مستحق للقتل لفجوره وفساده وبغيه على أهل الحق وعناده.

(ولن تقتلوه): نفى قتله منهم على جهة المبالغة بلين، لما يعلم من عجزهم عن ذلك وتسلمه عليهم بالقهر والاستيلاء والغلبة منه، وكان أمير المؤمنين قد استعمله على بعض الولايات كالأهواز وغيرها من الواحي، فلما قتل أمير المؤمنين التجأ إلى معاوية ولحق به.

(ألا وإنه سيامرهم بسبي): يحكى أنه لما استولى على الكوفة واستظهر عليها بعد قتل أمير المؤمنين جمع الناس في مسجدتها ليأمرهم بلعن

أبي سفيان، ثم ولاء ابصرة والكوفة وسائر المراق حتى نوري (انظر معجم رجال الاعيار ص ١٥٢، والأعلام ٥٣/٣). قلت: وغير استلحاق معاوية لزياد بن أبيه بأبي سفيان مشهور تذكره كتب التاريخ، فمن ذلك ما قاله: الحسن البصري: ثلاث كس في معاوية لو لم تكن فيه إلا واحدة مهن كانت موقفة: اتراؤه على هذه الأمة باسمها حتى ابتهر أمرها، واستلحاقه زياداً مراغمة لقول رسول الله ﷺ: «الويل للفرار من ولعاهم الحرس»، وقتله حجر بن عدي، فيما يليه من حجر وأصحاب حجر! (انظر شروح ابن أبي الحديد ١٦/١٩٣)

(١) ما بين المعقوفين سقط من (أ)

(٢) في (ب): مما كان في غير يده

(٥٧) ومن كلام له عليه السلام لأصحابه

(أما إنه سيظهر عليكم^(١) بعدي): بليكم على جهة الاستظهار عليكم بعد وفاتي

(رحل رخب البلعوم): الخطاب لأهل الكوفة، والرحب: هو الواسع، ومنه الرحبة، والبلعوم هو: مجرى الطعام إلى المعدة.

(مدحوا البطن^(٢)): الاندحاق هو: الظهور، يقال: دحقت رحم الناقة إذا ظهرت من الولادة، وأراد أنه ظاهر البطن، وعنى بذلك زياداً^(٣)

(١) عبيكم، زيادة في (ب) وفي شرح الهم
(٢) ذكر المؤلف رحمه الله هنا في شرح قوله: (مدحوا البطن): أن أمير المؤمنين (عليه السلام) عسى بهذا الكلام زياداً وقد ابن أبي الحديد في شرح الهم ٥٦/٤ ما لمعه: وكثير من الناس يذهب إلى أنه (عليه السلام) عسى زياداً وكثير منهم يقول: به عسى الحجاج، وقال قوم: به عسى لمعيرة بن شعبة، والأشبه عدي أنه عسى معاوية: لأنه كان موصوفاً بالهم وكثرة الأكل، وكان بطينا يقعد بطنه إذا جلس على فخذه، إلى قوله: كان معاوية يأكل فيكثر، ثم يقول: ارفعوا، فوالله ما شبع، ولكن ملئت ونعيت، تطاهرت الأخبار أن رسول الله ﷺ دفع على معاوية لما بحث إليه يستدعيه، فوجده يأكل، ثم بحث فوجده يأكل، فقال: «الهم، لا تشبع بطنه»، قد الشعر

وصاحب لي بطنه كالمواوية كان في أحسنه معاوية

(٣) هو زياد بن أبيه (١١-٥٣هـ)، أمير من الدهاة، من أهل الطائف، اختلفوا في اسم أبيه: لأن أمه كانت بغيًا، تناء عبيد الثقفي، أسلم في عهد أبي بكر، وكان كاتباً للمعيرة بن شعبة، ثم لأبي موسى الأشعري، ثم ولاء أمير المؤمنين فإرس، وامتنع بعد وفاته على معاوية، حتى أعرأه معاوية واستعمله بأن ألحقه بأبيه أبي سفيان سنة ٤٤هـ، فكان يدعى: زياد بن =

أمير المؤمنين وسبه، فلما عزم على ذلك أصابه الله بالفالج^(١)، وهي: ربح تصيب الإنسان تفسد أعضاء كلها، فلما وقع عليه ذلك خرج حاجبه فأمر الناس بالانصراف فانصرفوا، ورد الله غيظه عليه، وكان وقحاً^(٢)، متحامقاً، ذا رأي في المكر والخديعة.

ويحكى عن معاوية أنه قال: أنا للأناة، وعمرو للبديهة، وزيد للأناة والبديهة معاً.

(وبالبراءة^(٣) مني): مما أنا عليه من الدين والدعاء إلى الله تعالى.

(فأما السب فسبوني): إذا حملكم على ذلك بالقهر بالسيف.

(فإنه لي زكاة): تطهير من الذنوب لما يكفر الله به عني من الذنوب للصر عليه الآن وكظم الغيظ.

وفي الحديث: «ما جرع عبد قط جرعتين^(٤) بأعظم عند الله من حرعة غيظ يلقاها بحلم، أو جرعة مصيبة يلقاها بصبر جميل».

(ولكم بحاة): عن القتل بالسيف لأهل الإكراه، وهذا من أمير المؤمنين

(١) أعلام نهج البلاغة - خ -، وقال ابن أبي الحديد في شرح النهج ٥٨/٤ ما لفظه: «وأراد زياد أن يعرض أهل الكوفة أجمعين على البراءة من علي (عليه السلام) ولعنه، وأن يقتل كل من امتنع من ذلك، ويغرب مرله، فصره الله ذلك اليوم بالطاعون، فمات لا رحمه الله بعد ثلاثة أيام. انتهى. قلت: وذلك في أيام معاوية

(٢) في (أ): وقحاً، وفي (ب) ما أئته

(٣) في شرح النهج: والبراءة.

(٤) في (أ): (ما جرع عبد قط جرعتين)، وهو تصحيف، والحديث أورده المؤلف في كتابه:

(تصفية القلوب) ص ١٦١، عن ابن عمر، وقوله هنا: «بأعظم عند الله»، في التصفية:

(أفضل عند الله).

تساهل في حق نفسه وتواضع لله تعالى، وهضم بجانبه^(١) حيث أباح الأذية له بالإكراه، وقد تقرر أن ما كان ضرره راجعاً إلى الغير كالقتل والقذف فإنه لا يدخله الإكراه.

(وأما البراءة فلا تبرءوا^(٢) مني): وإذا أمركم بالبراءة مني فلا تفعلوا؛ لأن البراءة مني خروج عن الدين وانسلاخ عن الحق

سؤال: كيف أمرهم بسبه عند الإكراه، ونهاهم عن البراءة عنه، وكلاهما في باب الإكراه على سواء بل نقول: البراءة منه ضرر راجع إليهم فأبىح بالإكراه؛ بخلاف سبه فإن ضرره راجع إليه؛ فلهذا لم يدخله الإكراه؟

وجوابه: هو أننا قد ذكرنا أن إباحته لسب^(٣) نفسه إنما هو على جهة الهضم لنفسه وإسقاط حقها، وهو مما يدخله الإكراه، فأما البراءة^(٤) منه فهو [في] (٥) حقيقة ضرره راجع إلى الغير، وهو ما يحصل فيه من إيهام الخطأ على أمير المؤمنين، وأنه داعي إلى الضلالة بالتبري عنه ويحط من منصبه في كونه داعياً إلى الله تعالى، مستقيماً على دينه الخفيف وحجته الواضحة، وما هذا حاله فلا يباح بالإكراه لما يتضمن من نقص الدين وثلمه، وإبطال أبهته فافترقا.

(١) في (ب): لجانب

(٢) في شرح النهج: تبرءوا.

(٣) في (ب): بسب.

(٤) في شرح النهج: تبرءوا.

(٥) سقط من (أ).

(فأني ولدت على الفطرة): تعليل للمنع^(١) من التمري عنه، أي أني خلقت في أول حالتي على الإيمان^(٢) والهدى من توحيد الله وتنزيهه، وذلك لأن الله تعالى [إذا]^(٣) أعطى الإنسان العقل في أول الفطرة، فلو لم تعرض له^(٤) أسباب الضلال بعد ذلك، فكان مقتضى ذلك معرفة الخالق وتوحيده ولروم سبيل الهدى وطريقه.

(وسبقت إلى الإسلام^(٥) والهجرة): أما الإسلام فظاهر، فإن الرسول (ﷺ) بعث يوم الإثنين، وأسلم أمير المؤمنين يوم الثلاثاء، فسقه أحد من الخلق إلى الإسلام، وأما الهجرة فكذلك.

سؤال: كيف قال: سبق إلى الهجرة، وهو لم يهاجر مع الرسول يوم هاجر من مكة، ولم يكن مصاحباً له إذ ذاك؟

وجوابه: هو أن تحلفه ما كان إلا من أجل أمر الرسول له بالوقوف لقضاء ديونه ورد ودائعه، فسم يسعه مخالفة الرسول فيما أمر به، ولم يكن يتخلف عنه لولا ذلك، فلهذا وصف نفسه بالسبق إلى الهجرة بالقصد والداعي والإرادة والعزم على ذلك.

(١) في (أ): المنع

(٢) في (أ): إيمان، والصواب ما أثبتته من (ب).

(٣) سقط من (ب).

(٤) في (أ): بعرض

(٥) في شرح النهج إلى الإيمان.

(٥٨) ومن كلام له عليه السلام كلم به الخوارج

(أصابكم حاصب): الحاصب هي: الريح الشديدة التي تثير يشدتها^(١) الحصباء، كما قال تعالى في قصة قوم لوط: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا﴾ [النمر ٣٤].

(ولا بقي منكم أبر): وهذا دعاء عليهم، والآبر هو: الذي يؤثر النخل ويصلحه، كما يقال: ما بقي منهم نافع نار، ويروى أثر وهو: الذي يآثر الحديث ويرويه، كما يقال: ما بقي منهم مخبر، فأما أبر^(٢) بالزاي فمعناه بعيد ولا وجه له^(٣)، على أنه لما وقع من أمر التحكيم [ما وقع]^(٤)، وكان

(١) في (أ): شدتها

(٢) في (أ): أثر، والصواب: أبر بالباء والراء المعجمين، كما أثبتته من (ب).

(٣) قال في شرح ابن أبي الحديد ١٢٩/٤: مالم يطر. قال الرضي رحمه الله: قوله (أبر) بالراء: (ولا بقي منكم أبر) أي يرويه ويحكيه وهو أصبح ابوحوه عدي كآبه (أبر) بالراء: من قولهم رجل أبر، بلدي يآثر النخل، أي يصلحه، ويروى: (أثر) بالثاء بثلاث تنطق يراء به الذي يآثر الحديث أي يرويه ويحكيه وهو أصبح ابوحوه عدي كآبه (أبر) بالراء: من قولهم

ويروى: (أبر) بالراء المعجمه وهو الوائب والبالك أيضاً، يقال له: أبر، انتهى. وزاد على ذلك التفسيرات ابن أبي الحديد بقوله: فيقال يجوز أن يريد بقوله ولا بقي منكم أبر أي غمام يمسد ذات العين، والمثيرة: السيمة وأثر فلا أي ثم، والآبر أيضاً: من يعي القوم الغرائل حفية، مأخوذ من أبرت لكلب إذا أطمعه الأبرة في الخبز، وفي الحديث: «المؤمن كالكلب إذا أبر» أي أبرت أن يكون أصله هدير أي من يضرب بالسيف فيقطع، وأبدلت الباء همزة كما قلوا في آل: أهل، وإن صحت الرواية الأخرى. (أثر) بالثاء بثلاث تنطق يراء به يريد به ساجي باطن خف ابغير، وكانوا يسجون باطن الخف بمحديدة ليقتصر أثره، رجل أثر ويعبر مأثور. انتهى

(٤) سقط من (ب).

الدعاء إلى التحكيم خديعة ومكر^(١) من معاوية بإشارة عمرو بن العاص، فقالت الخوارج بعد ذلك: هذا خطأ وكفر في دين الله، وقد كفرت يعنون أمير المؤمنين وكفرنا، فتب حتى ببايعك.

مقال (عليه السلام) مجيئاً لهم:

(أبعد إيماني بالله) : تصديقي به، واعتراضي بوجدنيته.

(وجهادي مع رسول الله [صلى الله عليه])^(٢) : وبذل نفسي للمجاهدة مصداقاً لما جاء به الرسول ومعترفاً به.

(أشهد على نفسي بالكفر) : أقر بأنني كافر بالله : لأن الإقرار شهادة على النفس.

(قد ضللت إداً وما أنا من المهتدين) : فالضلال حاصل لسبب الكفر الذي طلبوه منه^(٣) وعدم الهداية حاصلة^(٤) بترك الحق وإهمال الدين.

(فأوبوا شر^(٥) ما ب) : دعاء عليهم، وآب الرجل إذا رجع إلى أهله، وشر ما ب انتصابه على المصدرية كضرب السوط، وأراد جعل الله رجوعكم أشر حال عليكم.

(وارجعوا على [أثر]^(٦) الأعقاب) : في التولي عن الدين فساقاً^(٧)

(١) في (أ) : ومكر، وهو خطأ

(٢) زيادة في شرح الهج

(٣) في (أ) : نية مكذبة، وهو غامض، وما أثبت من (ب)

(٤) في (ب) : حاصل

(٥) في (أ) : فاذنوا بشر، وهو خطأ، والصواب ما أثبت من (ب)

(٦) سقط من (أ)

(٧) في (أ) : فأما، وهو خطأ، والصواب ما أثبت من (ب)

خارجين عن الإسلام، يقال: فلان رجع على أعقابيه إذا ارتد وكفر وفسق

(أما إنكم ستلقون بعدي) : تجدون بعد موتي وانقضاء خلافتي.

(دلاً شاملاً) : لا يبقى أحد منكم إلا ناله

(وسيفاً قاطعاً) : يقطع دابركم ويستأصل شأنتكم بالقتل^(١).

(وأثرة ينخذها الظالمون سنة^(٢)) : لأثرة بالتحريك هي الاسم، والمصدر منها هو الأثر بالسكون، وأراد يستأثر عليكم بالأموال، وتؤخذ منكم كرهاً، يتخذها الفسقة وأهل الجور سنة، يحرونها مجرى السنة، في الحث عليها والمواظبة على فعلها فيكم، بلوى من الله تعالى وامتحاناً لما كان من جهنهم من النغي والفسوق.

(١) قوله. بالقتل، مكررة في (أ)

(٢) في شرح الهج. وأثرة يتخذها الظالمون فيكم سنة

(كلا والله! إنهم نطف في أصلاب الرجال): أراد أن هؤلاء الموجودين وإن هلكوا بالقتل فسيأتي بعدهم آخرون منهم نفوس لم تخلق، ولا وجدت نطفهم بل هي في أصلاب الرجال

(وقرارات النساء): القرارة: ما يستقر فيها الماء القليل.

قال ابن عباس رضي الله عنه: ما علمي بالقرآن في جنب علم أمير المؤمنين به^(١) إلا كالقرارة في المثعجر^(٢)، أراد أنهم نطف مستقرة في قراراتها^(٣) وهي أرحام النساء، والمعنى أنهم أجنة في بطون أمهاتهم، وتطف في أصلاب آبائهم.

(كلما نجم منهم قرن): نجم القرن إذا ظهر، ومنه نجم النات إذا ظهر.

(قطع): استأصل الله شأفتهم بالسيف من أهل الحق

(حتى يكون آخرهم لصوصاً سلابين): [حتى يكون في أعقابهم لصوص يأخذون أموال الناس حفة وسلابين]^(٤) يأخذون أموال الناس جهرة [ثم]^(٥) سلباً منهم كالطّرين والمختلسين.

(لا تقتلوا^(٦) الخوارج بعدي): اعلم أن الخارجي اسم لمن^(٧) يظهر

(١) قوله: به سقط من (أ).

(٢) المثعجر: هو أكثر موضع في البحر ماء، وديم والنون زائدتان (النهاية لابن الأثير ٢١٣/١) ورواية ابن عباس هي فيه، وفي القاموس المحيط ٤٥٧ طبعة مؤسسه الرسالة - بيروت - لبنان (ط ٥) ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م، وفي لسان العرب ٣٥٧/١

(٣) في (ب) - قراراتها.

(٤) سقط من (ب)

(٥) سقط من (أ).

(٦) في اسهج لا قاتلوا

(٧) في (أ) - لما، وما أثبت من (ب)

(٥٩) ومن كلام له عليه السلام لما عزم على حرب الخوارج، وقيل له: إن القوم قد عبروا جسر النهر

الجسر: القطرة التي يعبر عليها.

يحكى أنهم لما شقوا العصا وتخلفوا عنه وعزموا على المشاقة والحرب له واعتراض الناس بالسيف والقتل للصغير والكبير، وكان متوجهاً إلى حرب معاوية وأهل الشام فرجع إليهم، وقال

(إن مصارعهم دون النطفة): مقاتلهم حيث صرعوا بيننا وبين النطفة، أراد به الفرت، وهو من الكنايات الرشيقة التي استبد بها وكان مقتضياً لها.

(و لا يفلت^(١) منهم عشرة): يقول لأصحابه بل يقتلون عن آخرهم.

(ولا يهلك منكم عشرة): بل تقتلون واقرين مُسلمين بعد قتلهم، وهذا منه على الأمر إخبار بالأمر الغيبة المستورة بإعلام الرسول له بذلك^(٢) وتسليية لأصحابه في الظفر بأعدائهم والانتصار عليهم، وتشجيع لهم على الحرب والإقدام، فلما قتلوا قالوا له: هلك القوم بأجمعهم، فقال:

(١) في (أ): لا يفلت، والصواب ما أثبت من (ب)، وفي شرح النهج: لا يفلت.

(٢) في (ب): ذلك

على إمام الحق، ويمنعه عن القيام بأمر الله، مع اعتقاده لحق ما جاء به، ولا بد من اعتبار هذه القيود الأربعة^(١): أن يكون المخرج عليه مقطوعاً بإمامته.

وأن يكون مانعاً له عن القيام بأمر الله مع أن له منعه.

وأن يكون معتقداً لحق ما هو فيه بالشبهة والتأويل، فمن هذه حاله فهو خارجي مستحق للأحكام التي سرها أمير المؤمنين في أهل البغي، كما قال أبو حنيفة^(٢): لولا سيرة أمير المؤمنين في أهل البغي ما كنا نعرف أحكامهم، فأما من عداهم من أهل الفسوق كالظلمة وأهل الجور فإنهم قد رادوا عليهم، والطرار^(٣) واحتلسين، وغيرهم من أهل الفسوق، كم أن الكفار قد زادوا على الفساق في الحكم، ولهذا أحكام تحالف أحكام أولئك، موضعها الكتب الفقهية، فأراد لا تقتلوا خوارج بعد موتي إلا مثل قتلي لهم، ولا تسبوا فيهم إلا مثل سيرتي، ولم يرد أنهم لا يقتلون

(١) الظاهر من سياق الكلام الذي بعده أنه ثلاثة قيود، فلعل القيد الرابع مندرج تحتها أو يؤخذ من تعريف اسم الخارجي الذي ذكره المؤلف (رحمته)

(٢) أبو حنيفة هو النعمان بن ثابت الكوفي، التيمي، بولول، ٨٠١ هـ، فقيه مجتهد، إمام الحنفية، أصله من درس، وولد ونشأ بالكوفة، وتفقه على حماد بن سليمان، وكان لا يقبل حوائر الدولة، وأريد على القضاء على الكوفة فامتنع، وأرادته المنصور الباسي على القضاء بعد ذلك فأبى، فحسن، عرف أبو حنيفة بمودته لآل البيت عليهم السلام، وكان ممن ساند الإمام زيد بن علي (رحمته) في ثورته على الظلم، وكان يفتي بوجوب الخروج مع الإمامين الآخرين محمد وإبراهيم ابني عبد الله بن الحسن، وروى أنه مات مسموماً بسبب موالاته لآل البيت، ودفن في مقابر الخيران، وله تصانيف منها: لفظه الأكبر في الكلام، والمسند في الحديث، وشرح في تفسره وغيرها، وخرج له أئمتنا عليهم السلام، والترمذي (معجم رجال الاعتبار ص ٤٤٢ ٤٤٣)

(٣) الطرار: القطع

بعده على الإطلاق، فإن حال غيره من الأئمة كحاله في ذلك بالإجماع من جهة الأمة.

(فليس من طلب الحق فأخطاه): بما عرض له من لشبهة والتأويل، أراد بذلك الخوارج فإنهم تأولوا ما جاءوا به من البغي بشبهة عرضت لهم في ذلك.

(كمن طلب الباطل فأدركه): أراد معاوية، فإن فعله ما فعل من المحاربة ليس عن شبهة، وإنما كان على جهة المشاقة والتمرد والفسوق، فلهذا كان حاله مخالفاً لحال هؤلاء الخوارج، وهكذا الحال في الظلمة والفساق في عصرنا هذا، فإنهم زادوا على الخوارج في الحكم وأسافوا عليهم في ذلك، فلهذا لم يكونوا مشاركين لمن^(١) ذكرناه في الاسم والحكم.

(١) في (أ): كمن.

(٦٠) ومن كلام له عليه السلام لما خوف من أمر الغيلة

(وان عليّ من الله جنة حصينة). الحنة: ما يستر من درع أو غيره، والحصينة: المانعة، ومنه اشتقاق الحصن والحصان؛ لأنهما يمانعان صاحبهما عن سوء

(فإذا جاء يومي): اليوم الذي قدر الله خروج نفسي فيه.

(انفرجت عني): الفرج هو: الشق، ومنه سمي الفرج لشقه، عني أي جاوزتني^(١) بانفراجها

(وأسلمتني): من قولهم. أسلمه للقتل وزال عنه.

(فحينئذ): جاء يومي وانفرجت عني، والتنوين بدل من هذه الجمل السابقة.

(لا يطيش السهم): الذي أرمى به بل يقع عليّ.

(ولا يبرأ الكلم): الذي حرحت به، يقال: كلمه بالسيف إذا جرحه.

(١) في (أ): أو جازتني، وما أثبت من (ب)

(٦١) [ومن خطبة له عليه السلام]^(١)

(الا وإن الدنيا دار): بقاء فيها مدة، ويثبت فيها أياماً

(لا يسلم منها إلا فيها): أراد أنها موضع النجاة ومكان التجارة، وموضع التزود للآخرة، فلا تقع السلامة من شرها إلا فيها؛ لأن الآخرة ليست^(٢) داراً للأعمال.

(ولا ينجس بشيء كان لها): يعني أن السلامة لا تكون بشيء من الأعمال التي تكون من أجلها أصلاً، وإنما تكون بما^(٣) كان من أجل الله وطلب وجهه، فأما ما كان للدنيا فهو باطل ضائع.

(ابتلي الناس بها فتنة): امتحنهم الله تعالى بسببها فتنة عظيمة، مزج حبها بأفئدتهم، وزين زهرتها في أعينهم

(فما أخذوه^(٤) منها لها): بما^(٥) استهلكوه مما أعطاهم الله منها لطلب لذاتها، والتفاخر فيها.

(أخرجوا منه): نزعوا منه ولم يكن باقياً لهم دائماً.

(١) زيادة في (ب) وفي شرح النهج
(٢) في (أ): يس، وفي (ب) كما أثبت
(٣) في (أ): لا، وما أثبت من (ب).
(٤) في (أ): أخذوا
(٥) في (ب): بما

(وحوسبوا عليه): لما أخذوه من غير حله، وأنفقوه واستعملوه في غير وجهه.

(وما أخذوه فيها^(١) لغيرها): وما استهلكوه مما أعطاهم الله منها لوجه الله تعالى، وطلباً للدار^(٢) الآخرة.

(قدموا عليه): أحسن مقدم من الثواب والأجر العظيم.

(وأقاموا فيه): في الجنة حيث لا يظعن الساكن، ولا يرحل المقيم.

اللَّهُمَّ، جعلنا ممن أراد الآخرة وسعى لها سعيها مع الإيمان بك والتصديق برسلك.

(وانها^(٣) عند ذوي العقول): الضمير لدينيا عند ذوي الأبصار المنتفعين بعقولهم.

(كفيء الظل، بينا تراه سابغاً): والظل: عارة عما يسقط عن كل منتصب، بينا هو بين نشأت عنه الألف^(٤)، والسابغ هو: الفايض، ومنه قولهم: درع سابغة إذا كنت فايضه.
(حتى قلص): ارتفع وشمس.

(وزنداً حتى نقص): وأراد بذلك من طلوع الشمس إلى زوالها، فإن الظل لا يزال ينقص بعد زيادته إلى أول الزوال، ثم يزيد بعد ذلك، وسابغاً وزنداً منصوب على الحال من الضمير في تراه.

(١) في اسبح وفي شرح الهج: منها

(٢) في (ب): الدار.

(٣) في شرح الهج: فيها

(٤) في (أ): والألف، وهو خطأ

(٦٢)

ومن خطبة له عليه السلام

(واتقوا الله عباد الله). التقوى هي: الإتيان بالطاعات، والانكفاف عن المعاصي، واشتقاقها من الوقاية؛ لأنها تقى صاحبها عن العقاب.

(وبادروا أجالكم بأعمالكم): أجل الإنسان: منقصر عمره، والمبادرة هي: المعاجلة، وأراد عاجلوا بأعمالكم قبل حلول الموت بكم.

(وابتاعوا ما يبقى لكم بما يزول عنكم): يقال للشري: بيع؛ لأنه يقع^(١) للثمن، وأراد واشتروا الآخرة بالباقية بالدنيا الزائلة عنكم

(وترحلوا فقد^(٢) خد ي لكم): ترحل^(٣) وترحل إذا انتقل، والحدو هو: السوق، يعني انتقلوا عنها، وقد^(٤) سبق بكم، ونهاية من يستاق هو الوصول إلى الغاية.

(واستعدوا للموت فقد أظل بكم): اطلبوا أهمة الموت فقد أشرف ودنا، وقوله: أظل بكم، إما بالطء بنطقة من أسفلها أي أشرف، وإما

(١) في (أ). بيع، وفي (ب) ما أثبتته

(٢) في (ب): فقد، والعبارة في شرح الهج: وترحلوا فقد جد بكم.

(٣) قوله: ترحل سقط من (ب).

(٤) في (ب): فقد.

بالظاء بنقطة من أعلاها أي دنا وقرب، وكلاهما محتمل كما ترى.

(وكونوا قوماً صريح بهم فانتبهوا) . ومثلوا أنفسهم^(١) بحال قوم صرخ بهم صارخ وهم نيم، فانتبهوا على أفزع ما يكون وأسرعه، من شدة الحورف والفزع

(وعلموا أن الدنيا ليست بدار لهم فاستبدلوا) : الضمير للقوم، وتحققوا عذائر الصارخ أن الدنيا ليست بدار لهم على الحقيقة؛ لزوالها، فعملوا على الاستبدال بها غيرها

(فإن الله لم يخلقكم عبثاً) : وإنما دخلت الفاء ها هت دالة على انقطاع الحملة التي بعدها عما قبلها، ومشعرة بالمباينة، بخلاف ما إذا كانت الحملتان في حكم الحملة الواحدة فإن الفاء لا تدخل، كقوله تعالى : «اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ» [مع ١] «وَكَمْ مِنْ صَبْرٍ وَغَفْلَةٍ ذَلِكَ لِيَنْ عَزِمَ الْأُمُورُ» [النورى ١٣] وهذا كثير الوقوع في كتاب الله تعالى، وفيه تحريك لرعبت إلى إحرز علم لإعراب، وشرف موقعه، وأراد أن الله خلقكم إحساناً من جهته ولم يكن ذلك لعبير غرض : «أفحسب أنما خلقناكم عبثاً» [النورى ١٥] والغرض هو الوصول إلى منافع الآخرة ودرجاتها.

(ولم يترككم سدى) : السدى بالضم والفتح هو الإهمال، أي لم يترككم مهملين عن الرعاية والحفظ والعناية

(وما بين أحدكم^(٢) وبين الجنة أو النار إلا الموت ينزل به) : أراد أن

(١) في (ب). تموسكم

(٢) زيادة في (ب)

(٣) في (أ) : وما بين أحد

العناية التي بين الحصول في الجنة أو في^(١) النار، ليس إلا حلول الموت ونزوله، فإنه عند معيته ونزوله يرى مكانه من الجنة أو من النار، نسأل الله حسن الاستعداد لنزوله وهجومه.

(وإن غايه تنقصها اللحظة) : اللحظة^(٢) هي : حركة العين للإبصار، يقال : لحظني بعينه إذا أبصرني بها، وإنما كانت اللحظة ناقصة لها ؛ لأنها تقرب منها وتدلي إليها.

(وتهدمها الساعة) : هدمه إذا أبطله وأفسده، والساعة : عارة عن الوقت الحاضر.

قال القطامي^(٣) :

وَكُنَّا كَالْحَرَبِ لِيْلِي نَفَاحٌ فَتَجَبُّو سَاعَةً وَتَهْبُ سَاعَةً^(٤)
وَالنَّفَاحُ هِيَ : الريح إذا جاءت بقوة وشدة.

(لجديرة بقصر لمدة) : فلان جدير يكذا أي حقيق به، والمعنى أنه حقيق بأن تكون مدته^(٥) قصيرة.

(١) قوله : في زيادة في (ب)

(٢) قوله : اللحظة سقط من (ب).

(٣) هو : عمير بن شبيب بن عمرو بن عداد، أبو سعيد العلبي، الملقب بالقطامي، الموفى عو سنة ١٣٠هـ، شاعر غزل نحل، كان من نصارى ثعلب في العراق وأسلم، ومن شعره البيت المشهور :

قد يدرك المتأني بعض حاجته وقد يكون سم المستعجل الرل

وله ديوان شعر مطبوع (الأعلام ٨٨/٥-٨٩)

(٤) في (ب) : ساعة.

(٥) في (أ) : مدة

(وإن غائباً يحدوه الجديدان الليل والنهار): وإنما قيل لهما: جديدان؛ لأنهما لا يخلقان ولا يلبيان عمر الدهر.

(أخري بسرعة الأوبة): أخري: الحقيق أيضاً بالشيء، والأوبة هي: الرجوع.

(وإن قادماً يقدم بالفوز أو الشقوة): أراد وإن قادماً يقدم على ربه إما بالشقاوة لتفريطه، وإم بالسعادة لتأهبه.

(المستحق لأفضل العدة^(١)): لأهل أن يكون مستحقاً لأفضل العدة وأعلام وأشرئها.

(فالتقى عبد ربه): هذا خبر في معنى الأمر، وأراد ليتق الله امرؤ.

(نصح نفسه): بالمعاملة بالتقوى، والنصيحة لله تعالى

(قدّم توبته): خوفاً من الموت أن يسقه عليها

(غلب شهوته): بالانكفاف عن المحرمات، وحذف الواو من هذه الجمل نوع من أنواع اليتبع يسمى لتعدي، وهذا كقولك: فلان يهب الألف، يكرم الضيوف، يفقد الجيوش.

(فإن أجله مستور عنه): لا يعلم متى يرد عليه بالانقطاع.

(وأمله خادع له): بالتغريب والتسويفات الباطنة.

(١) في (أ)، عن: وهو خطبة والصواب ما أثبت من (ب)

(٢) بعده في شرح النهج: خروءوا في الدنيا من الدنيا ما تحررون به أنفسكم غداً

(والشيطان موكل به): معمولاً لمكان المحبة وشدة البلية كالوكيل الملازم الذي لا ينفك عنه.

(يُزَيِّن له المعصية ليركبها): يُحَسِّنُها في عينه ويهوّن أمرها لبواقعها ويكون مرتكباً لها بفروره.

(ويعنيه التوبة ليسوّفها): أراد ويخدعه بالأمانى الكاذبة في انتظاره للتوبة فيقول: سوف أفعل سوف أفعل.

(حتى تهجم عليه منيته): هجم عليه السيل إذا أتاه على بفتة، وأراد بلمنية الموت.

(أغفل ما يكون عنها): وهو في أشد ما يكون من الغفلة عنها، وانتصاب أغفل على الصفة للمصدر، أي هجوماً بغفل فيه عنها، وما نكرة موصوفة كقولك: ربما تكره النفوس.

(فيا لها حسرة): فإلى اللداء ومنادها محذوف تقديره فيا قوم، واللام متعلقة بفعل محذوف تقديره اعجبوا لها، وحسرة مصوب على التمييز أي من حسرة.

([على^(١) كل ذي غفلة]: على كل صاحب غفلة.

(أن يكون عمره عليه حجة): من أن يكون عمره عليه من أعظم الحجح وأقوى البراهين حيث أمهل غية الإمهال من غير تزود.

(وإن تؤديه أيامه إلى شقوة^(٢)): وأن تكون أيامه المجمولة سبباً في نجاته

(١) زيادة في (ب) وفي النهج

(٢) في شرح النهج: الشقوة

إلى نيل الخسارة بالنفس والشقوة بالكسر هي: الحالة والشقوة بالفتح هو: الشقاء.

(نسأل الله أن يجعلنا وإياكم ممن لا تبطره نعمة): لا تكسبه بطراً ولا أشرأ.

(ولا تقصر به عن طاعة ربه غاية): فإنه لا غاية من الطاعة إلا والله مستحق لها فما يقع من ذلك فهو تقصير في حق الله.

(ولا تحل به بعد الموت ندامة): حل به الغضب إذا خالطه وخامرته، وأراد به أنه لا يخالطه بعد الموت ندامة إذ لا ينفع الندم في تلك الحال.

(ولا كآبة): والكآبة: سوء الحال، وإنما نكر قوله: (شقوة، ونعمة، وغاية، وندامة، وكآبة) دلالة على ما لها من الموقع والمبالغة.

اللهم، أدخلنا برحمتك تحت هذه الدعوة المرفوعة، وتقبل منا ومنه هذه الكلمات المسموعة.

فهرس الموضوعات

٥	تصدير
١١	المقدمة
٢١	مع كلام الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام
٣٢	شروح نهج البلاغة
٣٧	هذا الكتاب
٤٣	مصادر المؤلف
٤٥	ترجمة المؤلف
٤٥	اسمه ونسبه
٤٥	مولده
٤٦	دراسته ومناخه
٤٨	تلامذته
٤٩	قيامه ودعوته
٥٠	علمه
٥٤	قالوا فيه
٥٦	وفاته وموضع قبره، ومدة عمره
٥٧	مؤلفاته
٦٧	مصادر الترجمة
٦٩	وصف النسخ المعتمدة

- النسخة (ب) ٧٧
- عملي في التحقيق ٨٧
- كلمة شكر ٩٠
- مماذج من المحطوطات ٩٢
- التقرير الأول في بيان الكتاب الذي كان هذا الإملاء شرحاً له ١٠٤
- السمط الأول: للسيد الإمام علي بن ناصر الحسيني قال ١٠٦
- السمط الثاني: ما قاله بعض المتوالين ١٠٧
- السمط الثالث: ما قاله بعضهم ١٠٧
- التقرير الثاني في بيان المنهج الذي سلكته في شرحي لهذا الكتاب ١٠٧
- المسلك الأول ١٠٧
- المسلك الثاني ١٠٨
- التقرير الثالث في بيان العلوم التي تضمنها واشتمل عليها ١٠٩
- القسط الأول: في ذكر الخطب والدلائل ١١١
- ١- فمن خطبة له (ع) يذكر فيها ابتداء خلق السماء والأرض وخلق آدم ١١٣
- ٢- ومن خطبة له عليه السلام بعد منصرفه من (صقين) ١٨٢
- ٣- ومن خطبة له (ع) المعروفة بالثبوتية ٢٠١
- ٤- ومن خطبة له (ع) [وهي من أفصح كلامه (ع) وفيها يعط الناس ويهديهم من صلاتهم، ويقال: إنه خطبها بعد قتل طلحة والزبير] ٢٢٩
- ٥- ومن كلام له عليه السلام لما قبض رسول الله (ص) وخاطبه العباس وأبو سفيان بن حرب في أن يبايعا له بالخلافة ٢٣٧
- ٦- ومن كلام له عليه السلام لما أثير عليه بأن لا يتبع طلحة والزبير ٢٤٣
- ٧- ومن كلام له (ع) [يذكر فيه أنبايع الشيطان] ٢٤٦
- ٨- ومن كلام له عليه السلام يخاطب به الزبير ٢٤٩
- ٩- ومن كلام له (ع) [في صفته وصفة خصومه ويقال: إنه في أصحاب الجمل] ٢٥١

- ١٠- ومن خطبة له (ع) [يريد الشيطان أو يمكن به عن قوم] ٢٥٢
- ١١- ومن كلام له عليه السلام لابن محمد بن الحنفية لما أعطاه الراية يوم الجمل ٢٥٥
- ١٢- ومن كلام له عليه السلام لما ظهر بأصحاب الجمل ٢٥٨
- ١٣- ومن كلام له عليه السلام في دم البصرة وأهلها ٢٦٠
- ١٤- ومن كلام له عليه السلام فيما رده على المسلمين من قطائع عثمان ٢٦٦
- ١٥- ومن خطبة له عليه السلام لما برع في المدينة ٢٦٨
- ١٦- ومن خطبة له (ع) [يقسم الناس فيها إلى ثلاثة أصناف] ٢٧٩
- ١٧- ومن كلام له (ع) في صفة من يتصدى للحكم بين الأمة وليس أهلاً لذلك ٢٨٦
- ١٨- ومن كلام له عليه السلام في دم اختلاف العلماء في الفتيا ٢٩٩
- ١٩- ومن كلام له (ع) قاله للأشعث بن قيس، وهو على منبر الكوفة بخطبه ٣٠٥
- ٢٠- ومن خطبة له (ع) [وفيها ينفر عن الففلة ويثبه إلى القرار لله] ٣٠٨
- ٢١- ومن خطبة له (ع) [وهي كلمة جامعة للغة والحكمة] ٣١١
- ٢٢- ومن خطبة له عليه السلام يذكر فيها أصحاب الجمل ٣١٣
- ٢٣- ومن خطبة له (ع) يحض فيها على صلة الرحم ٣١٩
- ٢٤- ومن خطبة له (ع) [وهي كلمة جامعة له فيها تسوية قتال المخالف والدعوة إلى طاعة الله والفرق فيها لضمان الفوز] ٣٣١
- ٢٥- ومن خطبة له (ع) وقد تواترت عليه الأخبار باستيلاء أصحاب معاوية على البلاد ٣٣٤
- ٢٦- ومن خطبة له (ع) [أرثها يصف العرب قبل البعثة ثم يصف حاله قبل البعثة له] ٣٤٢
- ٢٧- ومن خطبة له عليه السلام في ذكر الجهاد ٣٤٧
- ٢٨- ومن خطبة له (ع) [وهي فصل من الخطبة التي ألقاها: الحمد لله غير مقصود من رحته] ٣٦٠
- ٢٩- ومن خطبة له (ع) [بعد غارة الضحاك بن قيس صاحب معاوية على الحاج بعد قصة الحكمين] ٣٦٧
- ٣٠- ومن كلام له عليه السلام في قتل عثمان ٣٧٤

- ٣١- ومن كلام له (ع) قاله لابس عباس لما أُنْعِذَهُ إِلَى الزبير ليستقيته إلى طاعته----- ٣٧٧
- ٣٢- ومن خطبة له (ع) [وفيها يصف زمانه بالخور ويقسم الناس فيه خمسة أصناف، ثم يبرهن في الدنيا]----- ٣٨٠
- ٣٣- ومن خطبة له عليه السلام عند خروجه لقتال أهل البصرة----- ٣٨٩
- ٣٤- ومن خطبة له عليه السلام في الاستعفار إلى أهل الشام للجهاد----- ٣٩٣
- ٣٥- ومن خطبة له عليه السلام بعد التحكيم----- ٤٠٣
- ٣٦- ومن خطبة له عليه السلام في تخويف أهل النهر----- ٤٠٩
- ٣٧- ومن كلام له عليه السلام يجري مجرى الخطبة----- ٤١٥
- ٣٨- ومن خطبة له (ع) [وفيها غلة نسمة النسيئة شبهة ثم بيان حال الناس فيها]----- ٤٢٠
- ٣٩- ومن خطبة له (ع) [خطبها عند علمه بعروة العمان من بشر صاحب معاوية لعين التمر]----- ٤٢٢
- ٤٠- ومن كلام له عليه السلام في الخوارج لما سمع قواهم: لا حكم إلا لله----- ٤٢٥
- ٤١- ومن خطبة له (ع) [وفيها ينهى عن العذر ويحذر منه]----- ٤٣٠
- ٤٢- ومن خطبة له (ع) [وفيها يحذر من اتباع الهوى وطول الأمل في الدنيا]----- ٤٣٣
- ٤٣- ومن كلام له (ع) وقد أشار عليه أصحابه بالاستعداد للحرب----- ٤٣٦
- ٤٤- ومن كلام له عليه السلام لما هرب مصقلة من هجرة الشيباني إلى معاوية----- ٤٤٠
- ٤٥- ومن خطبة له (ع) [وهو بعض خطبة طويلة خطبها يوم الفطر وفيها يحمد الله ويدم الدنيا]----- ٤٤٢
- ٤٦- ومن كلام له عليه السلام عند عزمه على السير إلى الشام----- ٤٤٥
- ٤٧- ومن خطبة له عليه السلام في ذكر الكوفة----- ٤٤٧
- ٤٨- ومن خطبة له عليه السلام عند منبره إلى الشام----- ٤٤٩
- ٤٩- ومن خطبة له (ع) [وفيها جملة من صفات الربوبية والعلم الإلهي]----- ٤٥٢
- ٥٠- ومن خطبة له (ع) [وفيها بيان لما يجرب العالم به من الفتن وبيان هذه الفتن]----- ٤٥٦
- ٥١- ومن كلام له (ع) لما غلب أصحاب معاوية أصحابه على شريعة الفرات بصعين ومنعواهم من الماء----- ٤٦٠

- ٥٢- ومن خطبة له (ع) [وهي في التزهيد في الدنيا وثواب الله للزاهد ونعم الله على الخلق]----- ٤٦٤
- ٥٣- ومن خطبة له عليه السلام في ذكر يوم النحر وصفة الأصحاب----- ٤٧٠
- ٥٤- ومن كلام له (ع) [وفيها يصف أصحابه بصقين حين طال منعهم له من قتال أهل الشام]----- ٤٧٢
- ٥٥- ومن كلام له عليه السلام وقد استبطأ أصحابه إذته لهم في القتال بصقين----- ٤٧٥
- ٥٦- ومن كلام له (ع) [يصف فيه أصحاب رسول الله وذلك يوم صفين حين أمر الناس بالصلح]----- ٤٧٨
- ٥٧- ومن كلام له (ع) لأصحابه [في صفة رجل مذموم، ثم في فضله (ع)]----- ٤٨٢
- ٥٨- ومن كلام له (ع) [كلم به الخوارج حين اعتزلوا الحكومة، وتنادوا: أن لا حكم إلا لله]----- ٤٨٧
- ٥٩- ومن كلام له (ع) لما عزم على حرب الخوارج----- ٤٩٠
- ٦٠- ومن كلام له عليه السلام لما خوف من أمر الغيلة----- ٤٩٤
- ٦١- ومن خطبة له (ع) [يحذر فيها من فتنة الدنيا]----- ٤٩٥
- ٦٢- ومن خطبة له (ع) [في المبادرة إلى صالح الأعمال]----- ٤٩٧
- فهرس المحتويات----- ٥٠٣

